



الأمن الفكري

في دعوة الشيخ الإمام

محمد بن عبدالوهاب رحمه الله

وآثاره: دراسة عقديّة

د. عايد بن مسفر العقيلي



المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الملك سعود
عمادة الدراسات العليا
كلية التربية

الأمنُ الفكريُّ
في دعوة الشيخ الإمام
مُحمَّد بن عبد الوهَّاب - رَحْمَةُ اللهِ - وآثاره
"دراسة عقديَّة"

بحث مقدَّم استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراه في الدِّراساتِ الإسلاميَّة
التَّخصُّص: عقيدة، قسم الدِّراساتِ الإسلاميَّة - بكلية التربية جامعة الملك سعود

إعداد الطالب

عايد بن مسفر العقيلي

الرقم الجامعي: ٤٢٧١٢١٣١٩

إشراف

الأستاذ الدكتور / أحمد بن عثمان المزيد

أستاذ العقيدة، بقسم الثقافة الإسلامية

للعام الدِّراسيِّ

١٤٣٥/١٤٣٦ هـ





ملخص الدراسة

جاءت الشرائع الإسلامية بالحفاظ على الضرورات الخمس، وقد رسخت العقيدة الإسلامية هذا المبدأ واهتمَّت به وحثَّت عليه.

وفي تعاقب العصور قد ينتاب الناس فترة يحتاجون فيها إلى تجديد معالم الدين لانقطاع الرسالة، ومن أولئك المجددين الإمام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله -، والذي وُلدت دعوته في زمن ساد فيه الانحراف العقدي، بسبب انحراف الفكر الذي احتاج إلى تأمينه، وقد اعترضته بعض العقبات التي عوّقت دعوته، فمنها ما هو عقدي، ومنها ما هو فكري، ومنها ما هو حالة مجتمعية مبنية على أحكام شرعية، وقد قابله خصوم من مشارب مختلفة ونزعات متباينة، ونازلوه في كل ساحة، فشخص الحال وبذل جهده في تصحيح ما طرأ على الفكر من لوثات أوصلته إلى الانحدار في مهاوي الشتات والضلال، وقد سعى الباحث إلى تقسيم هذه المعوقات، وتحلية ما ادعاه الخصوم في الإمام من تهم، وإيضاح رأي الإمام فيها ومدى أثرها وخطورتها على أمن الناس الفكري.

ووضع الإمام - رحمه الله - ركائز بني عليها فكر جيل يطمح للوصول إلى مأمن يستجن به من مُعكرات صفو تدينه وعيشه؛ ليسعد في حياته، ويستعد للحياة الباقية، وسخر الوسائل والإمكانات المتاحة لتحقيق الثمرة المرجوة، وقد جلى الباحث هذه الركائز، والمتمثلة في المنهج ومقوماته التي بنى عليها من الرد إلى الكتاب والسنة بفهم السلف بعيداً عن المصطلحات المبتدعة، وبيان عقيدة أهل السنة والجماعة المتمثلة في الوسطية، وطبق الشريعة الإلهية الربانية في حياة الناس، وأظهر شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأقام القضاء على المخالف، وكل ذلك من أجل وحدة الكلمة والالتفاف حول الولاة ومؤازرة العلماء الذين عرّف بقدرهم ومكانتهم، ووفق ضوابط واضحة لمعاملة المخالف، وهذا البناء كان بوسائل متعددة، منها الإقناع العقلي المقرون بالدليل الشرعي في دعوة المخالف عند تعليمه أو حوار أو مناظرته.

وقد تحقق له - رحمه الله - من خلال ذلك صفاء عقدي على منهج النبوة، وقيام دين ودولة على أسس متينة أسهمت في بناء نهضة علمية واجتماعية، فنعموا بأمن واستقرار في جميع المجالات، وقامت على ثوابت ذات أصول راسخة ظهرت نتائجها في حياة الأفراد والمجتمعات، ورجع الناس إلى منهج السلف في الاعتقاد والعمل، وانحسرت البدع، وظهرت نهضة علمية، واجتمع الناس بعد الفرقة على وحدة الكلمة والصف والهدف، وساد الاستقرار والأمن، وانحسر الفساد الاقتصادي وتوفرت الموارد، عندما سادت القيم الفاضلة في المجتمع.



Abstract

The Islamic laws were to maintaining five essentials of Islam. The Islamic faith have established, concerned with and encouraged this principal. And by the succession of eras, people might face a period of time in which they need to renew the parameters of religion due to the interruption in the message of Islam.

One of those innovators The Imam Muhammad bin Abdul Wahab - mercy be on him; whose call was born at a time of belief deviation, due to the deviation of thought which he needed to secure. He experienced some obstacles that hindered his call, some of them are doctrinal and others are ideological obstacles and some on them were a kind of community case based on legitimacy provisions. He also met opponents of different sources and divergent trends, who disputed him in every area. He diagnosed the case and exerted a great effort to clean the ideology of the attached pollutants that Led to a decline in the abyss of diaspora and misguidance. The researcher sought to divide these obstacles, and unfold the claims of the Opponents about the Imam and to clarify the opinion of the Imam about that, as well as its effects and seriousness on the security of people's ideology.

The Imam – mercy of God be upon him- also clarified the substrates on which he built the thought of a generation to reach safety away from the impurities that disturb his religiosity and livelihood; so as to be pleased in life and to be prepared for the remaining life. He also provided the means and possibilities available to achieve the desired results. The researcher represented the substrates in the approach and its components on which he built his response from the Quran and Sunnah with the understanding of predecessor far from the invented terms and indicated the doctrine of Sunni for the followers based on the approach of the Sunnis of moderation. Also, he applied the divine law in people's lives and showed the rite of promotion of virtue and prevention of vice, and established the elimination of violations for the sake of word unity and rallying around the governors and supporting the scientists, who knew their position and ability and according to clear controls for treating the offenders. The building was made by various means including mental persuasion combined with legitimate evidence in the calling of the offender when teaching, taking or debating him.

He realized this due to a doctrinal purity based on the prophecy approach and the establishment of religion and state based on a solid foundation to build a scientific and social renaissance, blessed with security and stability in all fields, based on constants of solid origins, with results that emerge in the lives of individuals and communities. This appeared clearly in the return of people to the approach of predecessor in believing and work, fads receded, scientific renaissance emerged, people were gathered on the unity of word, row and target after they were separated, stability and security. Also, stability and security prevailed, economic corruption receded and resources were available, when the good values prevailed in the society.

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ءَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾^(١)، ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ءَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ءَلْأَرْحَامَ ءِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾^(٢)، ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾^(٣).

أما بعد:

فإن العلماء هم ورثة الأنبياء "وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، إنما ورثوا العلم"^(٤)، فما أحسن أثرهم على الناس! وما أسوأ أثر الناس عليهم! فكم من ضال قد هدوه! وكم من قتيل لإبليس قد أحيوه! اختصهم الله بنعمته، وفضلهم على سائر خليقته؛ بأن جعلهم هداة لهذا الدين، ودعاة إلى توحيد رب العالمين، فرفعوا راية العقيدة الإسلامية، وقمعوا أهل الشبهات المضلة والأهواء المحلّة، تارة باللسان، وأخرى بالبنان، ومن فضل الله وجزيل إنعامه أن هذا الدين محفوظ بحفظ الله له، ومن فضله وكرمه أن جعل في هذه الأمة مجددين، ينفون عن دين الله تحريف الغالين، وانتحال المبطلين وشبه المعطلين^(٥).

وإذا عُدَّ العلماء المجددون كان من أشهرهم في العصور المتأخرة الإمام محمد بن عبد الوهاب

(١) سورة آل عمران آية رقم [١٠٢].

(٢) سورة النساء آية رقم [١].

(٣) سورة الأحزاب آية رقم [٧١].

(٤) رواه أبو داود في سننه (١٤٩٣) (ح ٣٦٤١)، والترمذي في سننه (١٩٢٢) (ح ٢٦٨٢)، وابن ماجه في سننه

(٢٤٩١) (ح ٢٢٣)، والحديث صححه ابن حبان والحاكم، وحسنه الكتاني. انظر: المقاصد الحسنة للسخاوي

(٣٤٠)، وصححه الألباني. انظر: صحيح الجامع (١٠٧٩/٢) (ح ٦٢٩٧).

(٥) انظر: الرد على الجهمية - الإمام أحمد بن حنبل (١٧٠).



- رحمه الله - والذي امتنَّ اللهُ علينا بدعوته في المملكة العربية السعودية، وبعض البلاد الإسلامية؛ بل والعالم أجمع، ومن حقه إبراز جهوده والإشادة بها وبخاصة في جانب الأمن الفكري.

وقد كان من الجوانب المهمة في دعوته ما تعرض له من شبهات فكرية وعقلية وشرعية، استطاع الإمام رغم عصفها أن يُرسي دعائم الأمن الفكري ليؤمّن أتباعه من ضرر تلك الشبهات والانحرافات، ولما كان من متطلبات إكمال مرحلة (الدكتوراه) بعد السنة المنهجية، أن يُقدم الطالب بحثًا علميًا يُتم هذه المرحلة، فقد وقع الاختيار بعد توفيق الله على البحث في موضوع: الأمن الفكري في دعوة الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - وآثاره "دراسة عقديّة".

مشكلة البحث:

إن من أهم أنواع الأمن: الأمن الفكري، والذي له ارتباط وثيق بجميع أنواع الأمن الأخرى؛ بل هو المرتكز لها وهو الأخطر.

فالإنسان يأسره فكره ومعتقده، وسلوكه وعمله، وتصرفاته ناتجة عن موروثاته الفكرية وما يحتلج داخل نفسه من معتقدات، والفكر والعقيدة^(١) هما الموجهان للسلوك والتصرفات، فإذا ضل الإنسان في فكره ضل في اعتقاده وتعبده، وتصوره وأحكامه وعلاقاته.

وإن مما أسهم في حفظ الأمن الفكري من الشطط والانحراف في الأزمان المتأخرة دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله -، فقد كانت هي مصدر التوجيه والتربية، كما كانت فاتحة خير لهذه البلاد وأهلها؛ غير أنه في السنوات المتأخرة تعرضت الدعوة لهجوم من بعض الحاقدين وألصقوا بها التُّهم جزافًا، حتى "شاعت مفتريات وأكاذيب حول الدعوة وأتباعها، وعلمائها، ودولتها المملكة العربية السعودية"^(٢).

لذلك وجب تجلية الحقيقة، وإبراز دور هذه الدعوة المباركة في الأمن الفكري، وبيان آثارها المباركة على المملكة العربية السعودية وأهلها، وغيرها من البلاد.

(١) انظر: نحو ثقافة إسلامية أصيلة - عمر الأشقر (٩٣).

(٢) إسلامية لا وهابية - ناصر العقل (٦).

حدود البحث:

ستكون الدراسة منصبة على مؤلفات الإمام- رحمه الله- وما سطره، وتحليل عباراته، واستنباط مكامن الأمن الفكري ومعوقاته ومقوماته؛ وذلك من خلال النظر في سيرته العلمية والعملية، والدراسات العلمية المتعلقة بالإمام، وكتب التاريخ التي كتبت عن دعوته.

مصطلحات البحث:

الأمن الفكري: مصطلح حادث خلت منه معاجم اللغة، وإن كان معناه معروفًا.
والمراد به: حفظ فكر المسلم وضبطه وتحصينه من الزيغ والانحراف والفجور، الذي يؤول به إلى الكفر والغلو والعلمنة^(١).

أهمية البحث وأسباب اختياره:

- ١- التعرف على الجهد الذي بذله الإمام- رحمه الله- في سبيل تعزيز الأمن الفكري لدى أتباعه.
- ٢- بيان الأسس والركائز التي قامت عليها دعوة الإمام، وأثرها في تعزيز الأمن الفكري.
- ٣- إبراز موقف الإمام من بعض القضايا المعاصرة لدى فئام من المتعجلين والمثقفين، وتحميل دعوة الإمام بعض الأخطاء والتبعات بلا دليل ولا برهان.
- ٤- توضيح موقف الإمام- رحمه الله- من بعض القضايا في عصره؛ ليتبين للطاعنين في الشريعة والمنهج السِّلَفي والذي يُمثل الإمام أحد رموزه عظم الدور الذي قام به.
- ٥- في بيان مقومات الأمن الفكري من خلال مؤلفات الإمام وتعامله مع الأحداث، ردُّ على أهل التكفير والتفجير الذين يتخذونه سلفًا لهم، وعلى الذين يتهمون الإمام ودعوته بالغلو.

(١) انظر: جهود وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد في تعزيز الأمن الفكري من وجهة نظر الأئمة والدعاة والخطباء بمدينة الرياض- سعد صالح العبيسي(٢٦-٣٢).



الدراسات السابقة:

لم يقف الباحث على دراسة مختصة أبرزت جهود الإمام- رحمه الله- في الحفاظ على الأمن الفكري؛ أما ما يتعلق بالإمام ودعوته، والأمن الفكري من بحوث فقد انقسمت إلى قسمين:

القسم الأول: بحوث متعلقة بالإمام محمد بن عبد الوهاب- رحمه الله- ومنها:

١- إسلامية لا وهابية- للأستاذ الدكتور- ناصر بن عبد الكريم العقل: وهو كما قال حفظه الله: ملخص عن كتاب "دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب حقيقتها ورد الشبهات حولها"^(١)، فهو كتاب لرد المفتريات والمزاعم التي أثرت حول هذه الدعوة المباركة، وتختلف دراسة الباحث في كونها تتعلق بجانب الأمن الفكري في دعوة الإمام، وكيف كانت هذه المفتريات معوقاً من معوقات الأمن الفكري.

٢- دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب عرض ونقد، للباحث: عبد العزيز بن محمد آل عبد اللطيف، وموضوعه: الرد على شبهات خصوم الدعوة، فهو يعرض الشبهة من مؤلفات الخصوم ثم يرد عليها، وما سيتطرق له الباحث يختلف من حيث كون بحثه عن كيفية استغلال الخصوم لهذه الشبهات في التأثير على الناس، وكيف أصبحت معوقاً فكرياً وعقدياً، وكذلك يُقال عن هذه الدراسة ما قيل في سابقتها.

٣- الإمام محمد بن عبد الوهاب ومنهجه في العقيدة، وهي رسالة ماجستير تقدم بها الباحث: محمد بن عبد الله السكاكر، إلى جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، واختصت دراسته بأصول الإيمان، ولم يتطرق لموضوع الأمن الفكري، فهو يقتصر على منهج الإمام في العقيدة، ودراسة الباحث عن الأمن الفكري في دعوة الإمام.

٤- جهود الإمام محمد بن عبد الوهاب- رحمه الله- في بيان مسائل التكفير، وهي رسالة ماجستير تقدم بها الباحث: أحمد بن جزاع الرضيمنان، إلى جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وهي متعلقة بأصول منهج الإمام وسماته في مسألة التكفير، ولم تتعرض الدراسة للأمن الفكري، ودراسة الباحث تتعلق بكيفية استثمار الخصوم لأقوال الإمام وأفعاله وتوظيفها

(١) إسلامية لا وهابية- حاشية(١)- (٦).

في مسألة التكفير، وذلك بزعمهم أن الإمام يُكفر الناس، وكيف أصبح التكفير معوّقًا من معوّقات الأمن الفكري في دعوة الإمام.

٥- عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السَّلَفِيَّة وأثرها في العالم الإسلامي، للدكتور: صالح بن عبد الله العبود، وتحدثت الدراسة عن جهود العلماء والأمرء في تقرير العقيدة في أدوار الدولة السعودية الثلاثة، ودراسة الباحث متعلقة بجانب الأمن الفكري ودور دعوة الإمام في تحصين أفكار الناس في تلك الظروف المضطربة، وإخماد الفتن، وتقرير الشريعة في أدوار الدولة السعودية.

٦- بحوث أسبوع الإمام محمد بن عبد الوهاب، وقد اشتملت على:

أ- حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وآثاره العلمية.

ب- اعتماد دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب على الكتاب والسنة.

ج- صلة دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب بمذهب السَّلَف.

د- الشبهات التي أثيرت حول دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

هـ- تأثر الدعوات الإصلاحية بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

والفرق بين هذه البحوث وما سيقدمه الباحث:

أن هذه البحوث تناولت جوانب جزئية من حياة الإمام في غير ما سيتطرق له الباحث؛ إذ إن ما سيقدمه الباحث هو تجلية الأمن الفكري في دعوة الإمام- رحمه الله- وآثاره.

القسم الثاني: بحوث متعلقة بالأمن الفكري، ومن ذلك:

١- دور منهج العلوم الشرعية في تعزيز الأمن الفكري لدى طلاب الصف الثالث الثانوي، وهي رسالة دكتوراه قدّمها الباحث: جبير بن سليمان العلوي الحربي، إلى قسم المناهج وطرق التدريس في كلية التربية بجامعة أم القرى بمكة المكرمة، وقد اقتصرَت الدراسة على كتب العلوم الشرعية للصف الثالث ثانوي، وهي دراسة تربوية تتعلق بالمناهج وطرق التدريس، وتعتمد على جمع البيانات وتحليل المعلومات، ولا علاقة لها بالإمام، وما سيقدمه الباحث دراسة شرعية عقديّة عن الأمن الفكري في دعوة الإمام.

٢- مدى توافر الخبرات التربوية المصاحبة في منحج التوحيد وإسهامها في تعزيز الأمن الفكري لدى طالبات الصف الثالث الثانوي من وجهة نظر مشرفات ومعلمات التربية الإسلامية بمنطقة مكة المكرمة، وهي رسالة دكتوراه قدمتها الباحثة: لطفية بنت سراج بن علي قمره، إلى قسم التربية وعلم النفس في كلية التربية بجامعة أم القرى بمكة المكرمة، تخصص مناهج وطرق تدريس ويُقال في هذه الدراسة ما قيل في سابقتها.

٣- جهود وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد في تعزيز الأمن الفكري من وجهة نظر الأئمة والدعاة والخطباء بمدينة الرياض، وهي رسالة ماجستير تقدّم بها الباحث: سعد بن صالح العبيسي، إلى جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، وهي دراسة تعتمد على المنهج المسحي الوصفي، ومحصورة بزمان ومكان؛ حيث اقتصرت على عام (١٤٢٩هـ)، وعلى مدينة الرياض، بينما اهتمام الباحث هنا عن الأمن الفكري في دعوة الإمام.

٤- وسوف يستفيد الباحث من هذه الدراسات السابقة- بإذن الله-.

أهداف البحث:

- ١- تحديد مفهوم الأمن الفكري، وأهميته.
- ٢- توضيح موقف الإمام من الأمن الفكري.
- ٣- بيان معوقات الأمن الفكري التي واجهت الإمام محمد بن عبد الوهاب-رحمه الله-
- ٤- إبراز مقومات الأمن الفكري في دعوة الإمام، ووسائله في تعزيزه.
- ٥- بيان آثار دعوة الإمام على الأمن الفكري في المملكة العربية السعودية.

أسئلة البحث:

- ١- ما مفهوم الأمن الفكري، وما أهميته؟.
- ٢- ما موقف الإمام من الأمن الفكري؟.
- ٣- ما أبرز معوقات الأمن الفكري التي واجهت الإمام وكيف عالجها؟.
- ٤- ما أبرز مقومات الإمام ووسائله في تعزيز الأمن الفكري؟.
- ٥- ما آثار دعوة الإمام على الأمن الفكري في المملكة العربية السعودية؟.

منهج البحث:

سيكون المنهج المتبع في هذه الدراسة-إن شاء الله- المنهج الاستقرائي الاستنباطي.

إجراءات البحث:

ستكون إجراءات البحث على النحو التالي:

- ١- جمع المعلومات والحقائق المتعلقة بالأمن الفكري من خلال مؤلفات الإمام ورسائله، والدراسات المتعلقة به واستقراؤها للإجابة عن أسئلة البحث.
- ٢- توضيح معوقات الأمن الفكري التي اعترضت الإمام وكيف عالجها.
- ٣- حصر مقومات الأمن الفكري في دعوة الإمام وتوضيحها.
- ٤- بيان منهج الإمام وتحليل موقفه من الأمن الفكري في المجتمع في عصره.

الجانب الفني للبحث:

- ١- كتابة الآيات بالرسم العثماني، واقتصر على اسم السورة ورقم الآية وأثبتهما في الحاشية.
- ٢- تخريج الأحاديث والآثار من مصادرها على النحو التالي:
 ١. إن كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت به، وإن كان الحديث مُخْرَجًا في الصحيح في عدة مواضع فأكتفي بموضع واحد.
 ٢. إذا كان الحديث في غير الصحيحين فإنني أخرج من باقي الكتب الستة وأذكر حكم علماء الشأن عليه.
 ٣. إذا لم يكن الحديث في الكتب الستة فإنني أكتفي بتخرجه من مصدرين أو ثلاثة، وأذكر حكم العلماء عليه.
- ٣- توثيق النصوص بإحالتها إلى مصادرها.
- ٤- الترجمة للأعلام- غير المشهورين- الوارد ذكرهم في ثنايا البحث، وكذلك الفرق عند ورود اسم العلم أو الفرقة لأول مرة، ويمكن الرجوع للفهارس لمعرفة موضع الترجمة عند تكرره.



٥- بيان بعض المصطلحات التي تحتاج إلى بيان.

٦- شرح الغريب من الكلمات.

٧- ضبطتُ بالشكل الكلمات التي أرى أنها تحتاج لذلك.

٨- أن البحث له ثلاثة جوانب: عقدي وفكري وتاريخي، وطبيعة البحث في الجانبين

العقدي والتاريخي تقتضي الدقة والتوثيق، وهذا يستدعي كثرة النقل والاقتباس، وفي هذا المقام

يقول ابن تيمية- رحمه الله-: "والعلم شيئان إما نقل مصدق، وإما بحث محقق، وما سوى ذلك

فهذيان" (١)، على أنني لم أكتف بالنقل المجرد، وإنما أعلق أو أعقب أو أقدم بما يقتضيه المقام.

٩- يلي البحث الفهارس التي تُسهل على القارئ وتساعد في الوصول إلى بُغيته.

(١) الاستغاثة في الرد على البكري (٢/٦٢٨).

الصعوبات التي واجهت الباحث:

لقد واجه الباحث عدة صعوبات في أثناء إعداد هذه الدراسة، وأبرزها:

- ١- ندرة المراجع التي تُعبر عن وجهة نظر الخصوم، وقد حرصت على تضمين البحث شيئاً منها، وقد استغرق ذلك جهداً ووقتاً للحصول على بعض المخطوطات من خارج الوطن العربي؛ وذلك بسبب ضعف تعاون الملحقيات الثقافية.
- ٢- الحصول على بعض المخطوطات التي استنفدت من الباحث جهداً ووقتاً لقراءتها، والاستفادة منها في فصول البحث.
- ٣- البحث له ثلاثة جوانب عقدي وفكري وتاريخي، وهذا استدعى جهداً مضاعفاً في البحث في هذه العلوم وحصر مصادرها، كما أن جمع المادة العلمية منها فيه شيء من الصعوبة وتشتت الذهن.
- ٤- السفر من أجل البحث وإثرائه مطلب، وقد احتاج له الباحث لكون أغلب ما كُتب في الأمن الفكري رسائل لم تُطبع، وتحتاج إلى سفر، وكذلك عدم الاستقرار الأمني في بعض الدول التي احتاج الباحث للسفر إليها، مما دعا للتأجيل أكثر من مرة.



خطة البحث:

وتشتمل على تمهيد، وثلاثة أبواب، وخاتمة.

التمهيد، ويتضمن:

١- ترجمة مختصرة للإمام محمد بن عبد الوهاب- رحمه الله - .

٢- مفهوم الأمن الفكري، وأهميته.

الباب الأول: معوقات الأمن الفكري وجهود الإمام محمد بن عبد الوهاب في

مواجهتها.

وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: معوقات عقدية.

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: شبهات تُخرج من الملة.

المبحث الثاني: شبهات لا تُخرج من الملة.

الفصل الثاني: معوقات فكرية.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: التعصب والتقليد.

المبحث الثاني: اتباع الهوى والحسد.

المبحث الثالث: الخصوم من أصحاب الزعامات والمنتسبين للعلم.

الفصل الثالث: عوائق الاجتماع والائتلاف.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تفرق كلمة أهل الحل والعقد.

المبحث الثاني: استحلال الدماء والأموال.

المبحث الثالث: اتهام الإمام بالتكفير بالعموم.

الباب الثاني: مقومات الأمن الفكري ووسائله في دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب.

وفيه خمسة فصول:

الفصل الأول: مقومات منهج الإمام.

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول: الرد إلى الله ورسوله ﷺ.

المبحث الثاني: الرجوع لفهم السلف.

المبحث الثالث: البعد عن المصطلحات المبتدعة.

الفصل الثاني: بيان عقيدة أهل السنة والجماعة.

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: نشر عقيدة أهل السنة والجماعة.

المبحث الثاني: بيان وسطية أهل السنة والجماعة.

الفصل الثالث: تطبيق الشريعة.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: إقامة القضاء الشرعي.

المبحث الثاني: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

المبحث الثالث: تطبيق السنة في حياة الناس اليومية.



الفصل الرابع: عناية الإمام بجمع الكلمة.

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: اهتمامه بالجماعة.

المبحث الثاني: تعامله مع الولاة.

المبحث الثالث: موقفه من العلماء.

المبحث الرابع: منهجه في التعامل مع المخالفين.

الفصل الخامس: وسائل الإمام في حفظ الأمن الفكري.

وفيه خمسة مباحث :

المبحث الأول: الإقناع العقلي والحجة العلمية.

المبحث الثاني: الدعوة إلى الله.

المبحث الثالث: التعليم.

المبحث الرابع: الحوار.

المبحث الخامس: المناظرة.

الباب الثالث: آثار دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب في تحقيق الأمن

الفكري.

وفيه ثلاثة فصول :

الفصل الأول: الآثار العلمية لدعوة الإمام.

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول: الرجوع بالناس إلى منهج السلف.

المبحث الثاني: انحسار البدع والخرافات.

المبحث الثالث: الإسهام في النهضة العلمية.

الفصل الثاني: آثار دعوة الشيخ السياسية.

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول: تحكيم الشريعة.

المبحث الثاني: جمع الكلمة على إمام واحد (الدول السعودية الثلاث).

المبحث الثالث: الاستقرار والأمن.

الفصل الثالث: آثار دعوة الإمام الاقتصادية والاجتماعية.

وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول: الاصلاح الاقتصادي ومحاربة الفساد.

المبحث الثاني: توفر الموارد.

المبحث الثالث: إعادة بناء القيم.

المبحث الرابع: أثرها على الفرد والمجتمع.

الخاتمة.

الفهارس:

- ١- فهرس الآيات القرآنية.
- ٢- فهرس الأحاديث النبوية، والآثار.
- ٣- فهرس الأعلام.
- ٤- فهرس المصطلحات والألفاظ الغريبة.
- ٥- فهرس الأديان والملل والفرق.
- ٦- فهرس الأماكن.
- ٧- فهرس الأشعار.
- ٨- فهرس المصادر والمراجع.
- ٩- فهرس الموضوعات.



شكر وتقدير

أشكر الله وأحمده حمداً يملأ أقطار أرضه وسمائه على جزيل نعمه وواسع عطائه، على ما تفضل به من النعم المترادفة، فقد هدانا وكفانا وآوانا، ومما سألناه أعطانا، وأسأله أن يجزي والديَّ خير الجزاء، وأن يرحمهما كما ربياني صغيراً، وأن يجزل مثوبة من تعلّمت منه حرفاً، وأن يختم لنا وإياه بالحسنى، ثم إنني أتوجّه بالشُّكر إلى جامعتنا المباركة جامعة الملك سعود التي سهّلت للباحثين تتمّة مشوار الطلب، ثم الشكر موصولاً لكلية التربية ممثلة في قسم الثقافة الإسلامية ولكل القائمين عليه.

أما فضيلة الأستاذ الدكتور/ أحمد بن عثمان المزيد، الأستاذ في كلية التربية "قسم الثقافة الإسلامية" الذي أمدني من خبرته، وتوجيهه ومتابعته ورحابة صدره وبيته ما كان سبباً - بعد الله - في خروج هذا العمل بهذه الصورة، فله مني جزيل الشكر، وأسأل الله أن يجزيه عني على ما بذل، ويجعل ما عمل في موازين أعماله.

وأشكر أهل بيتي حيث بذلوا وتحملوا كثيراً للسفر والانقطاع والانشغال عنهم، وكل من ساعدني من كافة المشايخ الفضلاء والأخوة الزملاء، فجزاهم الله خير الجزاء على ما قدموا.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه

الباحث

عايد بن مسفر العقيلي

التمهيد ويتضمن:

- ١- ترجمة مختصرة للإمام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله -.
- ٢- مفهوم الأمن الفكري وأهميته.



أولاً: ترجمة مختصرة للإمام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله -

إن مما هو معلوم أن الإنسان يؤثر ويتأثر بما يُحيط به من ظروف وأحداث وبيئة، ولا أدل على ذلك من قول الصادق المصدوق عليه الصلاة والسلام: " فأبواه يُهودانه، أو يُنصرانه أو يُمجسانه... " (١) ، وهذا وإن كان نصًّا في البيئة الأسرية إلا أن دلالاته تشمل البيئة بمفهومها العام.

لذا لا بد قبل الحديث عن الإمام - رحمه الله - من الحديث عن عصره؛ لأن من المؤثرات على الناس عمومًا وتوجهاتهم وأفكارهم الجوّ العام الذي يعيشون فيه، والعالم بما يحمله من فكر يتأثر ويؤثر في الواقع المتغير بسبب الظروف السياسية، والحياة الاجتماعية والمستوى العلمي، والتوجه الفكري والديني الذي يُسيطر على حياة الناس. وفيما يلي عرض موجز لعصر الإمام - رحمه الله - من خلال المطلب التالي.

(١) رواه البخاري - كتاب الجنائز - باب إذا أسلم الصبي فمات (١٠٦) (ح١٣٥٨)، ومسلم كتاب القدر - باب: كل مولود يولد على الفطرة (١١٤١) (ح٢٦٥٨).

المطلب الأول : عصر الإمام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله -

أ - الحالة السياسية:

كان إقليم نجد في النصف الأول من القرن الثاني عشر الهجري مقسماً إلى عدد من الإمارات الصغيرة، التي لم يكن لها رابط سياسي؛ بل كان يسيطر عليها الفتور والجفاء والحروب التي يسيرها المسيطرون على العشائر والمدن والقرى، وكانت الإمارة في الدرعية لابن سعود، وفي العيينة بلد الإمام محمد بن عبد الوهاب لابن معمر، وفي الرياض لابن دوّاس، وفي الخرج لابن زامل، بالإضافة إلى إمارات ومشيخات متناثرة لا يربطها رابط ولا يُعبأ بها.

ومما تجدر الإشارة إليه أن منطقة نجد لم يكن للدولة العثمانية عليها سلطان في ذلك الزمان الذي سبق ظهور دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله -، فلم يُعيّن على المنطقة ولاية عثمانيون، ولا يوجد بها حاميات تركية، على الرغم من وجود ولاية تابعين ولو اسمياً على أطراف منطقة نجد كما في الحجاز، والأحساء، ولعلّ السبب يعود إلى وعورة المنطقة، وصعوبة مسالكها، وتكوينها القبلي والعشائري، وعدم وجود فائدة تُرجى في هذه المنطقة التي تُعتبر مهلكة في ذلك الزمن^(١).

وقد عاش الإمام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - في نجد التي لم تكن تخضع لسلطان أو دولة، وذلك لبعدها المكاني عن مراكز النفوذ العثماني؛ ولعدم وجود مطامع دنيوية في هذه البقعة، وكانت نجد بلد قلاقل وفتن وغارات لأصحاب الزعامات فيها، وكذلك محط أطماع مؤقتة وغارات لبعض الولايات التابعة للدولة العثمانية.

فقد انتشر القتل والنهب والسلب بين القبائل فلا أمن ولا أمان، ولا يسافر أحد ولو مسافة قصيرة إلا وقع ضحية السلب أو القتل^(٢)، ولا أدلّ على ذلك من حال القتل والغارات التي عمت البلاد، فعلى سبيل المثال في سنة (١٠٤٣ هـ) وقعت حرب في قارة سدِير قتل فيها خلق، وفي سنة (١٠٤٥ هـ) أُجلي العطيّان من ملهم، وفي سنة (١٠٥١ هـ) حدث وقعة بين آل برجس وأهل العيينة، وفي سنة (١٠٥٢ هـ) سار بن معمر إلى أهل سدِير وأظهر رميزان من بلده، وفي سنة (١٠٥٦ هـ) قُتل آل أبي هلال في سدِير، وفي سنة

(١) انظر: تاريخ العرب الحديث - عبد الرحيم عبد الرحمن (٧١).

(٢) انظر: عنوان المجد في تاريخ نجد - عثمان بن بشر (١/١٠-١١).



(١٠٥٧هـ) قُتل والي العيينة ابن معمر قتله ابن أخيه وتولى مكانه، ثم لم يلبث سوى أشهر ثم قُتل^(١)، وهكذا يتداول الناس السطو والقتل فلا يخلو بيت من مأتم، ولو نظرنا إلى الأحداث الداخلية في عمر الإمام من ولادته إلى القيام بدعوته لوجدناها أزمان سطو وقتل واختلاف وغارات وغدر وأخذ وثأر وانقسامات وتنازع واختلاف^(٢).

فقد كانت نجد مُقسمة إلى قرى وبلدان صغيرة مُستقلة كل بلدة وقرية عن غيرها، وكانت الحروب فيما بينها مستمرة، فلا شريعة ولا نظام ولا قانون يحكم إلا قانون الأقوى، وهذا الحال هو السائد سواء في البادية أو داخل أسوار المدينة، وكانت الحرية غير المحدودة للبادية وحروبها التي لا تنتهي والتي من نتائجها الختمية القتل والسلب والنهب قد جعلت نجدًا وما حولها مسرحًا للفوضى الدائمة التي لا يكاد يتحقق فيها أمن ولا أمان^(٣).

ب- الحالة الاجتماعية:

في اختلال الحالة السياسية واضطرابها يضع ميزان القسط والعدل ويختل الأمن، فليس من يعيش في أمن ورغد عيش كمن يعيش في عصر مضطرب، وإذا صاحب ذلك ضعف الوازع الديني وسيطرة البدع والخرافات فتلكم هي الطامة.

والإمام- رحمه الله- عاش في عصر قلق مضطرب كما مرّ، فالناس في طول هذه البقعة وعرضها التي عاش فيها الإمام تنقسم إلى صنفين من الناس: حاضرة وبادية، وجميع السكان ينتمون إلى قبائل عربية معروفة النسب، سوى النزر اليسير ممن دخل هذه المجتمعات من الرق أو العمل ببعض المهن.

ولقد كان الانتماء مهمًا لتحديد مكانة الفرد داخل المجتمع والأسرة التي ينتمي لها، مما أدّى إلى الحفاظ على بعض العادات والتقاليد^(٤).

ومما يتميز به أهل نجد من أخلاق العرب المحمودة الوفاء والغيرة وصيانة العرض، وإجارة المستجير، وبعض الفضائل التي تحتمها عليهم عربيتهم وأصالتهم، مع ضعف ديانتهم في تلك الحقبة الزمنية، وإن وُجد بعض النشاط فليس عامًا فيهم^(٥).

(١) انظر: المصدر السابق(١/٣٣-٣٨).

(٢) المصدر السابق(١/٦١-٧٩).

(٣) مواد لتاريخ الوهابيين-جوهان بوركهارت (٢٧)، والوهابيون تاريخ ما أهمله التاريخ- لويس دوكورانسي(٥٤).

(٤) الشيخ محمد بن عبد الوهاب- حياته وفكره- عبد الله العثيمين(١١-١٤).

(٥) انظر: تاريخ نجد- محمود الألوسي(٨٢)، وحياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب- حسين خزعل(٣٥-٤١).

ولقد نصّب سكان البوادي أنفسهم حكامًا على ما سيطروا عليه من الصحراء وحكّموا الطواغيت ونبذوا شريعة الله^(١)، وأما المدن فقد تشرذمت نتيجة التقاتل على السلطة، وسلطان الأقوى كما مرّ في الناحية السياسية.

ونتيجة لذلك فقد كثرت الفتن وعمّت وتأججت نار الحميّة الجاهلية، وأفل سلطان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وانتشرت المنكرات، وساد التقاطع، وقطعت أواصر المودة، وانتشر الباطل والضلال، وفُقدت حراسة الدين، وأصاب الحياة الاجتماعية من الضعف بقدر ما فقدت من الدين، فظهر التعصب للبلد والقبيلة، وحلّت النزعة الفردية محل الجماعة، وصار السلطان للمال والقوة، فقلّت موارد الرزق واختل الأمن بجميع صورته وجفت منابع البر والرفق والإحسان^(٢).

ج- الحالة الدينية والعلمية:

كان الوضع الديني في بلاد نجد كسائر أقطار العالم الإسلامي في تلكم الحقبة من الزمن، التي فشا فيها الجهل، وانتشرت الشركيات والبدع والخرافات، واشتدت غربة الدين ومن هو على الحق المبين^(٣).

ففي بلاد مصر يوجد في القاهرة مائتان وتسعون ضريحًا، أُتخذت مزارات، وقُصدت للعبادة من دون الله^(٤).

وفي دمشق حاضرة بلاد الشام عام (١٨٩٠م) ، يوجد مائة وأربعة وتسعون مزارًا، وهي قبور للأولياء والصالحين تُقصد للتعظيم والتقرب إليها بأنواع القرابين^(٥).

وفي وصف تلك الحالة السائدة يقول الصنعاني - رحمه الله -: "هذا أمر عم البلاد، واجتمعت عليه سكان الأغوار والأنجاد، وطبق الأرض شرقًا وغربًا، ويمنا وشامًا، وجنوبًا وعدنًا، بحيث لا تجد بلدة من بلاد الإسلام إلا وفيها قبور ومشاهد، وأحياء يعتقدون فيها ويعظمونها،

(١) انظر: حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب - حسين خرزل (٣٥-٤١).

(٢) انظر: حركة التجديد والإصلاح في نجد - عبد الله العجلان (٢٧).

(٣) تاريخ ابن غنام (١٧١/١-١٧٦)، وانظر: محمد بن عبد الوهاب - مصلح مظلوم ومُفتري عليه - مسعود

الندوي (٢٩)، وتبرئة الشيخين الإمامين من تزوير أهل الكذب والبين - سليمان بن سحمان (١٧).

(٤) انظر: الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة - علي باشا (٨٩/١).

(٥) انظر: القول الحق في بيروت ودمشق - عبد الرحمن بك (٩٧).



وينذرون لها ويهتفون بأسمائها ويحلفون بها، ويطوفون بفناء القبور، ويسرجونها ويلقون عليها الأوراد والرياحين، ويلبسونها الثياب، ويصنعون كل أمر يقدر على من العبادة لها وما في معناها من التعظيم والخضوع والخشوع والتذلل والافتقار إليها، بل هذه مساجد المسلمين غالبها لا يخلو عن قبر أو قريب منه، أو مشهد يقصده المصلون في أوقات الصلاة يصنعون فيها ما ذُكر أو بعض ما ذكر، ولا يسع عقل عاقل أن هذا منكر يبلغ إلى ما ذكرت من الشناعة، ويسكت عليه علماء الإسلام الذين ثبتت لهم الوطأة في جميع جهات الدنيا"^(١).

فإذا كان هذا حال الحواضر الإسلامية، والقبلة العلمية في ذلك الزمن، فكيف بحال بلاد نجد التي لا اعتبار لها في تلك الفترة.

وقد شهد على الحال السيئة التي وصلت إليها الحواضر الإسلامية شريف مكة وعلماء الحرمين بما سطروه من شهادة على الحال بقولهم: " نشهد - ونحن علماء مكة، الواضعون خطوطنا، وأختامنا في هذا الرقيم - أن هذا الدين، الذي قام به الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى-، ودعا إليه إمام المسلمين سعود بن عبد العزيز، من توحيد الله، ونفي الشرك، الذي ذكره في هذا الكتاب، أنه هو الحق الذي لا شك فيه ولا ريب، وأن ما وقع في مكة والمدينة سابقًا، ومصر والشام وغيرهما من البلاد إلى الآن، من أنواع الشرك المذكورة في هذا الكتاب، أنه: الكفر المبيح للدم والمال والموجب للخلود في النار، ومن لم يدخل في هذا الدين ويعمل به، ويوالي أهله، ويعادي أعداءه، فهو عندنا كافر بالله واليوم الآخر، وواجب على إمام المسلمين والمسلمين جهاده وقتاله، حتى يتوب إلى الله مما هو عليه، ويعمل بهذا الدين"^(٢).

وصرح بعض الرحالة الذين شاهدوا الحال وسبروا غوره، بالسوء الذين كان عليه الناس في زمن الإمام، وأنه لا بدَّ من تغييره "لكنه أصبح مهمًّا أن يُقضى على الشرك الذي انتشر في كل جزيرة العرب، وفي جزء كبير من تركيا، والذي ترك أكثر ضررًا على أخلاق الأمة من الاعتراف المحدّد بديانة خاطئة.

ولهذا فإن فضيلة الوهابيين ليست أنهم طهروا الديانة الموجودة، لكن لأنهم جعلوا العرب يزاولون بدقة الأخلاق الإيجابية لدين واحد"^(٣).

(١) تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد (٣٢).

(٢) الدرر السنية في الأجوبة النجدية - جمع: عبد الرحمن بن قاسم (٣١٤/١).

(٣) مواد لتاريخ الوهابيين - جوهان لودفيج (٢٦).

ولا أدلّ على وصف الحال وفشو الانحراف العقدي من قول الإمام- رحمه الله-: "فلا يخفى عليكم ما ملأ الأرض من الشرك الأكبر عبادة الأصنام: هذا يأتي إلى قبر نبي، وهذا إلى قبر صحابي كالزبير وطلحة، وهذا إلى قبر رجل صالح، وهذا يدعو في الضراء وفي غيبته، وهذا ينذر له وهذا يذبح للجن، وهذا يدخل عليه من مضرة الدنيا والآخرة، وهذا يسأله خير الدنيا والآخرة، فإن كنتم تعرفون أن هذا من الشرك كعبادة الأصنام الذي يخرج الرجل من الإسلام، وقد ملأ البر والبحر وشاع وذاع، حتى إن كثيراً ممن يفعله يقوم الليل ويصوم النهار وينتسب إلى الصلاح والعبادة"^(١)، فالأمر متعلق بالخلل في الجانب العقدي الذي عليه مدار صلاح العمل وقبوله.

ومن دقة الإمام- رحمه الله- في تصوير الحال بما لا يدع مقالاً للشك والريب قوله: "وأنا أخبركم عن نفسي والله الذي لا إله إلا هو لقد طلبت العلم، واعتقد من عرفني أن لي معرفة، وأنا ذلك الوقت لا أعرف معنى لا إله إلا الله، ولا أعرف دين الإسلام قبل هذا الخير الذي منّ الله به، وكذلك مشايخي ما منهم رجل عرف ذلك، فمن زعم من علماء العارض أنه عرف معنى لا إله إلا الله، أو عرف معنى الإسلام قبل هذا الوقت، أو زعم عن مشايخه أن أحداً عرف ذلك فقد كذب وافتري، ولبّس على الناس ومدح نفسه بما ليس فيه"^(٢).

ويقول- رحمه الله- في إحدى رسائله وهو يكشف صور بعض مظاهر الانحراف العقدي التي لا يُنكرها المرسل إليه: "وأعظم وأطم أنكم تعرفون أن البادية كفروا بالكتاب كله، وتبرءوا من الدين كله، واستهزءوا بالحضر الذين يصدقون بالبعث، وفضلوا حكم الطاغوت على شريعة الله، واستهزءوا بها مع إقرارهم بأن محمداً رسول الله، وأن كتاب الله عند الحضر لكن كذبوا وكفروا واستهزءوا عناداً، ومع هذا تنكرون علينا كفرهم وتصرحون بأن من قال لا إله إلا الله لا يكفر"^(٣).

(١) مجموع مؤلفات الشيخ- الرسائل الشخصية (٧٠/٣)، وتاريخ ابن غنام (٣٢٠/١).

(٢) مجموع مؤلفات الشيخ- الرسائل الشخصية (١٠٤/٣)، وتاريخ ابن غنام (٤٠٢/١).

(٣) مجموع مؤلفات الشيخ- الرسائل الشخصية (١١٦/٣)، وتاريخ ابن غنام (٤٢٩/١).



ويذكر الإمام- رحمه الله- شبهة أكثر الناس في زمنه، التي يُبررون بها الحال التي هم عليها، بقوله: "العلماء في زماننا يقولون: من قال: لا إله إلا الله فهو المسلم، حرام المال والدم لا يُكْفَر ولا يُقاتل، حتى إنهم يصرحون بذلك في شأن البدو الذين يكذبون بالبعث، وينكرون الشرائع، ويزعمون أن شرعهم الباطل هو حق الله، ولو طلب أحد منهم خصمه أن يخاصمه عند شرع الله لعدوه من أنكر المنكرات، بل من حيث الجملة: إنهم يكفرون بالقرآن من أوله إلى آخره، ويكفرون بدين الرسول كله، مع إقرارهم بذلك بألسنتهم، وإقرارهم: أن شرعهم أحدثه آباؤهم لهم كفرًا بشرع الله.

وعلماء الوقت يعترفون بهذا كله، ويقولون: ما فيهم من الإسلام شعرة، وهذا القول تلقته العامة عن علمائهم، وأنكروا به ما بينه الله ورسوله، بل كفّروا من صدق الله ورسوله في هذه المسألة، وقالوا: من كفّر مسلمًا فقد كفر، والمسلم عندهم: الذي ليس معه من الإسلام شعرة، إلا أنه يقول بلسانه: لا إله إلا الله، وهو أبعد الناس عن فهمها وتحقيق مطلوبها علمًا وعقيدة وعملاً.

فاعلم- رحمك الله- أن هذه المسألة: أهم الأشياء كلها عليك؛ لأنها هي الكفر والإسلام، فإن صدقتهم فقد كفرت بما أنزل على رسوله ﷺ كما ذكرنا لك من القرآن الكريم والسنة والإجماع، وإن صدقت الله ورسوله عادوك وكفروك. وهذا الكفر الصريح بالقرآن والرسول في هذه المسألة: قد اشتهر في الأرض مشرقها ومغربها، ولم يسلم منه إلا أقل القليل"^(١).

ويصور أحد أحفاد الإمام- رحمه الله- الحالة الدينية التي كانت سائدة في نجد قبل الدعوة، فيقول: "إنه من المعلوم عند كل عاقل خَبَرَ النَّاسَ وعرف أحوالهم، وسمع شيئًا من أخبارهم وتواريخهم، أن أهل نجد وغيرهم ممن تبع الشيخ واستجاب لدعوته من سكان جزيرة العرب كانوا على غاية من الجهالة والضلالة، والفقر والعالة، لا يستريب في ذلك عاقل، ولا يجادل فيه عارف، كانوا من أمر دينهم في جاهلية: يدعون الصالحين ويعتقدون في الأشجار والأحجار والغيران، يطوفون بقبور الأولياء، ويرجون الخير والنصر من جهتها، وفيهم من كفّر

(١) مجموع مؤلفات الشيخ- مختصر سيرة ابن هشام(١/٢٦-٢٧) .

الاتحادية^(١) والحلولية^(٢) وجهالة الصوفية، ما يرون أنه من الشهب الإيمانية، والطريقة المحمدية، وفيهم من إضاعة الصلوات، ومنع الزكاة وشرب المسكرات، ما هو معروف مشهور^(٣).

يقول الشيخ سليمان بن سحمان - رحمه الله -: "كان أهل عصره ومصره^(٤) في تلك الأزمان قد اشتدت غربة الإسلام بينهم، وعفت آثار الدين لديهم، وانهدمت قواعد الملة الحنيفية، وغلب على الأكثرين ما كان عليه أهل الجاهلية، وانطمست أعلام الشريعة في ذلك الزمان، وغلب الجهل والتقليد والإعراض عن السنة والقرآن، وشب الصغير وهو لا يعرف من الدين إلا ما كان عليه أهل تلك البلدان، وهرم الكبير على ما تلقاه عن الآباء والأجداد، وأعلام الشريعة مطموسة، ونصوص التنزيل وأصول السنة فيما بينهم مدروسة، وطريقة الآباء والأسلاف مرفوعة الأعلام، وأحاديث الكهان والطواغيت مقبولة غير مردودة ولا مدفوعة، قد خلعوا ربة التوحيد والدين، وجدوا واجتهدوا في الاستغاثة والتعلق على غير الله من الأولياء والصالحين، والأوثان والأصنام والشياطين، وعلمائهم ورؤسائهم على ذلك مقبلون، ومن البحر الأجاج شاربون، وبه راضون"^(٥).

ومن أعظم الأمور وأشنعها وأخطرها أن هذا الضلال والانحراف قد ساد وفشا وظهر حتى عم بلاد الحرمين الشريفين^(٦).

وقد أقر العلماء هذه المنكرات والمبتدعات، وأنه قد أدخل في أصول الدين ما يخالف القرآن والسنة، إلا القليل المغمور منهم، والذي لم يتجاسر أن يصدق بالحق ويكشف عوار الباطل^(٧).

(١) الاتحادية: هم الذين يقولون بأن الله - تعالى عن ذلك علواً كبيراً - متحد بمخلوقاته وممتزج بها كامتزاج الماء بالطين، ويعبر عنه بوحدة الوجود. انظر: الفتاوى - ابن تيمية (١٢٤/٢)، والتعريفات - علي الجرجاني (٦).

(٢) الحلولية: يقولون إن الله تعالى حلّ بذاته في مخلوقاته كما يحل الماء في الإناء، وأنه تعالى عن قولهم بذاته في كل مكان. انظر: الفرق بين الفرق - عبد القاهر البغدادي (٢٤١)، والفتاوى - ابن تيمية (١٧١/٢ - ١٧٦)، والتعريفات - علي الجرجاني (٩٨).

(٣) مصباح الظلام - عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ (٢٢ - ٢٣).

(٤) يعني الإمام - رحمه الله -.

(٥) الضياء الشارق (٢١).

(٦) انظر: تبرئة الشيخين الإمامين من تزوير أهل الكذب والبين - سليمان بن سحمان (٢٤).

(٧) انظر: الشيخ محمد بن عبد الوهاب عقيدته السلفية ودعوته الإصلاحية وثناء العلماء عليه - أحمد آل أبو طامي (٢٩).



وأما العلم فقد اندرست معاملته ومُحيت آثاره إلا من النزر اليسر ممن اشتغل بمسائل الفقه والتفنن في الإفتاء وتشقيق مسأله حتى راج أن فلانا يفتي بأكثر من مذهب ليصرف أنظار الناس إليه، يقول الإمام- رحمه الله- : "ومن العجب أنه يوجد في بلدكم من يفتي الرجل بقول إمام، والثاني بقول آخر، والثالث بخلاف القولين، ويعد فضيلة وعلماً وذكاء، ويقال: هذا يفتي في مذهبين أو أكثر؛ ومعلوم عند الناس أن مراده في هذا: العلو والرياء، وأكل أموال الناس بالباطل، فإذا خالف قول عالم لمن هو أعلم منه أو مثله إذا كان معه الدليل، ولم آت بشيء من عند نفسي، تكلمتم بهذا الكلام الشديد، فإن سمعتم أبي أفنيت بشيء خرجت فيه من إجماع أهل العلم، توجه علي القول، وقد بلغني أنكم في هذا الأمر قمتم وقعدتم، فإن كنتم تزعمون أن هذا إنكار للمنكر، فيا ليت قيامكم كان في عظام في بلدكم تضاد أصلي الإسلام: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله! منها، وهو أعظمها: عبادة الأصنام عندكم من بشر وحجر، هذا يُذبح له، وهذا يُنذر له، وهذا يطلب إجابة الدعوات وإغاثة اللهفات، وهذا يدعوه المضطر في البر والبحر، وهذا يزعمون أن من التجأ إليه ينفعه في الدنيا والآخرة ولو عصى الله، فإن كنتم تزعمون أن هذا ليس هو عبادة الأصنام والأوثان المذكورة في القرآن، فهذا من العجب؛ فيني لا أعلم أحداً من أهل العلم يختلف في ذلك، اللهم إلا أن يكون أحد وقع فيما وقع فيه اليهود من إيمانهم بالجبوت والطاغوت، وإن ادعيتم أنكم لا تقدرتون على ذلك، فإن لم تقدرتوا على الكل قدرتم على البعض، كيف وبعض الذين أنكروا علي هذا الأمر وادعوا أنهم من أهل العلم، ملتبسون بالشرك الأكبر ويدعون إليه، ولو يسمعون إنساناً يجرد التوحيد ألزمه بالكفر والفسوق؟ ولكن نعوذ بالله من رضا الناس بسخط الله.

ومنها: ما يفعله كثير من أتباع إبليس، وأتباع المنجمين والسحرة والكهان، ممن ينتسب إلى الفقر، وكثير ممن ينتسب إلى العلم، من هذه الخوارق التي يوهمون بها الناس، ويشبهونها بمعجزات الأنبياء وكرامات الأولياء، ومرادهم أكل أموال الناس بالباطل، والصد عن سبيل الله؛ حتى إن بعض أنواعها يعتقد فيه من يدعي العلم أنه من العلم الموروث عن الأنبياء، من علم الأسماء، وهو من الجبوت والطاغوت"^(١).

وليس معنى هذا أنه لا يُوجد من ينتسب إلى العلم في هذا الزمن، بل يوجد فيه وقبله فقهاء وعلماء إلا أن اهتمامهم منصب على الفقه ومسائله، فجل اهتمامهم ببحث المسائل

(١) مجموع مؤلفات الشيخ- الرسائل الشخصية (٣/٤٨١)، وتاريخ ابن غنم (١/٢٦١).

الفقهية وتحريرها وتحقيقها، وحفظ متون الفقه واستيعاب شروحه وحواشيها، أما ما سوى الفقه من علوم الشرع فليس لهم منها نصيب، فلا عناية بالتوحيد وتحقيقه، ولا بالتفسير على فهم السلف، ولا بالحديث وشروحه، بل ولا حتى علوم الآلة كاللغة، ولذلك لم يُنكروا شيئاً مما وقع فيه الناس من الشركيات، كتعظيم القبور، والغلو في الصالحين، والذبح والندب لغير الله، وغيرها مما هو منتشر في واقعهم وتحت أنظارهم^(١).

ولا يعني وجود مثل هذه الانحرافات عدم وجود علماء؛ لأنه قد يوجد علماء لهم باع طويل في علم من العلوم، كعلم الفقه والذي ساد في تلك الحقبة، فقد تضرع فيه فئة من العلماء لحاجة منصب القضاء إليه، مع وجود الانحراف في العقائد، ولا أدل على هذا مما يُشاهد في بعض البلاد الإسلامية من انحرافات عقديّة، مع وجود علماء قد يكون عندهم شيء من الخلل، أو لم يقوموا بالواجب الشرعي بسبب السياسات الجائرة، فليت من يعترض على وجود الانحراف العقدي في تلك الفترة يتبع كلام الإمام - رحمه الله - ومن وصف حالة الناس الدينية في تلك الفترة عن كثب، قبل اتهام من يصف الحال التي أنكرها الإمام - رحمه الله - بالمبالغة^(٢).

(١) انظر: علماء نجد خلال ثمانية قرون - عبد الله البسام (١/١٣٠).

(٢) كالعثيمين في كتابه: الشيخ محمد بن عبد الوهاب حياته وفكره (٢٠-٢٣)، وأحمد البسام في أطروحته للدكتوراه: الحياة العلمية في وسط الجزيرة العربية في القرنين الحادي عشر والثاني عشر وأثر دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب فيها، حيث ذكر في صفحة (١٢١) أن "العلماء وطلبة العلم النجديون أبدوا اهتماماً بعلم الفقه، وميزوه عن غيره من العلوم الأخرى" إلا أنه يُقلل من فشو الشرك والبدع. انظر: (٢٦٥) وما بعدها؛ بل وجه كلام الإمام - رحمه الله - على غير الوجهة التي أرادها، والإمام - رحمه الله - عالم ثقة ثبت عاصر الحدث وأطلع على ما لم يطلع عليه غيره، وكما قيل: "صاحب البيت أعلم بما فيه"، وذلك بالرغم من وضوح عبارات الإمام - رحمه الله - التي وردت في ثنايا البحث، والتي لا تحتاج إلى تكلف في تفسيرها، كما في النقاط الواردة في (٢٦٧-٢٦٨)، وكذلك خالد الدخيل في كتابه الوهابية بين الشرك وتعصع القبيلة (٨٦-٩٢) والذي يرى أن تضخيم الدراسات للخلل العقدي ووجود الشركيات.



المطلب الثاني: ترجمة الإمام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله -

١ - اسمه ونسبه:

هو محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي بن محمد بن أحمد بن راشد بن بريد بن مشرف بن عمر بن معضاد بن ريس بن زاخر بن محمد بن علوي بن وهيب بن قاسم بن موسى بن مسعود بن عقبة بن سنيح بن نهشل بن شداد بن زهير بن شهاب بن ربيعة بن أبي سود بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم بن مر بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان من إسماعيل بن إبراهيم - عليهم السلام -^(١).

٢ - مولده ونشأته:

ولد الإمام - رحمه الله - سنة (١١١٥ هـ) في بلدة العينينة^(٢) من بلدان نجد^(٣)، وفيها نشأ وترعرع، تعلم القرآن وحفظه قبل بلوغ سن العاشرة، وكان وقاد الذهن حاد الفهم، ولفقهه وفهمه ونبوغه وفطنته وسرعة إدراكه قدمه والده للإمامة، وزوجه قبل بلوغ الثانية عشرة لبلوغه، واستأذن والده للحج وبعد أدائه وإتمامه قصد المدينة النبوية وأقام بها شهرين، ثم عاد ولازم المطالعة والقراءة^(٤).

٣ - أسرته:

عاش الإمام - رحمه الله - في بيت علم وفضل، فقد تربى في بيت له زمام الزعامة الدينية والعلمية، فوالده الشيخ عبد الوهاب^(٥) قاضي العينينة ثم حرملًا، وقد كان جده

(١) انظر: تاريخ ابن غنام (٢٠٨/١)، وعنوان المجد في تاريخ نجد - عثمان بن بشر (١٩٨/١)، ونسبه إلى عدنان ورد في مشاهير علماء نجد وغيرهم - عبد الرحمن آل الشيخ (٢٠)، وعلماء نجد خلال ثمانية قرون - عبد الله البسام (١٢٥/١).

(٢) تقع هذه البلدة في الشمال الغربي من مدينة الرياض وتبعد عنها مسافة خمسة وأربعين كم.

(٣) تاريخ ابن غنام (٢٠٨-٢٠٩)، وعنوان المجد في تاريخ نجد - عثمان بن بشر (٦١/١).

(٤) انظر: تاريخ ابن غنام (٢٠٨-٢٠٩)، وعنوان المجد في تاريخ نجد - عثمان بن بشر (٨١/١)، وحياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب - حسين خزعل (٩١-٩٣).

(٥) عبد الوهاب بن سليمان بن مشرف، والد الإمام، ولد بالعينينة، وتفقه بها على والده الذي كان قاضيًا في العينينة وغيره، واشتغل بقضايتها، ثم بقضاء حرملًا بعد عزله، ألف في الفقه والتفسير والحديث، توفي سنة (١١٥٣هـ)، وله من الأبناء محمد وسليمان. انظر: عنوان المجد في تاريخ نجد - عثمان بن بشر (٨١/١)، والسحب الوايلة على ضرائح الحنابلة - محمد بن حميد (٦٧٥/٢) علماء نجد خلال ثمانية قرون - عبد الله البسام (٤٠/٥-٤٣).

سليمان^(١) مُبرِّزا في العلم، ومرجع علماء نجد في زمنه، وعمه الشيخ إبراهيم بن سليمان^(٢) كان عالماً مجتهداً وله مصنفات، وخاله سيف بن محمد بن عزاز^(٣)، كان محباً للعلم فقيهاً، وله مصنفات، وأخوه سليمان^(٤) كان من أهل العلم.

أما أبناء الإمام - رحمه الله - فهم: حسين^(٥) وعبد الله^(٦) وعلي^(٧) وإبراهيم^(٨)، وهم أهل علم وفضل.

(١) سليمان بن علي بن مشرف، ولد في أشيقر، نشأ فيها وقرأ على علمائها، كان فقيه زمانه متبحراً في المذهب الحنبلي، انتهت إليه الرئاسة في نجد، له مُصنّف في المناسك، توفي سنة (١٠٧٩هـ) في العيينة. انظر: عنوان المجد في تاريخ نجد - عثمان بن بشر (١/٨١)، و علماء نجد خلال ثمانية قرون - عبد الله البسام (٣/٣٦٦-٣٧٢).

(٢) إبراهيم بن سليمان بن علي بن مشرف، ولد في العيينة، ونشأ بها ودرس على والده وعلي وغيره، تخصص في الفقه الحنبلي، ونسخ كثيراً من كتبه، ولي قضاء أشيقر، توفي سنة (١١٤١هـ). انظر: تاريخ ابن عباد - محمد بن عباد (٨٣)، وعنوان المجد في تاريخ نجد - عثمان بن بشر (١/٧٥)، و علماء نجد خلال ثمانية قرون - عبد الله البسام (١/٣٠٣-٣٠٤).

(٣) سيف بن محمد بن عزاز، خال الإمام، ولد بأشيقر سنة (١٠٨٥هـ)، تتلمذ على فقهاها، أشهر مشايخه عبد الوهاب بن عبد الله قاضي العيينة، مهر في الفقه، أفق ودرّس، تتلمذ عليه خلق، من أشهرهم محمد بن فيروز جد محمد بن فيروز الإحسائي، توفي في أشيقر (١١٢٩هـ). انظر: السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة - محمد بن حميد (٢/٤١٩-٤٢١)، و علماء نجد خلال ثمانية قرون - عبد الله البسام (٢/٤١٩-٤٢٠).

(٤) سليمان بن عبد الوهاب، شقيق الإمام محمد بن عبد الوهاب، ولد في العيينة، قرأ على والده وغيره، ولي قضاء حريملاء بعد والده، كان في بادئ أمره معارضا للشيخ، نُسب له - الصواعق الإلهية في الرد على الوهابية - أو - فصل الخطاب في الرد على محمد بن عبد الوهاب -، وقد هداه الله إلى الصواب وقدم إلى الدرعية عام (١١٩٠هـ) ومكث بها إلى أن توفي سنة (١٢٠٨هـ). انظر: علماء نجد خلال ثمانية قرون - عبد الله البسام (٢/٣٥٧-٣٥٠)، وتاريخ ابن غنام (٢/٦٩٢، ٧٣٧-٨١٢-٨١٣)، وعنوان المجد في تاريخ نجد - عثمان بن بشر (١/٢٢، ١٠٧)، ودفع الارتياب عن الشيخ سليمان بن عبد الوهاب - أحمد العوين (٢٣-٣٠).

(٥) حسين بن محمد بن عبد الوهاب، ولد في الدرعية، ونشأ بها، تتلمذ على والده، وعلي حمد بن معمر، عالم متوقد الذكاء، يسامي والده في الرتبة العلمية، وهو الخليفة بعده في القضاء والخطابة والتدريس، تتلمذ عليه خلق، منهم: عبد الرحمن بن حسن، وعلي بن حسين وغيرهما، توفي سنة (١٢٢٤هـ). انظر: عنوان المجد في تاريخ نجد - عثمان بن بشر (١/٢٠٤)، و تاريخ الفاخري - محمد الفاخري (١٦٨)، و علماء آل الشيخ - أحمد العوين (٥٧-٦١).

(٦) عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، ولد في الدرعية سنة (١١٦٥هـ) قرأ على والده، وخلفه بعد وفاته في أعماله، له رجاحة عقل ويُعد نظر، كان المرجع لثلاثة أئمة من آل سعود بعد والده، كان مع الإمام سعود عندما دخل مكة سنة (١٢١٨هـ)، وعلى رأس المجاهدين عن الدرعية خلال حصار إبراهيم باشا، نُقل إلى القاهرة وتوفي فيها سنة (١٢٤٢هـ)، وقيل: (١٢٤٤هـ). انظر: عنوان المجد في تاريخ نجد - عثمان بن بشر (٢٠٥، ٢٧٣)، و علماء نجد خلال ثمانية قرون - عبد الله البسام (١/١٦٩-١٧٩)، و علماء آل الشيخ - أحمد العوين (٦٢-٨٢).

(٧) علي بن محمد بن عبد الوهاب، ولد في الدرعية سنة (١١٦٠هـ) قرأ على والده، وعلي حسين بن غنام وغيرهما، كان ديناً ورعاً كثير الخوف من الله، رفض القضاء عندما عُرض عليه، له دراية بالتفسير وأقوال السلف، حضر جملة من =



ولا شك أن هذه البيئة العلمية التي أحاطت بالإمام- رحمه الله- لها أثرها، في شحذ الهمة والمدارسة للعلم وسماع فنونه، وطرق مسائله.

ففي هذه البيئة العلمية والمحيط المعرفي نشأ الإمام، والذي لا شك أنه استفاد من النقاشات العلمية التي تُطرح في هذا المحيط العلمي أثناء اللقاءات^(٢).

٤-رحلاته العلمية، وشيوخه:

شأن الإمام- رحمه الله- كشأن طالب العلم الذي لا يروى نهمه من التحصيل وتحمل المشاق في طلبه، فهو لم يقنع بما حصل عليه في بلده ومحيطه الأسري من معارف.

ومما جاء في المصادر التي تحدثت عن دعوته أنه خرج من بلده العيينة إلى حج بيت الله الحرام، فلما قضى حجه سار إلى المدينة والتقى فيها الشيخ عبد الله بن إبراهيم بن سيف^(٣)، والشيخ محمد حياة^(٤) فأقام في المدينة ما شاء الله، ثم خرج منها إلى نجد، وتجهز

= المغازي، توفي سنة (١٢٤٤هـ). انظر: عنوان المجد في تاريخ نجد- عثمان بن بشر (٢٠٦)، والدرر السنية في الأجابة النجدية- جمع: عبد الرحمن بن قاسم (٣٨٢/١٦)، وعلماء آل الشيخ-أحمد العوين(٦٢-٨٢).

(١) إبراهيم بن محمد بن عبد الوهاب، ولد في الدرعية، وقرأ على والده، كان له حلقة تدريس وله باع في العلم، ولم يل القضاء، توفي في مصر: انظر: عنوان المجد في تاريخ نجد- عثمان بن بشر (٢٠٦)، والدرر السنية في الأجابة النجدية- جمع: عبد الرحمن بن قاسم (٣٨١/١٦)، وعلماء آل الشيخ-أحمد العوين(٦٩).

(٢) انظر: تاريخ ابن غنام(٢٠٨-٢٠٩)، وعنوان المجد في تاريخ نجد- عثمان بن بشر(٨١/١)، وحياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب- حسين خزعل(٩١-٩٣).

(٣) عبد الله بن إبراهيم بن سيف بن عبد الله الشمري، أنشأ جده عبد الله الجمعة عام (١٨٢٠هـ)، نزح والده إلى المدينة وجاور بها، ولد عبد الله بالمدينة ونشأ بها، قرأ على علمائها والواردين إليها، ارتحل إلى الشام، نال قسطاً كبيراً من العلم وجمع مكتبة كبيرة، وعلم ودرس وانتفع منه خلق سمع منه الإمام محمد بن عبد الوهاب المسلسل بالأولية، وأجازته من طريقين، توفي عام (١١٤٠هـ). انظر: تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد- إبراهيم بن عيسى (٣٤)، وعنوان المجد في تاريخ نجد- عثمان بن بشر (٨٢/١-٨٣)، وعلماء نجد خلال ثمانية قرون- عبد الله البسام (٦/٤-١٠).

(٤) محمد حياة بن إبراهيم السندي، المدني الحنفي المحدث حامل لواء السنة، انتقل إلى تستر قاعدة بلاد السند وقرأ على محمد معين، ثم سكن المدينة النبوية، ولازم الشيخ أبا الحسن السندي وجلس مجلسه بعد وفاته أربعاً وعشرين سنة، وأجاز له الشيخ عبد الله البصري، وأبو الأسرار العجمي وغيرهما، كان ورعاً متجرداً منعزلاً عن الخلق إلا في وقت قراءة الدروس، مثابراً على أداء الجماعات في الصف الأول من المسجد النبوي، وله تصانيف كثيرة منها شرح الترغيب والترهيب للمنذري في مجلدين، وشرح على الأربعين النووية ومختصر الزواجر، توفي سنة (١١٦٥هـ). انظر: تاريخ الفاخري-محمد الفاخري (١٣٤)، وعنوان المجد في تاريخ نجد- عثمان بن بشر(١/١٦).

إلى العراق وأخذ عن صبغة الله الحيدري^(١) في بغداد، وانتقل منها إلى البصرة، فلمَّا وصلها جلس يقرأ فيها على عالم جليل من أهل المجموعة وهي قرية من قرى البصرة فيها مدرسة كان عالمها محمد المجموعي^(٢)، فأقام مدةً يقرأ عليه فيها، وينكر أشياء من الشراكيات والبدع، ثم إن الإمام تجمع عليه أناس في البصرة من رؤسائها وغيرهم فأذوه أشد الأذى، وأخرجوه منها وقت الهجرة ولحق شيخه منهم بعض الأذى، ثم إن الإمام أراد أن يصل إلى الشام فصاعت نفقته التي معه، فانتنى عزمه عن المسير إليها، فخرج من تلك الديار وقصد الأحساء ونزل على الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد اللطيف الشافعي^(٣)، ثم خرج من الأحساء وقصد بلدة حرملاء، وكان أبوه عبد الوهاب قد انتقل إليها من العيينة في سنة تسع وثلاثين ومائة وألف^(٤)، وهذا خلاف ما يزعمه الخصوم أنه ليس له شيخ ولا إمام، وإنما حفظ القرآن، ثم أخذ يخطب خبط عشواء^(٥).

٥- مؤلفات الإمام^(٦):

ترك الإمام- رحمه الله- كنزًا ضخمًا بصفائه ونقائه بين مؤلف ومختصر، وقد حرص فيه على النقاء من المصطلحات غير الشرعية والبعد عن التكلف، فأفاد منها العلماء والعامّة ونفع الله بها نفعًا عظيمًا، ومن أبرز مؤلفاته:

١- كتاب التوحيد فيما يجب من حق الله على العبيد.

٢- كتاب كشف الشبهات.

٣- كتاب أصول الإيمان.

(١) صبغة الله بن أسعد الحيدري، ذكر أن الإمام- رحمه الله- أخذ عنه عندما قدم إلى بغداد، وأنه بناء على هذه الرابطة العلمية أكرم الإمام- رحمه الله- والده أسعد الحيدري عندما عاد من الحج ومكث عنده مقدار ثلاثة أشهر. انظر: عنوان المجد في بيان أحوال بغداد والبصرة ونجد- إبراهيم فصيح الحيدري(٢٤٤).

(٢) محمد المجموعي: من أهل مجموعة، قرية من قرى البصرة، وقد درس الإمام في مدرسة فيها على هذا العالم، وذكر عن أبنائه أنهم أحسن الناس حالًا وصلاحًا ومعرفةً بالتوحيد. وقد شحت المصادر بترجمته. انظر: عنوان المجد في تاريخ نجد- عثمان بن بشر(١/٨٣-٨٤).

(٣) لم أقف له على ترجمة رغم بذل الجهد.

(٤) انظر: عنوان المجد في تاريخ نجد- عثمان بن بشر(١/٨٢-٨٥).

(٥) انظر: الصواعق والرعود- عبد الله بن داود- صحيفة(١٣٥، ١٥١).

(٦) الدرر السننية في الأجوبة النجدية- جمع: عبد الرحمن بن قاسم(١٦/٣٣٧-٣٣٨).



- ٤- كتاب فضائل الإسلام.
- ٥- كتاب فضائل القرآن.
- ٦- كتاب السيرة المختصرة.
- ٧- كتاب السيرة المطولة.
- ٨- كتاب مجموع الحديث على أبواب الفقه.
- ٩- كتاب مختصر الإنصاف والشرح الكبير.
- ١٠- كتاب مختصر الصواعق.
- ١١- كتاب مختصر فتح الباري.
- ١٢- كتاب مختصر الهدى.
- ١٣- كتاب مختصر العقل والنقل.
- ١٤- كتاب مختصر المنهاج.
- ١٥- كتاب مختصر الإيمان.
- ١٦- كتاب آداب المشي إلى الصلاة.

٦- وفاته:

في عام (١٢٠٦هـ) توفي الإمام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته -^(١).

(١) انظر: تاريخ ابن غنام (٢/٩٠٠)، وعنوان المجد في تاريخ نجد - عثمان بن بشر (١/١٩٨).

ثانياً: مفهوم الأمن الفكري، وأهميته

المطلب الأول: مفهوم الأمن الفكري

الفكر: "هو نشاط من أنشطة العقل؛ بل يمثل أهم العمليات المعرفية ويأتي في مرتبة الأنشطة العقلية العليا"^(١)، فالفكر السوي هو سبب ارتقاء الأمم وتقدمها؛ فبه تصقل العقول، وتنمي القدرات، وتثمر المدارك، وتكتشف المواهب والمهارات؛ لذلك نجد أن كل أمة حريصة على حماية فكرها من أي انحراف قد يشوبه أو يعكر صفوه^(٢).

والأمن من أعظم المنن، وأجلّ النعم، ولخطره وعظم شأنه امتن الله به على كفار قريش، ولفت نظرهم إلى أهميته وحاجتهم إليه: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجَبِّئُ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رَزَقًا مِّنْ لَّدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٣).

"وللأمن مفهوم واسع ومعنى شامل ينتظم عددًا من الجوانب، ولا يختص بالجانب الذي قصره كثير من الناس عليه؛ بل يتجاوزه ليشمل الأمن العقدي، والأمن النفسي، والأمن الفكري، والأمن الاقتصادي، والأمن الاجتماعي، ونحوها مما يعتبر الأمن مطلبًا ضروريًا فيه"^(٤). والأمن الفكري من المفاهيم والمصطلحات التي لم يكن لها شيوع وحضور في مؤلفات السابقين، إلا أنه أخذ حظًا من الانتشار في هذا الوقت نتيجة التلاحق بين الثقافات والحضارات.

ويمكن القول إن عدم الاستقرار من أبرز سمات الأمن الفكري، فهو متغير من زمن إلى آخر، ومن بلد إلى آخر، مع الأخذ في الاعتبار أن التمسك بالمبادئ والقيم التي تتماشى مع العقيدة الإسلامية الصحيحة تُؤدي إلى ترسيخ الأمن الفكري بصورة ثابتة لا تتغير ولا تتبدل^(٥)؛ وذلك لأن المصطلحات ينبغي أن يكون التعامل معها وفق ضوابط شرعية من غير إفراط ولا تفريط، وما يتعلق بالأسماء والأحكام الشرعية، هو مما جاء به وحي الله، ومن دينه الذي بلغه رسول الله ﷺ، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في هذا المقام: "ومن

(١) الأمن الفكري في مواجهة المؤثرات الفكرية-حيدر الحيدر(٢٢).

(٢) مفهوم الأمن الفكري في الإسلام وتطبيقاته التربوية -أمل نور(٩).

(٣) سورة القصص آية رقم [٥٧].

(٤) خطاب الأمن في الإسلام وثقافة التسامح والوئام - عبد الله الشيخ ولد بيه(٣).

(٥) الأمن الفكري في مواجهة المؤثرات الفكرية-حيدر الحيدر(٣٤١).



الأصول الكلية أن يعلم أن الألفاظ نوعان: نوع جاء به الكتاب والسنة فيجب على كل مؤمن أن يقر بموجب ذلك، فيثبت ما أثبتته الله ورسوله، وينفي ما نفاه الله ورسوله، فاللفظ الذي أثبتته الله أو نفاه حق، فإن الله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

والألفاظ الشرعية لها حرمة، ومن تمام العلم أن يبحث عن مراد رسوله بما ليثبت ما أثبتته، وينفي ما نفاه من المعاني، فإنه يجب علينا أن نصدق في كل ما أخبر، ونطيعه في كل ما أوجب وأمر، ثم إذا عرفنا تفصيل ذلك كان ذلك من زيادة العلم والإيمان، وقد قال تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ (١).

وأما الألفاظ التي ليست في الكتاب والسنة، ولا اتفق السلف على نفيها أو إثباتها، فهذه ليس على أحد أن يوافق من نفاها أو أثبتها، حتى يستفسر عن مراده، فإن أراد بها معنى يوافق خبر الرسول أقر به، وإن أراد بها معنى يخالف خبر الرسول أنكروه.

ثم التعبير عن تلك المعاني إن كان في ألفاظه اشتباه أو إجمال عبر بغيرها، أو بين مراده بها، بحيث يحصل تعريف الحق بالوجه الشرعي، فإن كثيراً من نزاع الناس سببه ألفاظ مجملة مبتدعة، ومعان مشتبهة، حتى تجد الرجلين يتخاصمان ويتعاديان على إطلاق ألفاظ ونفيها، ولو سئل كل منهما عن معنى ما قاله لم يتصوره، فضلاً عن أن يعرف دليله، ولو عرف دليله لم يلزم أن من خالفه يكون مخطئاً؛ بل يكون في قوله نوع من الصواب، وقد يكون هذا مصيباً من وجه، وهذا مصيباً من وجه، وقد يكون الصواب في قول ثالث" (٢).

ومن الألفاظ التي حصل فيها نزاع الأمن الفكري "فبالرغم من من أن هذه الجملة - الأمن الفكري- لم ترد في النصوص، بل وليس لها وجود في تراث علماء المسلمين إلا أن مقاصد الشريعة المأخوذة من استقراء النصوص: الكتاب والسنة بضميمة كلام علماء الأمة، تضمنت ما يدل على المضامين الرئيسة لهذا المفهوم" (٣).

(١) سورة المجادلة آية رقم [١١].

(٢) الفتاوى (١٢/١١٣-١١٥).

(٣) بناء المفاهيم ودراساتها في ضوء المنهج العلمي - مفهوم الأمن الفكري أمودجًا - عبد الرحمن اللويحق (١٨) بحث مقدم للمؤتمر الأول للأمن الفكري (١٤٣٠هـ).

فما الأمن الفكري؟

الأمن الفكري مركب إضافي من كلمتين هما:

أولاً: الأمن.

ثانياً: الفكري: نسبة إلى الفكر.

أولاً: الأمن في اللغة:

قال ابن فارس^(١): "الهمزة والميم والنون أصلان متقاربان: أحدهما الأمانة التي هي ضد

الخيانة، ومعناها سكون القلب.

قال الخليل: الأمانة من الأمن. والأمان: إعطاء الأمانة، والأمانة ضد الخيانة.

يقال: أمنتُ الرجلَ أمنًا وأمنةً وأمانًا، وآمني يُؤمنني إيمانًا.

"الأمنُ: ضد الخوف والفعل منه: أَمِنَ يَأْمُنُ أَمْنًا"^(٢).

"وأصل آمن: أَمِنَ بهمزتين، لِيُنْتِ الثانية، والأمن: ضد الخوف"^(٣).

وقال الفيروزآبادي^(٤): "الأمنُ والأمن: كصاحب، ضدَّ الخوف، أَمِنَ كفرح أمنًا وأمانًا بفتحهما

وأمنًا وأمنةً محرَّكتين، وإمنا بالكسر، فهو أَمِنٌ وأمينٌ كفرح وأمير، ورجلٌ أَمَنَةٌ كهزمة ويُحَرِّكُ يأمنه كُلاًّ أحد في كُلاًّ شيء".

وقال الزمخشري: "فلان أمانةٌ أي يأمنُ كُلاًّ أحد ويتق به، ويأمنه الناس ولا يخافون

غائلته"^(٥).

ومما ذكره ابن منظور: "الأمان والأمانة بمعنى، وقد أمنتُ فأنا أمين، وآمنت غيري من

الأمن والأمان. والأمن ضد الخوف، والأمانة ضد الخيانة.

والمأمن: موضع الأمن، والأمن: المستجير ليأمن على نفسه"^(٦).

ومن خلال التعريفات اللغوية للأمن يتضح أنه يدور على المرتكزات التالية:

(١) مقاييس اللغة (١/١٣٣).

(٢) العين - للفراهيدي (٨/٣٨٨).

(٣) الصحاح - إسماعيل الجوهري (٥/٢٠٧).

(٤) القاموس المحيط (٤/١٩٧).

(٥) أساس البلاغة (١٠).

(٦) لسان العرب (١/١٠٧).



١ - الطمأنينة وعدم الخوف.

٢ - عدم الخيانة.

٣ - الثقة.

الأمن اصطلاحًا:

قال الجرجاني: "وهو عدم توقع مكروه في الزمن القادم"^(١).

وعُرف بأنه: "الشعور بالسلامة والاطمئنان، واختفاء أسباب الخوف على حياة الإنسان، وما تقوم به هذه الحياة من مصالح يسعى إلى تحقيقها، ويستهدفها بطموحاته"^(٢).
وقيل: "الاستعداد والأمان بحفظ الضرورات الخمس من أي عدوان عليها، فكل ما دل على معنى الراحة والسكينة وتوفير السعادة والرفي في شأن من شؤون الحياة فهو أمن"^(٣).
وقيل: "الحالة التي يسود فيها الشعور بالطمأنينة والهدوء والاستقرار والبعد عن القلق والاضطراب"^(٤).

وتختلف تعاريف الأمن لاختلاف المشارب والتوجهات والإطلاقات^(٥).

ويمكن تعريفه بأنه: حالة يكون عليها الإنسان واثقًا مستقرًا لا يخشى خيانة ولا ينتابه خوف ولا قلق في جميع مناحي الحياة.
ثانيًا: الفكري:

الفكر لغهً: " (فكر) الفاء والكاف والراء تردُّدُ القَلْبِ في الشَّيْءِ، يقال: تفكَّر إذا ردَّد

قلبه معتبرًا، ورجلٌ فِكِّيرٌ: كثير الفِكر"^(٦).

" الفِكْرُ والفِكرُ إعمال الخاطر في الشيء. قال سيبويه: ولا يجمع الفِكرُ ولا العِلْمُ ولا النظرُ. قال: وقد حكى ابن دريد في جمعه أفكارًا، والفِكرة كالفِكر وقد فُكِرَ في الشيء، وأفكَّر فيه وتَفَكَّرَ بمعنى، ورجل فِكِّيرٌ مثال فِسِّيْقٍ وفَيِّكِرٌ كثير الفِكر... التَّفَكُّرُ اسم التَّفَكِيرِ، ومن

(١) التعريفات-علي الجرجاني(٣٨).

(٢) انظر: الأمن الفكري وعناية المملكة العربية السعودية به-عبد الله التركي (١٤).

(٣) مقومات الأمن في القرآن الكريم - إبراهيم الهويل - المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب (٢٩٤ ص ٩).

(٤) الأمن الفكري والعقائدي: مفاهيمه وخصائصه وكيفية تحقيقه (٥٣)-الندوة العلمية الرابعة نحو إستراتيجية عربية للتدريب في الميادين الأمنية(٤٠٨ هـ).

(٥) انظر: جملة تعريفات للأمن لاختلاف المفهوم: الأمن الوطني دراسة موضوعية-عبد الله الشهراني(٢٦-٣٢).

(٦) مقاييس اللغة-ابن فارس(٧١٨).

العرب من يقول الفِكْرُ الفِكرَةَ والفِكرى على فِعْلِي اسم وهي قليلة...، التَّفَكُّرُ التَّأمُلُ والاسم الفِكْرُ والفِكرَةَ والمصدر الفِكرُ بالفتح قال: يعقوب يقال: ليس لي في هذا الأمرِ فِكْرٌ أي: ليس لي فيه حاجة قال: والفتح فيه أفصح من الكسر^(١).

"الفِكْرُ بالكسر ويُفتح: إعمالُ النَّظرِ في الشيءِ كالفِكرَةَ والفِكرى بكسرهما... فِكْرٌ فيه وأفكَّرَ وفكَّرَ وتَفَكَّرَ. وهو فِكْرٌ كسِيتٍ وفِكرٌ كصَيِّقَلٍ: كثيرُ الفِكرِ"^(٢).

الفكر اصطلاحًا: عُرِّفَ الفِكرُ في الاصطلاح بعدة تعريفات، منها:

- قال الجرجاني: "ترتيب أمور معلومة تؤدي إلى مجهول"^(٣).
- "جملة ما يتعلق بمخزون الذاكرة الإنسانية من الثقافات والقيم والمبادئ الأخلاقية، التي يتغذى بها الإنسان من المجتمع الذي ينشأ فيه ويعيش بين أفرادهِ"^(٤).
- "إعمال العقل في المعلوم للوصول إلى معرفة مجهول"^(٥).
- "حركة النفس نحو المبادئ، والرجوع عنها إلى المطالب"^(٦).
- "الفكر هو مادة الثقافة وماهيتها، أو هو أداؤها والشيء الذي تقوم به وتتكون، والثقافة من ناحية أخرى هي: ثمرة للفكر في المجال النظري، وقد يطلق كل منهما على الآخر"^(٧).
- "الفكر بعامة هو كل تعميم نظري لتجارب البشر الجزئية. أو بمعنى آخر: هو مجموع الأسس النظرية والمفاهيم والمعاني التي تكمن خلف مظاهر السلوك الإنساني"^(٨).

(١) لسان العرب-ابن منظور(٦٥/٥).

(٢) القاموس المحيط- الفيروزآبادي(٥٨٨).

(٣) التعريفات-علي الجرجاني(١٧٦).

(٤) الأمن الفكري وعناية المملكة العربية السعودية به-عبد الله التركي(٥٧).

(٥) المعجم الوسيط-إبراهيم مصطفى وآخرون(٧٢٤/٢).

(٦) دور الأسرة التربوي في استتباب أمن الفرد والمجتمع من خلال التنشئة الاجتماعية والضبط الاجتماعي-عفاف الحسيني(٦٦٧).

(٧) مقدمات في الثقافة الإسلامية-مفرح القوسي (٢١).

(٨) الفكر التربوي مدارسه واتجاهات تطوره-مصطفى عبدالقادر(٢١).



• الفكر هو: "ظاهرة عقلية تنتج عن عمليات التفكير القائم على الإدراك والتحليل والتعميم، ويتميز الفكر عن العاطفة التي تصدر عن ميل انفعالي لا تستند على التجربة وتدور حول فكرة أو موضوع، كما يتميز الفكر عن الإرادة التي ترمي إلى ترجيح كفة الميول القائمة على أحكام تقويمية"^(١).

• "الفكر مرادف للتفكير لعلاقته الوثيقة بأنشطة الذهن وإعماله العقل في مجال المعرفة، كما أن الفكر ينبع من عقيدة ومبادئ المجتمع ويتأثر بهما ويؤثر فيهما سلبيًا أو إيجابيًا على حدٍ سواء"^(٢).

• الفكر: "جملة النشاط الذهني وأسمى صور العمل الذهني بما فيه من تحليل وتركيب وتنسيق"^(٣).

• الفكر: "هو نشاط من أنشطة العقل بل يمثل أهم العمليات المعرفية ويأتي في مرتبة الأنشطة العقلية العليا"^(٤).

الأمن الفكري اصطلاحًا:

عُرف باعتباره مصطلحًا بعدة تعريفات لا تخرج عن كونها إما وصفًا لحالة الفكر المنحرف، أو للحالة التي ينبغي أن يكون عليها الفكر السليم، أو يظهر منها الوصاية والحراسة على العقل أو تقييده بقيود ثقال، ومن ذلك:

• "الاطمئنان إلى سلامة الفكر من الانحراف الذي يُشكل تهديدًا للأمن الوطني أو أحد مقوماته الفكرية والعقدية والثقافية والأخلاقية والأمنية"^(٥).

• "سلامة فكر الإنسان وعقله وفهمه من الانحراف، والخروج عن الوسطية والاعتدال في فهمه للأمر الديني، والسياسية، وتصوره للكون بما يؤول به إما إلى الغلو والتنطع، أو إلى الإلحاد والعلمنة الشاملة"^(٦).

(١) معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية-أحمد بدوي(٤٢٥).

(٢) الأمن الفكري في مقررات التربية الإسلامية في المرحلة الثانوية-سعد العتيبي(١٨).

(٣) تنمية التفكير من خلال المنهج المدرسي - رشيد البكر(١٣).

(٤) الأمن الفكري في مواجهة المؤثرات الفكرية-حيدر الحيدر (٢٢).

(٥) نحو مجتمع آمن فكريًا -عبد الحفيظ المالكي (٩) بحث مقدم للمؤتمر الأول للأمن الفكري (١٤٣٠هـ).

(٦) مجلة الأمن والحياة -سعيد الوادعي(٥٠) عدد:(١٧٨).

● "سلامة فكر الإنسان من الانحراف أو الخروج عن الوسطية والاعتدال في فهمه للأُمور الدينية والسياسية والاجتماعية، مما يؤدي إلى حفظ النظام العام وتحقيق الأمن والطمأنينة والاستقرار في الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها من مقومات الأمن الوطني"^(١).

● "أن يعيش الناس في بلدانهم وأوطانهم وبين مجتمعاتهم، آمنين مطمئنين على مكونات أصالتهم، وثقافتهم النوعية، ومنظومتهم الفكرية"^(٢).

● "النشاط والتدابير المشتركة بين الدولة والمجتمع لتجنيب الأفراد والجماعات شوائب عقديّة أو فكرية أو نفسية تكون سبباً في انحراف السلوك والأفكار والأخلاق عن جادة الصواب أو سبباً للإيقاع في المهالك"^(٣).

● تأمين خلو أفكار وعقول أفراد المجتمع من كل شائب ومعتقد خاطئ، مما قد يُشكل خطراً على نظام الدولة وأمنها، وبما يهدف إلى تحقيق الأمن والاستقرار في الحياة الاجتماعية، وذلك من خلال برامج وخطط الدولة التي تقوم على الارتقاء بالوعي العام لأبناء المجتمع من جميع النواحي السياسية والاجتماعية والاقتصادية والتعليمية وغيرها، والتي تعمل على تحقيقها أجهزة الدولة عبر مؤسساتها وأجهزتها ذات الاهتمام والتي تترابط في خدماتها وتتواصل^(٤).

● "حماية عقل الإنسان وفكره ومبتكراته ومعارفه ومنتجاته ووجهات نظره وحرية رأيه من أي مؤثر سواء من قبل الشخص نفسه أو من قبل الغير"^(٥).

● "سلامة معتقد فكر الإنسان من الانحراف في فهمه للأُمور الدينية والسياسية، مما يؤدي إلى تحقيق رجاحة فكره الذي ينعكس عليه وعلى مجتمعه بالأمن والطمأنينة والاستقرار في جميع مجالات الحياة"^(٦).

(١) نحو بناء إستراتيجية وطنية لتحقيق الأمن الفكري في مواجهة الإرهاب - عبد الحفيظ المالكي (١٤).

(٢) الأمن الفكر وعناية مكة العربية السعودية به - عبد الله التركي (٥٧).

(٣) الأمن والتنمية - محمد نصير (١٣).

(٤) الأمن الفكري في مواجهة المؤثرات الفكرية - حيدر الحيدر (٣١٦).

(٥) الأمن والإعلام في الدولة الإسلامية - فهد الدعيج (١٠٤).

(٦) إسهام الإعلام التربوي في تحقيق الأمن الفكري لدى طلاب المرحلة الثانوية بمدينة مكة المكرمة من وجهة نظر مديري ووكلاء المدارس والمشرفين التربويين - زيد الحارثي (١٣-١٤).



● "حماية عقول أفراد المجتمع من كل فكر شائب ومعتقد خاطئ يتعارض مع العقيدة والمبادئ التي يدين بها المجتمع، وبذل الجهود من كل مؤسسات المجتمع من أجل تحقيق هذه الحماية"^(١).

● "تعزيز المناعة العقلية لأفراد المجتمع من خلال تنمية المفاهيم والقيم الصحيحة والمهارات المفيدة، وتحصينهم من التصورات والسلوكيات المنحرفة عن وسطية الإسلام وسماحته، بما يعينهم على تمييز النافع من الضارّ في الأقوال والأعمال"^(٢).
ومما سبق من تعريفات يتضح أنها تختلف عن بعضها وفقاً لمسار الدراسة، والهدف الذي يُراد تحقيقه.

فبعض هذه التعريفات يتجه إلى البناء على الشرط الأول من الجملة وهو "الأمن"، وبعضها يتجه إلى المقومات التي يُبنى عليها تحقيق الأمن الفكري، وبعضها اتجه إلى وسائل حفظ الأمن الفكري، والبعض استهدف الناشئة.

وبالرغم من كون المصطلح حادثاً إلا أنه كان حاضراً في أذهان السابقين ومؤلفاتهم، وإن لم يجرّوه بلفظه.

فالإمام- رحمه الله-، وإن كانت دعوته تحافظ على الضرورات الخمس التي جاءت الشرائع بحفظها إلا أنه ركز في دعوته على جانبين:

الجانب الأول: العقيدة المُمثلة في الدين الصحيح.

الجانب الثاني: العقل والذي هو مناط التكليف.

وهذان الجانبان قد أصابهما الانحراف في زمن الإمام- رحمه الله- فبذل جهده في تصحيح مساره.

وبهذا يمكن القول بأن تعريف الأمن الفكري إجرائياً بما يتوافق مع مُقتضى البحث ومساره بأنه:

(١) مفهوم الأمن الفكري في الإسلام وتطبيقاته التربوية-أمل نور(٤٨).

(٢) الإستراتيجية الوطنية للأمن الفكري-المصطلحات والمفاهيم (النسخة الأولى) كرسي الأمير نايف للأمن الفكري.

إبانة الطريق القويم، والحرص على سلامة الفكر والمعتقد من الخروج عن الوسطية،
والوقوع في الانحراف، وتقويم ما قد يطرأ عليهما من خلل بالوسائل المشروعة.
وقد اشتمل هذا التعريف على الهدف والوسيلة:
أما الهدف: فهو إرادة الإمام- رحمه الله- المحافظة على العقيدة والفكر، وتقويم انحرافهما
عن الوسطية إما بإفراط أو تفريط.
وأما الوسيلة: فتتمثل في التعليم والمناظرة والحوار والدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن
المنكر بدرجاته وضوابطه.



المطلب الثاني: أهمية الأمن الفكري

أولى الإسلام الأمن الفكري أهمية عظيمة ببيانه الواضح وتحديد معالم الطريق المستقيم وذلك بتكميل الدين ﴿أَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (١)، وترك النبي عليه الصلاة والسلام أمته على المحجة البيضاء كما في حديث العرياض بن سارية المشهور "قال: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب فقلنا: يا رسول الله إن هذا الموعظة مودع فما تعهد إلينا، قال: قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك، و من يعيش منكم فسيروا اختلافًا كثيرًا، فعليكم بما عرفتم من سنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين من بعدي، وعليكم بالطاعة وإن كان عبدًا حبشيًا عضوا عليها بالنواجذ" (٢).

وقد حدد- عليه الصلاة والسلام- المعالم وحذر من السبل، كما في حديث جابر بن عبد الله قال: كنا جلوسًا عند النبي ﷺ فخطَّ خطًّا هكذا أمامه فقال: "هذا سبيل الله- عز وجل-، وخطَّ خطًّا عن يمينه، وخطَّ خطًّا عن شماله، وقال: هذه سبل الشيطان، ثم وضع يده في الخط الأوسط" ثم تلا هذه الآية ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّيْنَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (٣) (٤).

ونبه- عليه الصلاة والسلام- أمته لخطورة الانفلات الفكري بغير بيان أو هدى، وعبر عن إنكاره له بمخبره ومظهره عندما خرج على أصحابه وهم يتنازعون في القدر، فكأنما فقي في وجهه حب الرمان، فقال: "بهذا أمرتم أو لهذا خلقتم؟ تضربون القرآن بعضه ببعض، بهذا هلكت الأمم قبلكم" (٥)، بل إن الرسول- عليه الصلاة والسلام- قد نهي عن الاسترسال مع

(١) سورة المائدة آية رقم [٣].

(٢) رواه ابن ماجه في سننه - كتاب السنة- باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين (٢٤٧٩) (ح ٤٢)، والحديث صححه الألباني كما في صحيح سنن ابن ماجه (١٣) (ح ٤٠).

(٣) سورة الأنعام آية رقم [١٥٣].

(٤) رواه ابن ماجه في سننه - كتاب السنة- باب اتباع سنة رسول الله ﷺ (٢٤٧٧) (ح ١١)، والحديث صححه الألباني كما في صحيح سنن ابن ماجه (٧) (ح ١١).

(٥) رواه الترمذي في جامعه- كتاب القدر- باب ما جاء من التشديد في الخوض في القدر (١٨٦٥) (ح ٢١٣٣)، وابن ماجه في سننه - كتاب السنة- باب في القدر (٢٤٨٢) (ح ٨٥)، قال في مصباح الزجاجه- شهاب الدين البوصيري (١١/١) إسناده صحيح، والحديث صححه الألباني كما في صحيح سنن ابن ماجه (٢١) (ح ٦٩).

الأفكار التي تؤدي إلى أمور فاسدة كما في حديث أبي هريرة-رضي الله عنه- قال ﷺ: "يأتي الشيطان أحدكم فيقول من خلق كذا من خلق كذا حتى يقول من خلق ربك فإذا بلغه فليستعذ بالله ولينته"^(١).

وعلى هذا المنهج سار أصحابه- رضي الله عنهم- وقصة عمر بن الخطاب-رضي الله عنه- مع صبيغ^(٢) شاهدة على ذلك.

ومما سبق تبين أهمية الفكر وضرورة تحصينه وحراسته؛ لأن الأمن الفكري ينطلق من ثوابت الشرع، وأصول الدين وقواعده؛ لحماية الفكر من شوائب الانحراف وغائلة التردّي في حماة الخرافة والوهم، والإفراط والتفريط في حق الحق والخلق؛ لأن الأمن الفكري: هو القاعدة التي ترتكز عليها جوانب الأمن الاجتماعي الأخرى، فإذا اختلت هذه القاعدة، أصاب الفكر اضطراب وخلل، عندها يُصاب المجتمع بالانحدار، الذي يصعب معه العلو، كحال أغلب مجتمعات المسلمين اليوم.

وإن مما تتميز به المجتمعات المسلمة أن أمنها الفكري مرتبط بإسلامها؛ لأنه الركيزة التي تقوم عليها، فإذا صار موقفها من الإسلام سلبياً، فهذا بداية سلم التيه والشقاء، الذي يسبب تمزق المسلم بين عقيدته السماوية الإلهية، وبين ما استورده من بدائل لا تتوافق مع فطرته.

أما إذا استمسك المجتمع بإسلامه، وسار عليه كمنهج حياة، ورسالة سامية يحملها، ويستكن بها في المعترك الحياتي، فإنها-بعد توفيق الله- تُشكل سياجاً يحميه من لوثات الأفكار، ويؤمنه في فكره وحياته كلها^(٣).

ومما ينبغي وعيه أن الأمن الفكري "هو قاعدة الوجود الصحيح للفرد والمجتمع المسلم سلامة في العقيدة، وزكاء وسموّ للسلوك، وإنسانية للعلاقة الاجتماعية"^(٤).

(١) رواه البخاري-كتاب بدء الخلق- باب صفة إبليس وجنوده (٢٦٥) (ح٣٢٧٦) ، ومسلم باب بيان الوسوسة في الإيمان (٧٠٠) (ح١٣٤).

(٢) صبيغ بن عسل قدم المدينة وكانت عنده كتب فجعل يسأله عن متشابه القرآن، فبلغ ذلك عمر فبعث إليه وقد أعد له عراجين النخيل، فلما دخل عليه جلس قال: من أنت؟ قال: أنا عبد الله صبيغ ، قال عمر : وأنا عبد الله عمر وأوماً عليه فجعل يضربه بتلك العراجين فما زال يضربه حتى شجّه وجعل الدم يسيل عن وجهه، فقال: حسبك يا أمير المؤمنين، فقد والله ذهب الذي أجد في رأسي. رواه اللالكائي-شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٤/٦٣٥) (ح١١٣٨).

(٣) انظر: تطبيق الشريعة الإسلامية في المملكة العربية السعودية وآثاره في الحياة- عبد الرحمن الزبيدي(٣٥٩).

(٤) المرجع السابق(٣٦٠).



وبناء على ما سبق يمكن إجمال أهمية الأمن الفكري في النقاط التالية:

١- أن أي حدث وأي عمل يسبقه تمهيد فكري، فأني إخلال بالأمن المادي يسبقه إخلال بالأمن الفكري، حيث يكون هو الممهّد له والدافع إليه، وبهذا تتجلى "مسلمة عند الكثير من علماء النفس، والاجتماع والقانون، وفقهاء الشريعة وعلماء التربية، وهي أن الجريمة ترتبط بفكر الإنسان ارتباطاً مطرداً من حيث المبدأ، ولا يقدم عليها أو يمتنع عنها إلا على أساس من هذا الارتباط"^(١).

٢- أن الأمن الفكري هو الركيزة التي تُبنى عليها المبادئ القيمية والأخلاقية والسلوكية للمجتمع والتي تعمل بدورها على حفظ الشخصية الإسلامية وحرّيتها وعدم ذوبانها في غيرها.

٣- أن الانحراف في الأفكار من المنكرات العظيمة التي ينبغي زجر من زلّ فيها وتقويمه بالأسلوب المناسب، لذا فإن الرسول ﷺ تغير وجهه في إنكاره على الصحابة وزجرهم عن الخصام في القدر، وعمر رضي الله عنه - زجر صبيغاً بالعراجين.

٤- أن الأعمال التي تؤدي بأصحابها إلى إهلاك الحرث والنسل في مبدئها كانت أفكاراً.

٥- أن "أصل الخير والشر من قبل التفكير، فإن الفكر مبدأ الإرادة"^(٢).

٦- أن الفكر مكنم خطير يحتاج إلى مزيد عناية وشدة حراسة "فالخير والسعادة في خزانة مفتاحها التفكير، فإنه لا بدّ من تفكير، وعلم يكون نتيجته الفكر وحال يحدث للقلب من ذلك العلم، فإن كل من عمل شيئاً من المحبوب أو المكروه لا بدّ أن يبقى لقلبه حالة وينصبغ بصبغة من علمه، وتلك الحال توجب له إرادة، وتلك الإرادة توجب وقوع العمل، فها هنا خمسة أمور: الفكر، وثمرته العلم، وثمرتها الحالة التي تحدث للقلب، وثمره ذلك الإرادة، وثمرتها العلم، فالفكر إذاً هو المبدأ والمفتاح للخيرات كلها، وهذا يكشف لك عن فضل التفكير وشرفه، وأنه من أفضل أعمال القلب وأنفعها له حتى قيل: تفكّر ساعة خير من عبادة سنة، فالفكر هو الذي ينقل من موت الفطنة إلى حياة اليقظة، ...، ومن مصيبة العمى والصمم والبكم إلى نعمة البصر والسمع والفهم عن الله والعقل عنه، ومن أمراض الشبهات إلى برد اليقين وتلج الصدور، وبالجملة فأصل كل طاعة إنما هو الفكر، وكذلك أصل كل معصية إنما

(١) الأمن الفكري وعناية المملكة العربية السعودية به - عبد الله التركي (٦٢).

(٢) الفوائد - ابن القيم (١٩٨).

يحدث من جانب الفكرة، فإن الشيطان يصادف أرض القلب خالية فارغة فيبذر فيها حب الأفكار الردية فيتولد منه الإرادات والعزوم فيتولد منها العمل فإذا صادف أرض القلب مشغولة يبذر الأفكار النافعة فيما خلق له وفيما أمر به وفيما هيئ له وأعد له من النعيم المقيم أو العذاب الأليم لم يجد لبذره موضعاً" (١).

٧- أن الأساس في استقامة السلوك هو الفكر، فإذا سلم الفكر تحقق أمن أفراد المجتمع، ونعموا بالاستقرار؛ لذا فإن من موجبات تحقيق الأمن الحسي تحصين المجتمع من المبادئ والنزعات التي تُخرج عن المبادئ والقيم الإسلامية (٢).

٨- أن الاخلال بالأمن الفكري للأمة قد يكون بأيدي أعدائها، وقد يكون بأيدي بعض أبنائها، وخطر الثاني أعم؛ لخبائثه وعدم وضوحه (٣).

٩- "لقد اتسم هذا العصر بالتطورات والمستجدات المتعاقبة في شتى المجالات، التي مهدت للتقارب بين المجتمعات والشعوب، وأدّت إلى انفتاح الثقافات على بعضها، متبادلة التأثير والتأثر فيما بينها، مما يسهل من دخول التيارات الفكرية الوافدة بما تحمله من إيجابيات وسلبيات" (٤) لذا لا بد من تحصين العقول من التأثير بلوثات الأفكار الوافدة.

١٠- أن تحقيق الأمن الفكري لدى الفرد يؤثر في الجوانب الأخرى للأمن؛ ذلك لأن العقل هو الجهة القيادية الموكلة بجميع أنواع الأمن، فإذا سلم العقل وصلح تكاملت منظومته، وإذا فسدت فسدت (٥).

١١- "أن في تحقيق الأمن الفكري صيانة للشريعة الإسلامية وذنباً عن حياضها؛ لأن الغاية التي يتفق عليها جميع أعداء الإسلام هي الطعن والتشكيك فيه" (٦).

(١) مفتاح دار السعادة - ابن القيم (١/ ١٨٣).

(٢) انظر: الأمن الفكري في مواجهة المؤثرات الفكرية - حيدر الحيدر (٣٣٥).

(٣) انظر: الأمن الفكري: ماهيته وضوابطه - عبد الرحمن اللويحي (٦١).

(٤) دور المدرسة الثانوية في تحقيق الأمن الفكري - بندر الشهراني (٥).

(٥) انظر: نحو أمن فكري إسلامي - رضوان الطلاع (٢٠).

(٦) الأمن الفكري وعناية المملكة العربية السعودية به - عبد الله التركي (٢٥ ، ٦٩).



الباب الأول:

معوّقات الأمن الفكري

وجهود الإمام محمد بن عبد الوهاب في مواجهتها

وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: معوّقات عقديّة

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: شبهات تُخرج من الملة.

المبحث الثاني: شبهات لا تُخرج من الملة.

الفصل الثاني: معوّقات فكريّة

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: التّعصّب والتقليد.

المبحث الثاني: اتّباع الهوى والحسد.

المبحث الثالث: الخصوم من أصحاب الزعامات والمنتسبين للعلم.

الفصل الثالث: عوائق الاجتماع والائتلاف.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تفرق كلمة أهل الحلّ والعقد.

المبحث الثاني: استحلال الدماء والأموال.

المبحث الثالث: اتهام الإمام بالتكفير بالعموم.

الباب الأول:

معوقات الأمن الفكري وجهود الإمام محمد بن عبد الوهاب في

مواجهتها

إن زعزعة الأمن الفكري أخطر وأضرّ على الأمة من زعزعة الأمن الحسي؛ إذ إن الأمن الفكري أثره بعيد الغور عميق الأثر والتأثير؛ فلا يحده زمان ولا مكان، ويصعب السيطرة عليه؛ لأن تلمسه يحتاج إلى بعد نظر، ونضوج فكر وفهم؛ خلافاً لتحجيم وتشخيص ومجاهمة سبب زعزعة الأمن الحسي.

لذا تُشكّل حراسة الأمن الفكري هاجساً لكل ناصح ومُصلح، وجرت سنة الله أن كل سبيل موصل إلى هدى الله لا بدّ أن يقف على مدرجته شياطين الإنس والجن الذين لم يسلم من دسائسهم رسل الله: ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ اتَّوَصَوْا بِهِمْ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿١﴾﴾.

فكذلك أتباعهم يقف لهم في السبيل الشيطان وأعوانه ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَاطِئِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحى بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ عُرُورًا ﴿١﴾﴾، ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَدِّدُوا لَكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿٣﴾﴾.

وتلمح ذلك واضحاً جلياً في عقول فئام من الناس في مختلف الأعصار والأمصار يُزخرف لهم الشيطان، ويوقعهم في الضلال والانحراف الفكري، فيصوغون مصطلحات ويخرجون بأفكار يُلبسون بها على الناس؛ بالرغم من أنهم يقرءون كتاب الله، ولكن لا يعلمونه إلا أُمّاني؛ ولذا كان لهم نصيب من الضلال؛ إذ ليس لهم مقصد سوى وضع العقبات لكبح نجاح الدعوات التي تُحرر فكر الإنسان من الإخلاق للخرافة، وتقطع عليهم أطماعاً دنيوية مبنية على أوهى من بيت العنكبوت من الدجل والأساطير التي تعيق من يسعى لربط المسلم بالمنهج الواضح القائم

(١) سورة الذاريات آية رقم [٥٢-٥٣].

(٢) سورة الأنعام آية رقم [١١٢].

(٣) سورة الأنعام آية رقم [١٢١].



على "محرابة الأسطورة في مجال العقيدة؛ وذلك لأن الفكر أداة للهداية، ومن أبرز غاياته تحرير الإنسان من الخرافة والأسطورة، بطريقة جادة لكي يشعر عندئذٍ بإنسانيته التي أكرمها الله بها"^(١).

ولا شك أن الإمام محمد بن عبد الوهاب-رحمه الله- واجه معوقات عدة؛ بسبب الكثرة الكاثرة من المخالفين على تعدد مشاربهم وأهدافهم، فقد تعددت أوجه هذه المعارضة، وتنوعت سبل المناهضة والعداء، واستنفذ الخصوم الكثير من الوسائل والطرق؛ من أجل محاربة هذه الدعوة والقضاء عليها، وما كتابة المؤلفات والرسائل ضد هذه الدعوة السلفية ومجدها إلا أسلوب من أساليب إعاقة هذه الدعوة والظعن فيها"^(٢).

والإمام محمد بن عبد الوهاب-رحمه الله- إبان قيامه بدعوته اعترضته كثير من العقبات العقديّة والفكرية والاجتماعية، والتي لم تخلُ من الشبهات التي يُلبَس بها على الأتباع، والتعصب المقيت الذي يُعمي عن استبصار الحق، والتقليد الذي يغيب به الفكر عن التماس الهدى، واتباع الهوى الذي يُعمي صاحبه ويتجارى به، والحسد الذي يُحرق قلوب وأعمال أصحابه، وكل ذلك نتج عنه التفرق والشقاق وذهاب الريح، وسفك الدماء بغير وجه حق، واستحلال الأموال.

ولا شك أن هذا له أنصاره ومؤيدوه من علماء السوء، والدول التي حاربت الدعوة ومن ناصرها؛ لأنها رأت أن هذه الدعوة وهذه الدولة التي تبنتها تُشكل خطراً عليها؛ ولذا قامت هذه الدول بعرقلة تقدم الدعوة وانتشارها وتعويقها بالدعاية الكاذبة، والإساءة لسمعة الدعوة عبر الوسائل المتاحة لها"^(٣).

وقد طَفِقَ خصوم الدعوة يسلكون شتى السبل والوسائل لتشويه سمعة الإمام في أنظار المدعوين، فكتبوا في تضليل الإمام-رحمه الله- وتبديعه وعدم معرفته بأسرار العلوم؛ بل وكفروه،

(١) منهج التّجديد في الفكر الإسلامي - فاروق النبهان (٦٥).

(٢) دعاوى المناوئين لدعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب - عرض ونقض - عبد العزيز العبد اللطيف (٣١).

(٣) انظر: دعايات مكثفة ضد الإمام محمد بن عبد الوهاب - محمد منظور النعماني (٥٠).

وتنادى على ذلك أهل الباطل والضلال، وأصغى إليهم من ضَعَفَ فهمه واضمحلّت ديانته
﴿وَلِنَصِّحِي إِلَيْهِ أَفْعَدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرَضُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ﴾^(١).

ومن أبرز من سلك هذا المسلك الخطير: سليمان ابن سحيم^(٢)، وأبوه محمد^(٣) من
مطاوعة الرياض، والمويس^(٤) من أهل مُنِيخ^(٥)، وعبد الله بن محمد بن عبد اللطيف^(٦)، ومحمد
بن عبد الرحمن بن عفالق^(٧)، فحذروا من الإمام أشد التحذير، وكتبوا إلى الخاصّ والعامّ
واستعدّوا عليه الحكام، والإمام-رحمه الله- ماضٍ في دعوته صابراً مُتَسَبِّباً، ناصحاً لله، ولكتابه،
ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم^(٨)، وصبر الإمام- رحمه الله- لا يعني السلبية أو الانهزامية، بل
كان يناضل عن الحق الذي يعتقده ويدين الله به بكل ثبات ويقين، فأرسل إلى بعض علماء

(١) سورة الأنعام آية رقم [١١٣].

(٢) هو: سليمان بن محمد بن أحمد بن سحيم، ولد عام (١١٣٠هـ) قرأ على والده وغيره، استوطن معكال فصار إمامهم
ومفتيهم ومعلمهم، من أشد خصوم الدعوة، سلك سبلاً شتى للتشيع عليها والصد عنها. توفي في الزبير سنة
(١١٨١هـ) لهربه من سلطان الدعوة. انظر: علماء نجد خلال ثمانية قرون- عبد الله البسام (٣٨٢-٣٨١/٢)،
وبحوث وتعليقات في تاريخ المملكة العربية السعودية- عبد الله العثيمين (٩١-١١٣).

(٣) محمد بن أحمد بن سحيم العنزري، والد سليمان السابقة ترجمته، من خصوم الدعوة، يُقال: له رد على الإمام محمد ابن
عبد الوهاب. انظر: علماء نجد خلال ثمانية قرون- عبد الله البسام (٢٨٢/٢).

(٤) عبد الله بن عيسى الشهير بالمويس، ولد في بلدة حرمة، ونشأ فيها وقرأ على مشايخ نجد، ثم ارتحل إلى دمشق، وأخذ
عندهم، كان قاضيًا ببلدة حرمة، ومن خصوم الدعوة، ومن أكبر المعادين لها ومن الصادين عن اتباعها، توفي سنة
(١١٧٥هـ). انظر: تاريخ الفاخري- محمد الفاخري (١٣٨، ١٤٢)، وعلماء نجد خلال ثمانية قرون- عبد الله
البسام (٣٦٩-٣٦٤/٤).

(٥) مُنِيخ: بضم الميم، وكسر النون، وإسكان الياء، فحاء. (المجمعة) وما حولها من واديهما، كان هذا الاسم يطلق عليها قديمًا، ولا تعرف
إلا به. أما الآن فقد أصبح هذا الاسم أثرًا، وكانوا قبل يقولون سدير ومنيخ. أما الآن فإن الجمعة التي هي منيخ سابقًا، قد أصبحت
قاعدة لسدير كله. انظر: معجم اليمامة - عبد الله بن خميس (٤٠٢/٢).

(٦) عبد الله بن محمد بن عبد اللطيف الشافعي الأحسائي، أحد شيوخ الإمام محمد بن عبد الوهاب في الأحساء، وقد دارت بينه
وبين الإمام مراسلات، ولكنه عرض عن قبول الحق، وألف رسالة ضد الإمام، توفي سنة (١١٨١هـ). انظر: الدرر السنية في
الأجوبة النجدية- جمع: عبد الرحمن بن قاسم (٢١٦/٩)، وتاريخ الفاخري- محمد الفاخري (١٤٢).

(٧) محمد بن عبد الرحمن بن حسين بن محمد بن عفالق العفالقني نسبًا الأحسائي بلدًا، ولد في بلدة الأحساء، وبها نشأ،
وأخذ عن علمائها، واشتهر بتحقيق علم الفلك، وهو تلميذ ابن فيروز خصم الإمام، اشتهر عنه أنه مالكي المذهب،
توفي سنة (١١٦٤هـ). انظر: السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة- محمد بن حميد (٩٢٧-٩٢٨)، وعلماء نجد
خلال ثمانية قرون- عبد الله البسام (٤٠/٦).

(٨) انظر: تاريخ ابن غنام (٢١٧/١-٢١٩)



المسلمين برسائل، يُفسر فيها عن الحق والحقيقة التي لبسهما بعض الجهال وأدعياء العلم على العوام؛ بسبب إنكاره لمظاهر الشرك ومما كتبه محتسباً في ذلك رسالته التي قال فيها: "من محمد بن عبد الوهاب إلى العلماء الأعلام في بلد الله الحرام نصر الله بهم سيد الأنام وتابعي الأئمة الأعلام: سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد: جرى علينا من الفتنة ما بلغكم، وبلغ غيركم وسببه هدم بنيان في أرضنا على قبور الصالحين، فلما كبر هذا على العامة لظنهم أنه تنقيص للصالحين، ومع هذا نهيناهم عن دعواهم، وأمرناهم بإخلاص الدعاء لله، فلما أظهرنا هذه المسألة مع ما ذكرنا من هدم البنيان على القبور كبر على العامة جداً، وعاضدهم بعض من يدعي العلم لأسباب أخر، التي لا تخفى على مثلكم أعظمها اتباع هوى العوام من أسباب أخر فأشاعوا عنا أننا نسبُّ الصالحين، وأتانا على غير جادة العلماء، ورفعوا الأمر إلى المشرق والمغرب، وذكروا عنا أشياء يستحي العاقل من ذكرها"^(١).

ومع ضعف العقيدة الذي لو اجتمعت عليها الأمة لكان معه كل خلاف، فقد كادت هذه الدعاية لقوتها ورواجها أن تئد الدعوة في مهدها، ولولا رحمة الله ثم صمود الإمامين محمد بن سعود^(٢) ومحمد بن عبد الوهاب -رحمهما الله- وصبرهما ومكابدتهما وبذلهما الجهد في سبيل تصحيح العقيدة، والعودة بالناس إلى الهدى الذي ترك النبي ﷺ أمته عليه، لتمكنت هذه الدعاية المغرضة من تحقيق أهدافها، ويتضح ذلك جلياً من خلال الفصول التالية.

(١) مجموع مؤلفات الشيخ-الرسائل الشخصية (٢٤/٣).

(٢) هو محمد بن سعود بن محمد بن مقرن بن مرخان، من بني حنيفة، من بن بكر بن وائل، أول من لقب بالإمامة من آل سعود في نجد، كان مقامه بالدرعية، وولي الإمارة بعد وفاة أبيه، عاهد الإمام محمد بن عبد الوهاب بعد وفادته على الدرعية على القيام بالدعوة، ونصرة دين الله، كان قيادياً شجاعاً حازماً. توفي بالدرعية سنة (١١٧٩ هـ). انظر: عنوان المجد في تاريخ نجد- عثمان بن بشر (١/١٣٤)، والأعلام للزركلي (٦/١٣٨)، ونسب آل سعود- فائز البدراني، وراشد بن عساكر (٤٦).

الفصل الأول: معوقات عقدية

وفيه مبحثان:

- المبحث الأول: شبهات تُخرج من الملة.
- المبحث الثاني: شبهات لا تُخرج من الملة.



الفصل الأول: معوقات عقديّة

المعوق لغة: يقال: عاقه عن الشيء يعوقه عَوْقًا، صرفه وحبسه، ومنه: التّعويقُ والاعتِياقُ، وذلك إذا أراد أمرًا فصرفه عنه صارفٌ...، والتّعويقُ: تزييتُ الناس عن الخير^(١)، وفي المعجم الوسيط: "عاقه عن الشيء عوقًا: منعه منه وشغله عنه فهو عائق"^(٢).

ويمكن تعريف المعوقات إجرائيًا بأنها: مجموعة عوامل وأسباب أثرت في المدعوين وصرفتهم عن قبول الحق، والإذعان له.

إن كل دعوة إلى هدى الله كما سلف تُعارض بشتى الوسائل، ويُخطط لإخمادها بكل دسيسة ممن استزلهم الشيطان، وقد يُوهمون الدهماء أنهم أصحاب الصراط السوي، ودعاة الخير والفضيلة؛ لذا "فإنه لما غلب على حال كثير من المسلمين ظهور الشريكيات وانتشار البدعيات، واستفحال الخرافات، والغلو في الأموات والاستغاثة بهم، وظهور تشييد المشاهد، وإقامة المزارات على القبور، وزحرفتها وتزيينها، وصرف الأموال الطائلة عليها، فلما غلب ذلك على حال عامة المسلمين"^(٣) في زمن الإمام - رحمه الله - جدّ في تغيير هذا الواقع، وبدت أنوار دعوة الحق تكشف غياهب الظلام، وتزيل أدران الشرك، وتستثير كوامن الأنفس المفطورة على الإسلام، بتجريد التوحيد بصفائه ونقاؤه لله ربّ العالمين.

فلما أدرك الخصوم أن ظهور هذه الدعوة السلفيّة التي تدعو إلى توحيد الله، بنقاؤه الذي فرضه الله على عباده نذير بزوال عقائدهم الباطلة، حشدوا قواهم وانبروا في التشنيع على هذه الدعوة وأنصارها^(٤)؛ لأن سلامة العقيدة كفيلة بهدم بناء كل مُبطل مُضل.

(١) انظر: لسان العرب لابن منظور - باب العين - (٤٧٧/٩)، والقاموس المحيط للفيروز آبادي - باب القاف - فصل العين (١١٧٩).

(٢) مجمع اللغة العربيّة - باب العين (٦٣٧/٢).

(٣) دعاوى المناوئين لدعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب - عبد العزيز العبد اللطيف (٧٥).

(٤) انظر: دعاوى المناوئين لدعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب - عبد العزيز العبد اللطيف (٧٥)، وحياة الإمام محمد بن عبد الوهاب وحقيقة دعوته - سليمان الحقييل (١٢٨-١٢٩).

فغرس العقيدة الصحيحة يؤدي إلى بناء الأمن الفكري وتطهير المجتمع من المعوقات الفكرية واللوثات المنحرفة التي يستमित في سبيل تعزيزها بين الناس، من خالف هدى الله، وتنگب صراطه المستقيم^(١).

وأعظم الأخطار التي تهدد الأمن الفكري الانحراف العقدي الذي يرفع عن الفكر الحصانة الإلهية ﴿وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾^(٢).

وإذا انتهكت جمى العقيدة تنازعت الناس أهواء وضلالات، وتشعبت بهم السبل، ولا أدل على ذلك من تصوير لوثرود ستودارد^(٣) في كتابه حاضر العالم الإسلامي^(٤) بقوله: "وأما الدين فقد غشيتته غاشية سوداء، فألبست الوحداية التي علّمها صاحب الرسالة الناس سجفاً^(٥) من الخرافات وقشور الصوفية، وخلت المساجد من أرباب الصلوات، وكثر عدد الأذعياء الجهلاء، وطوائف الفقراء والمساكين يخرجون من مكان إلى مكان، يحملون في أعناقهم التّمائم والتّعاويد والسبحات، ويوهمون الناس بالباطل والشبهات، ويرغبونهم في الحج إلى قبور الأولياء، ويزينون للناس التماس الشفاعة من دفناء القبور، وغابت عن الناس فضائل القرآن، فصار شرب الخمر والأفيون في كل مكان، وانتشرت الرذائل، وهتكت ستر الحرمات على غير خشية ولا استحياء، ونال مكة المكرمة والمدينة المنورة ما نال غيرها من سائر مدن الإسلام، فصار الحج المقدس الذي فرضه النبي ﷺ^(٦) على من استطاعه ضرباً من المستهزات، وعلى

(١) انظر: تعزيز الأمن الفكري في مؤسسات المجتمع المدني - هاشم الأهدل (٦)، بحث مقدم للمؤتمر الوطني الأول للأمن الفكري (١٤٣٠هـ).

(٢) سورة الرعد آية رقم [٣٣].

(٣) هو ثيودور لوثرود ستودارد الأمريكي، ولد في بروكلين بولاية ماساتشوستس، في عام (١٨٨٣م)، ودرس القانون في جامعة بوسطن حتى عام (١٩٠٨م) حصل على الدكتوراه في التاريخ من جامعة هارفارد في عام (١٩١٤م). له مؤلفات كثيرة أشهرها: المد المتصاعد من اللون الأبيض ضد العالم تحت السيادة في عام (١٩٢٠م). وحاضر العالم الإسلامي، وغير ذلك، توفي في أمريكا سنة (١٩٥٠م) وكان عمره (٦٦) سنة. انظر: لون العرق في أمريكا - غوتريل برات (١٩٠٠-١٩٤٠).

(٤) (٢٥٩/١-٢٦٠).

(٥) السجف: هو: الظلمة والستر - المعجم الوسيط - مجمع اللغة - باب السين (٤٣٤).

(٦) هذا بزعم لوثرود ستودارد، والأصل فيه أن الحج فرضه الله في محكم التنزيل بقوله: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ أَسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ سورة آل عمران آية رقم [٩٧].



الجملة بدل المسلمون غير المسلمين، وهبطوا مهبطاً بعيد القرار، فلو عاد صاحب الرسالة إلى الأرض في ذلك العصر، ورأى ما كان يدهى الإسلام لغضب وأطلق اللعنة على من استحقتها من المسلمين، كما يلعن المرتدين وعبدة الأوثان".

ومع هذا الوضع المؤلم الذي يصوره العقلاء من غير المسلمين، فقد قعد خصوم الإمام -رحمه الله- الذين يدعون الغيرة على شريعة رب العالمين يُلبسون على الناس دينهم الذي ارتضاه الله لهم، ويصدّون عن الحق المبين الذي صدح به الإمام -رحمه الله- في عصر تشعبت بالكثير من الناس فيه الضلالة، كما قال -رحمه الله-: "إن الله - سبحانه - لما أظهر شيئاً من نور النبوة في هذا الزمان، وعرف العامة شيئاً من دين الإسلام، وافق أنه قد ترأس على الناس رجال من أجهل العالمين، وأبعدهم من معرفة ما جاء به محمد ﷺ، وقد صاروا في الرئاسة بالباطل، وفي أكل أموال الناس، ويدعون أنهم يعملون بالشرع، ولا يعرفون شيئاً من الدين إلا شيئاً من كلام بعض الفقهاء، في البيع والإجارة والوقف والموارث، وكذلك في المياه والصلاة، ولا يميزون حقه من باطله، ولا يعرفون مستند قائله، وأما العلم الذي بعث الله به محمداً ﷺ فلم يعرفوا منه خبراً، ولم يقفوا منه على عين ولا أثر، فقد تراحمت بهم الظنون ﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلَّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾^(١) ومصداق هذا كله أن الداعي لما أمرهم ونهاهم عن عبادة المخلوقين أنكروا ذلك وأعظموه، وزعموا أنه جهالة وضلالة، مع كون هذه المسألة أبيض في دين محمد ﷺ من كون العصر أربعاً، والمغرب ثلاثاً، بل اليهود والنصارى والمشركون يعلمون أن محمداً ﷺ دعا الناس إلى ذلك، وجادل عليه وقاتل عليه.

فهؤلاء الذين يزعمون أنهم علماء اشتد إنكارهم علينا لما تكلمنا بذلك، وزعموا أنه دين ومذهب خامس، وأنهم لم يسمعه من مشائخهم ومن قبلهم.

وبالجملة فهذا الحق قد خالف أهواءهم من جهات متعددة:

الأولى: أنهم لا يعرفونه مع كونهم يُظنون من العلماء.

الثانية: أنه خالف عادة نشئوا عليها، ومخالفة العادات شديدة.

(١) سورة المؤمنون آية رقم [٥٣].

الثالثة: أنه مخالف لعلمهم الذي بأيديهم، وقد أُشربوا حبه، كما أُشربت بنو إسرائيل حبَّ العجل.

الرابعة: أن هذا الدين يريد أن يحول بينهم وبين ما كلهم الباطلة المحرمة الملعونة، إلى غير ذلك من الأمور التي يبتلي الله بها العباد.

فلما ظهر هذا الأمر اجتهدوا في عداوته وإطفائه بما أمكنهم، وجاهدوا في ذلك بأيديهم وألسنتهم^(١).

ومع إعلان الإمام لما يدعو إليه، ووضوحه وجلاته، أخذ الخصوم يدسون الدسائس، وينشرون الدعاية المغرضة، يقول الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب -رحمهما الله-: "ومن شاهد حالنا وحضر مجالسنا، وتحقق معنا علم قطعاً أن جميع ذلك وضعه وافتراه علينا أعداء الدين، وإخوان الشياطين؛ تنفيراً للناس عن الإذعان بإخلاص التوحيد لله -تعالى- بالعبادة، وترك أنواع الشرك"^(٢).

ولقد كان الإمام -رحمه الله- ذا علم مرتبط بالبصيرة والتفكير والتدبر والحكمة^(٣)، ولم يثن عزمه ما أجلب به الباطل وأهله على كثرتهم، وقوة ناصرهم، وكثرة تلبيسهم على أفكار الناس بما يُثرونه من شبه، رغم قوتها وقوة دعايتها وتأبيدها من قبل المتنفذين.

"وقد يكون لأعداء التوحيد علومٌ كثيرةٌ وكتبٌ وحججٌ كما قال -تعالى-: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾^(٤) فإذا عرفت ذلك وعرفت أن الطريق إلى الله لا بد له من أعداء، قاعدين عليه، أهل فصاحةٍ وعلمٍ وحجج، كما قال -تعالى-: ﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا

(١) مجموع مؤلفات الشيخ -فتاوى ومسائل (١١/٢-١٢).

(٢) الدرر السنية في الأحوية النجدية - جمع: عبد الرحمن بن قاسم (٢٣٠/١).

(٣) انظر: محمد بن عبد الوهاب داعية التوحيد والتجديد في العصر الحديث - محمد بهجة الأثري (٣٤).

(٤) سورة غافرية رقم [٨٣].



عَوَجًا^(١)، فالواجب عليك أن تعلم من دين الله ما يصير ذلك لك سلاحًا، تقاتل به هؤلاء الشياطين"^(٢).

وبذلك يتبين أن الإمام- رحمه الله- دعا إلى التَّمييز بين الحق والباطل، بإعمال الفكر، وفهم دلالات النصوص^(٣).

فلما كان لخصومه موارد موسنة ووجهات مهلكة: من نافع في أحوال الشرك والضلال، ومن تائه في دروب البدعة والخرافة، صار الكل يُلبس على الناس بشبهات، يُروج بها على الدهماء، موهما إياهم بسلامة قصده، وحسن منهجه، وليس لهم إلا الشبه الباطلة، ولهم نصيب من قول القائل:

شبه تهافت كالزجاج تخالها حقًا، وكلُّ كاسرٍ مكسور^(٤)

وقد استبعد خصوم الإمام- رحمه الله- وقوع الشرك والضلال في هذه الأمة، واستدلوا على ذلك بعمومات نصوص العصمة من الضلالة في الاجتماع، وخيرية هذه الأمة، وأن من يشهد أن لا إله إلا الله لا يكفر، وأن الشيطان يئس أن يعبد المصلون في جزيرة العرب، وغيرها من النصوص^(٥)، ويُفسَّر الشرك بأنه من "ادعى أن الله شريكًا"^(٦)، ويُمكن تقسيم هذه المعوقات العقديَّة إلى قسمين:

(١) سورة الأعراف آية رقم [٨٦].

(٢) مجموع مؤلفات الشيخ- الرسائل الشخصية (٨٧/٣).

(٣) انظر: المرجع السابق (٦٧/٣).

(٤) البيت ذكره ابن تيمية في مواضع من كتبه، ك: درء تعارض العقل والنقل (٣١٤/٧) وعزاه للخطاب كما في الفتاوى (٢٨/٤)، وذكره ابن القيم في مواضع من مؤلفاته، ك: طريق المحرّرين (٣١٥)، والصواعق المرسلّة (١٢٧٧/٤)، ولم أجد في شيء من كتب الأدب.

(٥) انظر: المشكاة المضيئة في الرد على الوهابية- ابن السويدي- صحيفة (٢ب، ٢٩-٢٩ب)، ورد ابن عفاق على ابن معمر- صحيفة (٤٨-٤٨ب، ٥١أ)، وجواب ابن عفاق على رسالة ابن معمر- صحيفة (٥٧-٥٧ب)، وصحيفة (٧٢ب-٧٣ب).

(٦) المشكاة المضيئة- ابن السويدي- صحيفة (١٢).

أولاً: شبهات تُخرج من الملة.

ثانياً: شبهات لا تُخرج من الملة.

وقد أثرت هذه الشبهات في فئام من الناس وأعاقت دعوة الإمام لأثرها الواضح والجلي على أفكار الناس.

وبعد رصد شبهة المخالفين والمعوقات وكثرتها، سيقصر الباحث على أبرز هذه الشبه التي راجت عند الكثير، وصارت مدخلاً لأعداء الدعوة يزعزعون بها أفكار الناس، كما يتبين ذلك في المبحثين التاليين.



المبحث الأول: شبهات تُخرج من الملة

إن من أعظم الشبهات المخرجة من الملة الشرك^(١) الذي يوجب الشقاء والهلاك في الدنيا والآخرة، وقد بيّن - سبحانه - في كتابه العزيز، أن الشرك سبب القلق والاضطراب في الدنيا، وخسران الآخرة، قال تعالى: ﴿سَكُنْ فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ﴾^(٢).

فالشرك ظلمة في القلوب، وفساد في الأخلاق، وسفه في الأحلام، وهذا مضر بالاتفاق، ومثير للفوضى، لأن له انعكاساته المباشرة على الأمن الفكري، ومدعاة إلى قلقه وعدم استقراره، ولعظم خطر الشرك فقد حذر الله نبيه والأنبياء من قبله - صلوات ربي وسلامه عليهم - من الوقوع فيه ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(٣).

فبالشرك يتشتت القلب وتُنزع منه السكينة والطمأنينة والاستقرار، ويعيش صاحبه في مهالك؛ فتجاذبه نزعات متعارضة، مما يبعدة عن الأمن والسكينة، والاستقرار وسلامة الفكر.

ومن عظم كيد خصوم الإمام - رحمه الله - فقد لبسوا بشبهاتهم على كثير من الخلق الذين وقعوا في ألوان من الشرك، كدعاء غير الله والنذر له، والغلو في الصالحين، وافتروا لتبرير ذلك أن الإمام - رحمه الله - يدعي النبوة، وكان من جملة تبريراتهم:

١- زعموا أن الإمام لجهله جعل الشرك في العبادة شركًا أكبر، وهذا بتصورهم قول فاسد، وجهل وزندقة^(٤)؛ وذلك لعدم هذا من الشرك الأصغر^(٥).

٢- أن الإمام - رحمه الله - عقيدته غير صحيحة، وأنه لا يجب الصالحين ويتنقصهم فلا ينبغي أن يُتَّبَع، وأنه لا يحب النبي ﷺ؛ لذا نهى عن الصلاة عليه، وأن الشرك لا تدخل فيه

(١) وهو: "أن يدعو مع الله غيره، أو يقصده بغير ذلك من أنواع العبادة". مجموع مؤلفات الشيخ - مجموعة رسائل في التوحيد والإيمان (٢٥٥/٦).

(٢) سورة آل عمران آية رقم [١٥١].

(٣) سورة الزمر آية رقم [٦٥].

(٤) انظر: جواب ابن عفالق على رسالة ابن معمر - صحيفة (٦٦أ).

(٥) انظر: المرجع السابق - صحيفة (٦٨أ).

عبادة الأوثان، وأنه لا ينبغي لهم أن يتعلموا تفسير القرآن ولا معانيه، وأن لا إله إلا الله يُكتفى بنطقها دون علم معانيها، إلى غير ذلك من الشبه التي لبس بها الخصوم، وجنوا بها على من انقاد لهم، وأوقعوهم فيما يُناقض كلمة التوحيد دون إدراك منهم بعظم الجرم الذي ارتكبه^(١).

٣- الزعم بأن من العلماء من عد هذه الأمور التي ينهى عنها الإمام-رحمه الله- باعتبارها شركًا مُخرَجًا من الملة من الشرك الأصغر، ومنهم من عدّها من المحرمات، ومنهم من عدّها من المكروهات^(٢)، وأن الله توعّد أهل المعاصي أعظم مما توعّد به أهل الشرك الأصغر، ولم يتوعّد من أشرك بعبادته بمثل ما توعّد به العصاة^(٣).

٤- احتجاجهم بأن هذه الأفاعيل (مظاهر الشرك) ملأت بلاد المسلمين وشاعت واستفاضت من ثمانية قرون، بل ولا تخلو منها حتى بلاد الحرمين، فمقتضى هذا أن جميع الناس كفار، وهذا يتعارض مع النصوص التي أخبر فيها النبي ﷺ بفضل بعض البلاد كمكة والمدينة واليمن وبلاد الشام، وحديث الطائفة المنصورة، وأن نجد مصدر القلاقل والفتن^(٤) إضافة إلى أن الحكام والعلماء يجرون على الناس الذين تلبسوا بهذه الأمور أحكام الإسلام^(٥).

٥- إدعائهم أن الأئمة لم يكفروا من نذر لغير الله، أو ذبح له، أو دعاه من دون الله، ولا من تمسّح بالقبور أو أخذ من تراجمها، أو غلا فيها أو في أصحابها، وأن الإمام-رحمه الله- ليس له سلف في هذا المذهب الذي ذهب إليه، وأن هذه الأمور ملأت بلاد المسلمين في صدر الإسلام وفي عهد أئمة أعلام، وكثرت المبالغة فيها والعمل عندها، وغاية ما قالوه أن مثل هذه الأفعال مكروهة، وبعضها مُحرّم^(٦).

(١) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ- الرسائل الشخصية (٨٦/٣)، والإمام محمد بن عبد الوهاب عقيدته السلفية ودعوته الإصلاحية وثناء العلماء عليه- أحمد آل أبو طامي (٦٢).

(٢) انظر: المشكاة المضيئة ردًا على الوهابية- ابن السويدي- صحيفة (٣، ٣٢ب)، ورد ابن عفالق على ابن معمر- صحيفة (١٥٢)، والصواعق والرعود- عبد الله بن داود- صحيفة (١٠٠أ).

(٣) انظر: رد ابن عفالق على ابن معمر- صحيفة (٤٠ب).

(٤) انظر: رد ابن عفالق على ابن معمر- صحيفة (٥٢ب)، وانظر: جواب ابن عفالق على رسالة ابن معمر- صحيفة (٦٣أ).

(٥) انظر: المرجع السابق- صحيفة (٣، ٢١ب، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٤ب، وما بعده، ٢٥، ٢٥ب، ٢٦، ٢٧ب، ٢٨ب، ٢٨أ-٤٨ب)، والصواعق والرعود- عبد الله بن داود- صحيفة (٢٢٣ب-٢٨٣ب).

(٦) انظر: المرجع السابق- صحيفة (٣، ١٨، ١٨أ، ١٩ب)، والصواعق والرعود- عبد الله بن داود- صحيفة (٦٥ب).



٦- تفسيرهم للتوحيد على مقتضى فهم أهل الكلام، والذي يُخرج مفهوم توحيد العبادة، الذي هو الغاية من بعثة الرسل، ففي معرض محاجة ابن عفالق للإمام-رحمه الله- ونقض أقواله بزعمه يُعقب على قول الإمام-رحمه الله-: "اعلم-رحمك الله- أن التَّوحيد هو دين الرسل من أولهم نوح- عليه السلام- إلى خاتمهم محمد ﷺ، وهو أفراد الله-تعالى- بجميع أنواع العبادة، أقول: هذه العبارة عبارة من لا عرف التَّوحيد، ولا حام حوله، بل توحيد العبادة قسم من أقسام التَّوحيد، فالعبارة الصحيحة أن يُقال: التَّوحيد أفراد القديم من المُحدَث، وإفراده بالربوبية والوحدانية، ومباينته-تعالى- لجميع مخلوقاته..."^(١).

وقد اجتهد الخصوم في صدّ الناس عن اتباع هذه الدعوة المباركة، والتلبّيس على أفكار وأفهام المدعويين، وإعاقتهم عن هذا الخير الذي هو سبيل الرشاد والسلامة من الهلكة.

وقد عَظُم على خصوم الإمام ما جَلَّاه من حقيقة ما هم عليه، وشنعوا عليه لما أنكر زيغهم وضلالهم، وما هم عليه من الشرك العظيم الذي وقعوا فيه، والذي شرك الأولين يتصاغر أمامه؛ إذ في الأولين رجاحة عقل وتمييز، يتضح من حالهم في تفريقهم بين الرخاء والشدّة، وسلامتهم من الجهل المطبق الذي لحق بالآخرين في حال من يدعون من دون الله^(٢).

وقد أقرّ الخصوم بوجود مظاهر الشرك؛ لكنها بالنسبة لهم لا تُعد شركًا، وفي جواب ابن عفالق على رسالة ابن معمر وهو يحاول أن يثنيه عن متابعة الإمام-رحمه الله- يقول: "فهب أنكم وافقتموه في تكفير من ذبح لغير الله، أو نذر لغير الله، أو استغاث بغير الله"^(٣).

وفي سؤال ابن معمر لابن عفالق ما يدل على أن أمر الشرك قد استفحل وملاً الأرض في زمن الإمام-رحمه الله-، حيث يقول ابن عفالق على لسان ابن معمر: "وأما ما ذكرت من قولك: إن كان العلماء ذكروا أن هذا الذي ملاً الأرض من التَّعلق على الصالحين وغيرهم، ودعائهم، والذبح لهم دين الله ودين رسوله فاذكروا لنا، وسمعا وطاعة، وإن كان مذكورًا أنه شرك بالله إلا في حق النبي، وأن النبي يُدعى مع الله، ولا يُدعى إلا الاثنين جبار السموات والأرض،

(١) جواب ابن عفالق على رسالة ابن معمر - صحيفة (٦٤ب-٦٥أ).

(٢) انظر: كشف الشبهات - محمد بن عبد الوهاب (١٩-٢٠)، والصواعق والرمود - عبد الله بن داود - صحيفة (٨٥ب-٨٦أ).

(٣) صحيفة (٥٧ب).

وعبده ورسوله محمد فكذلك، وإن كان دعوة غير الله شرك ولا يُدعى مع الله أحد لا نبي ولا غيره، ولو كان مُراد الداعي الاستشفاع، لكنه شرك أصغر لا يُخرج عن الملة، وهذا الذي تقولون، فاذكروا لنا كلام العلماء^(١).

ثم يجيب ابن عفاق عن هذه الأسئلة بما لا يتوافق مع نصوص الشرع، ولا أقوال أهل العلم، ويذكر أن النذر والذبح لغير الله من العلماء من عبده شركاً أصغر، ومنهم من عبده في المحرمات، وأن الاستشفاع بالنبي ﷺ قد وردت به النصوص في الكتاب والسنة، وفعله الصحابة، واستشهد على ذلك بالتبرك المشروع به ﷺ في حياته، وبآثاره بعد موته، وما يُكفر به ابن عبد الوهاب أهون مما ورد فيه الوعيد من بعض المعاصي كقتل النفس، وأكل الربا، ومع شدة الوعيد لمقترف ذلك لم يقل أحد من أهل العلم بكفر من تلبس به، وأنه يلزم من تكفير من تلبس بما تظنونه من الشرك أن يُكفر أمم الأنبياء السابقين؛ لأن قوم موسى عندما قالوا يا موسى ادع لنا ربك أنهم دعوا موسى من دون الله، وأن نبي الله سليمان طلب من جلسائه الإتيان بعرش بلقيس، فيلزم منه أنه طلب من مخلوق ما لا يقدر عليه إلا الله^(٢).

ويعتبر ابن داود^(٣) أن ما يُفعل عند المشاهد من الشرك، إنما هو من قبيل الشرك الأصغر الذي لا يسلم منه أحد، وهو من الشرك الخفي، الذي هو في هذه الأمة أخفى من ديب النمل، وهذا النوع من الشرك لم يُنكره ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم، وغاية ما فعلاه أنهما أنكرا على بعض الناس باللسان فقط^(٤).

(١) المرجع السابق-صحيفة (٥٩ب).

(٢) انظر: المرجع السابق-صحيفة (٦٢أ).

(٣) عبد الله بن داود الزبيري، ولد في حرمة، وقرأ على التَّوَجِّري، ثم تحول إلى البصرة، ورحل إلى الشام وقرأ على جملة من علمائها، ثم استقر في الزبير، شرق بدعوة الإمام، ومن أشد المعارضين لها، ألف: الصواعق والرعود، وهو من المراجع المهمة للمعارضين للدعوة، توفي في الزبير سنة (١٢٢٥هـ). انظر: علماء نجد خلال ثمانية قرون- عبد الله البسام (٤/١١٤-١١٥)، والسحب الوايلة على ضرائح الحنابلة- محمد بن حميد (٢/٦١٩-٦٢٠).

(٤) انظر: الصواعق والرعود- عبد الله بن داود-صحيفة (٦٢ب).



فالتَّحذِير من الشرك وإخلاص الدين و"التَّوْحِيد هو أعظم فريضة جاء بها النبي ﷺ"^(١)،
وسلك سبيله في الدعوة إلى هذه الفريضة من اصطفي الله من أتباعه، واختارهم لكسب
نصيبٍ من إرثه، والسير على سنته.

ومن مظاهر الشرك المُخرج من المِلَّة، والتي أضحت معوقًا من المعوقات التي لبس بها
الخصوم على أفكار الناس، ودخل منها الشيطان على أفهامهم، والتي يزول بها الأمن عن
الفكر، وتكون مدعاة لتخبطه في الغي والضلال، والتي تتضح من خلال المطالب التَّالية:

(١) كشف الشبهات - محمد بن عبد الوهاب(٢٢).

المطلب الأول: شبهة أن دعاء الصالحين ليس شركاً

الدعاء سلاح عظيم له أثر كبير في حلول الأمن الفكري والتّوجه به لغير الله يشتت الذهن ويوهن القلب^(١)؛ لأن الدعاء من أجلّ الطاعات وأعظم العبادات، بل هو أكرمها على الله^(٢) فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ليس شيء أكرم على الله من الدعاء"^(٣).

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن الدعاء هو العبادة، ثم قرأ ﴿أَدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾^(٤) (٥).

والمراد بالدعاء هنا "دعاء المسألة فيما لا يقدر عليه إلا الله - تعالى -، فإن ذلك شرك"^(٦). ودعاء العبادة مستلزم لدعاء المسألة، ودعاء المسألة متضمن لدعاء العبادة^(٧).

ودعاء غير الله، دعاء عبادة، أو دعاء مسألة، من أبشع أنواع الاعتداء على محض حق الله - تعالى -، وهو كفر صريح ناقل عن الملة موجب للردة^(٨)؛ "لأن الدعاء هو إظهار غاية التذلل والافتقار إلى الله والاستكانة له، وما شُرعت العبادات إلا للخضوع للباري وإظهار الافتقار إليه"^(٩).

(١) انظر: ورقة عمل مقدمة لندوة المجتمع والأمن - المنعقدة بكلية الملك فهد الأمنية بالرياض من (٢/٢١) حتى (٢/٢٤) من عام ١٤٢٥هـ - عادل الشدي (١٦).

(٢) انظر: تيسير العزيز الحميد - سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب (٢١٩).

(٣) رواه الترمذي في جامعه - كتاب الدعوات - باب فضل الدعاء (١٩٩٨) (٣٣٧٠)، وقال: هذا حديث حسن غريب، وابن ماجه في سننه - كتاب الدعاء - باب فضل الدعاء (٢٧٠٥) (ح ٣٨٢٩). والحديث حسنه الألباني كما في صحيح سنن ابن ماجه (٣٢٤/٢) (ح ٣٠٨٧).

(٤) سورة غافر آية رقم [٦٠].

(٥) رواه الترمذي في سننه - تفسير القرآن - سورة البقرة (١٩٥٠) (ح ٢٩٦٩) وقال: هذا حديث حسن صحيح، وابن ماجه في سننه - باب فضل الدعاء (٢٧٠٥) (ح ٣٨٢٨)، والحديث صححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (٣٢٤/٢) (ح ٣٠٨٦).

(٦) تيسير العزيز الحميد - سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب (٢١٥). وانظر: القول المفيد على كتاب التوحيد - محمد العثيمين (١٢/١ - ١٢١). وشرح كشف الشبهات - محمد العثيمين (٣٦ - ٣٧).

(٧) انظر: تيسير العزيز الحميد - سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب (٢١٥).

(٨) انظر: تصحيح الدعاء - بكر أبو زيد (٦٢).

(٩) فتح الباري شرح صحيح البخاري - للحافظ ابن حجر (٩٥/١١).



وقد انبرى خصوم الإمام للتجني عليه والتلبيس على أفكار الناس وإفهامهم بأن دعاء غير الله ليس شركًا.

يقول ابن سحيم: "إن دعاء شمسان^(١) وأمثاله في الشدائد، والنذر لهم ليبرئوا المريض، ويفرجوا عن المكروب الذي لم يصل إليه عبدة الأوثان؛ بل يخلصون في الشدائد لله، ويجعل هذا ليس من الشرك، ويستدل على كفره الباطل بالحديث الذي فيه أن الشيطان يئس أن يُعبد في جزيرة العرب^(٢)"^(٣).

وفي تبرير هذه الشبهة، والإنكار على الإمام-رحمه الله- يتساءل ابن عفالق في معرض إنكاره ولمزه للإمام- رحمه الله- إذ كيف يكون الأمر مشروعًا في زمن النبي ﷺ وكفرًا بعد موته بقوله: "التَّوَسَّلْ بِهِ جَائِزٌ لِأَنَّهُ ﷺ لَمْ يَمْنَعَهُ، وَلَا مَنَعَهُ أَحَدٌ بَعْدَهُ، بَلْ أَقْرَهُ فِي حَيَاتِهِ، فَكَيْفَ يُقْرَهُ فِي حَيَاتِهِ، وَيَكُونُ كُفْرًا بَعْدَ وَفَاتِهِ؟ فَلَا يَقُولُ بِهَذَا الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ خَذَلَهُ اللَّهُ"^(٤).

ويورد جملة من الأدلة يُلبس بها على الخلق، ونقلًا عن شيخ الإسلام- رحمه الله- يدلل به على جواز دعاء النبي ﷺ، وهي إنما ذُكرت في الشفاعة^(٥).

ويزعم أن هذا من عقيدة ابن عبد الوهاب الفاسدة وفهمه السقيم؛ لأنه أساء الظن بالمسلمين، وجعل من استغاث بنبي مرسل أو توسل به أن هذا شرك^(٦).

ويوهم في الأحكام وأن من حلف باللات كما ورد في النصوص يكفيه أن يقول كلمة التَّوْحِيدِ، وأنتم تقولون على من قال يا رسول الله كافر، وهذا قول من لم يشم رائحة الإسلام^(٧).

(١) شمسان من أهل نجد، قريبًا من العارض، يعتقدون فيه، يصرفون له الدعاء. انظر: تاريخ بن غنام (١/١٧٥، ٢٧٥،

٣٧٥، ٤١٦، ٤٥٠)، وفتاوى محمد بن إبراهيم (١/١٣٤).

(٢) إشارة إلى الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه- كتاب صفات المنافقين- باب تحريش الشيطان وبعثه سراياه لفتنة

الناس، وأن مع كل إنسان قرينًا (١١٦٨) (ح٢٨١٢).

(٣) مجموع مؤلفات الشيخ- الرسائل الشخصية (٣/٥١-٥٢).

(٤) رد ابن عفالق على ابن معمر- صحيفة (٤٠أ).

(٥) انظر: المرجع السابق- صحيفة (٤٥أ-٤٥ب).

(٦) انظر: المرجع السابق- صحيفة (٥٤أ).

(٧) انظر: المرجع السابق- صحيفة (٤٨ب).

ويورد ابن عفالق قول الإمام - رحمه الله - في قوله: "اعلم - رحمك الله - أن أشياء من أنواع الشرك الأكبر وقع فيها بعض المصنفين - على جهالة - لم يفتن لها؛ من ذلك قوله في البردة^(١):

يا أكرم الخلق مالي من ألوذ به
سواك عند حلول الحادث العمم

وفي الهمزية من جنس هذا وغيره أشياء كثيرة، وهذا من الدعاء الذي هو العبادة التي لا تصلح إلا لله... " (٢).

فيتصدى ابن عفالق بالرد على الإمام - رحمه الله -، والذي يخلو من عبارات أهل العلم المشتملة على الدليل الشرعي والحجة العلميّة من أجل صدّ الناس عن الهدى والنور المبين، فيقول: "هذا كله كلام فاسد، كذب صريح من جميع الوجوه:

الأول: أنه كلام ركيك المباني، معوج المعاني، يدل على أن قائله ليس له في العلم قدم، ولا نافس العلماء، يظهر ذلك لكل متأمل منصف.

الوجه الثاني: عده قول البوصيري^(٣) هذا نوع من الشرك الأكبر، وهو كذب صراح...

الوجه الثالث: هذا الرجل لم يُفرق بين الشرك في توحيد الله، والشرك في عبادته، فالشرك بالله - تعالى - هو الشرك الأكبر، والشرك في عبادته، هو أنواع الشرك الأصغر... " (٤).

ويرد ابن السويدي^(٥) على الإمام - رحمه الله - في مسألة دعاء غير الله كذلك بردّ ليس له مستند علمي، أو دليل شرعي فيقول مُفسراً كلام صاحب الإقناع، في قوله: "من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم ويتوكل عليهم كفر إجماعاً، قلت: هذا حق، ولكن البلاء من عدم فهم كلام أهل العلم، لو تأملت العبارة تأملاً تاماً عرفت أنكم أوّلت العبارة على غير

(١) البوصيري (١٤) البيت (١٥٤).

(٢) الجواهر المضية - محمد بن عبد الوهاب (٢٢).

(٣) محمد بن سعيد بن حماد بن عبد الله الصنهاجي البوصيري المصري، نسبته إلى بوضير، من أعمال بني سويف، بمصر وأصله من المغرب، ولد سنة (٦٠٨هـ)، له ديوان شعر، وأشهر شعره البردة، توفي بالإسكندرية سنة (٦٩٦هـ). انظر: الوافي بالوفيات للصفدي (٣/ ٣٦٢-٣٦٨).

(٤) رد ابن عفالق على جواب بن معمر - صحيفة (٥١-٥٢أ).

(٥) علي بن عبد الله البغدادي السويدي، المتوفى (١١٧٠هـ) يُنسب إلى علم الكلام، صاحب المشكاة المضية في الرد على الوهابية. انظر: مُعجم المؤلفين - عمر رضا كحالة (٢/ ٤٦٤).



تأويلها، ولكن هذا من العجب تتركون كلام الواضح، وتذهبون إلى عبارة مُحملة تستنبطون منها ضد كلام أهل العلم، وتزعمون أن كلامكم ومفهومكم إجماعاً" (١).

ويذكر في مواضع من كتابه أن دعاء غير الله ليس شركاً، ولا يُعد من دعا غير الله أو سأله من ميت أو غائب مُشركاً، وأن هذا الشرك لم يُعرف ممن سبق من العلماء (٢).

وفي كتاب الصواعق والرعود يُورد أدلة الشفاعة التي لا يُنكرها الإمام - رحمه الله -، ويستدل بها على جواز دعاء رسول الله ﷺ وقصده بعد موته لكشف الكربات، وأن دعاءه والتوسل به والاستغاثة به واقع في كل حال قبل خلقه وبعده وفي حياته وبعد مماته، وأنه عام في الأنبياء والأولياء، ولم يكتف بهذا، بل يُلبس من خلال عرضه لهذه الأدلة أن الإمام جاهل متناقض يلزم من قوله إنكار المعجزات والكرامات وتكفير الصحابة (٣).

ويزعم أن من دعا الأولياء ونحوهم عند الشدائد وهتف بهم ليس مُشركاً؛ لأنه يؤمن بالله ورسوله واليوم الآخر، ويقول لا إله إلا الله (٤).

ولا شك أن مثل هذا الكلام المُبطن والذي يُورد فيه النص الشرعي على غير جادة له أثره البالغ على العوام وأشباههم.

وقد اجتهد الإمام - رحمه الله - في كشف هذه الشبهة التي انتشرت في زمنه بجميع الوسائل الممكنة، ومن ذلك رسالته لأحمد بن إبراهيم (٥) والتي يُجلي له فيها حال المخالفين ويكشف شبهتهم بقوله: "... ويذكرون دلائل على دعاء الأولياء في قبورهم، منها قوله

- تعالى -: ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ (٦) ... ويجيبون عن قوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ

(١) المشكاة المضيئة - صحيفة (٤أ).

(٢) انظر: المرجع السابق - صحيفة (١٩-٢٠أ).

(٣) انظر: عبد الله بن داود - صحيفة (١١٢-١١٥ب).

(٤) انظر: المرجع السابق - صحيفة (١٧٥أ).

(٥) لم أقف له على ترجمة رغم بذل الجهد.

(٦) سورة الزمر آية رقم [٣٤].

يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ ﴿٥٧﴾ (١) أَنَّهُمْ يُدْعُونَ عَلَىٰ أَنَّهُمُ الْمُعْطُونَ الْمَانِعُونَ بِالْأَصَالَةِ،
وأما دعوتهم على أنهم شفعاء فهو الدين الصحيح، ومن أنكره قتل في الحل والحرم" (٢).

ويظهر جهد الإمام - رحمه الله - لمن كتب عنه وعن دعوته، وأنه بيّن أن العبادة هي لله وحده، وأن كل من يصرف شيئاً منها بتقديس الأنبياء والأولياء، ويعطيهم صفات هي للخالق يكون واقعاً في المحذور (٣).

وقد ألقى خصوم الإمام - رحمه الله - بدعوته أنه ينهى عن زيارة المدينة المنورة عندما نهي عن دعاء الأموات، ولو كان رسول الله - صلوات ربي وسلامه عليه - (٤)، وقد شنع على الإمام - رحمه الله - في هذا المقام عبد الله بن داود الزبيري وساق الأحاديث الدالة على جواز شد الرحال إلى ثلاثة مساجد، وزيارة قبره - عليه الصلاة والسلام - وحشد الأدلة والآثار في غير مساقها دون تمحيصها صحة وضعها ليدل على أن الإمام على غير هدى؛ لأنه على خلاف ما عليه الأمة المعصومة (٥).

ويناقض بعد ذلك ويستنكر دعاء النبي ﷺ من دون الله، وأنه لا يقع من أحد عند قبره - عليه الصلاة والسلام - لوفرة العلماء، وأنهم لو رأوا مثل ذلك لأنكروه، وإن كان يقع من بعض الجهال عند بعض المشاهد شيء من ذلك، فهو من قبيل الشرك الأصغر (٦).

وقد كشف الإمام - رحمه الله - تلبيس المدلسين على الخلق بقوله: "لكي يبين للناس إخلاص الدين لله، ونهيتم عن دعوة الأحياء والأموات من الصالحين وغيرهم، وعن إشراكهم فيما يُعبد الله به...، مما هو حق الله الذي لا يشركه فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل، وهو الذي دعت إليه الرسل من أولهم إلى آخرهم، وهو الذي عليه أهل السنة

(١) سورة الإسراء آية رقم [٥٧].

(٢) مجموع مؤلفات الشيخ - الرسائل الشخصية (١١٣/٣).

(٣) انظر: الوهابيون تاريخ ما أهمله التاريخ - لويس دوكورانسي (١٧).

(٤) انظر: موجز لتاريخ الوهابي - هارلد جونز (١٠٩).

(٥) انظر: الصواعق والرعود - صحيفة (١٤٩-١٦٦ ب).

(٦) انظر: المرجع السابق - صحيفة (١٧٠-١٧٠ ب)، وصحيفة (٢٠٨ ب).



والجماعة، وبينت لهم أن أول من أدخل الشرك في هذه الأمة هم الرافضة^(١) الملعونة الذين يدعون عليًا وغيره، ويطلبون منهم قضاء الحاجات وتفريج الكربات، وأنا صاحب منصب في قريتي مسموع الكلمة، فأنكر هذا بعض الرؤساء لأنه خالف عادة نشئوا عليها، وأيضًا: ألزمت من تحت يدي بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وغير ذلك من فرائض الله، ونهيتهم عن الربا وشرب المسكر، وأنواع من المنكرات، فلم يمكن الرؤساء القدح في هذه وعيبه؛ لكونه مستحسنًا عند العوام فجعلوا قدحهم وعداوتهم فيما أمر به من التَّوْحِيد، وأنهى عنه من الشرك، ولبسوا على العوام أن هذا خلاف ما عليه أكثر الناس وكبرت الفتنة جدًّا، وأجلبوا علينا بخيل الشيطان ورجله، منها: إشاعة البهتان بما يستحي العاقل أن يحكيه فضلًا عن أن يفتره^(٢).

يُنادون زيداً^(٣) والحسين^(٤) وخالداً^(٥) ومن كان في الأجداث من ساكن اللحد
وقد جعلوا لله -جلَّ جلاله- نديداً تعالى الله عن ذلك النـد
ينادون زيداً طالبين برغبة ومن كان في الأجداث من ساكن اللحد

(١) الرافضة: فرقة من فرق الشيعة الكبرى، بايعوا زيد بن علي، ثم قالوا له: تبرأ من الشيخين، فأبى فرفضوه، ومن أصولهم: الإمامة، التي هي عندهم ركن من أركان الدين، وأن الأئمة معصومون، ويطعنون في عامة الصحابة، ويقولون بالتَّقْيَّة. انظر: التَّنْبِيه والرد- محمد الملطي(٤٥-٤٨)، والملل والنحل- محمد الشهرستاني(١٥٣/١-١٥٦)، ودراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين-أحمد جلي(٢٤٥).

(٢) مجموع مؤلفات الشيخ- الرسائل الشخصية- (٢١/٣-٢٢)، وانظر: تاريخ ابن غنم (١/٤١٣).

(٣) زيد بن الخطاب ابن نفيال القرشي العدوي، أخو أمير المؤمنين عمر، شهد بدرًا والمشاهد، كانت راية المسلمين معه يوم اليمامة، فلم يزل يقدم بها في نحر العدو، ثم قاتل حتى قتل، وحزن عليه عمر، وكان يقول: أسلم قبلي، واستشهد قبلي، وكان يقول: ما هبت الصبا إلا وأنا أجد ريح زيد، استشهد سنة (١٢هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (١/٢٩٧-٢٩٨)، والإصابة في تمييز الصحابة- أحمد بن حجر(٣/٢٧).

(٤) الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي القرشي، سبط رسول الله ﷺ وربحانته، وابن بنته فاطمة، قاتل مع أبيه في الجمل وصفين، خرج من المدينة إلى الكوفة سنة (٦١هـ)؛ لأخذ البيعة من أهلها عندما استدعوه؛ لكنهم خذلوه فقتل بها شهيدًا- رضي الله عنه وأرضاه-. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٣/٢٨٠-٣٢١)، والبداية والنهاية- ابن كثير (٨/١٤٩-٢٠٩)، والإصابة في تمييز الصحابة- أحمد بن حجر(١/١٤-١٧).

(٥) خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن محزوم القرشي المخزومي سيف الله، أسلم وهاجر، وكان أحد قادة مؤتة، فتح الله على يده بلادًا شتى، توفي بجمص سنة (٢١هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (١/٣٦٦-٣٨٤)، والبداية والنهاية- ابن كثير (٧/١١٣-١١٨)، والإصابة في تمييز الصحابة- أحمد بن حجر(١/١٤-١٧).

وتاجًا^(١) وشمسانًا ومن كان يدعي
ويدعون أشجارًا كثيرًا عديدة
وغارًا وقد أوت إليه بزعمهم
وقد رام منها فاسق أن يريدها
فكان لها المولى مجيرًا وعاصمًا
وفحّال نخل يختلفن نساؤهم
إذا لم تلد أو لم تزوج ليعطيها
ومن جهود الإمام- رحمه الله- أنه يُوضح منهجه الذي بنى عليه الحكم كما قال: "صورة
الأمر الصحيح أني أقول: ما يدعى إلا الله وحده لا شريك له كما قال- تعالى- في كتابه: ﴿فَلَا
تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾^(٢) وقال في حقّ النبي ﷺ: ﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾^(٣)، فهذا كلام
الله والذي ذكره لنا رسول الله ووصانا به، ونهى الناس أن لا يدعوه"^(٤).

ويزجر عن هذا الأمر العظيم ببيان أنه من أعظم أنواع الشرك، كما قال الإمام- رحمه
الله-: "أنهم يتعبدون بإشراك الصالحين في دعاء الله وعبادته يريدون شفاعتهم عند الله لظنهم
أن الله يحب ذلك وأن الصالحين يحبونه، كما قال- تعالى-: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا
يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعْتُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾^(٥) وقال- تعالى-: ﴿وَالَّذِينَ
اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾^(٦) وهذه أعظم مسألة خالفهم
فيها رسول الله ﷺ فأتى بالإخلاص، وأخبر أنه دين الله الذي أرسل به جميع الرسل، وأنه لا
يقبل من الأعمال إلا الخالص، وأخبر أن من فعل ما استحسنا فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه

(١) تاج رجل من أهل الخرج تُصرف إله النذور والدعاء والاعتقادات الباطلة، كالنفع والضرر وتفريج الكربات، له هيبة ووقع
في النفوس نسجوا حوله الأساطير، منها أنه أعمى ويأتي من الخرج إلى الدرعية بلا قائد. انظر: تاريخ ابن غنام
(١٧٥/١-١٧٦)، وفتاوى محمد بن إبراهيم (١/١٣٤).

(٢) تبرئة الإمامين من تزوير أهل الكذب والبين- سليمان بن سحمان (٧١-٧٣).

(٣) سورة الجن آية رقم [١٨].

(٤) سورة الجن آية رقم [٢١].

(٥) مجموع مؤلفات الشيخ- الرسائل الشخصية- (١٩٠/٣-٢٠)، وانظر: تاريخ ابن غنام (١/٤١١).

(٦) سورة يونس آية رقم [١٨].

(٧) سورة الزمر آية رقم [٣].



النار، وهذه هي المسألة التي تفرق الناس لأجلها بين مسلم وكافر، وعندها وقعت العداوة، ولأجلها شرع الجهاد كما قال -تعالى-: ﴿ وَقَدْ نَلُوهُمْ حَتَّى لَا تُكُونَ فَتْنَةً وَيَكُونَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا عَدَاوَةً كَرِيهَةً ﴾ (١) (٢).

ولم يقتصر جهد الإمام -رحمه الله- ودعوته على سكان الجزيرة فحسب بل تجاوزها، وكشف هذه الشبهة وجلاها لمن هم خارجها، ففي رسالته للحاج المغربي يقول -رحمه الله-: "فمعلوم ما قد عمّت به البلوى من حوادث الأمور، التي من أعظمها الإشراف بالله، والتوجه إلى الموتى، وسؤالهم النصر، وقضاء الحاجات، وتفريج الكربات التي لا يقدر عليها إلا ربُّ الأرض والسموات" (٣).

ويقول الحداد أيضًا موجهًا قول البوصيري -ومنكرًا على الإمام- رحمه الله:-

"يا أكرم الخلق مالي من ألوذ به
سواك عند حلول الحادث العمم
حتى قال: (أي الإمام) إن هذا شرك أكبر؛ لأنه دعاء لغير الله، وأدخل في أذهان العوام
والغوغة ذلك، فأما قوله: إنه دعاء فكذب وبهتان، وإنما هو نداء، والنداء غير الدعاء" (٤).

وفي معرض جواب الإمام -رحمه الله- لأحد السائلين، رد على دعوى الحداد وتكهناته، إذ يُبين الإمام أن من "أنواع العبادة الدعاء وهو الطلب بيباء النداء- لأنه ينادى به القريب والبعيد، وقد يستعمل في الاستغاثة- أو بأحد أحواتها من حروف النداء، فإن العبادة اسم جنس، فأمر -تعالى- عباده أن يدعوه ولا يدعوا معه غيره، فقال تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ (٥)، وقال في النهي: ﴿ وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾ (٦) وأحدًا: كلمة تصدق على كل ما دعي

(١) سورة الأنفال آية رقم [٣٩].

(٢) مجموع مؤلفات الشيخ- مسائل الجاهلية (٦/٢٢٨).

(٣) عجائب الآثار في التراجم والأخبار- عبد الرحمن الجبرتي (٣/٣٦٨-٣٦٩).

(٤) مصباح الأنام وحلاء الظلام في رد شبه البدعي النجدي التي أضل بها العوام- علوي الحداد (١٩).

(٥) سورة غافر آية رقم [٦٠].

(٦) سورة الجن آية رقم [١٨].

مع الله - تعالى-، وقد روى الترمذي عن أنس أن النبي ﷺ قال: "الدعاء مخ العبادة"^(١) وعن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله ﷺ: "الدعاء هو العبادة" ثم قرأ: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾. رواه أحمد وأبو داود والترمذي^(٢).

قال في شرح الجامع الصغير حديث الدعاء مخ العبادة قال شيخنا: قال في النهاية مخ الشيء خالصه وإنما كان مخها لأمرين:

أحدهما: أنه امثال لأمر الله - تعالى- حيث قال: ﴿ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ فهو مخ العبادة وهو خالصها.

الثاني: أنه إذا رأى نجاح الأمور من الله قطع أمله عما سواه ودعاه لحاجته وحده، ولأن الغرض من العبادة هو الثواب عليها وهو المطلوب بالدعاء وقوله: الدعاء هو العبادة قال: شيخنا قال: الطيبي أتى بالخبر المعرف باللام ليدل على الحصر وأن العبادة ليست غير الدعاء انتهى كلام العلقمي.

إذا تقرر هذا فنحن نعلم بالضرورة أنه ﷺ لم يشرع لأمته أن تدعو أحداً من الأموات لا الأنبياء ولا الصالحين ولا غيرهم، بل نعلم أنه نهي عن هذه الأمور كلها، وأن ذلك من الشرك الأكبر الذي حرّمه الله ورسوله، قال - تعالى-: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنِ دُعَائِهِمْ غَفِلُونَ ﴿٥٠﴾ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴾^(٣)، وقال - تعالى-: ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ ﴾^(٤)، وقال: ﴿ وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ﴾^(٥) الآيات، وهذا من معنى لا إله إلا الله فإن (لا) هذه النافية للجنس فنفي جميع الآلهة، و(إلا) حرف استثناء يفيد حصر جميع العبادة على الله - عزّ وجلّ-، (والإله) اسم صفة لكل معبود بحق أو باطل ثم غلب على المعبود بحق وهو

(١) رواه الترمذي في جامعه - كتاب الدعوات - باب: منه الدعاء مخ العبادة (١٩٩٨) (ح ٣٣٧١)، وقال: هذا حديث غريب، والحديث ضعفه الألباني كما في ضعيف سنن الترمذي (٣٩٥) (ح ٣٣٧١).

(٢) سبق تحريجه.

(٣) سورة الأحقاف آية رقم [٦-٥].

(٤) سورة الشعراء آية رقم [٢١٣].

(٥) سورة يونس آية رقم [١٠٦].



الله - تعالى-، وهو الذي يخلق ويرزق ويدبر الأمور "والتَّالَّة" التَّعْبُدُ قَالَ اللهُ -تعالى-:
﴿وَالْهَكْمُ لِلَّهِ وَحْدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾^(١)، ثم ذكر الدليل فقال: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ
السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(٢) إلى قوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا﴾^(٣)«(٤)».

ولعل ما سبق من النقول عن الإمام - رحمه الله - يُجَلِّي هذه القضية الكبرى التي اعنى بها
القرآن الكريم وبينها بيانًا شافيًا يتمثل في:

١- أن هذه المسألة - دعاء غير الله-: هي أعظم مسألة خالف رسول الله ﷺ فيها
المشركين، فإنهم كانوا يتعبدون بإشراك الصالحين في دعاء الله - تعالى - وعبادته يريدون بذلك
شفاعتهم ووساطتهم، كما قال - تعالى -: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا
يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعُونَا عِنْدَ اللَّهِ﴾^(٥)، فأتى رسول الله ﷺ بهدم هذه العقيدة
والأمر بإخلاص الدعاء لله وحده.

فالشرك في دعاء المسألة أكثر من الشرك في غيره من أنواع العبادات، ويوضح هذا الوجه
التَّالِي:

٢- أن أغلب شرك الأوائل الذين أرسل إليهم الرسول ﷺ كان في الدعاء، فالشرك في
الدعاء هو الأكثر انتشارًا ووقوعًا بينهم من أنواع الشرك الأخرى: كالنذر والذبح والطواف
والسجود...؛ وذلك لأن هذه الأمور لا يمكن وقوعها كل وقت وزمان ولا في كل مكان، كما
أن الحاجة إليها أقل من الحاجة إلى الدعاء...ومن هنا كانت هذه المسألة أعظم مسألة خالف
فيها الرسول ﷺ المشركين فكانت هي نقطة الخلاف الأساسيَّة، وكان التَّركيز عليها أكثر.

٣- أن الله - سبحانه وتعالى - لم يحذر في كتابه العزيز عن أي شرك من أنواع الشرك
مثلما حذَّر عن الشرك في الدعاء.

(١) سورة البقرة آية رقم [١٦٣].

(٢) سورة البقرة آية رقم [١٦٤].

(٣) سورة البقرة آية رقم [١٦٥].

(٤) مجموع مؤلفات الشيخ-الرسائل الشخصية(٣/٥٩-٦٠).

(٥) سورة يونس آية رقم [١٨].

فلو أحصي ما ورد في التَّحذير من دعاء غير الله - تعالى - بالأساليب المتنوعة لوجد - بدون شك - أن ما ورد في التَّحذير من دعاء غير الله - تعالى - أكثر بكثير من ذلك كله ^(١)، وهذا من تلبسات الشيطان وحزبه الذين حسَّنوا للناس هذا المسلك وأوهموهم أنهم بالحق أعرف "فعدلوا إلى عبادة الأولياء والصالحين، وخلعوا ربة التَّوحيد والدين، فجدوا في الاستغاثة بهم في النوازل والحوادث والخطوب المعضلة والكوارث، وأقبلوا عليهم في طلب الحاجات، وتفريج الشدائد والكربات، من الأحياء منهم والأموات، وكثير يعتقد النفع والضرر في الجمادات، كالأشجار والأحجار"^(٢).

والله - تبارك وتعالى - أرسل رسوله بالهدى ودين الحق على فترة من الرسل، فهدى به إلى الحق المبين، والصراف المستقيم والدين القويم، وزبدة ذلك كله وثمرته هو الإخلاص لله في العبادة فلا يشركه فيها ملك مُقرب ولا نبي مُرسل فلا يُسجد إلا لله ولا يُركع إلا له، ولا يُدعى في الشدائد والكُرب إلا هو، ولا لجلب النفع والخير إلا هو، ولا يُنذر إلا له، ولا يُخلف إلا به، ولا يُذبح إلا له، وجميع العبادات لا تصح إلا لله وحده لا شريك له، وهذا معنى قول: لا إله إلا الله، فإن المألوه هو المقصود المعتمد عليه، وهذا الأمر هيّن عند من لا يعرفه وكبير عظيم عند من عرفه، فمن عرف هذه المسألة عرف أن أكثر الخلق قد تلاعب بهم الشيطان، وزين لهم الشرك بالله، والذي أخرجهم لهم في صورة حسنتها عقولهم التي انسلخت من الشرع ونصوصه المُحكّمة، وزعمهم أن هذا هو مُقتضى حب الصالحين وتعظيمهم^(٣).

وفي كتاب التَّوحيد بيوب الإمام - رحمه الله - "باب من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره"^(٤)، ويحشد جملة من النصوص من الكتاب والسنة بُحلي حكم هذا الأمر وتوضحه.

(١) انظر: الدعاء ومنزلته من العقيدة الإسلاميّة - جيلان بن خضر العروسي (١ / ٢١٠). وانظر: دعاوى المناوئين لدعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب - عبد العزيز العبد اللطيف (٣٤٧) وما بعدها، والتَّوضيحات الكاشفات على كشف الشبهات - محمد الهبدان (٨٠) وما بعدها.

(٢) تاريخ ابن غنام (١/١٧١).

(٣) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ - الرسائل الشخصية (٣/٦٩).

(٤) مجموع مؤلفات الشيخ - كتاب التَّوحيد (٦/٢٩).



وقد ظن الخصوم "أن النهي عن دعاء الأنبياء والصالحين، والقول بأنهم لا يقصدون ولا يدعون للشفاعة، ولا لغيرها من المطالب، تنقُص لهم، وإبطال لفضلهم وكرامتهم، وذلك لظنهم أن الفضل والكرامة ليس إلا في قصدهم، ودعائهم والتعلق عليهم، وكونهم مفرغًا وملجًا عند الشدائد والمهمات، ولو عقلوا لعرفوا أن الفضل والكرامة كل الكرامة في عبودية الله والخضوع له، والدعوة إلى سبيله، وإبلاغ الرسالة وأداء الأمانة، وتحقيق التوحيد وإسلام الوجوه لبارئها وفاطرها وإلهها الحق"^(١).

(١) مصباح الظلام- عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ (٢٧٥).

المطلب الثاني: شبهة أن الذبح والنذر لغير الله ليس شركاً

إن العدو المعاند لا يقتصر على وسيلة واحدة تجاه مُعارضه؛ بل يأتي من كل وجهة تبعاً لما حكاه الله عن الشيطان ﴿ ثُمَّ لَأَيِّنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴾ (١٧) (١)، إذ هو من جنده وأتباعه، وهذه هي حال المعارضين لدعوة التوحيد التي دعا إليها الإمام - رحمه الله - وجدد ما اندرس من معالمها، ولذلك سلكوا التلبس في الأحكام الشرعية على عامة الناس الذين يجهلون هذه الأحكام، ولم ترسخ العقيدة بمفهومها الصحيح في قلوبهم، ومنها ما يتعلق بالذبح، والنذر.

ولا شك أن التوجه بالذبح والنذر لغير الله شرك، كما قال - تعالى -: ﴿ قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (١٦٢) لا شريك له، وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين ﴾ (١٦٣) (٢)، وقال - تعالى -: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ ﴾ (٢) (٣).

وقال - تعالى -: ﴿ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ، وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾ (٣٧٠) (٤)، وقال - تعالى -: ﴿ يُؤْفُونَ بِالَّذِينَ يَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴾ (٧) (٥).

والذبح والنذر لغير الله شرك؛ لأنهما من العبادات التي لا يجوز صرفها لغيره، قال ابن تيمية - رحمه الله - : "ولأن الذبح لغير الله، وباسم غيره، قد علمنا يقينا أنه ليس من دين الأنبياء - عليهم السلام -، فهو من الشرك" (٦).

بل الذبح لغير الله من أعظم أنواع الشرك كما عده شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - حيث يقول في هذا الباب: "فإن عبادة الله - سبحانه - بالصلاة له والنسك له، أعظم من

(١) سورة الأعراف آية رقم [١٧].

(٢) سورة الأنعام آية رقم [١٧].

(٣) سورة الكوثر آية رقم [٢].

(٤) سورة البقرة آية رقم [٢٧٠].

(٥) سورة الإنسان آية رقم [٧].

(٦) اقتضاء الصراط المستقيم - ابن تيمية (٦٠/٢).



الاستعانة باسمه في فواتح الأمور، فكذلك الشرك بالصلاة لغيره، والنسك لغيره أعظم من الاستعانة باسمه في فواتح الأمور"^(١).

وحكى شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - الإجماع على أن النذر لغير الله شرك، فقال: "وقد اتفق العلماء على أنه لا يجوز لأحد أن ينذر لغير الله، لا لنبي ولا لغير نبي، وأن هذا النذر شرك"^(٢).

قال ابن كثير - رحمه الله -: "فنهى الله المؤمنين عن هذا الصنيع (أي: ما ذُبح على النُصب)، وحرّم عليهم أكل هذه الذبائح التي فعلت عند النصب حتى ولو كان يذكر عليها اسم الله في الذبح عند النصب من الشرك الذي حرّمه الله ورسوله"^(٣).

والذبح والنذر لغير الله ناشئ عن اعتقاد في المذبح له أو المندور له، وكذلك في الذبح له وعنده ناشئ عن اعتقاد دفع الضر أو جلب النفع، وقد رد العلماء على شبهات هؤلاء الذين ينفون دخول الشرك في هذه الأعمال، وبينوا أن هذه الأعمال من الشرك، وأنها عبادة ف"النحر للأموال عبادة لهم، والنذر لهم بجزء من المال عبادة لهم، والتّعظيم عبادة لهم، كما أن النحر للنسك وإخراج صدقة المال، والخضوع والاستكانة عبادة لله - عزّ وجلّ - بلا خلاف، ومن زعم أن ثم فرقاً بين الأمرين فليهدده إلينا، ومن قال: إنه لم يقصد بدعاء الأموات والنحر لهم والنذر لهم عبادتهم، فقل له: فلأي مقتضى صنعت هذا الصنع؟ فإن دعائك للميت عند نزول أمر ربك لا يكون إلا لشيء في قلبك عبّر عنه لسانك، فإن كنت تهذي بذكر الأموات عند عرض الحاجات من دون اعتقاد منك لهم فأنت مصاب بعقلك، وهكذا إن كنت تنحر لله، وتندر لله، فلأي معنى جعلت ذلك للميت وحملته إلى قبره، فإن الفقراء على ظهر البسيطة في كل بقعة من بقاع الأرض، وفعلك وأنت عاقل لا يكون إلا لمقصد قد قصدته، أو أمر قد أردته"^(٤).

(١) المرجع السابق (٢/٦٤-٦٥).

(٢) مجموع الفتاوى (١/٢٨٦).

(٣) تفسير القرآن العظيم (٢/١٣).

(٤) الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد - محمد علي الشوكاني (٧٥).

وفي هذا الباب يقول العلامة عبد العزيز بن باز^(١) - رحمه الله -: الكفر العملي يخرج من الملة: مثل السجود لغير الله، والذبح لغير الله، هذا كفر عملي يخرج من الملة، الذي يذبح للأصنام أو إلى الكواكب، أو إلى الجن كفر عملي أكبر، وهكذا لو صَلَّى لهم أو سجد لهم يكفر كفرًا عمليًا أكبر، وهكذا لو سبَّ الدين أو سبَّ الرسول، أو استهزأ بالله أو بالرسول هذا كفر عملي أكبر، عند جميع أهل السنة والجماعة^(٢).

ومن أثار الشبهات على الإمام - رحمه الله - في هذا الأمر ولبس على الناس سليمان بن سحيم ليصد عن الحق المبين، والصرط المستقيم، ومن ذلك زعمه أن الإمام - رحمه الله - يقطع بكفر الذي يذبح الذبيحة ويسمي عليها ويجعلها لله - تعالى -، ويُدخل مع ذلك دفع شر الجن، ويقول على لسان الإمام: ذلك كفر، واللحم حرام.

والعلماء على زعم ابن سحيم يقولون في ذلك: أنه ينهى عنه فقط.

والإمام - رحمه الله - في الذبح للجنّ، أو غيرهم ذكر أنه كفر، يكفر به المسلم إذا ذبحه تعظيمًا له، أو تقريبًا إليه، وإرادة أن يدفع عنه السوء والمكروه الذي حلّ به، وقد نص العلماء - رحمهم الله - على أن ذلك كفر وردة لا كما زعم ابن سحيم^(٣).

ويستنكر سليمان بن عبد الوهاب في بادئ أمره، حينما كان مُعارضًا لدعوة الإمام تكفير من ذبح أو نذر لغير الله، ويستغرب من تكفير من دعا غير الله فيقول: "من أين لكم أن

(١) عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله آل باز، مفتي المملكة ورئيس هيئة كبار العلماء، فقيه مُحدث، ولد بمدينة الرياض سنة (١٣٣٠ هـ)، حفظ القرآن الكريم قبل البلوغ، تلقى العلوم الشرعيّة والعربيّة على أيدي كثير من علماء الرياض، وكان أكثر ما تلقّاه عن الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، وعليه تخرّج في علوم الشريعة، واللغة العربيّة، أخذ عن عدة مشايخ منهم محمد بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ، وصالح بن عبد العزيز بن عبد الرحمن آل الشيخ، والشيخ سعد بن حمد بن عتيق، له مؤلفات عديدة، توفي - رحمه الله - يوم الخميس ٢٧ من المحرم سنة (١٤٢٠ هـ). انظر: الآلي الحسان في ذكر محاسن الدعاة والأعلام - نعيم مصطفى نجم (١/٤٩ - ٧٣)، والإنجاز في ترجمة الإمام عبد العزيز بن باز - عبد الرحمن الرحمة (٢٦-٧٢).

(٢) مجموع فتاوى عبد العزيز بن باز (١٤٦/٢٨).

(٣) انظر: تاريخ ابن غنام (١/٣٨٦).



المسلم الذي يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله إذا دعا غائبًا، أو ميتًا أو نذر له، أو ذبح لغير الله، أن هذا هو الشرك الأكبر الذي من فعله حبط عمله وحل ماله ودمه" (١). ويقول سليمان: "لم يقل أهل العلم من طلب من غير الله فهو مرتد ولم يقولوا من ذبح لغير الله فهو مرتد" (٢).

ويذكر ابن السويدي أن أهل العلم لم يقولوا إن من ذبح أو نذر لغير الله فهو مرتد، ويُلَبَس على الجهلة والعوام في ذلك زاعمًا أن شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم - رحمهما الله - لم يُكفرا من فعل هذا الفعل، ويسوق جملة من التلبيسات، كحكم الوفاء بنذر المعصية، وأنه لا يجوز الوفاء به، ويستدل بذلك على أن النذر لغير الله ليس شركًا (٣).

ومن جملة التلبيسات، أن الذبح لغير الله مذكور في جملة المحرمات، وأن العلماء عندما عدوه مما أهلَّ به لغير الله نُهوا عن أكله، ولم يكفروا فاعله (٤).

ويستنكر ابن عفالق موقف الإمام - رحمه الله - من شركيات عصره، وأن الأمة الإسلامية فيها من الشركيات في زمن الدولتين الأموية والعباسية أعظم من شرك أهل القباب والسادات، ولم يتخذ العلماء موقفًا كموقف الإمام، الذي يُكفر بسبب ذبح أو نذر لغير الله (٥)، ويزعم أن الأئمة أجمعوا على أن الذبح والنذر لغير الله حرام، ومن فعله قد ارتكب معصية (٦).

ولم يكن عبد الله بن داود بأحسن حالًا من سابقه، فقد ذهب إلى أن النذر كالحلف بغير الله، واختلف العلماء في فعله بين من حرّمه، ومن جعله معصية، أو مكروهًا، ومن شدد فيه جعله شركًا أصغر (٧).

(١) الصواعق الإلهية في الرد على الوهابية (٦).

(٢) المرجع السابق (٧).

(٣) انظر: المشكاة المضيئة - صحيفة (٣-٣ب).

(٤) انظر: المرجع السابق (٤أ).

(٥) انظر: جواب ابن عفالق على رسالة ابن معمر - صحيفة (٥٩ب).

(٦) انظر: المرجع السابق - صحيفة (٦٠أ).

(٧) انظر: الصواعق والرعود - صحيفة (١٧٠ب).

ويتهكم بالإمام حيث جعل الذبح لغير الله من كفر أهل زمانه، وقد اختلف العلماء فيه بين الكراهة والتَّحريم ولعن فاعله^(١).

ويتتابع من ورث خصوم الإمام- رحمه الله- في تشنيعهم على دعوته وأتباعها، فيحتج جعفر النجفي^(٢) على جواز الذبح لغير الله بأن: "أهل الإسلام من قديم الأيام يذبحون للأنبياء والأولياء"^(٣).

ويتبع علوي الحداد^(٤) سابقه في تضليلهم فيذكر في كتابه: مصباح الأنام، أن منع النذر للأولياء من مفتريات الإمام، فيقول: "وأما نصُّ النجدي بمنع النذر مطلقاً للأكابر، فمن افتراءه على كتب الشريعة وجهله المركَّب"^(٥).

وتسلسل بعد علوي الحداد في الافتراءات والتدليس والتلبيس على العوام في حقيقة دعوة الإمام- رحمه الله- داود بن جرجيس^(٦) والذي يزعم أن دعاء الأموات والغائبين والذبح والنذر لغير الله ليس شركاً^(٧).

وبهذا يتبين أن خصوم الإمام- رحمه الله- لا يُميزون بين ما هو حق لله لا يشركه فيه ملك مُقرب ولا نبي مُرسل، ولا بين التوحيد والشرك.

(١) انظر: المرجع السابق-صحيفة (١١٨٠-١٨٠ب).

(٢) جعفر بن خضر بن شلال الحلبي الجناحي، شيعي إمامي، كان شيخ مشايخ النجف والحلة في زمانه، ولد سنة (١١٥٦هـ) وهو أبو الأسرة (الجعفرية) من آل كاشف الغطاء، أشهر تصانيفه: كشف الغطاء عن مبهمات الشريعة الغراء، والحق المبين في الرد على الإخباريين، ومنهج الرشاد لمن أراد السداد، توفي سنة (١٢٢٨). انظر: منهج الرشاد لمن أراد السداد- مقدمة الكتاب، وانظر: الأعلام للزركلي (١٢٤/٢).

(٣) منهج الرشاد لمن أراد السداد (٣٠).

(٤) علوي بن الحسن بن عبد الله بن علوي الحداد الحسيني، صوفي من حضرموت، من خصوم الإمام محمد بن عبد الوهاب، وهو الذي كتب مصباح الأنام وجلاء الظلام في رد شبه البدعي النجدي، وكذب على الإمام ما استطاع، وألف كتباً غيره في التصوف، والبدعيات، توفي سنة (١٢٣٢هـ). انظر: الأعلام للزركلي (٢٤٩/٤-٢٥٠).

(٥) (٤٤).

(٦) داود بن سليمان البغدادي النقشبندي ابن جرجيس، صوفي، من أهل بغداد، ولد سنة (١٢٣١هـ) ببغداد، قام برحلات إلى الحجاز والشام وأقام بمكة نحو عشر سنوات، وصنَّف كتباً صغيرة، منها: أشد الجهاد في إبطال دعوى الاجتهاد، ومنهاج التأسيس والتقدّيس في كشف شبهات داود ابن جرجيس، توفي سنة (١٢٩٩هـ) ببغداد.

انظر: الأعلام للزركلي (٣٣٢/٢)، وهدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين- إسماعيل البغدادي (٣٦٣/١).

(٧) انظر: منهاج التأسيس والتقدّيس- عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ (٩).



وقد كان الذبح والنذر لغير الله مُنفِثًا في البلاد النجديَّة قبل دعوة الإمام- رحمه الله- يقول ابن غنام: "ومن العجب أن ذلك يُفعل في بلدان العارض وغيرها، لا يُنكره أحدٌ من عُلمائهم على من فعله، بل منهم من يُفتي الجُهاال بذلك، ويقول: اذبحوا على هذا الصبي، أو هذا المريض، ذبيحة سوداء للجن، ولا تسمُّوا عليها.

وقصده بذلك أن الجن يُزيلون ذلك المرض إذا دُجحت لهم تلك الذبيحة، فلما أظهر الله هذا الإمام، ونهى عن ذلك، وبلغ النَّاس كلام الله، وكلام رسوله، وكلام أهل العلم، أن ذلك كفرٌ وردّه، يُنكر ذلك عليه من يزعم أنه من العلماء، فهل يشك أحد من العلماء أن ذلك كفر وشرك وعبادة للجن؟ نعوذ بالله من الطبع على القلب!"^(١).

وقد بذل الإمام- رحمه الله- جهده لبيان الحق ودفع ضلال المبطلين للخاص والعام والقريب والبعيد بكل ما أُتيح له من سبل في عصره، فيقول في رسالته للحاج المغربي: "... وكذلك التَّقرب إليهم: (أي الأموات)، بالندور وذبح القربان والاستغاثة بهم في كشف الشدائد، وجلب الفوائد إلى غير ذلك من أنواع العبادة التي لا تصلح إلا لله، وصرف شيء من أنواع العبادة لغير الله كصرف جميعها؛ لأنه- سبحانه وتعالى- أغنى الأغنياء عن الشرك، ولا يقبل من العمل إلا ما كان خالصًا"^(٢).

وهذا صريح في أن من قصد بذبحه تعظيم المذبوح له، والتَّقرب إليه بالذبح كفر وردة^(٣).

ومن جهود الإمام محمد بن عبد الوهاب- رحمه الله- أنه ضمن في تأليفاته التَّحذير من هذا المنكر العظيم مَقرونًا بالدليل، ففي معرض بيانه لنواقض الإسلام يقول: "اعلم أن من أعظم نواقض الإسلام عشرة:

(١) تاريخ ابن غنام (٣٨٨/١).

(٢) عجائب الآثار في التَّراجم والأخبار- للجبرتي (٣٦٩/٣).

(٣) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي (١٤١/١٣)، والدرر السنيَّة في الأحوية النجديَّة- جمع: عبد الرحمن بن قاسم (١٥٣/١٠).

الأول: الشرك في عبادة الله وحده لا شريك له، والدليل قوله - تعالى - ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾^(١)، ومنه الذبح لغير الله كمن يذبح للجن أو القباب"^(٢).

ولا شك أن بيان مثل هذا الأمر له نصيب في دروس الإمام للعامّة والخاصة، وهذا مما عُرف عن الإمام ونُقل عنه.

ولما دسّ ابن سحيم على الإمام - رحمه الله - في رسالته لأهل القصيم بعض الافتراءات، وذيلها بأمور تخل بالعقيدة، وتخرج من دائرة الإسلام كشفها الإمام - رحمه الله - في رسالته ومكاتباته، وبين ما فيها من زيف وافتراء، حيث يقول - رحمه الله - في رسالته لأهل القصيم: "وأما المسائل الأخرى وهي أني أقول: لا يتم إسلام الإنسان حتى يعرف معنى لا إله إلا الله، وأنني أُعرّف من يأتيني بمعناها، وأنني أكفر الناذر إذا أراد بنذره التّقرب لغير الله وأخذ النذر لأجل ذلك، وأن الذبح لغير الله كفر والذبيحة حرام.

فهذه المسائل حق وأنا قائل بها، ولي عليها دلائل من كلام الله، وكلام رسوله، ومن أقوال العلماء المتبعين، كالأئمة الأربعة، وإذا سهّل الله - تعالى - بسطت الجواب عليها في رسالة مستقلة - إن شاء الله تعالى -"^(٣).

(١) سورة النساء آية رقم [٤٨].

(٢) مجموع مؤلفات الشيخ - الرسائل الشخصية - (١١٧/٣ - ١١٨).

(٣) مجموع مؤلفات الشيخ - الرسائل الشخصية (٨/٣).



المطلب الثالث: شبهة أن الغلو في الأولياء والصالحين ليس شركاً

إن للأولياء والصالحين منزلة وشرفاً في الدنيا والآخرة، وهم الموصوفون بما وصفهم الله به في كتابه: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا نَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾^(١).

والمسلمون قديماً وحديثاً يحترمون الأولياء، ويُنزِلونهم هذه المنزلة التي بوأهم الله إياها من غير جفاء ولا غلو، فمعاداتهم حربٌ لله، كما في قول رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه -جلَّ وعزَّ-: "من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب"^(٢)، والغلو فيهم محادة لله كما في قوله -تعالى-: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾﴾.

ولا شك أن من جعل بينه وبين الله وسائط فقد وقع فيما وقع فيه قوم نوح - عليه الصلاة والسلام-، وهو من الشرك الأكبر الذي من فعله ولم يتب منه فإنه يُقتل^(٤)، قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: "أن من أثبت وسائط بين الله وبين خلقه كالوسائط التي تكون بين الملوك والرعية فهو مشرك؛ بل هذا دين المشركين عباد الأوثان كانوا يقولون: إنها تماثيل الأنبياء والصالحين، وإنها وسائل يتقربون بها إلى الله، وهو من الشرك الذي أنكره الله على النصارى"^(٥). وقد تفشى الغلو في زمن الإمام - رحمه الله - في الدولة العثمانية وما وصل إليه سلطانها، ويتخذون الأنبياء والصالحين وسائط بينهم وبين الله^(٦).

والغلو في الصالحين عكس ما أمر به النبي ﷺ من الدعاء لهم عند زيارة القبور الزيارة الشرعية إلى دعائهم من دون الله" فعكس المشركون هذا، وزاروهم زيارة العبادة واستقضاء

(١) سورة يونس آية رقم [٦٢ - ٦٤].

(٢) رواه البخاري في صحيحه - كتاب الرقاق - باب التواضع (٥٤٥) (ح ٦٥٠٢).

(٣) سورة الزمر آية رقم [٣].

(٤) انظر: مجموع الفتاوى - ابن تيمية (١/١٢٦).

(٥) المرجع السابق (١/١٣٤-١٣٥).

(٦) انظر: الوهابية بتقارير القنصلية الفرنسية في بغداد - إعداد: هاشم ناجي (١٢٤).

الحوائج، والاستغاثة بهم، وجعلوا قبورهم أوثاناً تعبد، وسموا قصدها حجاً، واتخذوا عندها الوقفة وحلق الرأس، فجمعوا بين الشرك بالمعبود الحق وتغيير دينه، ومعادة أهل التوحيد ونسبة أهله إلى التَّنْقِصِ للأموات، وهم قد تنقصوا الخالق بالشرك، وأولياءه الموحدين له الذين لم يشركوا به شيئاً بدمهم وعيبيهم ومعاداتهم، وتنقصوا من أشركوا به غاية التَّنْقِصِ؛ إذ ظنوا أنهم راضون منهم بهذا، وأنهم أمروهم به، وأنهم يوالونهم عليه، وهؤلاء هم أعداء الرسل والتوحيد في كل زمان ومكان^(١).

ومن جمع بين النصوص الواردة عن النبي ﷺ في القبور فيما أمر به، ونهى عنه، وبين واقع الناس وما عليه أكثرهم في زمن الإمام - رحمه الله - وجد تناقضاً: فإنه نهي عن الصلاة إليها وهم يصلون عندها، ونهى عن اتخاذها مساجد، وهم يبنون عليها المساجد ويؤبسون بتسميتها مشاهد مضاهاة لبوت الله، ونهى عن إيقاد السرج عليها، وهم يوقفون الوقوف على إيقاد القناديل والسرج عليها، ونهى أن تتخذ عيداً، وهم يتخذونها أعياداً، ومناسك يجتمعون لها كاجتماعهم للعيد أو أكثر، وأمر بتسويتها، وهم يرفعونها ويبنون عليها القباب، ونهى عن الكتابة عليها، وهم يكتبون عليها القرآن وغيره، ونهى أن يزداد عليها غير تراجمها، وهؤلاء يزيدون سوى التراب الجص والأحجار، فأهل الشرك متناقضون ومُحَادُونَ لله ولرسوله ﷺ.

فلما قام أهل الدعوة بواجبهم الذي أمرهم الله به، ونهوا عما نهي عنه رسوله ﷺ من تعظيم القبور، والصلاة عندها، وإسراجها، والبناء عليها، ودعاء أصحابها، وسؤالهم قضاء الحاجات، وتفريج الكربات، وبناء المساجد عليها غضب المشركون واشتأزت نفوسهم وقالوا: هذا تنقُصٌ لأهل الرتب العالية، وحط من قدرهم وانتهاك لحرمتهم، وسرى هذا الزعم في نفوس الجهال من أتباعهم حتى عادوا أهل التوحيد ونقروا الناس منهم ومن دين الإسلام، ورموهم بعظائم الأمور، ونتج عن ذلك موالاته أهل الشرك وتعظيمهم^(٢).

(١) مدارج السالكين - ابن القيم (٣٤٦/١).

(٢) انظر: مجموعة الرسائل والمسائل والفتاوى - حمد بن معمر (٣٤٢).



ويقول الإمام المجاهد سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب^(١) - رحمه الله - واصفًا الحال التي كان عليها أهل الغلو: "فإن عباد القبور لا يقتصرون على بعض من يعتقدون فيه الضر والنفع، بل كل من ظنوا فيه ذلك بالغوا في مدحه، وأنزلوه منزلة الربوبية، وصرفوا له خالص العبودية، حتى أنهم إذا جاءهم رجل، وادعى أنه رأى رؤيا مضمونها أنه دفن في المحل الفلاني رجل صالح، بادروا إلي المحل وبنوا عليه قبة، وزخرفوها بأنواع الزخارف، وعبدوها بأنواع من العبادة، وأما القبور المعروفة أو المتوهمة بأفعالهم معها، فنزلوا عن الأكوار، فإذا أتوها طافوا بها، واستلموا أركانها، وتمسحوا بها، وصلوا عندها ركعتين"^(٢).

ولكون أهل الضلال والإضلال يلبسون لباس العلم ليلبسوا على الناس دينهم، وهم لم يُميزوا وجهته، فضلًا أن يطعوا سبيله؛ بل يُجادلون بالباطل ليدحضوا به الحق، ولذا فُتن بهم فئام من الناس.

فقد كتب ابن سحيم في هذا الباب لصدّ الناس عند دين الله زاعمًا أن الإمام غير الدين، وأتى بمذهب خامس، واتهم الإمام بالكفر لإنكاره الغلو، وأضل العوام بقوله: "إن أهل العلم قالوا: لا يجوز تكفير المسلم بالذنب"^(٣).

ويذكر ابن السويدي أن قصد قبور الصالحين والطواف بها والتبرُّك والتَّمسح بها عده العلماء من المكروهات، وبعضهم عده من المحرمات، وأن رأي الإمام - رحمه الله - هو من قبيل اتباع المتشابه^(٤)، والأعظم من ذلك استدلاله بأن هذه القبور ملأت بلاد المسلمين، وأن طلب

(١) سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، ولد سنة (١٢٠٠هـ) في الدرعية، وكانت الدرعية في أيام سعدها، زاخرة بالعلماء الكبار، فنشأ في هذا الوسط العلمي حفظ القرآن، أخذ العلم عن أبيه، وحمد بن معمر، وغيرهما، كان نادرة في العلم والحفظ والذكاء، عالمًا بكل فنون العلم، درّس بالدرعية مع وجود والده وأعمامه، أخذ عنه خلق كثير من أهل نجد، وغيرهم، وله مؤلفات كثيرة أشهرها: تيسير العزيز الحميد، وحاشية على المقنع في الفقه، قُتل شهيدًا سنة (١٢٣٣هـ) وذلك عندما وُشي به إلى إبراهيم باشا. انظر: عنوان المجد في تاريخ نجد - عثمان بن بشر (٢/٣٨٤-٣٨٥)، وعلما نجد خلال ثمانية قرون - عبد الله البسام (٢/٣٤١-٣٤٩)، وعلما الدعوة - عبد الرحمن آل الشيخ (٧٥-٧٨).

(٢) تيسير العزيز الحميد - سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب (٢٢١).

(٣) مجموع مؤلفات الشيخ - الرسائل الشخصية (٣/١٢٧-١٢٩).

(٤) انظر: المشكاة المضيئة - صحيفة (٤ب).

أصحابها كثر وشاع، ولم يكفرهم أحدًا من أهل العلم^(١)، وما ذلك إلا ليهون على عوام الناس وجهلتهم ما هم فيه من ضلال، ويُنكر على الإمام - رحمه الله - عدّ الالتجاء إلى الصالحين ودعاءهم من الشرك، بحجة أنه لا دليل على ذلك، وأنه ليس مما أجمعت الأمة على كونه شركًا^(٢).

ويذكر خصوم الدعوة أن سؤال الموتى وطلب قضاء الحوائج والسجود بين يدي الصنم مع قصد التّقرب إلى الله - تعالى - محرم وليس شركًا، وكذلك طلب دفع الضر وجلب النفع فإن ذلك يقع على سبيل المجاز، ويُطلب منهم على سبيل المجاز^(٣).

وأن زيارة قبور الأنبياء والعلماء والصالحين سبب في مغفرة الذنوب إذا صاحبها نيّة صادقة^(٤).

ولا يرى أهل الضلال أن عبادة الصّالحين، ودعاءهم والتّوكل عليهم، والذبح لهم، وتسويتهم بالله في الحب، والخوف والرجاء، والتّعظيم شرك وضلال يبيح الأموال والدماء بعد قيام الحجة، وشبهتهم في ذلك أنهم يقولون: لا إله إلا الله^(٥).

ويقول علوي الحداد: "وغاية شبهته (أي: الإمام محمد بن عبد الوهاب) في نسبة الشرك إلى غير أتباعه، وهي التي بنى عليها أساس بدعته وزندقته، وجميع قبائحه أنه ادعى أنهم يُعظّمون مشاهد الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - ومشاهد الأولياء نفعنا الله بهم تعظيمًا بليغًا، حتى صاروا يطلبون منهم ما لا يقدر عليه إلا الله - تبارك وتعالى -، وذلك بزعمه الفاسد، وإلا فإن الفاعل هو الله حقيقة كرمًا منه لأنبيائه وأوليائه إذا توسلوا بهم إليه"^(٦).

(١) انظر: المرجع السابق - صحيفة (٢١ب).

(٢) انظر: المرجع السابق - صحيفة (٢ب).

(٣) انظر: الصواعق والرعود - عبد الله بن داود - صحيفة (١٠٠ب - ١٠١أ).

(٤) انظر: المرجع السابق - صحيفة (١٧٢ب).

(٥) انظر: مصباح الظلام - عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ (٣٦-٣٧).

(٦) مصباح الأنام وحلاء الظلام في رد شبه البدعي النجدي التي أضل بها العوام (٥).



ويقوده تعصبه لغير الحق أن يصف الإمام - رحمه الله - بما لا يليق بأهل العلم والفضل فيقول: "ومن جملة هذيانه وخرافاتة قوله: إن قصد الصالحين والاعتقاد فيهم والتبرك بهم شرك أكبر"^(١).

والنهي عن عبادة الأولياء والصالحين من الأمور التي كثر فيها الجدل بين الإمام ومخالفيه^(٢)، فقد كان - رحمه الله - ينهى عن الغلو في الصالحين الذي يوقع في الشرك، واعتبر أن من المصائب دعاء الأولياء والغلو فيهم^(٣).

وقد لبس خصوم الإمام على الناس أنه لا يجب الصالحين كما قال - رحمه الله - : "فأشاعوا عنا أننا نسبُ الصالحين، وأنا على غير جادة العلماء، ورفعوا الأمر إلى المشرق والمغرب، وذكروا عنا أشياء يستحي العاقل من ذكرها"^(٤)، وموهوا على أتباعهم: أن الكفار يعتقدون في الأصنام^(٥)، وهم يعتقدون في رجال صالحين^(٦).

وقد بذل الإمام - رحمه الله - جهده في كشف هذه الضلالة، وبيان الحق، فذكر لهم أن التعلق بالصالحين وصرف شيء من حق الله لهم هو الشرك الذي حذر الله منه؛ لذا كبر على الخصوم كلامه فأنكروه وقالوا: هذا ليس شركاً^(٧)، ومع بيان الإمام - رحمه الله - للحق وبالذليل و"أن الذي عليه غالب الناس من الاعتقادات في الصالحين وفي غيرهم هو الشرك الذي قال الله فيه: ﴿ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾^(٨) (٨) (٩).

(١) المرجع السابق (١٨).

(٢) انظر: رحلات فالين إلى جزيرة العرب - جورج فالين (٧٨).

(٣) انظر: مواد لتاريخ الوهابيين - جوهان بوركهارت (١٩).

(٤) مجموع مؤلفات الشيخ - الرسائل الشخصية (٢٤/٣).

(٥) انظر: المرجع السابق (٨١/٣).

(٦) انظر: المرجع السابق (١٥١/٣).

(٧) انظر: المرجع السابق (٢٠/٣).

(٨) سورة المائدة آية رقم [٧٢].

(٩) مجموع مؤلفات الشيخ - الرسائل الشخصية (١٠٩/٣)، وتاريخ ابن غنام (٤٠٩/١).

وبذل الإمام- رحمه الله- في مراسلاته جهدًا واضحًا لبيان هذه الشبهة؛ لأن قضية محبة الصالحين بمفهوم أهل الضلال قد صارت مزلة قدم، وفتنة لكل مفتون؛ لذا لم يدخر وسعًا وبذل جهدًا مضاعفًا لبيانها، وحل إشكالاتها حيث كرر- رحمه الله- الحديث عنها كثيرًا في غير ما موضع من رسائله^(١).

ومن جملة جهود الإمام- رحمه الله- رسالته لعبد الرحمن السويدي^(٢): "إن ما ذكر عنا من الأسباب غير دعوة الناس إلى التوحيد، والنهي عن الشرك فكله من البهتان، وهذا لو خفي على غيركم، فلا يخفى على حضرتكم، ولو أن رجلًا من أهل بلدكم ولو كان أحب الخلق إلى الناس، قام يلزم الناس بالإخلاص، ويمنعهم من أهل القبور، وله أعداء وحساد أشد منه رياسة وأكثر أتباعًا، وقاموا يرمونه بما تسمع، ويوهمون الناس أن هذا تنقص بالصالحين، وأن دعوتهم من إجلالهم واحترامهم تعلمون كيف يجري عليه"^(٣).

ولم يأل الإمام- رحمه الله- جهدًا في كشف الشبهة وبيانها بكل وضوح وجلاء، فقد أورد الدليل واستنبط منه المسائل المتعلقة بذات الشبهة حتى لا يتوهم متوهم إشكالات في هذه الشبهة، فقال: "قوله- تعالى-: ﴿ قُلْ أَفَعَيَّرَ اللَّهُ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ﴾^(٤) وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لِيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٤﴾ إلى قوله- تعالى-: ﴿ سُبْحٰنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾^(٥).

(١) وقد تكررت هذه القضية في أكثر من ثلاثين موضعًا. انظر: على سبيل المثال: مجموع مؤلفات الشيخ- الرسائل الشخصية (٣/٨٠٢، ٣٢، ٣١، ٣٠، ٢٤، ٢١، ٣٦، ٣٧، ٥٨، ٦٠، ٦٩، ٧٠، ٨١، ٨٢، ٨٣، ٨٤، ١٠٩، ١٢٥).

(٢) عبد الرحمن بن عبد الله بن الحسين السويدي البغدادي، ولد في بغداد سنة (١١٣٤هـ)، أخذ عن والده، وعن فصيح الدين الهندي، مؤرخ وله شعر ونثر، له كتب، منها: حديقة الزوراء، وحاشية على شرح الحضرمية في فروع الشافعية، وغيرها، وتوفي سنة (١٢٠٠هـ) في بغداد. انظر: سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر- محمد المرادي (٢/٣٣٠)، والأعلام للزركلي (٣/٣١٤-٣١٥).

(٣) مجموع مؤلفات الشيخ- الرسائل الشخصية (٣/٢٢)، وتاريخ ابن غنام (١/٤١٣).

(٤) سورة الزمر آية رقم [٦٤-٦٥].

(٥) سورة الزمر آية رقم [٦٧].



فيه مسائل:

الأولى: الجواب عن قول المشركين: هذا في الأصنام وأما الصالحون فلا.

قوله: قل أغير الله عام فيما سوى الله" (١).

وفي مقام ما جرى بين الإمام- رحمه الله- وخصومه يكشف في محاورته ومناظرته لهم، ويبين مستنده في الردّ عليهم فيقول: " فلما ذكرت لهم أن هذه المقامات التي في الشام والحرمين وغيرهما أنها على خلاف أمر الله ورسوله، وأن دعوة الصالحين والتعلق بهم هو الشرك بالله الذي قال الله فيه: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَهُ النَّارُ﴾ (٢) فلما أظهرت هذا أنكره وكبر عليهم، وقالوا: أجعلتنا مشركين، وهذا ليس إشراكاً هذا كلامهم، وهذا كلامي أسنده عن الله ورسوله، وهذا هو الذي بيني وبينكم، فإن ذكر عني شيء غير هذا فهو كذب وبهتان" (٣).

وهذا الجدل الذي يسلكه المبطلون هو من باب تشكيك الناس في ثوابت الدين وأصوله، وليلبسوا عليهم دينهم.

قال الإمام- رحمه الله-: "فهؤلاء الشياطين من مردة الإنس يحاجون في الله من بعد ما استجيب له، إذا رأوا من يعلم الناس ما أمرهم به محمد ﷺ من شهادة أن لا إله إلا الله، وما نهاهم عنه مثل الاعتقاد في المخلوقين الصالحين وغيرهم، قاموا يجادلون ويلبسون على الناس ويقولون: كيف تكفرون المسلمين؟ كيف تسبون الأموات؟ آل فلان أهل ضيف! آل فلان أهل كذا وكذا!، ومرادهم بهذا لئلا يتبين معنى لا إله إلا الله، ويتبين أن الاعتقاد في الصالحين النفع والضرر ودعاءهم كفر ينقل عن الملة" (٤).

ويُجلي الإمام- رحمه الله- الموقف الشرعي المنضبط تجاه الصالحين فيُصرح بمحبته لهم محبة مضبوطة بضابط الشرع لا غلو فيها ولا جفاء كقوله: "وأما الصالحون فهم على صلاحهم-

(١) مجموع مؤلفات الشيخ- كتاب فضائل القرآن (٢/٢٥٦).

(٢) سورة المائدة آية رقم [٧٢].

(٣) مجموع مؤلفات الشيخ- الرسائل الشخصية (٣/١٩-٢٠)، وانظر: تاريخ ابن غنام (١/٤١١).

(٤) مجموع مؤلفات الشيخ- الرسائل الشخصية (٣/١٠٣).

رضي الله عنهم- ولكن نقول: ليس لهم شيء من الدعوة^(١)، ويقرر الإمام- رحمه الله- الحق الذي تضمحل معه لوازم المبتطلين، فيقول: "وأقر بكرامات الأولياء وما لهم من المكاشفات إلا أنهم لا يستحقون من حق الله- تعالى- شيئاً، ولا يُطلب منهم ما لا يقدر عليه إلا الله"^(٢)، وهذا خلاف ما يشيعة الخصوم من أن الإمام- رحمه الله- يُنكر كرامات الأولياء والتي يلزم منها إنكار معجزات الأنبياء^(٣).

وفي معرض رده على شبهة من يتعلق بالأولياء مستدلاً بما اشتهبه عليه بمثل قوله- تعالى-: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(٤) "فقل: هذا هو الحق؛ ولكن لا يُعبدون، ونحن لم نذكر إلا عبادتهم مع الله وشركهم معه، وإلا فالواجب عليك حبهم واتباعهم، والإقرار بكراماتهم، ولا يحدد كرامات الأولياء إلا أهل البدع والضلال"^(٥).

وكل ما يُذكر عن الإمام- رحمه الله- أنه يتكلم في الصالحين، أو ينهى عن محبتهم فهو كذب وبهتان افتراه الشياطين الذين يريدون أن يأكلوا أموال الناس بالباطل^(٦).

ويشرح الإمام- رحمه الله- زُيادة الهدف من بعثة الرسل والمقصد الأعظم من دعوتهم ليستبين الحق لمن أراده، وتقوم الحجة على من تنكب سبيله، فيقول: "فإن الله- تبارك وتعالى- أرسل محمداً ﷺ إلينا على حين فترة من الرسل، فهدى الله به إلى الدين الكامل، والشرع التام، وأعظم ذلك وأكبره وزيدته هو إخلاص الدين لله بعبادته وحده لا شريك له، والنهي عن الشرك، وهو أن لا يُدعى أحد من دونه من الملائكة والنبیین فضلاً عن غيرهم، فمن ذلك أنه لا يسجد إلا لله، ولا يركع إلا له، ولا يُدعى لكشف الضر إلا هو، ولا لجلب الخير إلا هو، ولا ينذر إلا له، ولا يُحلف إلا به، ولا يذبح إلا له، وجميع العبادات لا تصلح إلا له وحده لا

(١) المرجع السابق (٥٨/٣).

(٢) المرجع السابق (٧/٣).

(٣) انظر: الصواعق والرعود- عبد الله بن داود - صحيفة (١١٢).

(٤) سورة يونس آية رقم [٦٢].

(٥) مجموع مؤلفات الشيخ- كشف الشبهات (١٢٣/٦-١٢٤)، وهذا خلاف ما يشيعة الخصوم عن الإمام- رحمه الله- من إنكار كرامات الأولياء، ويكفرونه لهذا السبب. انظر: ما نقله صاحب الصواعق والرعود- عبد الله بن داود- صحيفة (٨٣) عن محمد بن الطيب المغربي المدني.

(٦) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ- الرسائل الشخصية (٣٠/٣).



شريك له، وهذا معنى قول لا إله إلا الله فإن المألوه: هو المقصود المعتمد عليه، وهذا أمر هين عند من لا يعرفه كبير عظيم عند من عرفه، فمن عرف هذه المسألة عرف أن أكثر الخلق قد لعب بهم الشيطان وزين لهم الشرك بالله، وأخرجه في قالب حب الصالحين وتعظيمهم^(١).

ومن جهود الإمام- رحمه الله- في هذا الباب أنه قد نوع في التحذير من الانزلق في هذه الشبهة في تبويباته على كتاب التوحيد، والتي يحشد على أثرها النصوص الصريحة الواضحة من الكتاب والسنة، ومن ذلك:

- ١- باب: ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين^(٢).
- ٢- باب: ما جاء من التعليل فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح، فكيف إذا عبده^(٣).
- ٣- باب: ما جاء أن الغلو في قبور الصالحين يصيرها أوثاناً تعبد من دون الله^(٤).

(١) المرجع السابق (٦٩/٣).

(٢) مجموع مؤلفات الشيخ- كتاب التوحيد (٣٩/٦).

(٣) المرجع السابق (٤٢/٦).

(٤) المرجع السابق (٤٥/٦).

المطلب الرابع: شبهة اتهام الإمام - رحمه الله - بادعاء النبوة

إن اتهام النيات منهج فحّ، وطريق واهي الحجة؛ إذ مبناه على الادعاء الباطل، والتخرص والتّخمين والظن، وهو مقوض من مقوضات الأمن الفكري ومعوق من معوقاته، خصوصاً إذا أشيع بين العامة وأشباههم الذين لا يُحصّون القول ويسبرون غوره، ويتحققون من هدف قائله للتأكد من سلامته وحسن قصده.

ومن ذلك ما يُرمى به الصُّلحاء والمُصلحون من اتهامات، والتي من أعظمها لمزهم بادعاء النبوة، ولا يتوقع من يرميهم به خطورة هذا الأمر بالنسبة لهم؛ لعلمهم بالوعيد المترتب عليه، ويكفي في ذلك ما ذكره الله بقوله: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ ﴾ (١)، وإن كان مثل هذه الدعوى سهلاً سبر غورها، وميسوراً كشف كوامنها، يقول شارح الطحاويّة: "فإن النبوة إنما يدعيها أصدق الصادقين، أو أكذب الكاذبين، ولا يلتبس هذا بهذا إلا على أجهل الجاهلين، بل قرائن أحوالهما تُعرب عنهما، وتُعرّف بهما، والتّمييز بين الصادق والكاذب له طرق كثيرة فيما دون دعوى النبوة، فكيف بدعوى النبوة؟" (٢).

وقد أبان العلماء حكم مدعي النبوة، فلا يجترئ على مقامها عاقل، فكيف بالمسلم؟، وكيف بمن يدعو إلى توحيد الله؟.

يقول شيخ الإسلام ابن تيميّة - رحمه الله - : "من كذب على الله بأن زعم أنه رسول الله، أو نبيه، أو أخبر عن الله خبراً كذب فيه كمسيلمة والعنسي ونحوهما من المنتبئين، فإنه كافر حلال الدم" (٣).

ويقول النووي - رحمه الله - في معرض بيانه لجملة من المكفّرات: "...أو ادعى النبوة بعد نبينا ﷺ، أو صدّق مدعيّاً لها، أو عظّم صنماً بالسجود له، أو التّقرب إليه بالذبح باسمه، فكل هذا كفر" (٤).

(١) سورة الأنعام آية رقم [٩٣].

(٢) علي بن أبي العز الحنفي (١٤٠/١).

(٣) الصارم المسلول على شاتم الرسول (٣٣٠/٢).

(٤) روضة الطالبين وعمدة المفتين (٢٨٤/٧).



ودعوى أن الإمام ادعى النبوة أو أضرها كذب محض من الخصوم واستخفاف بعقول الناس؛ بل وجرأة على الكذب تدل على قلة دين صاحبها، وخفة عقله، لهوان ما لديه من الأدلة والبراهين التي يُحسِّن بها الشرك في نفوس أتباعه، فيعمد إلى تضليل الناس وتغييرهم بمثل هذا الباطل^(١).

ومن خالف مقالَه حالَه بان للناس كذبُه وزيفُه، فكيف يدعي الإمام - رحمه الله - النبوة وهو يُصرح بحكم مدعيها.

وقد أشاع خصوم الإمام - رحمه الله - أنه يتناول على مقام النبوة ويضمها؛ لولا خوفه من ردة فعل الناس، وأنه يصف النبي ﷺ بأوصاف يظهر منها التَّنقص، والازدراء بمكانته ﷺ، وأنه أحرق الكتب المؤلفة في الصلاة على رسول الله ﷺ؛ لعلم أهل الزيغ والضلال بأثر ذلك على نفوس السامعين، ومدى محبة الأمة لنبيها ﷺ، فأرادوا بهذه الفرية إيغار القلوب، وتغيير الأتباع^(٢).

وقد أقسم ابن عفالق أن دعوة الإمام - رحمه الله - ليست دعوة تجديد للدين، بل هي دعوى نبوة، فيقول: "فوالله، ثم والله، ثم والله إنها لدعا نبوة، ناسخة لزعم مدعيها ما قبلها، كما ادعى نزيله مسيلمه بلسان مقاله، وابن عبد الوهاب ادعاها بلسان حاله"^(٣).

ويُعَرِّض بهذا الأمر (أي: دعوى النبوة) في حديثه على أن المعصوم في قبيله، والواجب اتباعه واحد، وأنه لا يجب طاعة أحد غير رسول الله ﷺ؛ وذلك للتقليل من شأن الإمام ومكانته في النفوس - ومن ادعى غير ذلك فهو كمن ادعى النبوة^(٤)، ويؤكد أعظم من ذلك وهو أن الإمام "ادعى الرسالة وأن ذلك وحي أوحى إليه"^(٥).

(١) انظر: كشف الأكاذيب والشبهات عن دعوة المصلح الإمام محمد بن عبد الوهاب - صلاح الدين آل الشيخ (٩١).

(٢) انظر: الصواعق والرمود - عبد الله بن داود - تقرير بن فيروز - صحيفة (٢ب، ٣ب)، وبحوث ندوة دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب - الشبهات التي أثبتت حول دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب - عبد الرحمن عميرة (٦٨/٢).

(٣) رسالة بن عفالق لابن معمر - صحيفة (٤٤أ)، وانظر: جواب ابن عفالق على رسالة ابن معمر - صحيفة (٥٧ب)،

وصحيفة (٧٢ب).

(٤) انظر: رسالة بن عفالق لابن معمر - صحيفة (٤٧أ، ب).

(٥) المرجع السابق - صحيفة (٤٨ب).

وتتجارى به المُجازفات في اتهام الإمام- رحمه الله- إلى كثرة الخلط فيقول: "ابن عبد الوهاب خالف الحديث وخفر ذمة الله، وذمة رسوله، فهل مراغمة أعظم من هذا؟، وهضم النبوة فسلبها وأضافها إلى نفسه، بل ادعى شيئاً لنفسه من أعظم أوصاف الربوبية، كجعله التَّوبة إليه" (١).

ويُدريج ابن السويدي هذا الزعم في كلامه عن المرجئة (٢)، وأن أهل السنة لم يكفروهم، ولم يقولوا: "كفرتم بالله ورسوله لأننا بيّنا لكم الحق فيجب عليكم اتباعنا؛ لأننا بمنزلة الرسول من خطأنا فهو عدو لله ورسوله كما هو قولكم اليوم" (٣).

ويموه الزبيري على الناس في اتهام الإمام- رحمه الله- بادعاء النبوة، وأنه لم يحم حول حمى العلم الذي ادعاه بالزور والإلهام والقوة، بل حام حول حمى النبوة (٤)، ويُصرح بعبارة واضحة: "أن لسان حاله يدعي النبوة" (٥).

ويُشنع على الإمام بعبارات ينبو عن تسطيرها البنان، وأنه أي: الإمام أضله الفسق والعصيان، واقتراف الذنوب وقلة العلم والطغيان، حتى حام حول حمى النبوة، وادعاهما بالزور والبهتان (٦).

ويقول بعبارة أصرح وبيان أوضح: "وأما ابن عبد الوهاب فخطابه يُشعر بأنه نبي ... ويتشبه برسول الله ﷺ في أشياء كثيرة لا تُحصى" (٧).

(١) المرجع السابق- صحيفة (١٤٩أ).

(٢) المرجئة: سمو بذلك لقولهم بالإرجاء الذي هو: التأخير، وهو تأخير العمل عن النيّة والعقد، أو إعطاء الرجاء، وهو قولهم: لا يضر مع الإيمان معصية، ولا ينفع مع الكفر طاعة، وينقسمون إلى: مرجئة خوارج، وقدرية، وجرية، ومرجئة خالصة، وهم فرق. انظر: التنبية والرد- محمد الملطي (٥٧-٦١)، والفرق بين الفرق- عبد القاهر البغدادي (١٩-٢٠)، والملل والنحل- محمد الشهرستاني (١٣٧/١-١٤٤).

(٣) المشكاة المضيئة- صحيفة (٨ب).

(٤) انظر: الصواعق والرعود- عبد الله بن داود- صحيفة (٤٥ب)، وانظر: صحيفة (٨٥أ).

(٥) المرجع السابق- صحيفة (٦٣أب)، وانظر: صحيفة (٧٥أ)، وصحيفة (٩٧أ)، وصحيفة (١١٢أ)، وصحيفة (١٧٦ب).

(٦) انظر: المرجع السابق- صحيفة (٣٤).

(٧) المرجع السابق- صحيفة (٤٩).



ومن افتراء الصادّين عن دعوة التّوحيد على الإمام- رحمه الله- أنه يقول عن النبي ﷺ:
"إنه طارش: بمعنى أن غاية أمره أنه كالطارش الذي يُرسل إلى أناس في أمر فيبلغهم إياه ثم
ينصرف"^(١).

ومن مسالك الصد عن الدعوة قولهم عن الإمام إنه يقول: "إني نظرت في قصة الحديبيّة
فوجدت فيها كذا وكذا كذبة، إلى غير ذلك مما يُشبهه هذا؛ حتى أن أتباعهم يفعلون ذلك أيضاً،
ويعلم بذلك ويظهر عليه الرضا به، حتى كان بعضهم يقول: عصايا خير من محمد؛ لأنها يُنتفع
بها بقتل الحيّة ونحوها، ومحمد قد مات، ولم يبق فيه نفع أصلاً، وإنما هو طارش ومضى"^(٢).
ثم بعد هذه الأقوال يحكم الخصم بكفر الإمام عند أصحاب المذاهب الأربعة^(٣) على حدّ
زعمه زيادة في التّنفير، والصد عن الدعوة.

ولم يقتصر جهد الخصوم في اتهام نيّة الإمام، والتّشكيك فيها للتّنفير من دعوته على
داخل بلاد الإمام وما جاورها؛ بل جاوزت البحار والجبال والآكام، ففي بلاد الهند أشاعوا عن
دعوة الإمام "أن رجلا اسمه عبد الوهاب النجدي قد كان في منتهى عدائه للنبي ﷺ حتى اتخذ
نفقاً في داخل الأرض لكي يصل إلى روضة النبي ﷺ؛ حتى يستخرج منها جثته المطهّرة
ويتلاعب بها، نعوذ بالله من ذلك، فرأى الملك النبي ﷺ في المنام أنه ينبهه على هذه الخطة
الخبثيّة، فبحث الملك عن الأمر، فوجده مطابقاً لما رآه في المنام، وقبض على الرجل، فضرب
عنقه"^(٤).

ولشناعة هذا المسلك وكبر جرمه عبّر عنه الخصوم بأسلوبهم الفج بلا شواهد ولا براهين
كقولهم: "فمن ذلك أنه يضمّر دعوى النبوة، وتظهر عليه قرائنها بلسان الحال لا بلسان المقال
لئلا تنفر عنه الناس"^(٥).

(١) مصباح الظلام- علوي الحداد (٤)، وانظر الصواعق والرعود- عبد الله بن داود- صحيفة(١٦٩ب).

(٢) مصباح الأنام وجلاء الظلام في رد شبه البدعي النجدي التي أضل بها العوام- علوي الحداد (٤)، وانظر: الصواعق
والرعود- عبد الله بن داود- صحيفة(١٦٩).

(٣) انظر: مصباح الأنام وجلاء الظلام في رد شبه البدعي النجدي التي أضل بها العوام- علوي الحداد (٤).

(٤) دعايات مكثفة ضد الإمام محمد بن عبد الوهاب- محمد منظور النعماني (٥٢-٥٣).

(٥) مصباح الأنام وجلاء الظلام في رد شبه البدعي النجدي التي أضل بها العوام- علوي الحداد (٤).

وإذا أتت مثل هذه الفرية على لسان شخص له مكانة ومنزلة في نظر الناس صار أثرها أظمَّ وأعظم، فكيف إذا صدرت من شخص يُنظر له أنه عالم ومفتٍ؟، بل وقاضٍ في بلد الله الحرام مهبط الوحي ومهد الرسالة، فكيف سيكون أثرها على من لا يدرك مرمى الكلام وحقيقته ودوافعه؟، فمن يقرأ ما سطره أحمد زيني دحلان^(١) بقوله: "والظاهر من حال محمد بن عبد الوهاب أنه يدعي النبوة؛ إلا أنه ما قدر على إظهار التّصريح بذلك، وكان في أول أمره مُولعًا بمطالعة أخبار من ادعى النبوة كاذبًا"^(٢).

ولم تقتصر هذه الفرية على الخصوم المحليين؛ بل راجت حتى في مؤلفات المستشرقين الذين تناولوا الإمام ودعوته ودولة التّوحيد بمثل هذه الفرية، والتي أخذوها عن خصوم الدعوة المحليين^(٣).

وتجاوزت هذه الفرية الإمام- رحمه الله- إلى من كان له دور فعّال في نشر دعوة الإمام، ومن ساندته ومكّن لهذه الدعوة، وهو الإمام سعود^(٤)- رحمه الله- فلم يسلم من هذه الفرية، مما يدل على أنها دعاية كاذبة تُلصق بمن يُعارض السياسة وصناعاتها، فقد ورد في الوثائق والمكاتبات بين الدولة العثمانية وساستها أن الإمام سعود يتدرج من دعوى الخلافة إلى دعوى النبوة مع مرور الزمن^(٥).

(١) أحمد بن زيني دحلان فقيه مكّي مؤرخ، ولد بمكة سنة (١٢٣٢هـ) وتولى فيها الإفتاء والتّدريس، وفي أيامه أنشئت أول مطبعة بمكة فطبع فيها بعض كتبه، من تصانيفه الفتوحات الإسلامية، ورسالة في الرد على الوهابية، وخلاصة الكلام في أمراء البلد الحرام، توفي في المدينة سنة (١٣٠٤هـ). انظر: الأعلام للزركلي (١/١٢٩-١٣٠).

(٢) الدرر السنية في الرد على الوهابية- أحمد دحلان (٣٢).

(٣) انظر: مواقف المستشرقين من دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب- عبد الله الدميحي (١١١-١١٢).

(٤) سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود، تولى بعد قتل أبيه، أخذ العلم عن الإمام، وقرأ عليه، ولازم دروسه، كان ذا همّة ورأي، شجاعًا مجاهدًا، وملازمًا للعلماء في سلمه وحره، اتسعت الدولة في عصره، توفي بالدرعية سنة (١٢٢٩هـ). انظر: عنوان المجد في تاريخ نجد- عثمان بن بشر (١/٣٢٠-٣٣٨)، والأعلام للزركلي (٣/٩٠-٩١)، وعلماء نجد خلال ثمانية قرون- عبد الله البسام (٢/٢٤١-٢٥٠)، ونسب آل سعود- فائز البدراي، وراشد بن عساكر (٥٣).

(٥) انظر: من وثائق تاريخ شبه الجزيرة العربية في العصر الحديث- تحقيق: عبد الرحيم عبد الرحمن (١/٩٨).



ومن له أدنى اطلاع على إرث الإمام الفكري يتبين له بُطلان هذا الزيف الذي سطره أعداء الله ورسوله ﷺ، والذين يريدون أن يصدوا عن سبيل الله ويغونها عوجًا، ويسعون في الأرض فسادًا، والله لا يحب المفسدين^(١).

ومع هذا فالإمام- رحمه الله- قد بذل جهده ووسعه في بيان الهدى من الضلال، وحث على اتباع سيد الأنام ﷺ، فهو يُصرِّح بنقيض قول الخصوم فيقول: "وأومن بأن نبينا محمدًا ﷺ خاتم النبيين والمرسلين، ولا يصح إيمان عبد حتى يؤمن برسالته ويشهد بنبوته"^(٢).

وتتابع جهوده في بيان حق الرسول ﷺ الواجب على أتباعه، وخطورة مآل وحكم من رفع أحدًا فوق منزلته عليه- الصلاة والسلام- بقوله: "وأعظم من ذلك حق النبي ﷺ وأفرضه شهادتك له أنه رسول الله، وأنه خاتم النبيين، وتعلم أنك لو ترفع واحدًا من الصحابة في منزلة النبوة، صرت كافرًا"^(٣).

وتصريحه بكفر من يدعي هذا المقام، فيه رد على الخصوم، حيث لا يتصور عاقل أن الشخص يحكم على نفسه بالكفر.

ومع ذلك كله فهو يقول: "وأومن بشفاعة النبي ﷺ وأنه أول شافع وأول مشفع، ولا ينكر شفاعة النبي ﷺ إلا أهل البدع والضلال"^(٤).

لذا فقد جدَّ- رحمه الله- واجتهد في دعوة النَّاس إلى السنَّة ونهيمهم عن البدعة، والتَّحذير من مغبة الوقوع فيها لمخالفتها لهدي النبي ﷺ.

فكيف بمن يزعمون أنه يدعي النبوة؟!، وهذا الزعم أمر غيبي لا يطلع عليه ملك مقرب ولا نبي مُرسل، فكيف ساغ لهم أن يدعوا علم ما في القلوب مما لا يطلع عليه إلا علام الغيوب، ومن ادعى ذلك فهو كافر، ثم ما هذه القرائن التي زعموا أنها ظهرت عليه بلسان الحال، فهلا ذكروا قرينة واحدة من ذلك، فإنه لم يُصرِّح في دعوته إلا بالحق، وإخلاص العبادة لله وحده، وأن يكون الدين كله لله^(٥).

(١) انظر: الضياء الشارق في رد شبهات الماذق المارق- سليمان بن سحمان (٦٢).

(٢) مجموع مؤلفات الشيخ- الرسائل الشخصية (٦/٣).

(٣) انظر: الدرر السنية في الأجوبة النجدية- جمع: عبد الرحمن بن قاسم (١٧١/١).

(٤) مجموع مؤلفات الشيخ- الرسائل الشخصية (٦/٣).

(٥) انظر: الأسنة الحداد في رد شبهات علوي الحداد- سليمان بن سحمان (١٢).

المبحث الثاني: شبهات لا تُخرج من الملة

لم يترك خصوم الإمام- رحمه الله- عقبة تحول دون تحقيق نجاح دعوته إلا سلكوها، سواء كان طعنًا، أو تشكيكًا، أو قدحًا في الأدلة، وقصدتهم صدّ الناس عن الحق وتنفير المدعويين والأتباع.

ولما كان من أسس دعوة الإمام العودة بالناس إلى الإسلام في صفائه الذي ترك النبي ﷺ أمته عليه، سالمًا مما أحدث من المحدثات والبدع^(١)؛ لذلك شق أكلة أموال الناس بالباطل من أهل البدع على اختلاف مشاربهم بهذه الدعوة المباركة.

والإمام- رحمه الله- أمر بما أمر به الرسول ﷺ، ونهى عما نهى عنه ﷺ من البدع والضلالات بقوله ﷺ: "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو ردُّ"^(٢)، وقوله: "إياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل محدثة بدعة... الحديث"^(٣).

والزمن الذي عاشه الإمام- رحمه الله- كان مليئًا بالبدع والخرافات، وموقف الإمام ونهيه عنها يُثقل أهل البدع والتضليل الذين يسعون لتغييب الفكر؛ حتى يسهل إيقاع صاحبه في الضلال والحيرة، فيتزعزع أمنه النفسي والفكري فيقع في مهاوي الردى.

(١) البدع مفردًا بدعة، والبدعة في اللغة: من بدع الشيء يبدعه بدعًا، وابتدعه: أنشأه وبدأه.

والبدعة: الحدث، وما ابتدع في الدين بعد الإكمال لا على مثال سابق انظر: لسان العرب- ابن منظور- باب الباء(١/٣٤١-٣٤٢). فأصل هذه الكلمة من الاختراع، وهو الشيء الذي يحدث من غير أصل مسبق، ولا مثال، ولا ألف مثله عن أهل السنة انظر: مختصر الحوادث والبدع- محمد الطرطوشي(١٩). والبدعة في الشرع هي: "طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشرعية يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التّعبد لله سبحانه" الاعتصام - إبراهيم الشاطبي (٢٨).

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الصلح- باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود (٢١٤) (ح٢٦٩٧)، ومسلم في صحيحه، كتاب الأفضية-باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور(٩٨٢)(ح١٧١٨).

(٣) رواه أبو داود في سننه-كتاب السنة- باب لزوم السنة (١٥٦١) (ح٤٦٠٩)، والترمذي في الجامع-كتاب العلم- باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدعة (١٩٢١) (ح٢٦٧٦)، وقال: هذا حديث حسن صحيح، والحديث صححه الألباني كما في صحيح سنن أبي داود (٨٧٢/٣) (ح٣٨٥٣).



لذا ورد النهي الصريح عن الإحداث في الدين والابتداع في شريعة رب العالمين^(١)؛ لأن البدعة من أعظم مظاهر الانحراف الفكري، ومن أخطر معوقات الأمن الفكري^(٢).

فمتى شاعت البدع اضطرب الأمن الفكري، وما خوف النبي ﷺ على أمته من البدع، وتحذيره لها إلا لعلمه ﷺ لما للابتداع من أثر على زعزعة العقيدة، وضلال الفكر، الذي ترتفع بسببه الطمأنينة عن النفس ويحتم عليها نقيضها من الحيرة والضلال^(٣).

فمتابعة الإنسان لفكر غيره دون تمييز، وانقياده وراء الآراء التي ليس لها مُستند شرعي يدل على انعدام الطمأنينة، ويقود إلى اعتداء صريح على الفكر الذي وهبه الله للإنسان ليميز به السبيل الموصل إلى هداه، فمن لم يُسلم للنصوص، ويكون قدوته المعصوم ﷺ، والذي في اتباعه العصمة الموافقة للعقل والفكر، والسلامة من التيه في دروب الغواية، ضلَّ سعيه في الحياة، وجنى خسران الآخرة^(٤).

قال الإمام مالك - رحمه الله -: "من ابتدع في الإسلام بدعةً يراها حسنة فقد زعم أن محمداً ﷺ خان الرسالة؛ لأن الله يقول: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾^(٥) فما لم يكن يومئذ ديناً، لا يكون اليوم ديناً"^(٦).

فالسنة لا تجتمع مع البدعة، وكلما كانت السنة أكثر ظهوراً شرق أهل البدعة بها، وأخذوا يدسون دسائسهم لتغيير الناس منها وإشاعة باطلهم، فكيف تكون استماتتهم إذا كانت البدعة هي الظاهرة، والحق في نظر أتباعها حادث، وقد عارض أهل البدع دعوة الإمام؛

(١) انظر: إستراتيجية تعزيز الأمن الفكري - محمد الهماش (١٢)، بحث مقدم للمؤتمر الأول للأمن الفكري (١٤٣٠هـ).

(٢) انظر: جهود سماحة الإمام عبد العزيز بن باز في تعزيز الأمن الفكري - عبد الله السهلي (١٧)، بحث مقدم للمؤتمر الأول للأمن الفكري (١٤٣٠هـ).

(٣) انظر: رؤية للأمن الفكري وسبل مواجهة الفكر المنحرف - علي فايز الجحني - المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب (٥٤/١٤) (عدد ٢٧)، وانظر: مدى توافر الخبرات التربوية المصاحبة في منهج التوحيد وإسهامها في تعزيز الأمن الفكري لدى طالبات الصف الثالث الثانوي من وجهة نظر مشرفات ومعلمات التربية الإسلامية بمنطقة مكة المكرمة - لطيفة قمر (٢٦-٢٧).

(٤) انظر: استثمار مسائل الاعتقاد في حماية الأمن الفكري - عبد اللطيف الحفظي (١٠)، بحث مقدم للمؤتمر الوطني الأول للأمن الفكري (١٤٣٠هـ).

(٥) سورة المائدة آية رقم [٣].

(٦) الاعتصام - إبراهيم الشاطي (٣٧).

لأنها كشفت عوارهم، وردت الناس إلى الهدى الذي ترك الرسول ﷺ أمته عليه، "قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك"^(١).

وما كان سبب زيغ من زاغ إلا بمعاندته للشرع ومشاقته له "لأن الشارع قد عيّن لمطالب العبد طرقاً خاصةً على وجوهٍ خاصةٍ، وقصر الخلق عليها بالأمر والنهي والوعد والوعيد، وأخبر أن الخير فيها، وأن الشر في تعديها إلى غير ذلك؛ لأن الله يعلم ونحن لا نعلم، وإنه إنما أرسل الرسول ﷺ رحمةً للعالمين، فالمبتدع راؤٌ لهذا كله، فإنه يزعم أن ثمَّ طرقاً أخرى ليس ما حصره الشارع بمحصور، ولا ما عينه بمتعين، كأن الشارع يعلم ونحن أيضاً نعلم؛ بل ربما يفهم من استدراكه الطرق على الشارع أنه علم ما لم يعلمه الشارع"^(٢).

فالإسلام إما سنةٌ سنّها رسول الله ﷺ وعمل بها وأمر بها، أو بدعةٌ محدثة لا أصل لها في الدين، ولا شك أن الابتداع في الدين كان ولا يزال من أعظم الأسباب التي وقفت عائقاً من معوقات أمن الأمة الفكري؛ لما يُحدثه من تشتت الفكر وتنازع الأهواء؛ ومن هنا جاء نهي "الإسلام عن الابتداع في الدين، حيث إن من دواعي اضطراب الأمن الفكري واختلاله انتشار البدع التي تعود إلى استحسان العقول لما تراه، وتغليبه على اتباع النصوص"^(٣).

لذا فقد حذر الإمام - رحمه الله - من شبهات البدع والمبتدعة التي أُثيرت للصد عن دعوته، ونهى عنها وكشف عوار منتحليها، وهذا ما جعل أرباب البدع يقفون من الإمام - رحمه الله - موقف الخصم اللدود، ومن أبرز هذه الشبهات التي كانت متفشية في عصره ولا تصل إلى حد الكفر ما سيتطرق له الباحث من خلال المطالب التالية:

(١) جزء من حديث سبق تخرجه.

(٢) الاعتصام - إبراهيم الشاطبي (٣٧).

(٣) الأمن الفكري مفهومه وأهميته ومتطلبات تحقيقه - عبد الحفيظ المالكي (٤٥) مجلة البحوث الأمنية العدد (٤٣) شعبان (١٤٣٠هـ).



المطلب الأول: شبهة البناء على القبور، والطعن في دعوة الإمام بسببها

بيّن أهل العلم أن من المحدثات البناء على القبور لنهي النبي ﷺ عن ذلك ففي حديث جابر- رضي الله عنه- قال: نهى رسول الله ﷺ: " أن يخصص القبر، وأن يقعد عليه، وأن يُبنى عليه"^(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله-: "من المعلوم ما قد ابتلي به كثير من هذه الأمة، من بناء المساجد على القبور، واتخاذ القبور مساجد بلا بناء، وكلا الأمرين محرم ملعون فاعله بالمستفيض من السنة، وليس هذا موضع استقصاء ما في ذلك من سائر الأحاديث والآثار، إذ الغرض القاعدة الكلية، وإن كان تحريم ذلك ذكره غير واحد من علماء الطوائف، من أصحاب مالك والشافعي وأحمد وغيرهم، ولهذا كان السلف من الصحابة والتابعين يبالغون في المنع مما يجر إلى مثل هذا"^(٢).

ولا ريب في أن البناء على القبور ذريعة من ذرائع الشرك " فإن النفوس قد أشركت بتماثيل القوم الصالحين، وتماثيل يزعمون أنها طلاس للكواكب ونحو ذلك، فإن الشرك بقبر الرجل الذي يعتقد صلاحه أقرب إلى النفوس من الشرك بخشبة أو حجر، ولهذا نجد أهل الشرك كثيراً يتضرعون عندها، ويخشعون ويخضعون، ويعبدونهم بقلوبهم عبادة لا يفعلونها في بيوت الله، ولا وقت السحر، ومنهم من يسجد لها، وأكثرهم يرجون من بركة الصلاة عندها والدعاء ما لا يرجونه في المساجد؛ فلأجل هذه المفسدة حسم النبي- صلى الله تعالى عليه وآله وسلم- مادتها، حتى نهى عن الصلاة في المقبرة مطلقاً، وإن لم يقصد المصلي بركة البقعة بصلاته، كما يقصد بصلاته بركة المساجد، كما نهى عن الصلاة وقت طلوع الشمس وغروبها؛ لأنها أوقات يقصد المشركون الصلاة فيها للشمس، فهي أمته عن الصلاة حينئذ، وإن لم يقصد المصلي ما قصده المشركون، سدّاً للذريعة"^(٣).

(١) رواه مسلم في صحيحه- كتاب الجنائز- باب النهي عن تخصيص القبر والبناء عليه (٨٣٠) (ح ٩٧٠).

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم (٣٥٥/٢).

(٣) إغاثة اللفهان من مصائد الشيطان- ابن القيم (١٨٤/١-١٨٥).

وحكم العلماء في المساجد المبنية على القبور ظاهر وواضح ولا لبس فيه، ولما ذكر ابن القيم -رحمه الله- هدم مسجد الضرار وتحريقه، قال: "ففي هذا دليل على هدم ما هو أعظم فساداً منه، كالمساجد المبنية على القبور، فإنَّ حكم الإسلام فيها أن تُهدم كلها حتى تسوى بالأرض، وهي أولى بالهدم من مسجد الضرار، وكذلك القباب التي على القبور، يجب أن تُهدم كلها؛ لأنَّها أسست على معصية الرسول؛ لأنَّه قد نهي عن البناء على القبور، فبناء أسس على معصيته ومخالفته بناءً غير محترم"^(١)، وهذا كان فعل النبي -عليه الصلاة والسلام-، فقد بادر إلى محو آثار الشرك، فعندما أسلم أهل الطائف طلبوا منه أن يمهلهم في هدم اللات ثلاث سنين فأبى عليهم، ثم ما زالوا به حتى طلبوا أن يمهلهم شهراً، وكان قصدهم مراعاة قومهم حتى يدخلهم الإسلام، ومع ذلك يأبى عليهم رسول الله، وهو الأعم بما يُصلح حال الأمة؛ فلذا لا ينبغي إبقاء شعائر الكفر مع القدرة عليها يوماً واحداً، وكذا المشاهد التي تُبنى على القبور^(٢).

وفي زمن الإمام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- استمات أهل الباطل في سبيل الدفاع عن هذه البدعة بالأرواح لا بالكلام والتنفير فحسب، وقد بذلوا في سبيل إحياء بدعتهم المهج والأموال والأوقات، وهجروا الأهل والأولاد من أجل تأليب الناس واستعدادهم على الإمام كما قال -رحمه الله-: "...المويس وخواص أصحابه ركبوا، وتركوا أهليهم وأموالهم إلى أهل قبة الكواز"^(٣)، وقبة رجب^(٤) ويقولون: إنه قد خرج من ينكر قبلكم وما أنتم عليه، وقد أحل دماءهم وأموالهم، وكذلك ابن إسماعيل^(٥)، وابن ربيعة^(٦)، والمويس أيضاً بعدهم بسنة رحلوا إلى

(١) المرجع السابق (٢١٠/١).

(٢) انظر زاد المعاد في هدي خير العباد- ابن قيم الجوزية (٤٩٩/٣، ٥٠٦).

(٣) قبة بمسجد بمدينة البصرة، نسبة إلى محمد أمين الكواز، صوفي من شيوخ الطريقة الشاذلية، توفي سنة (٩٥٣هـ) ودفن في المسجد، الكشاف الأثري في العراق- قحطان صالح (٢٨٧).

(٤) لم أقف لها على تعريف، أو موقع.

(٥) من خصوم الدعوة المكابرين ورد كثيراً في كتابات الإمام -رحمه الله-. انظر: تاريخ ابن غنام (٣٢٥/١، ٣٣٦، ٣٤٠، ٤٢٤، ٤٣١، ٤٦٦، ٥٠٠)، (٧١٧/٢)، ورغم التبع لم أقف له على ترجمة.

(٦) من خصوم الدعوة ذكره الإمام في مواضع من رسائله. يُنظر: مجموع مؤلفات الشيخ- الرسائل الشخصية (١٥/٣)، (١١٣)، وتاريخ ابن غنام (٤٢٤/١، ٥٠٠). ولم أقف له على ترجمة مع وجود تشابه له في الاسم.



أهل قبة أبي طالب^(١) وأغروهم بمن صدق النبي ﷺ وأحلوا دماءنا وأموالنا حتى جرى على الناس ما تعرف^(٢).

وقد ادَّعوا أن الإمام - رحمه الله - نبش قبور الأولياء، وأمر أن يُجعل محلاً لقضاء الحاجات مبالغة في التَّنْفِير من دعوته، وصدًا للناس عن الهدى^(٣).

ويستعمل الخصوم العبارات الشرعيَّة لاتهام الحق وأهله بالباطل، فيقول سليمان بن سحيم: "فمن بدعه، (أي: الإمام محمد بن عبد الوهاب)، وضلالاته أنه عمد إلى شهداء أصحاب رسول الله ﷺ الكائنين في الجبيلة^(٤)، زيد بن الخطاب وأصحابه، وهدم قبورهم وبعثرها؛ لأجل أنهم في حجارة، ولا يقدر أن يحفروا لهم، فطووا على أضرحتهم قدر ذراع ليمنعوا الرائحة والسباع، والدفان لهم خالد وأصحاب رسول الله ﷺ، وعمد أيضًا إلى مسجد في ذلك وهدمه"^(٥).

وفي هذا القول من التَّجني ومجانبة الصواب والتَّعبير بالعبارات المُهيجَة للعواطف ما يكشف عمَّا في طويَّة الخصوم من تعمد للصد عن هدى الله، ففي قوله: وبعثرها، أي القبور؛ لأجل أنهم في حجارة، ولا يقدر أن يحفروا لهم، فطووا على قبورهم قدر ذراع حماية لها من العوادي والسباع، فهذا كذب وزور وتشنيع على الإمام - رحمه الله - وتنفير للناس عن دعوته، وصد للخلق عن الحق بالباطل والفجور، وكلامه تكذُّبه المشاهدة والواقع، فإن الموضع الذي فيه تلك القبور موضع سهل لِيَن الحفر، وأهل العيننة والجبيلة وغيرها من بلدان العارض يدفنون موتاهم في تلك المقبرة، وهي أرض سهلة لا حجارة فيها، ثم إن قبور الصحابة لا يُعرف

(١) الشريف أبو طالب بن حسن بن أبي نمي، ولد سنة (٩٦٥هـ) أو (٩٦٦هـ) من حكام مكة المتعدين الغاصبين، كان يخرج إلى نجد ويضع عليهم الخراج فإن أُعطي وإلا حاربهم، ومن الغلو فيه، بُني على قبره قبة فكانت تُقصد وقت النوائب، توفي سنة (١٠١٢هـ). انظر: تاريخ ابن غنام (١٧٧/١-١٧٨)، وخلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام - أحمد دحلان (٦٣-٦٤).

(٢) مجموع مؤلفات الشيخ - الرسائل الشخصية (٣/١٥-١٦).

(٣) انظر: الضياء الشارق في رد شبهات الماذق المارق - سليمان بن سحمان (١٢٦-١٢٧).

(٤) الجبيلة: تصغير جبلة، بلدة صغيرة تقع شمال غرب مدينة الرياض، في أنف جبل قريبة من حديقة مُسليمة، استشهد بها جمع من الصحابة منهم زيد بن الخطاب. معجم اليمامة - عبد الله بن خميس (١/٢٦٤).

(٥) تاريخ ابن غنام (١/٣٤٤-٣٤٥)، وانظر: الصواعق والرعود - عبد الله بن داود - صحيفة (٤٤ب).

مكانها على وجه التَّحديد، ولا يُعرف قبر زيد من قبر غيره؛ وإنما هذا كذب على الناس، وفتنة لهم، فأخذ المبتدعة يسمون القبور بأسماء الصحابة ويستغلون أسماءهم لمكتسباتهم^(١).

وجاء ورثة أهل الضلال حتى قال قائلهم: "هدم الوهايية المسجد الذي عند قبر سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب"^(٢) - رضي الله عنه - بأحد، بعد ما هدموا القبة التي على القبر، وأزالوا تلك الآثار الجليلة، ومحو ذلك المسجد العظيم الواسع، فلا يرى الزائر لقبر حمزة اليوم إلا أثرًا على تل من التراب؛ لاعتقادهم أن هذا محرم؛ بل شرك وكفر"^(٣).

ويقول أيضًا: "لما دخل الوهايون إلى الطائف هدموا قبة ابن عباس"^(٤) - رضي الله عنهما - كما فعلوا في المرة الأولى، ولما دخلوا مكة المكرمة هدموا قبة عبد المطلب^(٥) جد النبي ﷺ، وأبي طالب^(٦) عمه، وخديجة أم المؤمنين^(٧)،

(١) انظر: تاريخ ابن غنام (١/٣٦٢-٣٦٣)، والضياء الشارق في رد شبهات الماذق المارق - سليمان بن سحمان (١٢٦)، ودعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب سلفية لا وهايية - أحمد الحصين (٣٣٠).

(٢) حمزة بن عبد المطلب ابن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب، أسد الله، عم رسول الله ﷺ وأخوه من الرضاعة، قال ابن إسحاق: لما أسلم حمزة، علمت قريش أن رسول الله ﷺ قد امتنع، توفي شهيدًا يوم أحد، عن أنس قال: لما كان يوم أحد وقف رسول الله ﷺ على حمزة وقد جُدد ومثل به، فقال: "لولا أن تجد صفة في نفسها، لتركته حتى يحشره الله من بطون السباع والطير". انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (١/١٧١-١٨٤)، والإصابة في تمييز الصحابة - أحمد بن حجر (٢/٣٧-٣٨) وكان يُفعل عند قبره شنائع. انظر: تاريخ ابن غنام (١/١٨٠).

(٣) كشف الارتباب - محسن الأمين (٣٢٩).

(٤) حيث يقف القاصد لقبره - رضي الله عنه - مُتضرعًا مُستغيثًا، ويسألونه الحاجات، وينادون بوجود واحتراق: "اليوم على الله وعليك يا ابن عباس". تاريخ ابن غنام (١/١٧٩).

(٥) قبر عبد المطلب لم يكن معروفًا لدى المتقدمين من مؤرخي مكة لذا نصوا على عدم معرفة قبر أحد من الصحابة إلا قبر ميمونة بنت الحارث زوج النبي ﷺ في سرف، ثم أُقيم قبة لقبر خديجة - رضي الله عنها - كما سيأتي، ثم أُقيم بجوار تلك القبة في أول القرن الحادي عشر قبتان تحمل إحداهما اسم عبد المطلب، والأخرى أبي طالب، وارتباط هذه الأسماء الثلاثة بأحداث مهمة في حياة رسول الله ﷺ فأضفي عليها عند الجهال إجلال وتعظيم. انظر: هذه بلادنا ١٩ مكة المكرمة - إبراهيم أحمد حسن كفي (٨٣).

(٦) انظر: الحاشية السابقة.

(٧) قبر أم المؤمنين خديجة - رضي الله عنها - كان مجهولاً لدى مؤرخي مكة حتى القرن الثامن الهجري، وفجأة أصبح معروفًا، بعد أن رأى أحد العارفين في المنام كأن نورًا ينبعث من شعبة النور في مقبرة المعلاة، ولما علم أمير مكة في ذلك العهد بخبر تلك الرؤيا أمر ببناء قبة فوق المكان الذي رأى ذلك العارف أن النور ينبعث منه، جازمًا ذلك الأمير أن ذلك المكان هو قبر خديجة - رضي الله عنها - فأصبح معروف المكان بعد أن لم يكن. انظر: مجلة العرب - عدد رمضان وشوال (١٣٩٥) حمد الجاسر.



ولما دخلوا جدة هدموا قبة حواء^(١)، وخرّبوا قبرها، كما خربوا قبور من ذُكر أيضاً، وهدموا جميع ما بمكة ونواحيها، والطائف ونواحيها من القباب، والمزارات والأمكنة التي يُتبرك بها^(٢).
 ويُروى الخصوم لهذه العبارات المشتملة بزعمهم على التّخريب والهدم، والتي لا متكأ لها من شريعة ولا دين وإنما أرادوا بها صرف الجهال عن الحق.
 بل ويزعمون افتراءً على شريعة رب العالمين أن البناء على القبور مُباحٌ أو مكروهٌ، وأنه لم يُسمع من العلماء قولاً غير الكراهة^(٣).

وطعن الخصوم في دعوة الإمام- رحمه الله- بسبب هذه البدعة بيّن ظاهر رغم وضوح موقفه منها، حيث يقول لما سُئل عنها: "أما بناء القباب عليها (أي: القبور) فيجب هدمها، ولا علمت أنه يصل إلى الشرك الأكبر"^(٤)، وهذا خلاف زعم الخصوم أنه يُكفر على هذا العمل.

وأصل الإمام- رحمه الله- الذي بنى عليه الموقف الشرعي من هذه البدعة، وأمر به أتباعه ليعملوا به بيّن ظاهر، وهو امتثال وصيّة رسول الله ﷺ لعلي بن أبي طالب- رضي الله عنه- بقوله: "...أن لا تدع صورة إلا طمستها، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته"^(٥).

وكان جهد الإمام- رحمه الله- إضافة إلى البيان كما سبق علمياً عملياً مشاهدًا، ويتضح ذلك جلياً من هدم الإمام- رحمه الله- قبة قبر زيد بن الخطاب- رضي الله عنه- فقد استثمر

(١) وهذا من تلبس إبليس فلا يثبت أن هذا الموضع دفنت فيه حواء- عليها السلام- وقد كان يحصل عنده ضلال مبين، فيُحجى عنده أموال طائلة، يدفعها مُريد السلام على أمه، وما يُذكر من طوله يبعد أن يكون قبراً؛ بل قد يكون من معابد الجاهليّة، ومن حرص على بقاء هذا الوثن قناصل الدول الكافرة الذين يحرصون على فساد المعتقد، ففي عهد الشريف عون الرفيق المُتوفى سنة (١٣٢٣هـ) والذي أراد هدم هذه القبة اعترضوا عليه بدعوى أنها ليست أم المسلمين وحدهم. انظر: الرحلة الحجازيّة- محمد البتوني (١١-١٥)، تاريخ ابن غنام (١/١٨٠)، ومجلة العرب- عدد رمضان (١٤٠٠هـ) (٢٣٣).

(٢) كشف الارتباب- محسن الأمين (٥٥).

(٣) انظر: الصواعق والرعود- عبد الله بن داود- صحيفة (٦٤ب).

(٤) مجموع مؤلفات الشيخ- فتاوى ومسائل (٦٣/٢).

(٥) رواه مسلم في صحيحه- كتاب الجنائز- باب تسوية القبور (٨٣٠) (ح٢٢٤٣).

الحمية الدينية التي ظهرت عند الأمير عثمان بن معمر^(١)، في إزالة المنكر، ولذا فقد: "أمر الإمام محمد الأمير عثمان بهدم القباب والمساجد المبنية في الجبيلة على قبور الصحابة... فبادر عثمان لذلك وامتل، وخرج الإمام معه وجماعتهم على عجل، وخرجوا بالمعاول، والكل للأجر أمل، فهدموا تلك المساجد، وأزالوا رفيع المشاهد، وأزالوا جميع المحظور عن جميع تلك القبور، وعُدلت على السنن المشروع، واندرس الأمر الممنوع"^(٢).

وقد فصل ابن بشر^(٣) - رحمه الله - في هذه الحادثة فقال: "إن الإمام أراد أن يهدم قبة قبر زيد بن الخطاب - رضي الله عنه - التي عند الجبيلة فقال لعثمان: دعنا نهدم هذه القبة التي وضعت على الباطل، وضل بها الناس عن الهدى فقال: دونكها فاهدمها فقال الإمام: إني أخاف من أهل بلد الجبيلة؛ أن ينصروها ويوقعوا بنا، ولا أستطيع هدمها إلا وأنت معي، فسار معه عثمان بنحو ستمائة رجل، فأراد أهل الجبيلة أن يمنعوه من هدمها، فلما رأوا عثمان وأنه عزم على حربهم إن لم يتركوه يهدمها كفوا، وخلوا بينهم وبينها، فهدم فيها الإمام بيده لما تهيّب هدمها الذين معه، فانتظر جهلة أهل البلد ما يحدث على الإمام بسبب هدمها، فأصبح في أحسن حال"^(٤).

ولم يقيم الإمام بهذا العمل إلا سداً لذرائع الشرك ولغلظ هذه البدعة، وتحذير النبي ﷺ منها، يقول الإمام - رحمه الله -: "هذه الأمور من أسباب حدوث الشرك، فيشتد نكير العلماء

(١) عثمان بن حمد بن معمر، أمير العينية في بدء أيام الإمام محمد بن عبد الوهاب، قصده الإمام، وكان مما قال له: "أرجو إن قمت بنصر لا إله إلا الله أن يظهر الله - تعالى - وتملك نجدًا وأعراها" فوعده بمساعدته، ثم رجع عن ذلك بسبب تهديد ابن عريعر، ففارقه الإمام إلى محمد بن سعود بالدرعية سنة (١١٥٨هـ) ناصر الإمام في مواطن عدة، وقاتل معه أعداءه، إلا أن بعض رجاله من أنصار الإمام ذكروا أنهم تحققوا منه نقض العهد وموالاته الأعداء سرا، قُتل سنة (١١٦٣هـ). انظر: تاريخ بن غنام (١٦/٢)، وعنوان المجد في تاريخ نجد - عثمان بن بشر (٩/١ - ٢٣)، والأعلام للزركلي (٤/٢٠٤).

(٢) تاريخ بن غنام (١/٢١٦).

(٣) عثمان بن عبد الله بن عثمان بن بشر النجدي الحنبلي من قبيلة بني زيد، أديب مؤرخ، ولد في بلدة جلاجل سنة (١٢١٠هـ) ونشأ بها، وقرأ القرآن ثم أخذ في قراءة العلوم على عدة مشايخ من علماء نجد منهم: إبراهيم بن سيف، غنيم بن يوسف، وعثمان بن عبد العزيز بن منصور الناصري، صنّف - رحمه الله - مؤلفات منها: عنوان المجد في تاريخ نجد، والإشارة في معرفة منازل السبع السيارة، وغيرها، توفي سنة (١٢٩٠هـ) في بلدة جلاجل. انظر: الأعلام للزركلي (٤/٢٩)، علماء نجد خلال ثمانية قرون - عبد الله البسام (٥/١١٥-١٢٦).

(٤) عنوان المجد في تاريخ نجد - عثمان بن بشر (١/٨٦).



لذلك، كما صحَّ عنه ﷺ أنه قال: "لعنة الله على اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد"^(١)، وذكر العلماء أنه يجب التَّغْلِيظُ في هذه الأمور؛ لأنه يفتح باب الشرك، كما أنه أول ما حدث في الأرض بسبب ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر، لما عكفوا على قبورهم، ثم صوروا تماثيلهم يتذكرون بها الآخرة، ثم بعد ذلك بقرون عُبدوا، فكذلك في هذه الأمة كما قال ﷺ: "التتبعن سنن من قبلكم شبرًا بشبر وذرأعًا بذرأع حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه"^(٢).

فأول ما حدث الصلاة عند القبور والبناء عليها من غير شرك، ثم بعد ذلك بقرون وقع الشرك، وأول ما جرى من هذا أن بني أمية لما بنوا مسجد الرسول ﷺ وسَّعوه، واشتروا بيوتًا حوله، ولم يمكنهم إدخال بيت النبي ﷺ الذي فيه قبره وقبر صاحبيه، ولكن أدخلوا البيت في المسجد؛ لأجل توسيع المسجد، ولم يقصدوا تعظيم الحجرة بذلك؛ لكن قصدوا تعظيم المسجد، ومع هذا أنكره علماء المدينة حتى قُتل خبيب بن عبد الله بن الزبير^(٣)؛ بسبب إنكاره ذلك، فانظر إلى سدِّ العلماء الذرائع"^(٤).

ومن جهود الإمام - رحمه الله - أنه بين موقفه من هذه البدعة وبيان ما فيها من لبس لمن أراد الله هدايته في مراسلاته^(٥)، وفي مؤلفاته، فقد ضمَّن أبواب كتاب التَّوْحِيدِ، باب ما جاء في التَّغْلِيظِ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح، فكيف إذا عبده^(٦)، وباب ما جاء أن الغلو في

(١) رواه البخاري في صحيحه - كتاب الصلاة - باب: (٣٧) (ح ٤٣٥، ٤٣٦).

(٢) رواه البخاري في صحيحه - كتاب أحاديث الأنبياء - باب ما ذكر عن بني إسرائيل (٢٨٢) (ح ٣٤٥٦).

(٣) خبيب بن عبد الله بن الزبير بن العوام الأسدي، روى عن أبيه وعائشة وكعب الأحمري، وعنه ابنه الزبير ويحيى بن عبد الله بن مالك والزهرري، كان أسن ولد عبد الله ولم يعقب، كان خبيب قد لقي كعب الأحمري ولقي العلماء وقرأ الكتب، وكان من النساك، كتب الوليد إلى عمر - واليه على المدينة - أن يضرب خبيب بن عبد الله بن الزبير، فضربه أسواطًا، وأقامه في البرد، فمات، كان عالما بقريش طويل الصلاة قليل الكلام، ذكره ابن حبان في الثقات وقال مات سنة (٩٣هـ). انظر: الإصابة في تمييز الصحابة - أحمد بن حجر (١٠٣/٢ - ١٠٤)، وسير أعلام النبلاء - الذهبي (١٣٧/٩).

(٤) مجموع مؤلفات الشيخ - فتاوى ومسائل (٤٢/٢).

(٥) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ - الرسائل الشخصية (٢٤/٢، ٤٢، ٩٧، ٤٤).

(٦) مجموع مؤلفات الشيخ - كتاب التَّوْحِيدِ (٤٢/٦).

قبور الصالحين يُصيرها أوثاناً تُعبد من دون الله^(١)، ولا شك أن هذه الأبواب أخذت نصيبها من الشرح والتوضيح في دورس الإمام التي كان يعقدها، ومع بيان الشيخ ووضوح حجته، فقد كُفّر بسبب ذلك هو وأتباعه، واستحلت دماؤهم وأموالهم، فما كان منهم بعد إقامة الحجّة إلا الدفاع عن أنفسهم، وقتال أهل البغي والضلال^(٢).

وقد أصّل الإمام - رحمه الله - لأتباعه أصولاً علمية ظهرت بجلاء في أحكامهم، ومؤلفاتهم، يقول الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب - رحمهما الله - موضحاً سبب هدم القباب وبعض البيوت: "وإنما هدمنا بيت السيدة خديجة، وقبة المولد، وبعض الزوايا المنسوبة لبعض الأولياء حسماً لذرائع الشرك، وتنفيراً من الإشراك بالله ما أمكن؛ لعظم شأنه، فإنه لا يُغفر، وهو أقبح من نسبة الولد لله - تعالى" -^(٣).

ويوضح الشيخ محمد بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن^(٤) - رحمه الله - ذلك بقوله: "فنحن ننكر الغلوّ في أهل القبور والإطراء والتّعظيم، ونهدم البناءات التي على قبور الأموات، لما فيها من الغلوّ والتّعظيم الذي هو أعظم وسائل الشرك بالله، وهذه الأمور التي أوجبت عبادتها من دون الله، ابتدعها أناس، أرادوا بها التّعظيم، وإظهار تشريفهم، فجاء من بعدهم، فعبدوهم من دون الله"^(٥).

(١) المرجع السابق (٤٥/٦).

(٢) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ - الرسائل الشخصية (٦٤/٣).

(٣) الدرر السنية في الأحوبة النجدية - جمع: عبد الرحمن بن قاسم (٢٣٣/١).

(٤) محمد بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب، ولد بمدينة الرياض سنة (١٢٧٣هـ)، ونشأ بها وقرأ القرآن وتلمذ على والده، أخذ العلم عن أخيه عبد الله بن عبد اللطيف، ومحمد بن محمود وغيرهما من علماء وقته، وقد تقلب في عدة وظائف دينية منها قضاء مدينة شقراء، وبعثه الملك عبد العزيز سنة (١٣٣٩هـ) إلى عسير وغامد وزهران لبت الدعوة إلى الله، وكتب رسالة في ذلك، تولى القضاء في الرياض، وتلمذ عليه خلق منهم - محمد بن إبراهيم آل الشيخ، وعبد الله بن حسن، وعبد العزيز بن باز - رحمه الله -، توفي بمدينة الرياض يوم الأحد ثاني جمادى الآخرة سنة (١٣٦٧هـ). انظر: علماء نجد خلال ثمانية قرون - عبد الله البسام (١٣٤/٦ - ١٣٩)، وعلماء آل الشيخ - أحمد العوين (٥٧٧ - ٥٩٢).

(٥) الدرر السنية في الأحوبة النجدية - جمع: عبد الرحمن بن قاسم (١ / ٥٧٠ - ٥٧١)



وزيد ابن سحمان^(١) - رحمه الله - توضيحًا وبيانًا للحكم الشرعي في هذه المسألة: أن أئمة الدعوة امتثلوا أمر رسول الله ﷺ، وسنة أصحابه - رضوان الله عليهم - ومن بعدهم من الأئمة، ولا يعيب عليهم بهدم القباب التي بنيت على قبور الأموات إلا من أعمى الله بصيرة قلبه^(٢).

فالإمام - رحمه الله - قام بهدم القباب وأبنية القبور لتحقيق وصية النبي ﷺ التي وصى بها علي بن أبي طالب - رضي الله عنه -، واقتفاء أثر السلف الصالح وسد الذرائع على ضعفاء الإيمان والجُهل المفضية للشرك.

لذا صار هدم القباب المبنية على القبور من الأولويات التي يقوم بها الإمام وأتباعه عند فتحهم لأي بلد؛ ولو لم يقوموا بذلك؛ لانتشرت هذه البدعة في طول البلاد وعرضها، والتي لم تسلم منها حتى أظهر البقاع كمكة والمدينة^(٣)، فعند دخولهم مكة سنة (١٢١٨هـ) قاموا بهدم القباب التي في المعلى، وهي كثيرة وهدموا قبة مولد النبي ﷺ، ومولد أبي بكر وعلي وقبة خديجة - رضي الله عنهم - وهدموا القباب التي حول الكعبة^(٤)، وفي المدينة هدموا القباب التي في البقيع^(٥)، وعند دخولهم الأحساء هدموا جميع ما فيها من القباب والمشاهد^(٦).

ولذا كان الأهالي الذين تأصلت مثل هذه العلائق في نفوسهم، يشعرون بالعداء تجاه هذه الدعوة المباركة^(٧).

(١) سليمان بن سحمان بن مصلح بن حمدان العسيري النجدي، ولد في قرية (السقا) من أعمال (أبها) في عسير سنة (١٢٦٧هـ)، وانتقل مع أبيه إلى الرياض، أيام فيصل بن تركي، من أبرز شيوخه عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ، صنّف كتبًا ورسائل، منها: الضياء الشارق في رد شبهات الماذق المارق، في الرد على كتاب الجميل صدقي الزهاوي، والهدية السنّية، وتبرئة الإمامين وغير ذلك. كف بصره في آخر حياته، توفي في الرياض سنة (١٣٤٩هـ). انظر: علماء الدعوة - عبد الرحمن آل الشيخ (١٤٣-١٤٨)، والأعلام للزركلي (١٢٦/٣).

(٢) انظر: الحجاج الواضحة الإسلامية في رد شبهات الرافضة والإمامية - سليمان بن سحمان (٣٤٥).

(٣) انظر: تاريخ الوهابيين - لويس كورانسبه (٦٧، ٦٦، ٤٨)، ومواد لتاريخ الوهابيين - جوهان بوركهارت (٢٠-٢٢)، والعثمانيون وآل سعود في الأرشيف العثماني - زكريا كورشون (٧٤، ٧٨)، والتذكرة في أصل الوهابيين ودولتهم - جان ريمون (٣٧)، وتاريخ نجد ودعوة محمد بن عبد الوهاب السلفية - سنت جون فيلي (١١٥).

(٤) انظر: وثائق نجد - تقارير أمراء العثمانيين المعاصرين لظهور محمد بن عبد الوهاب - جمع: علي موجاني (٣٤٢-٣٥٩، ٣٤٣)، وتحديد كشف الارتياح في أتباع محمد بن عبد الوهاب - محسن الأمين (٢٧)، وتاريخ نجد ودعوة محمد بن عبد الوهاب السلفية - سنت جون فيلي (١٠٥).

(٥) انظر: وثائق نجد - تقارير أمراء العثمانيين المعاصرين لظهور محمد بن عبد الوهاب - جمع: علي موجاني (٣٢٢، ٣١٩)، عجائب الآثار في التراجم والأخبار - عبد الرحمن الجبرتي (٣/٥٠٤)، وتحديد كشف الارتياح - محسن الأمين (٣٦).

(٦) انظر: عنوان المجد في تاريخ نجد - عثمان بن بشر (١/٢١٥).

(٧) انظر: العثمانيون وآل سعود في الأرشيف العثماني - زكريا كورشون (٣٤٥).

المطلب الثاني: شبهة بدعة الاحتفال بالمولد النبوي

إن كل عملٍ يقصده الناس بنيّة الأجر والثواب، ولا يكون على صحته دليل من الكتاب والسنة، ولا من عمل الصحابة وأقوالهم، فهو بدعة في الدين؛ لذا حذرنا رسول الله ﷺ عن الإحداث في الدين بقوله: "وإياكم ومحدثات الأمور"^(١).

ومن البدع التي وقع فيها الكثير من الناس في البلاد الإسلاميّة الاحتفال بالمولد النبوي، ففي ربيع الأول من كل سنة، يُحتفل بهذه البدعة على رؤوس الملاء دون نكير من العلماء المضلين في تلك البلاد؛ إلا من كان على هدي الكتاب والسنة، وقليل ما هم، وتظهر هذه الاحتفالات في بيوت الله، أو في الأماكن العامة أو بيوت الوجهاء.

وأول من أحدث هذه البدعة الفاطميون الذين اتخذوا أعيادًا محدثة على طوال العام^(٢).

ولم يحتفل الرسول ﷺ، ولا الصحابة، ولا التابعون لهم بإحسان بالمولد، ولم يُنقل عمله عن أحد من علماء الأمة، الذين هم القدوة؛ لتمسكهم بآثار المتقدمين، والاحتفال بالمولد بدعة حادثة، ظهرت بعد القرون المفضلة، ولو كان خيرًا لسبقونا إليه، فكيف يغفل عن هذا الخير أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، وسائر الصحابة والتابعين وتابعيهم، وتتنبه له الخلف المتأخرة؟!^(٣).

ويبين الإمام في إنكاره على من تلبس بهذه البدعة، أنه ليس له سلف ممن تقدم من العلماء، ويذكر أصول هذه البدعة، وما يُصاحبها من مفاسد، فيقول - رحمه الله - فيما لخصه من كلام ابن تيمية - رحمه الله -: "وما أحدث في المولد إما مضاهاة للنصارى في ميلاد عيسى - عليه السلام - وإما محبة للنبي ﷺ، ويصحب هذه الأعمال من الرياء والكبر، والاشتغال عن المشروع ما يفسد حال صاحبها"^(٤).

(١) سبق تخرجه.

(٢) انظر: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار - المعروف بالخطط المقرية - للمقرزي (١١٧/٢) ذكر الأيام التي كان الخلفاء الفاطميون يتخذونها عيدًا.

(٣) انظر: السنن والمبتدعات - محمد الشقيري (١٣٨-١٣٩)، وانظر: رسائل في حكم الاحتفال بالمولد النبوي - مجموعة من العلماء (٤٢٩/٢) وما بعدها، والإرشاد إلى صحيح الاعتقاد - صالح الفوزان (٤٦٦-٤٦٦).

(٤) مجموع مؤلفات الشيخ - هذه مسائل (٥٢/٢).



ويكشف الإمام حال من يُتبعون في هذه البدعة، وأن التناقض يكون واضحًا بين أقوالهم وأحوالهم، فيقول: "وأعجب من ذلك ما رأيت وسمعت ممن يدعي أنه أعلم الناس، ويفسر القرآن ويشرح الحديث بمجلدات ثم يشرح البردة ويستحسنها، ويذكر في تفسيره وشرحه للحديث أنه شرك، ويموت ما عرف ما خرج من رأسه، هذا هو العجب العجيب" (١).

وقد اشتد نكير الإمام - رحمه الله - على ابن سحيم بسبب إرساله رسالة يُلبس بها على الجهال، وفيها عجائب وغرائب، وذكر له الإمام جملة من أحواله ومنها حضوره المولد فيقول: "والناس يشهدون عليك أنك تروح للمولد وتقرؤه لهم وتحضرهم" (٢).

وعلى نهج الإمام - رحمه الله - سار تلاميذه وأتباعه الذين تخرجوا من مدرسته يقول الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب: "ومن البدع: الاجتماع في وقت مخصوص، على من يقرأ سيرة المولد الشريف، اعتقادًا أنه قربة مخصوصة مطلوبة دون علم السير، فإن ذلك لم يرد" (٣).

(١) مجموع مؤلفات الشيخ - الرسائل الشخصية (٦٨/٣).

(٢) المرجع السابق (١٢٦/٣).

(٣) الدرر السنية في الأحوبة النجدية - جمع: عبد الرحمن بن قاسم (٣٩٨/٥).

المطلب الثالث: شبهة بدعة التذكير واستغلالها للنيل من الإمام - رحمه الله -

لقد بينَّ الشارع الحكيم طريقة كل عملٍ يعمله الإنسان لرضا ربه - سبحانه وتعالى -، وأمرنا باتباعه، ونهانا عن الأخذ بغيره، قال تعالى: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾^(١)، فكل عمل غير موافق للسنة، يعمله المسلم على وجه التَّعبد لله - سبحانه -، فهو بدعة، ولو كان هذا العمل صالحًا.

ومن تلك البدع التي شاعت وذاعت في الحرمين وغيرهما بدعة التذكير.

نعم الذكر في أصله عمل صالح؛ ولكن له كيفيةٌ مسنونة بينَّها - عليه الصلاة والسلام -، ولم يترك ﷺ زمانًا ولا مكانًا يُسنّ فيه الذكر إلا بيَّته لنا ودلنا عليه، وعلى كَيْفِيَّتِهِ وقدره وفَعَلِهِ - عليه الصلاة والسلام -، وعَلَّمَهُ صحابته - رضوان الله عليهم - وهكذا من بعدهم.

فمن يُحدثون أصواتًا في مواضع الأذان، أو الإقامة، أو في المحارب، أو على المنابر ويقولون ما لم يُنص عليه في الشريعة على وجه التَّعبد، وإن كان مشتتملاً على آيات قرآنيَّة، ويبررون بزعمهم أن هذا بدعة حسنة من باب التَّلبيس، والفرار من مُقتضى الدليل، قد ضلوا وأضلوا.

وقد أنكر الإمام مالك - رحمه الله - التَّثويب^(٢) وقال: "التَّثويب بدعة، ولست أراه"، وعن محمد بن وضاح^(٣) قال: ثَوَّب المؤذن بالمدينة في زمان مالك، فأرسل إليه مالك، فجاءه، فقال له مالك: ما هذا الذي تفعل؟ قال: أردت أن يعرف الناس طلوع الفجر فيقومون، فقال له مالك: لا تفعل، لا تُحدث في بلدنا شيئًا لم يكن فيه، قد كان رسول الله ﷺ بهذا البلد عشر سنين، وأبو بكر وعمر وعثمان، فلم يفعلوا هذا، فلا تحدث في بلدنا ما لم يكن فيه، فكف المؤذن عن ذلك وأقام زمانًا، ثم إنه تنحج في المنارة عند طلوع الفجر، فأرسل إليه مالك فقال

(١) سورة الحشر آية رقم [٧].

(٢) والتَّثويب الذي أنكره الإمام مالك: "أن المؤذن كان إذا أذن فأبأ الناس قال بين الأذان والإقامة: قد قامت الصلاة، حي على الصلاة، حي على الفلاح. الاعتصام - إبراهيم الشاطبي (٢/٣٠٨-٣٠٩).

(٣) محمد بن وضاح بن بزيع المرواني، مولى صاحب الأندلس عبد الرحمن بن معاوية الداخل، ولد: سنة (١٩٩هـ)، وسمع: يحيى بن معين، وإسماعيل بن أبي أويس، وأصبغ بن الفرج، روى عنه: أحمد بن خالد الجباب، وقاسم بن أصبغ، ومحمد بن أيمن وغيرهم، توفي في المحرم سنة (٢٨٧هـ). انظر: سير أعلام النبلاء - للذهبي (١٣/٤٤٦)، وشذرات الذهب - ابن العماد (٢/١٩٣).



له: ما هذا الذي تفعل؟ قال: أردت أن يعرف الناس طلوع الفجر، فقال له مالك: ألم أنهك ألا تحدث عندنا ما لم يكن؟ فقال: إنما نهيته عن التثويب، فقال له مالك: لا تفعل، لا تُحدث في بلدنا ما لم يكن فيه، فكف أيضًا زمانًا، ثم جعل يضرب الأبواب، فأرسل مالك إليه فقال له: ما هذا الذي تفعل؟ قال: أردت أن يعرف الناس طلوع الفجر، فقال له مالك: لا تفعل، لا تحدث في بلدنا ما لم يكن فيه"^(١).

ويعتبر الخصوم أن الإمام- رحمه الله- يعتبر أن بدعة التذكير من أكبر الذنوب تنفيرًا للناس، وافتراء على الإمام بأنه يكره الصلاة على رسول الله ﷺ، وفي هذا يقول ابن داود: "فأكبر الذنوب عندهم لبس الخاتم والسبحة، والصلاة على النبي ﷺ بعد الأذان يوم الجمعة، وليلة الجمعة"^(٢).

وزعم أن من يُكثر الصلاة على النبي ﷺ أو يُكررها يُقع عليه أشد العذاب"^(٣).

وذكر أن غاية ما يفعلونه من الصلاة على النبي ﷺ " أن المؤذن يزيد في يوم الجمعة وليلتها تنبيهًا للغافلين وإرشادًا للطالبيين واعتناءً بأمر الله"^(٤).

ويعد ذلك من البدع الحسنة، ومن أعظم السنة التي أجمعت عليها الأمة من أزمان مُتطاولة، ولم يُكرهه إلا خليفة مُسيلمة الكذاب بزعمه"^(٥).

ويزعم بن داود فيما ينقله عن عالم من المدينة، أن الصلاة على النبي ﷺ يوم الجمعة وليلتها أمر محبوب، وإن كان على المنابر فهو من البدع التي حدثت في الصدر الأول، وأقرها من بعدهم، فإن صحب ذلك نيّة صادقة وقصد تنبيه الغافلين لهذه الفضيلة أُثيب على ذلك"^(٦).

(١) البدع (١٠٤).

(٢) الصواعق والرعود- صحيفة (٥٥ب)، وانظر: صحيفة (٤٢أ).

(٣) انظر: المرجع السابق- صحيفة (٤٢ب).

(٤) المرجع السابق- صحيفة (٤٣أ).

(٥) انظر: المرجع السابق- صحيفة (٤٣ب).

(٦) انظر: المرجع السابق- صحيفة (٤٣أ-٤٣ب).

وقد ذهب ابن داود إلى ما هو أعظم من ذلك، فقد افترى على الدعوة وأئمتها، بأنهم يحكمون على من يقول عن النبي ﷺ سيدي ومولاي أنه مُشرك^(١).

فهؤلاء عندما تصدّى لهم الإمام - رحمه الله - أشاعوا عنه في مجتمعاتهم ومؤلفاتهم كراهيته لذكر رسول الله ﷺ كقول علوي الحداد عن الإمام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله -: "كان ينتقص النبي ﷺ كثيراً بعبارات مختلفة، منها قوله فيه: "إنه كان يكره الصلاة على النبي ﷺ، ويتأذى من سماعها، وينهى عن الجهر بها على المنابر، ويؤذي من يفعله، ومنع من الإتيان بها على المنابر ليلة الجمعة؛ ولذلك أحرق دلائل الخيرات، وغيره من كتب الصلاة على النبي ﷺ، ويتستر بدعوى أن ذلك بدعة"^(٢).

وقال أحمد دحلان في الصدّ عن دعوة الإمام: "كانوا يمنعون (أي: أتباع الدعوة) من قراءة دلائل الخيرات المشتملة على الصلاة على النبي ﷺ، وعلى ذكرها كثير من أوصافه الكاملة، ويقولون: إنّ ذلك شرك، ويمنعون من الصلاة عليه ﷺ على المنابر بعد الأذان، حتّى أنّ رجلاً صالحاً كان أعمى، وكان مؤذناً وصلّى على النبي ﷺ بعد الأذان بعد أن كان المنع منهم، فأتوا به إلى ابن عبد الوهاب فأمر به أن يقتل فقتل"^(٣)، فهذا الكلام مع بشاعته فيه إيهام وإبهام، وتشنيع بظاهره على الإمام عند العوام، وتنفير لهم عن توحيد الملك العلام؛ فإن الإمام - رحمه الله - لم يبه عن ذلك، ولم يبطل إلا الفعل الذي يفعل في كثير من البلدان، وقد أبطله جماعة قبله من الأعيان، وأنكره جمع من النقاد، وقالوا: لا يُتقرب إلى الله تعالى به؛ لأنه بدعة محضة^(٤).

وإذا كان الإمام - رحمه الله - يُذكر بحقوق أهل بيت النبي ﷺ ويحض عليها، فكيف بصاحب الرسالة - عليه الصلاة والسلام -، إذ يقول - رحمه الله -: "وقد أوجب الله لأهل بيت

(١) انظر: المرجع السابق - صحيفة (٢٠٨ ب).

(٢) مصباح الأنام وحلاء الظلام في رد شبه البدعي النجدي التي أضل بها العوام - علوي الحداد (٤).

(٣) فتنة الوهايبية (١٤). وانظر: الدرر السنّية في الرد على الوهايبية - أحمد دحلان (٤٤).

(٤) انظر: تاريخ ابن غنام (٣٧٨/١ - ٣٧٩).



رسول الله ﷺ على الناس حقوقًا، فلا يجوز لمسلم أن يسقط حقهم، ويظن أنه من التوحيد؛ بل هو من الغلو" (١).

وقد روج لهذه البدعة بين الناس في زمن الإمام - رحمه الله - ابن سحيم، فرد عليه الإمام، واجتهد في بيان أصل هذه البدعة ومنشئها، وموقف أهل العلم منها، وحاوِر الخِصم بالدليل والحجة، والإغلاظ بالقول، بعد أن رأى منه المكابرة والمعاندة، ومُحاوِلته الإيهام بصيغ العبارات بصبغة شرعية، وفتق الإمام - رحمه الله - في إنكاره بين الألفاظ المشروعة والممنوعة، وإن حاول المُعترض أن يُضفي عليها الصبغة الشرعية، كقوله: بدعة حسنة، مع فتح الإمام - رحمه الله - له آفاق للفهم لو أراد الوصول للحق، فقال: "وأما مسألة التذكير، فكلامك فيها من أعجب العجائب، أنت تقول: بدعة حسنة، والنبى ﷺ يقول: "كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار" (٢)، ولم يستثن شيئًا، تشير علينا به، فنصدقك أنت وأباك؛ لأنكم علماء، ونكذب رسول الله، والعجب من نقلك الإجماع، فتجمع مع الجهالة المركبة الكذب الصريح والبهتان، فإذا كان في الإقناع في باب الأذان، قد ذكر كراهيته في مواضع متعددة، أتظن أنك أعلم من صاحب الإقناع، أم تظنه مخالفًا للإجماع! وأيضًا لما جاءك عبد الرحمن الشنيفي (٣) أقررت لهم أن التذكير بدعة مكروهة فمتى هذا العلم جاءك؟!.

وأما قولك: أمر الله بالصلاة على نبيه على الإطلاق، فأيضًا: أمر الله بالسجود على الإطلاق في قوله: ﴿ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا﴾ (٤) أفيدلّ هذا على السجود للأصنام، أو يدل على الصلاة في أوقات النهي؟ فإن قلت: ذلك قد نهى عنه النبي ﷺ قلنا: وكذلك نهى النبي ﷺ عن البدع، وذكر أن كل بدعة ضلالة، ومعلوم أن هذا حادث من زمن طويل، وأنكره أهل العلم منهم صاحب الإقناع، وقد ذكر السيوطي في كتاب الأوائل أن أول ما حدث التذكير

(١) مجموع مؤلفات الشيخ - الرسائل الشخصية (٣/١٥٦).

(٢) رواه النسائي في سننه - كتاب صلاة العيدين - باب كيف الخطبة (٢١٩٣) (ح ١٥٧٩)، وصححه الألباني في صحيح

سنن النسائي (١/٣٤٦) (ح ١٤٨٧).

(٣) لم أقف له على ترجمة رغم بذل الجهد.

(٤) سورة الحج آية رقم [٧٧].

يوم الجمعة لتتهيؤ الناس لصلاتها بعد السبعمائة، في زمن الناصر بن قلاوون^(١)، فأرنا كلام واحد من العلماء أرخص فيه، وجعله بدعة حسنة، فليس عندك إلا الجهل المركب والبهتان والكذب"^(٢).

واشدد نكير الإمام- رحمه الله- على من يتورع عن الفتيا ونفع الناس في الأمور الصحيحة، ويتحاصر على الكلام في بدعة التذكير فيقول: "من العجب كفكم عن نفع المسلمين في المسائل الصحيحة، وتقولون: لا يتعين علينا الفتيا، ثم تبالغون في مثل هذه الأمور مثل: التذكير الذي صرحت الأدلة والإجماع وكلام الإقناع بإنكاره"^(٣).

ومن جهود الإمام- رحمه الله- أنه لم يأل جهداً في بيان الحق وإيضاحه للسائل بشتى الأساليب، وقد سئل عن هذه البدعة فقال: "إن ابن صالح^(٤) سألني عن التذكير؟ فقلت إنه بدعة، فذكر أن عندنا من لا يعرف الجمعة إلا به، وذكرت له أن الرسول ﷺ أعلم منا بصالح أمته، وهو سنّ الأذان ونهى عن الزيادة، فإذا فتح الله لكم باباً في اتباع نبيكم ﷺ، فلا تتثقلوا من قطع العادات في طاعة الله ورسوله"^(٥).

وعلى منهج الإمام- رحمه الله- سار تلاميذه الذين تربوا في مدرسته، والذين ساروا على منهجه بكل جلاء ووضوح، يقول الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب- رحمه الله:- "فمن البدع المذمومة التي ننهى عنها: رفع الصوت في مواضع الأذان بغير الأذان، سواء كان آيات، أو صلاة على النبي ﷺ، أو ذكراً غير ذلك بعد أذان، أو في ليلة الجمعة، أو رمضان، أو العيدين، فكل ذلك بدعة مذمومة، وقد أبطلنا ما كان مألوفاً بمكة، من التذكير، والترجيم،

(١) الناصر بن قلاوون سيف الدين، الملقب بالملك المظفر من ملوك مصر والشام، تولى في شعبان سنة (٧٤٧هـ) شغل باللهو لصغر سنه، وساءت سيرته، قُتل بعد سنة وأربعة أشهر من توليه. انظر: البداية والنهاية- ابن كثير

(٢) (١٥٣/٢)، والأعلام للزركلي (٢٢٤-٢٢١/١٤).

(٣) مجموع مؤلفات الشيخ- الرسائل الشخصية (٣/١٣٠-١٣١)، وتاريخ ابن غنام (١/٣٩٧-٣٩٨).

(٤) مجموع مؤلفات الشيخ- المرجع السابق (٣/١٦٩).

(٥) لم أجد له ترجمة، ولعله من أتباع الإمام الذين لم يشتهروا.

(٦) تاريخ ابن غنام (١/٥١٩).



ونحوه، واعترف علماء المذاهب أنه بدعة؛ ومنها: قراءة الحديث عن أبي هريرة بين يدي خطبة الجمعة^(١).

وفي تقريره لعلماء مكة سنة (١٢١٨هـ) يقول عبد الله - رحمه الله - ردًا على الشبهة التي راجت على فئام من الناس، وهي كراهة الصلاة على النبي ﷺ: "والذي نعتقد أنه رتبة نبينا محمد ﷺ أعلى مراتب المخلوقين على الإطلاق، وأنه حي في قبره، حياة برزخية، أبلغ من حياة الشهداء المنصوص عليها في التنزيل، إذ هو أفضل منهم بلا ريب، وأنه يسمع سلام المسلم عليه، وتسن زيارته، إلا أنه لا يشد الرحل إلا لزيارة المسجد والصلاة فيه، إذا قصد مع ذلك الزيارة فلا بأس، ومن أنفق نفيس أوقاته بالاشتغال بالصلاة عليه - عليه الصلاة والسلام - الواردة عنه، فقد فاز بسعادة الدارين، وكفي همه وغمه، كما جاء في الحديث عنه"^(٢).

(١) الدرر السنية في الأحيوية النجدية - جمع: عبد الرحمن بن قاسم (١/٢٣٧).

(٢) المرجع السابق (١/٢٣٠).

المطلب الرابع: الشبهات حول المحمل واستغلالها للدعوة

المحمل: جمل ينصب عليه هودج يحمل كسوة الكعبة المشرفة، ويزين بأنواع الزينة، ويجعلونه في مقدمة قافلة الحج، ويأتي في موكب من الطبول والزمر الذي لا يتفق مع قدسيّة المكان، وجعلوا ذلك كالسنة المتبعة، أو الفريضة الشرعيّة؛ حتى توهم العامة أنه جزء من الحج، وبالغوا في تعظيمه والتّمسح به^(١).

وقد بذل أهل البدع في إحياء هذه البدعة جهدهم، واستنفدوا فيها الوسائل العمليّة والقوليّة، وأنفقوا في سبيلها بلا كلل ولا ملل، وتحملوا المشاق من أجل ذلك، بالرغم من تحذير علماء الدعوة وأئمتها من هذه البدعة، وإخبارهم للقائمين عليها أن الإتيان بها إلى المشاعر المقدسة سيعرضها للإتلاف؛ لأنه من تغيير المنكر المأمور به شرعاً^(٢).

يقول الجبرتي^(٣) في تاريخه^(٤): "وأرسل الوهابي إلى عبد الله باشا^(٥) أمير الحاج الشامي، يقول له: لا تأت إلا على الشرط الذي شرطناه عليك في العام الماضي، وهو أن تأتي بدون المحمل، وما يصحبهم من الطبل والزمر والأسلحة، وكل ما كان مخالفاً للشرع".

ولاتحاد السلطتين الشرعيّة والسياسيّة، وأثر الإمام - رحمه الله - ودعوته، وصفاء المنهج الذي ترك الأتباع عليه ووضوحه، فقد أنكر الأمير سعود - رحمه الله - على أمير الركب المصري

(١) انظر: حقيقة دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب وأثرها في العالم الإسلامي - محمد السلطان (١٣٥) مجلة البحوث الإسلاميّة - العدد (٢١) ربيع الأول إلى جمادى الثانية لسنة (١٤٠٨هـ)، والتذكرة في أصل الوهابيين - جان ريمون (٣٨).

(٢) انظر: عجائب الآثار في التّراجم والأخبار - عبد الرحمن الجبرتي (٢٣/٤)، والعثمانيون وآل سعود في الأرشيف العثماني - زكريا كورشون (٧٩).

(٣) عبد الرحمن بن حسن الجبرتي: نسبة إلى (جبرت) وهي الزيلع في بلاد الحبشة مؤرخ مصر، ومدون وقائعهما وسير رجالها، في عصره، ولد في القاهرة سنة (١١٦٧هـ) وتعلم في الأزهر، وجعله (نابليون) حين احتلاله مصر من كتبة الديوان، ولي إفتاء الحنفية في عهد محمد علي، له كتاب عجائب الآثار في التّراجم والأخبار المعروف بتاريخ الجبرتي. قتل له ولد فبكاه كثيراً حتى ذهب بصره، توفي مخنوقاً سنة (١٢٣٧هـ). انظر: الأعلام للزركلي (٣٠٤/٣).

(٤) (٧١/٤).

(٥) عبد الله باشا بن إبراهيم الشهير بالجتحي الحسيني، ولد سنة (١١١٥هـ)، كان جاداً في حياته، حصل جملة من العلوم، وكان حسن الخط، ولي حلب ودمشق وبلاد بكر للدولة العثمانيّة، تولى إمارة الحج وحارب أنصار الدعوة، توفي سنة (١١٧٤هـ). انظر: سلك الدرر - محمد المرادي (٨١/٣-٨٢)، والأعلام للزركلي (٦٤/٤).



بقوله: "ما هذه العويدات، والطبول التي معكم؟ يعني بالعويدات: (المحمل)، فقال: هو إشارة وعلامة على اجتماع الناس بحسب عاداتهم فقال: لا تأت بذلك بعد هذا العام وإن أتيت به أحرقتة"^(١).

وقد طبق أتباع الدعوة منهج الإمام- رحمه الله- في التدرج في الإنكار على المخالفين، وذلك بالتدرج من التحذير بالقول، إلى المنع من دخول مثل هذه المنكرات إلى المشاعر المقدسة.

ومع هذا التحذير، فإن أهل البدع لم ينزجروا؛ بل جاءوا به في العام التالي، فلم يُمكنوا من دخول المشاعر المقدسة، وقد رجع الحج الشامي عام (١٢٢٢هـ) بسبب منع المحمل، حيث سبق وأن حُذروا من الإتيان به، وما يصحبه من الطبل والزمر، والأسلحة والمخالفات^(٢)، "ولم تجر العادات المتبعة في المحمل من الزمر ودق الطبول"^(٣) في تلك السنة بسبب هذا المنع.

وقد افتبرى المخالفون على علماء الدعوة وأئمتها بقولهم: إنهم نادوا بعد انقضاء الحج أن لا يأتي إلى الحرمين بعد هذا العام من حلق ذقنه، وتلا المنادي قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾^(٤) وقاموا بإخراج الحجاج^(٥)، ولم يقف الأمر عند هذا الحد؛ بل أثاروا الفتنة بين الناس ودعوهم إلى قتال أهل التوحيد، وسعوا لزعزعة الأمن في بلاد الحرمين، واستعانوا بمن على شاكلتهم، وأشاعوا أن الوهابيين- على حد زعمهم- منعوا من الحج، فانقطع الحج الشامي والمصري عام (١٢٢٣هـ) بهذه الحجة، والصحيح أن الذي مُنع الطبل والزمر وحمل الأسلحة، وهذا دفع أصحاب اللعاعة أن يذهبوا إلى مقر العاصمة العثمانية للشكوى، ويطلبوا خلاص الحرمين من الوهابي على حد زعمهم؛ لأنهم فقدوا بعض الأعمال كالكناسة والفراشة، ويذكروا أن الوهابية استولوا على ما كان بالحجرة النبوية من الذخائر والجواهر^(٦).

(١) المرجع السابق (٧٢/٤).

(٢) انظر: المرجع السابق (٧١/٤).

(٣) تاريخ الوهابيين-أيوب صبري (٤٨)

(٤) سورة التوبة آية رقم [٢٨].

(٥) انظر: عجائب الآثار في التراجم والأخبار- عبد الرحمن الجبرتي (٧٦/٤).

(٦) انظر: المرجع السابق (١٢٢-١٢١/٤).

الفصل الثاني: معوقات فكريّة.

وفيه ثلاثة مباحث:

- المبحث الأول: التّعصب والتّقليد.
 - المبحث الثاني: اتباع الهوى والحسد.
 - المبحث الثالث: الخصوم من أصحاب الزعامات والمنتسبين
- للعلم.



الفصل الثاني: معوقات فكرية

لا شك أن الفكر الإنساني له أثره الخطير في الأمة، والإنسان بطبيعته يؤثر ويتأثر، ولا بد له أن يفكر في فعله الآتي ومستقبله الحياتي، ومن المسلم به أن العقيدة لها أثرها الواضح في الفكر، ومتى انخرت العقيدة عن هدى الله ووحيه انخرت الفكر، وهوى بصاحبه في مهاوي الردى، ولا يستطيع إنقاذ نفسه من الهلكة إلا إذا سلّم قياد فكره لوعي الله؛ لأنه المعصوم من الباطل ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾^(١)، وإذا سلّم فكره للتيارات الفكرية المتضاربة، التي لها أثرها البالغ في أمن الأمة الفكرية، لما تؤديه من نتائج سلبية تحول بين المسلمين ووحدهم، وفهمهم الصحيح لإسلامهم وأصوله العظيمة التي دعا إليها، وذلك بسبب تسليمهم لأفكار انتهجها كل من حاد عن الهدى القويم والصرط المستقيم.

فما نتج استحلال الأموال والأنفس المعصومة إلا عن تعصب مقيت، بُني على خلل فكري أثمره البعد عن الأصول والمنابع الأصيلة للدين الإسلامي؛ لأن نتائج الفكر وثمرته عمل يُترجم في واقع الإنسان، يظهر على تعامله مع المحيطين به على مختلف الأصعدة، فما نبتت نابتة الخوارج^(٢) إلا عن فكر، وما ظهر التشيع والرفض إلا عن فكر، وما عصفت بالأمة عاصفة الفرق إلا عن فكر، ولا شرخت العلمنة^(٣) والليبرالية^(٤) والحادثة^(٥) في الأمة إلا بسبب الفكر، وما أُستحلت دماء المسلمين، وشنّع بعضهم على بعض قديمًا وحديثًا إلا بسبب

(١) سورة فصلت آية رقم [٤٢].

(٢) الخوارج: سموا بذلك لخروجهم على علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - بعد حادثة التحكيم، ويُسمون الحرورية، والنواصب والشراة، ويكفرون أصحاب الكبائر، ويُخلدوهم في النار، ولهم فرق متعددة، وكل من خرج عن الإمام الحق الذي اتفقت عليه الجماعة فهو خارجي. انظر: التنبيه والرد للملطي (٦٢-٦٩)، والملل والنحل - للشهرستاني (١٠٦/١-١٣٥).

(٣) نسبة للعلمانية، والعلمانية: مشتقة من العلم بمعنى العالم أو الدنيا، والعلماني هو خلاف الديني أو الكهنوتي. المعجم الوسيط - مجمع اللغة العربية - باب العين (٦٤٦). فالعلمانية: تعني إقامة الحياة على غير الدين. العلمانية - سفر الحوالي (٢٤).

(٤) لا يُوجد لها تعريف دقيق يُبين مفهوماً ويُحدد معالمها، ويُمكن تعريفها بأنها: مذهب سياسي أو حركة تهدف لتحرير الإنسان من القيود السلطوية، وتفرض في الحرية، وتشكل وفق أخلاق من يتبناها. انظر: الليبرالية نشأتها ومجالاتها -

عبد الرحيم السلمي (٧)، وموقع ويكيبيديا - الموسوعة الحرة. <http://ar.wikipedia.org>

(٥) الحداثة: مصطلح وضع لمذهب معين له أصوله المحددة؛ المخالفة والرافضة لدين الله وشرعه. الحداثة في العالم العربي - دراسة عقديّة - محمد العلي (٣٥/١).

شطحات فكرية، يظهر صلاحها وفسادها بعد عرضها على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، بفهم سلف الأمة والراسخين في العلم من العلماء الربانيين، الذين يستطيعون أن يُجَلِّوا ما يُموه به أصحاب الفكر المنحرف الذي يضطلع بعض مُنظِّريه" بقدرته على قلب المفاهيم وتشويه الحقائق وطمسها، وتقدم أدلة وبراهين غير كافية أو مناقضة للواقع، واستعمال الكلمات بمعان مبهمه غير محددة، أو بمعانٍ متقلبة ومختلفة"^(١).

فتلاعب الأعداء بالمفاهيم والمصطلحات الشرعية، وقاموا بترسيخها في أذهان الناس مشوهة، ثم ذموا من تمسك بالألفاظ الشرعية، أو انتحلها، أو انتمى إليها فقالوا: "إن الاستمسك بشريعة الله، والأخذ بما ثبت فيها، والمحافظة على ما كان عليه السلف الصالح من عقيدة صالحة وعمل صالح لون من ألوان التعصب المذموم.

أما إحياء التراث الجاهلي، والتعصب له، والأخذ بتقاليد الجاهلية الأولى، والرجعة إليها، فهو فضيلة قومية، ولو كان ذلك شرًّا، أو أمرًا تافهًا من أمور الفن، أو عملاً فاسدًا غير صالح"^(٢).

وقد عانى الإمام - رحمه الله - وابتلي بفئام من الناس حملهم انحرافهم الفكري والعقدي على التعصب والتقليد اتباعًا للهوى وحسدًا لغيرهم من الظهور عليهم ولو كان بالحق؛ من أجل الحفاظ على زعاماتهم الدينية والدنيوية، فعارضوا دعوة الإمام - رحمه الله -، وشنعوا عليها، وعلى أتباعها مما كان له الأثر في عدم قبول الدعوة وإعاقتها، وهذا يتضح من خلال المباحث الآتية:

(١) انظر: الأمن الفكري في مقررات التربية الإسلامية في المرحلة الثانوية - سعد بن صالح العتيبي (٥٠).

(٢) أجنحة المكر الثلاثة - عبدالرحمن الميداني (٢٩٩).



المبحث الأول: التعصب والتقليد

إن من حكمة الله - سبحانه وتعالى - أن فُرق بين الناس في الملكات والفهم والاستنباط والقدرات العقلية والمعرفية للوصول إلى الحق، ولكن العبرة بقوة الحجة والدليل السالم من التعصب والتقليد؛ اللذين مؤادهما إلى التفرق والاختلاف، والمتعصبة والمقلدة جعلوا التعصب للمذاهب ديانتهم، ومنهم من قنع بتقليد من يرى تمثل الحق في شخصه وقوله لا دليله، وقالوا: ﴿ إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ ﴾ (٢٣) (١)، ولا شك أن هذا بمعزل عما ينبغي أن يكون عليه المسلم الذي يعي قول الحق - تبارك وتعالى -: ﴿ لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ ﴾ (١٢٣) (٢)، فمن استبان له السنة وخالفها فقد خالف ما أجمع عليه المسلمون، قال الشافعي: "أجمع المسلمون على أن من استبان له سنة رسول الله ﷺ لم يكن له أن يدعها لقول أحد من الناس" (٣)، والمتعصب والمقلد خارجان عن زمرة العلماء، وليس لهما نصيب من إرث رسول الله ﷺ، فهما ممن يجد ويجتهد في رد الدليل انتصاراً لمقلده ومتبوعه (٤).

وقد كان الإمام - رحمه الله - من أبعد الناس عن هذين الداءين؛ لأن مبنى الحق عنده على دليل الكتاب والسنة، والافتداء بأئمة السلف فيما لم يبق دليل على خلافه، بخلاف من عارضه من الخصوم الذين استبعدوا فهم النصوص، والاجتهاد في دالاتها على أمثالهم. ولا شك أن خطر التعصب والتقليد على الأمن الفكري ظاهر؛ لأنه ليس للمتعصبين ولا للمقلدين قاعدة؛ لاختلاف مشاربهم ومتبوعهم ونزعاتهم.

والإمام - رحمه الله - كان مُعظماً للنصوص، ومُقدماً لها على أقوال الرجال، داعياً إلى الاعتماد على الدليل، ونبذ التعصب والتقليد، وهذا يتضح من خلال المطلبين التاليين:

(١) سورة الزخرف آية رقم [٢٣].

(٢) سورة النساء آية رقم [١٢٣].

(٣) أعلام الموقعين عن رب العالمين - ابن القيم (٥/١).

(٤) انظر: المرجع السابق (٥/١).

المطلب الأول: التعصب

التعصب في اللغة: من العصبية، والعصبية: أن يدعو الرجل إلى نصرته عصبته، والتألب معهم على من يناوئهم، ظالمين كانوا أو مظلومين، وقد تعصبوا عليهم إذا تجمعوا، فإذا تجمعوا على فريق آخر، قيل: تعصبوا^(١).

والمراد بالتعصب هنا: أن ينحاز الإنسان لفكره، أو فكر تابعه بلا دليل ولا برهان، ويجعله حجة عليه وعلى سائر الناس^(٢).

والتعصب يكون في الأقوال وفي الأعمال، ويكون دينياً وطائفيًا ومذهبيًا ودوليًا.

وليس للتعصب زمام ولا خطام، فهو يقوم على التعميم والجمود والبعد عن الموضوعية وعدم العدالة؛ لأنه ينتهك كل الحمى^(٣)، فبداياته كلام ونهاياته تفرق في العقيدة والشريعة والسياسة، وعدوان وقتل وتمزيق لوحدة الأمة التي أمر الله بها في محكم تنزيله ودعا إليها رسوله ﷺ قولاً وعملاً^(٤).

والتعصب له أثره البالغ في إعاقه الدعوات الرامية للتصحيح، ومن ثم ينعكس على الأمن الفكري للأمم والجماعات والأفراد؛ وذلك بسبب الانحراف الفكري الذي طرأ على العقل بسببه؛ لحجر المتعصب على آراء الآخرين، وعدم الاعتراف بوجودهم، وتزداد الخطورة عند إرادة فرض الرأي على الآخرين بعد إقصائهم بغير حق^(٥).

والتعصب يقود إلى الجمود الفكري، ويجعل منتحله يرفض كل رأي صدر من الغير دون بحث عن دليل أو المطالبة ببرهان، بل إنه في الغالب يبحث عن الأدلة والشواهد التي توافق رأيه وهواه، فيبرزها ويظهرها على أنها الحق الذي لا مرية فيه^(٦).

(١) انظر: لسان العرب لابن منظور - باب العين (٢٣٣/٩).

(٢) انظر: أدب الطلب ومنتهى الأرب - محمد الشوكاني (٨٦).

(٣) انظر: نموذج تشخيصي وإطار بحثي مقترح لدراسة ظاهرة التكفير باعتبارها مهددًا للأمن الفكري - عبدالله البريدي (١١) بحث مقدم للمؤتمر الوطني الأول للأمن الفكري (١٤٣٠هـ).

(٤) انظر: مشكلة الغلو في الدين - عبد الرحمن اللويحق (٢٩٤/١).

(٥) انظر: نحو بناء إستراتيجية وطنية لتحقيق الأمن الفكري - عبد الحفيظ المالكي (٧٥).

(٦) انظر: مفهوم الأمن الفكري في الإسلام وتطبيقاته التربوية - أمل نور (١١٠).



وقد أدى التعصب المذموم إلى دمار البلاد وخرابها، كما وقع في مدينة أصفهان سنة (٣١٧هـ) حيث "فشأ فيها الخراب في نواحيها لكثرة الفتن والتعصب بين الشافعية والحنفية، والحروب المتصلة بين الحزبين، فكلما ظهرت طائفة نخبت محلة الأخرى وأحرقتها وخربتها لا يأخذهم في ذلك إلا ولا ذمة، وكذلك الأمر في رسايقها وقرأها"^(١).

ويقول ابن كثير^(٢) - رحمه الله -: "وقد كان للتعصب المذهبي دور كبير في انقسام المسلمين وانتشار الفتن فيما بينهم، فقد طعن أتباع المذاهب بعضهم في بعض، وانتقص بعضهم بعضاً، حتى وصل الأمر إلى أن حرم أحد المذاهب الزواج من الآخر، ثم تساهلوا فجوزوا ذلك قياساً على نساء أهل الكتاب"^(٣).

فمن غلب عليه التعصب، انحرف فكره، وسيره هواه، وعارض المنطق، وما يمليه العقل السليم؛ لأن التعصب للرأي بغير دليل من الكتاب والسنة الصحيحة، هو خطأ وانحراف فكري، فالتعصب يؤدي إلى عدم قبول الحق عند ظهور الدليل؛ بناء على ميل إلى جهة، أو طرف، أو جماعة، أو مذهب، أو فكر سياسي، أو طائفة.

والتعصب سلوك خطير يقود إلى الأذى والتأليب على الخصوم، ثم يؤدي إلى اتخاذ موقف معادٍ، ثم يؤدي إلى الهلاك وخسران الدنيا والآخرة.

فلا يُتصور أن يوجد مجتمع إنساني مستقر وآمن حسيًا وفكريًا، ويعيش الناس في ظله آمنين، مع وجود التعصب الذي يرفض الحق الثابت، ويصادر فكر غيره ولو كان مُحققًا^(٤).

(١) معجم البلدان - ياقوت الحموي (٢٠٩/١)، وانظر: البداية والنهاية - ابن كثير (٦٠/١١).

(٢) إسماعيل بن عمر بن كثير بن ذرع البصري الأصل ثم الدمشقي الشافعي، ولد بمجيديل قرية من أعمال مدينة بصرى سنة (٧٠١هـ)، وكان أبوه خطيبًا بها، انتقل بعد وفاة والده إلى دمشق سنة (٧٠٦هـ)، تتلمذ على أخيه كمال الدين عبد الوهاب والمزي والبرزالي، برع في علوم شتى كالفقه والحديث والتفسير، من مصنفاته، تفسير القرآن العظيم، والبداية والنهاية، توفي سنة (٧٧٤هـ). انظر: البداية والنهاية له (٢٣/١٤، ٢١-٣١)، والدرر الكامنة - أحمد بن حجر (٤٤٥/١-٤٤٦)، والنجوم الزاهرة - ابن تغري بردي (١٢٣/١١-١٢٤).

(٣) انظر: البداية والنهاية (١٦٢/١١).

(٤) انظر: الانحراف الفكري وأثره في الإرهاب - خالد بن عبدالرحمن القرشي (٣٥٩-٣٦٢).

يقول الشنقيطي^(١) - رحمه الله -: "وعلى كل حال، فكل عاقل لم يعمه التعصب، يعلم أن تقليد إمام واحد بعينه، بحيث لا يُترك من أقواله شيء، ولا يؤخذ من أقوال غيره شيء، وجعل أقواله عيارًا لكتاب الله وسنة رسوله، فما وافق أقواله منهما جاز العمل به، وما خالفها منهما وجب أطراحه، وترك العمل به، لا وجه له ألبتة، وهو مخالف لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وإجماع الصحابة والتابعين وتابعيهم - رضي الله عنهم أجمعين -، وإجماع الأئمة الأربعة - رحمهم الله -، فالواجب على المسلمين تعلُّم كتاب الله وسنة رسوله، والعمل بما علموا منهما، والواجب على العوام الذين لا قدرة لهم على التعلُّم، سؤال أهل العلم، والعمل بما أفتوهم به"^(٢).

ومن أشد المعوقات التي واجهها الإمام - رحمه الله - داء التعصب المقيت للمذاهب والأشخاص والرؤساء والبلدان، والذي أدى إلى ردّ النصوص الصريحة إما بالطعن فيها، أو تأويلها، أو صرف دلالاتها وحرص - رحمه الله - على محاربة هذا الخلق الذميم بشتى الوسائل^(٣).

ومن زامن ظهور دعوة الإمام - رحمه الله - ابن السويدي، وقد سلك مسالك شتى حمله تعصبه على جميع ما سبق من أدواء التعصب، فمرة يذكر نصوصًا يصعب الاستدلال بها على الحال التي تفشت في عصر الإمام كفضل المدينة، والنصوص الدالة على وجود الطائفة المنصورة إلى آخر الزمان^(٤)، ويصرف دلالات النصوص وأقوال أهل العلم إلى ما يراه^(٥)، أو يؤولها تأويلًا فاسدًا^(٦)، ومن تعصبه المقيت يُقرر أن الحجة لا تقوم إلا بالإجماع القطعي، وأن الذي يقيمها الإمام أو نائبه^(٧).

(١) هو محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الحكيم الشنقيطي، مفسر مدرس من علماء شنقيط (موريتانيا)، ولد سنة (١٣٢٥هـ) في موريتانيا وتعلم بها، وحج (١٣٦٧) واستقر مدرسًا في المدينة المنورة ثم الرياض، وأخيرًا في الجامعة الإسلامية بالمدينة (١٣٨١). توفي بمكة سنة (١٣٩٣هـ). له كتب، منها: أضواء البيان في تفسير القرآن، ومنع جواز المجاز، منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات وغير ذلك. انظر: الأعلام للزركلي (٤٥/٦)، ومشاهير علماء نجد - عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ (٥١٧-٥٢٠).

(٢) تفسير أضواء البيان - (٣٤٠/٧).

(٣) انظر: رسائل الإمام محمد بن عبد الوهاب الشخصية - عبد المحسن بن باز (٥٠٣/٢).

(٤) انظر: المشكاة المضيئة - صحيفة (٢٧ب-٢٩ب).

(٥) انظر: المرجع السابق - صحيفة (١٨أ).

(٦) انظر: المرجع السابق - صحيفة (١٩أ-١٩ب).

(٧) انظر: المرجع السابق - صحيفة (١٨أ).



ويسوق ابن عفالق التعصب إلى أن يقرر في دعوة الإمام- رحمه الله- أصولاً لم يذكرها الإمام أو يدعو إليها بقوله: "فهل ترون في دين الله- تعالى- أن العارض ووادي حنيفة وبلاد مسيلمة دار هجرة، هل ترون في دين الله أن الله لا يقبل توبة أحد حتى يأتي ابن عبد الوهاب فيجعله واسطة بينه وبين الله فيتوب عليه، أي دين الله- تعالى- تضليل هذه الأمة وتكفيرها إذا لم تتبع هذا الدجال"^(١).

ويلجئ التعصب الخضم إلى إيراد أدلة بلا زمام ولا خطام يبرر بها الضلال الذي يراه، ومن ذلك ما تفوه به عبد الله بن داود كذباً على رسول الله أن النبي ﷺ قال: "سيكون جماعة يقولون للناس نحن علماء ومشايخ ندعوكم إلى الدين وهم كاذبون في ذلك"^(٢)، ولم يكتف بهذا بل ينقل عن المجاهيل ما يشبه المنامات ليكون دليلاً له على ضلال الإمام- رحمه الله- فيقول: "ونقل لي المُحقق الصدوق المشرف بن علي بن حسين بن مشرف^(٣) أنه رأى تاريخاً في الهند الظاهر أنه مروج الذهب للمسعودي أو غيره، فإنه ذكر فيه في قتال بني حنيفة، قال: ويخرج في آخر الزمان في بلد مسيلمة رجل يُغير دين الإسلام، ولا يتعدى مُلكه نجد"^(٤).

وينقل ابن داود عن أحد العلماء من نزلاء المدينة، الذين آل بهم تعصبهم إلى الحكم باستباحة دم الإمام، والحكم بوجوب قتله دون تأخير لمن يقدر عليه^(٥).

وقد بذل الإمام- رحمه الله- جهده في مواجهة هذا المُعوق، حيث سلك مسلك التنظير العلمي، والتطبيق العملي في معالجة ظاهرة التعصب التي سادت في زمنه، وفي كتابات الإمام- رحمه الله- يظهر عدم تعصبه لأي إمام أو مذهب، بل يهتم بالدليل، ويصف العلاج الذي به الشفاء من داء التعصب، وهو الإخلاص لله، والتضرع إليه، فهو أعظم وسيلة للخلاص من داء التعصب، وتحدى الخصوم بما ينتسبون إليه من مذاهب ويتعصبون لها أن يأتوا بحجة

(١) رد ابن عفالق على ابن معمر- صحيفة(٤٤أ).

(٢) الصواعق والرعود- صحيفة(٣٥أ).

(٣) لم أفف له على ترجمة.

(٤) الصواعق والرعود- صحيفة(٣٥أ).

(٥) المرجع السابق- صحيفة(٨٢ب).

صحيحة وبرهان يردون به على الإمام، ويتجلى ذلك في رسالته إلى محمد بن سلطان^(١) حيث يقول: "...وجاءنا عنك أنك تقول: أبغيتكم تكتبون لي الدليل من قول الله وقول رسوله، وكلام العلماء على كفر الذين ينصبون أنفسهم للندور والنخي في الشدائد، ويرضون بذلك، وينكرون على من زعم أنه شرك، ويذكرون عنك أنك تقول: أبغيت عرضة على العلماء في الخرج وفي الأحساء، ولكم عليّ أني ما أقبل منهم الطفايس والكلام الفاسد؛ فإن بينوا حجة صحيحة من الله ورسوله أو عن العلماء تفسد كلامكم، وإلا اتبعت أمر الله ورسوله، واعتقدت كفر الطاغوت ومن بعدهم، وتبرأت منهم فإن كنت قلت هذا فهو كلام حسن وفقك الله لطاعته، ولا يخفك أني أعرض هذا من سنين على أهل الأحساء وغيرهم، وأقول كل إنسان أجادله بمذهبه إن كان شافعياً فبكلام الشافعية، وإن كان مالكيّاً فبكلام المالكية، أو حنبليّاً أو حنفيّاً فكذلك، فإذا أرسلت إليهم ذلك عدلوا عن الجواب؛ لأنهم يعرفون أني على الحق وهم على الباطل، وإنما يمنعهم من الانقياد التكبر والعناد على أهل نجد، كما قال - تعالى -: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ بِبَلِّغِيهِ﴾^(٢)، وأنا أذكر لك الدليل على هذا الأمر، وأوصيك بالبحث عنه، والحرص عليه وأحذرك عن الهوى والتعصب؛ بل اقصد وجه الله وأطلب منه، وتضرّع إليه أن يهديك للحق، وكن على حذر من أهل الأحساء أن يلبسوا عليك بأشياء لا ترد على المسألة، أو يشبهوا عليك بكلام باطل"^(٣).

ومن جهود الإمام - رحمه الله - في تطبيقه لمبادئه، ونبذته للتعصب بكل صورته وأشكاله، يُقرر للخصوم حقيقة تنقطع أمامها كل حجة، وهي أنه لا يتعصب لكائن من كان حاشا المعصوم - عليه الصلاة والسلام -، فيقول: "فأنا والله الحمد، لم آت الذي أتيت بجهالة، وأشهد الله وملائكته أنه إن أتاني منه (يعني: عبد الله بن عيسى) أو ممن دونه، في هذا الأمر

(١) محمد بن سلطان العوسجي، ولد في ثادق سنة (١١٧٩)، حفظ القرآن وتعلم في بلده، كان بينه وبين الإمام محمد بن عبد الوهاب مكاتبات، ورحل إلى الدرعية وأخذ عن إمامها وأبنائه وغيرهم، وكان مُجَبِّاً لجمع الكتب، تولى قضاء الأحساء وتوفي بها سنة (١٢٢٣هـ). انظر: عنوان المجد - عثمان بن بشر (١/٢٩٠)، وتاريخ الفاخري - محمد الفاخري (١٦٨)، وروضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين - محمد القاضي (٢/٢٢٩-٢٣٠).

(٢) سورة غافر آية رقم [٥٦].

(٣) مجموع مؤلفات الشيخ - الرسائل الشخصية (٣/٨٠-٨١).



كلمة من الحق، لأقبلتها على الرأس والعين، وأترك قول كل إمام اقتديت به، حاشا رسول الله ﷺ؛ فإنه لا يفارق الحق.

فإن كانت مكاتيب أولياء الشيطان، وزخرفة كلامهم الذي أوحى إليهم ليجادل في دين الله، لما رأى أن الله يريد أن يظهر دينه غرته وأصغت إليه أفئدتكم، فاذكروا لي حجة مما فيها أو كلها، أو في غيرها من الكتب، مما تقدرون عليه أنتم ومن وافقكم، فإن لم أجابه عنها بجواب فاصل بيني، يعلم كل من هداه الله أنه الحق، وأن تلك هي الباطل، فأذكروا عليّ" (١).

ولكون داء التعصب قد استشرى في زمن الإمام - رحمه الله -، وأخذ الناس يُوالون ويُعادون عليه، فقد كرره في رسائله ومؤلفاته، وحذر منه، وزجر عنه، فيقول في مسائل الجاهلية (٢) مُقرراً أن هذا مسلك الجهال في كل زمان: "الخامسة والخمسون: التعصب للمذهب كقوله فيها: ﴿وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ﴾ (٣)، وقوله: "الثالثة والتسعون: أن تعصب الإنسان لطائفته على الحق والباطل أمر لا بد منه عندهم، فذكر الله فيه ما ذكر".

وجهود الإمام - رحمه الله - في محاربة هذا الداء ظاهرة جليّة في أثره على تلاميذه وأتباعه حيث حصنهم من هذا الداء، فظهر أثر هذا التحصين في تحذيرهم من التعصب في كتاباتهم ورسائلهم، يقول أبناء الإمام الشيخ حسين (١٢٢٤هـ) والشيخ عبد الله (١٢٤٢هـ) - رحمهم الله -: "والذي نكره هو التعصب للمذاهب، وترك اتباع الدليل" (٤).

ويقرر الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، أن خطابهم ودعوتهم لمن له عقل وعلم، ومتسم بالعدل والإنصاف والبعد عن التعصب؛ لأنهم ابتلوا بفئام من الناس هذا مسلكتهم، ينظرون إلى من قال لا إلى المقال (٥).

(١) مجموع مؤلفات الشيخ - الرسائل الشخصية (١٥٣/٣)، والدرر السنية في الأجوبة النجدية - جمع: عبد الرحمن بن قاسم (٣/٥٧-٥٨)، وانظر: مجموع مؤلفات الشيخ - الرسائل الشخصية (٣/١٣٩).

(٢) مجموع مؤلفات الشيخ (٦/٢٣٤)، (٦/٢٣٦).

(٣) سورة غافر آية رقم [٥٦].

(٤) الدرر السنية في الأجوبة النجدية - جمع: عبد الرحمن بن قاسم (١/٢٢١)، و(٤/١٤)، وانظر: (١/٤١٨).

(٥) المرجع السابق (١/٢٣٦).

ويقول الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن^(١): "ومن أكبر أسباب شرح الصدر للنصائح والمواظب وقبولها، ما يعلمه الله من حرص العبد على الخير والهدى، والتجرد من ثوبي التعصب والهوى، والبعد عن الإعجاب بالنفس، وإيثار الشهوات الدنيويّة، فالقلب إذا سلم من هذا، وابتهل إلى الله بالأدعية المأثورة، كدعاء الاستفتاح: "اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل..."^(٢)، لا سيما في أوقات الإجابة، فإن هذا لا تكاد تسقط له دعوة، والتوفيق له أقرب من جبل الوريد"^(٣).

(١) عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب، ولد سنة (١٢٢٥هـ) في الدرعية، ثم أصابها ما أصابها من الخراب والتدمير على يد إبراهيم باشا، فانتقل إلى مصر مع والده، في آخر سنة (١٢٣٣هـ)، وأقام بها إحدى وثلاثين سنة، درس العلم فيها على علماء نجديين ومصريين، له مؤلفات كثيرة أشهرها: تأسيس التقديس في الرد على داود بن جرجيس، ومصباح الظلام في الرد على من كذب على الشيخ الإمام، والبراهين الإسلامية في الرد على الشبهات الفارسية، وغيرها، توفي سنة (١٢٩٣هـ). انظر: علماء نجد خلال ثمانية قرون - عبد الله البسام (٢٠٢/١-٢١٤)، وعلماء الدعوة - عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ (٨٩-١٠٣).

(٢) رواه مسلم في صحيحه - كتاب صلاة المسافرين وقصرها - باب صلاة النبي ﷺ ودعائه بالليل (٨٠٠) (ح ٧٧٠١).

(٣) مجموعة الرسائل والمسائل النجدية - بعض علماء نجد (٤٨/٢-٤٩).



المطلب الثاني: التقليد

التقليد في اللغة: وضع الشيء في العنق مع الإحاطة به، ويسمى ذلك قلادة، وقُلْد فلانًا: اتبعه فيما يقول أو يفعل، من غير حجة ولا دليل، وحاكاه^(١).

"والتقليد عبارة عن اتباع الإنسان غيره، فيما يقول أو يفعل معتقدًا للحقيقة فيه، من غير نظر وتأمل في الدليل، كأن هذا المتبع جعل قول الغير أو فعله قلادةً في عنقه، وعبارةً عن قبول قول الغير بلا حجة ولا دليل"^(٢).

فالتقليد: "قبول القول بغير دليل"^(٣).

إن من نعم الله على العباد أن وهبهم العقول التي يُميزون بها بين الحق والباطل، والصحيح من الكذب، والمقلد الذي يُقلد غيره، ويقبل قوله بلا فكر ولا دليل، قد عطل عقله، ولم يستفد مما وهبه الله وحباه من النعم، وشبهه التقليد شبهة شيطانيةً يصرف بها الشيطان المُقلِّدة عن التفكير والتدبر في معرفة دلالات الشرع، ويصرفهم إلى تقليد من ينتحلون سواء فرقًا أو أحزابًا أو شيوخيًا، ولا يرون الحق إلا فيمن يقلدونه؛ لأنهم حجروا على عقولهم وأفكارهم بقيود ثقال ما أنزل بها من سلطان^(٤).

وقد ابتلي الإمام - رحمه الله - بصنفٍ من المقلِّدة يتبعون الكبراء والرؤساء في أمر دينهم غافلين عن وعيد الله لمن هذا نهجه وطريقته، قال - تعالى - : ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَلَيْتَنَّا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ﴾^(٥) وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكِبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا ﴿٦٧﴾ رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَمُ لَعْنَا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾، ومع ذلك فقد أعماهم التقليد والتبعية، مع علمهم بصدق الإمام ووضوح الحق الذي جاء به.

(١) انظر: المعجم الوسيط - مجمع اللغة العربية - باب القاف (٢/٧٥٤).

(٢) التعريفات - علي الجرجاني - باب التاء (١/٩٠).

(٣) المسودة في أصول الفقه - لآل تيمية (٢/٨٥٠).

(٤) انظر: استثمار مسائل الاعتقاد في حماية الأمن الفكري - عبد اللطيف الحفظي (١٠)، بحث مقدم للمؤتمر الوطني الأول للأمن الفكري (١٤٣٠هـ).

(٥) سورة الأحزاب آية رقم [٦٦ - ٦٨].

وقد وضع المقلدة عقباتٍ مختلفة لصد أتباعهم عن هدى الله، وصوروا لهم أن القرآن والسنة لا يفهمهما إلا المجتهد المطلق، وهو الموصوف بصفات يعزّ وجودها في أكابر صحابة رسول الله ﷺ فضلاً عن من دونهم، وليس للمقلد من طريق يفهم بها عن الله - عز وجل -، ولا عن رسوله - عليه الصلاة والسلام -؛ إلا بتقليد غيره بلا وعي ولا روية^(١).

ولذا اشتد نكيرهم على الإمام - رحمه الله - عندما طبق دلالات نصوص الكتاب والسنة على الواقع الذي يعيشه، ولذا يقول ابن السويدي: "فإن أبيتم إلا العناد، وادعيتم المراتب العالية، والأخذ من الأدلة من غير تقليد أئمة الهدى... هذا خرق للإجماع"^(٢).

ويكرر أن من لا تتوفر فيه شروط الاجتهاد المطلق يجب عليه أن يُقلد، بل ويصرح بإنكاره على الإمام - رحمه الله - وأنه لا يجوز مثله الاستنباط ولا يحل أن يعتمد على فهمه للنصوص ودلالاتها بل عليه أن يقلد^(٣)، وأنه لا يجوز أن يُقلد إلا الأئمة المجتهدون، ومن لم يبلغ رتبهم يجب عليه تقليدهم ولا يفتي إلا بحكاية قولهم^(٤)، ويعيب على الإمام - رحمه الله - أنه لم يقلد أهل العلم ولا عباراتهم، وهذا جعله يصدر أحكاماً لا تتوافق مع ما يراه ابن السويدي الذي حجر على الأمة الفهم والاستنباط وتطبيق الأحكام على الواقع، بل ويصرح أن من أسباب عدم قبول قول الإمام - رحمه الله - أن ما أنكره ملاً الأرض ولم يكون للإمام سلف في إنكاره على من تلبس به^(٥).

وينقل ابن داود عن أحد العلماء من نزلاء المدينة زعم، أن نهي الإمام عن التقليد من جهالته وضلالته^(٦).

(١) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ - الرسائل الشخصية - (٣/٢٦٥)، والدرر السنية في الأجوبة النجدية - جمع: عبد الرحمن بن قاسم (١/١٧٤)، واستثمار مسائل الاعتقاد في حماية الأمن الفكري - عبد اللطيف الحفظي (٩)، بحث مقدم للمؤتمر الوطني الأول للأمن الفكري (١٤٣٠هـ).

(٢) المشكاة المضيئة - صحيفة (٥٥).

(٣) انظر: المرجع السابق - صحيفة (١٨٨).

(٤) انظر: المرجع السابق - صحيفة (١٩).

(٥) انظر: المرجع السابق - صحيفة (١٩ب).

(٦) انظر: الصواعق والرعود - صحيفة (٨٢ب - ٨٣أ).



وأن شيخًا من أهل نجد يُدعى صالح بن عبد الله النجدي الحنبلي المدني^(١) قال عن الإمام -رحمه الله- في معرض رده عليه: "فقد خالف ما عليه النبي ﷺ وأصحابه والتابعون لهم بإحسان، وأنكر على من قلدهم... فأنكر التقليد في الأحكام الشرعية والفرعية، وأنكر على من قلّد الأئمة الأربعة، وشدّد على من قلّد الإمام المُعظّم الذي أجمعت الأمة المعصومة من الاجتماع على الخطأ على إمامته وفضله...أبا حنيفة"^(٢).

بل زُمي الإمام بما لا تتصوره العقول فضلًا عن وقوعه، وهو قوله عن الإمام -رحمه الله-: "وحقيقة هذا الضال أنه يُكفر من قلّد واحدًا من الأربعة، ويقول: أُمرت أن أُقاتل الناس حتى يُقلدوني، ويدعي العصمة"^(٣).

فطريقة هؤلاء الخصوم هي مصادرة العقل والفكر والفهم، والتحجير على الخلق مهما كانت مرتبتهم أو منزلتهم في العلم؛ إذ فهم دلائل الكتاب والسنة وجواز العمل بهما لا يحتاج إلى شروط قد لا تتوفر إلا في المجتهد المطلق؛ بل المطلوب من المؤمن إذا بلغه كلام الله -عزّ وجلّ- وسنة رسوله ﷺ، وفهم معنى ذلك أن يعمل به؛ إذ ذلك مقتضى ما أمر الله به، وأمر به رسوله الكريم، وأجمع على ذلك العلماء، ولم يُخالف فيه إلا جهّال المقلدة، ولا اعتبار لقولهم؛ لأنهم ليسوا من أهل العلم^(٤).

قال إمام أهل السنة والجماعة أحمد بن حنبل -رحمه الله- كما أورده الإمام ابن القيم -رحمه الله- في أعلام الموقعين^(٥): "وقد فرق أحمد بين التقليد والاتباع فقال أبو داود^(٦): "سمعته يقول: الاتباع أن يتبع الرجل ما جاء عن النبي ﷺ وعن أصحابه ثم هو من بعد في التابعين

(١) لم أف له على ترجمة رغم بذل الجهد.

(٢) الصواعق والرمود-صحيفة (٨٣-٨٣ب).

(٣) المرجع السابق-صحيفة (١٢٣ب).

(٤) انظر: تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد-سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب (٥٤٦-٥٤٧).

(٥) (٢٠١/١).

(٦) سليمان بن الأشعث بن إسحاق السجستاني صاحب السنن، ولد سنة (٢٠٢هـ)، سمع أبا عمر الضرير ومسلم بن إبراهيم والقعني وخلقا كثيرا بالحجاز والشام ومصر والعراق والجزيرة، حدث عنه الترمذي والنسائي وابنه أبو بكر بن أبي داود وغيرهم، وقال محمد بن إسحاق الصاغاني لين لأبي داود الحديث كما لين لداود الحديد. توفي سنة (٢٧٥هـ). انظر: الجرح والتعديل - عبد الرحمن بن أبي حاتم (١٠١/٤)، وسير أعلام النبلاء للذهبي (١٣/٢٠٣-٢٢٢)، والبداية والنهاية-ابن كثير(١١/٥٤-٥٦).

مخير، وقال أيضاً: لا تقلدني ولا تقلد مالكا ولا الثوري^(١) ولا الأوزاعي^(٢)، وخذ من حيث أخذوا، وقال: من قلة فقه الرجل أن يقلد دينه الرجال".

وجهود الإمام- رحمه الله- في ذم التقليد المذموم واضحة في دعوته لمعارضيه؛ لأن التقليد هو القاعدة الجامعة لملل الكفر والزيغ والضلال، كما قال الإمام- رحمه الله-: إن دينهم مبني على أصول: أعظمها التقليد، قال- تعالى- ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ أُولَٰئِكَ حُتَّتْ بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٣﴾﴾، فأمرهم الله- تعالى- بقوله: ﴿اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾﴾ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أُولَٰئِكَ هُمُ السَّيِّئُونَ ﴿٥﴾﴾ إلى غير ذلك مما يدل على أن أهل الجاهلية كانوا في ربة التقليد، لا يُحْكَمون لهم رأياً، ولا يشغلون فكراً؛ فلذلك تاهوا في أودية الجهالة، وهكذا كل من سلك مسلكهم في أي زمان^(٦).

وبين الإمام- رحمه الله- أن من أعظم أسباب انحراف المسلمين عن إسلامهم الصحيح هو انشغالهم بكتب المتأخرين عن النظر في القرآن والسنة النبوية، وكان ذلك راجعاً إلى اعتقاد

(١) سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري الكوفي، ولد سنة (٩٧هـ) من صغار التابعين، روى عن إبراهيم بن عبد الأعلى، وإبراهيم بن عقبة، وإبراهيم بن محمد بن المنتشر وحلق كثير، ويقال: إن عدد شيوخه ست مائة شيخ، روى عنه الأعمش، وأبان بن تغلب، وابن عجلان، وحلق كثير. توفي سنة (١٦١هـ). انظر: الطبقات الكبرى- ابن سعد (٦/٣٥٢-٣٥٠)، وحلية الأولياء- أبي نعيم الأصفهاني (٦/٣٩٣-٣٦٠، ٧/٤٣٦-٣٦٥) وسير أعلام النبلاء للذهبي (٧/٢٢٩-٢٧٩).

(٢) عبد الرحمن بن عمرو بن محمد الأوزاعي الدمشقي، وُلِدَ سنة (٨٨هـ) حدث عن عطاء بن أبي رباح والقاسم بن مخيمرة وشداد أبي عمار وحلق، وحدث عنه شعبة وابن المبارك والوليد بن مسلم وغيرهم، سكن في آخر عمره بيروت مرابطاً، وبها توفي، قال إسماعيل بن عياش: سمعتهم يقولون سنة أربعين ومائة: الأوزاعي اليوم عالم الأمة. توفي سنة (١٥٧هـ). انظر: الطبقات الكبرى- ابن سعد (٧/٣٣٩)، وسير أعلام النبلاء للذهبي (٧/١٠٧-١٣٤)، والبداية والنهاية- ابن كثير (١١/١١٥-١٢٠).

(٣) سورة الزخرف آية رقم [٢٣-٢٤].

(٤) سورة الأعراف آية رقم [٣].

(٥) سورة لقمان آية رقم [٢١].

(٦) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ- مجموعة رسائل في التوحيد والإيمان- مسائل الجاهلية (٦/٢٢٩).



الناس استحالة وصولهم إلى مرتبة الاجتهاد، وخالفهم في ذلك الإمام - رحمه الله - وعلماء دعوته، وتيقنوا أنه لا سبيل إلى إصلاح الأمة إلا بتحطيم قيود التقليد، والعودة إلى النظر في القرآن والسنة، وفهماهما ليس بمستعص على من طلب ذلك، وبذلك يحطم الإمام - رحمه الله - ما عشعش في الأذهان، وجرّد عقول أهل الضلال وأتباعهم من إعمالها في الحق والبحث عنه.

وجهود الإمام وعلماء الدعوة في خلع ريقه التقليد صريحة وواضحة، حيث أبانوا بأن مذهبهم في أصول الدين مذهب أهل السنة والجماعة، وفي الفروع مذهب الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله -، ويذكرون أن أصول الدين لا اجتهاد فيها، أما الفروع فهم لا يلتزمون بمذهب الإمام أحمد بن حنبل، وإنما يقبلون كلمة الحق من أي إمام كان؛ لذلك نجدهم لا يتعصبون للمذهب الحنبلي ولا يقدمونه على النصوص الصريحة، فنجدهم ينقلون أقوال الأئمة الأربعة؛ ليقرروا بعد ذلك الرأي الراجح عندهم، وهذا تطبيق عملي على نبذهم للتقليد في دين الله على غير هدى.

ولا يقال: إن تأثر الإمام محمد بن عبد الوهاب بأحمد بن حنبل وابن تيمية وتلميذه ابن القيم^(١) - رحمهم الله - تقليدٌ لهم، وإنما هو موافقة الحق للحق، وإن معنى التقليد أن تؤخذ قضايا الأولين من غير نظر في الأدلة، وأما الإيمان بها عن دليل واقتناع، فلا يسمّى ذلك تقليدًا؛ لذلك فالإمام وعلماء الدعوة لا ينكرون على أحدٍ اتباعه أحدَ المذاهب الأربعة دون غيرها؛ لعدم ضبط المذاهب الأخرى، وهم يرون أنه لا يوجد أحد يستحق مرتبة الاجتهاد المطلق، أما الاجتهاد في بعض المسائل فلا مانع عندهم منه.

وفي ذم التقليد يقول: أبو جعفر الطحاوي^(٢): عن مناظرة جرت بينه وبين أبي عبيد حربويه^(١) فقال: كان يذاكرني في المسائل، فأجبتة يومًا في مسألة فقال لي: ما هذا قول أبي

(١) محمد بن أبي بكر بن أيوب المشهور بابن قيم الجوزية ولد سنة (٦٩١هـ) تتلمذ على شيخ الإسلام ابن تيمية ودرس بالصدرية، وأم بالجوزية، وأخذ الفرائض عن أبيه، والأصول عن الصفي الهندي، برع في جميع العلوم وفاق الأقران واشتهر في الآفاق، وتبحر في معرفة مذاهب السلف. توفي (٧٥١هـ). انظر: البداية والنهاية لابن كثير (٢٣٤/١٤)، والبدور الطالع - محمد الشوكاني (١٤٣/٢).

(٢) أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي المصري الحنفي صاحب العقيدة، ولد سنة (٢٣٩هـ) نشأ في بيت علم وفضل، سمع هارون بن سعيد الأيلي وعبد الغني بن رفاعة ويونس بن عبد الأعلى وغيرهم، وعنه أحمد الخشاب، ومحمد الأحميمي والطبراني وآخرون، كان ثقة ثبتا فقيها، قال أبو إسحاق الشيرازي في الطبقات، انتهت إليه رئاسة أصحاب أبي حنيفة بمصر، توفي سنة (٣٢١هـ) انظر: وفيات الأعيان - ابن خلكان (٧١/١-٧٢)، وسير الأعلام للذهبي (١٥٠/٢٧-٣٣)، ولسان الميزان - أحمد بن حجر (٣٠٨/١-٣٨٦).

حنيفة، فقلت له: أيها القاضي: أوكل ما قاله أبو حنيفة أقول به؟ فقال: ما ظننتك إلا مقلدًا، فقلت له: وهل يقلد إلا عصبي؟ فقال لي: أو غيبي؟ قال: فطارت هذه بمصر حتى صارت مثلاً وحفظها الناس" (٢).

لذلك نجد للإمام وبعض علماء الدعوة اجتهادات في بعض المسائل مع مخالفتها لمذهب الحنابلة، كإرث الجد والأخوة، فهم يقدمون الجد بالإرث (٣)، ومثل جواز صلاة المنفرد خلف الصف (٤)؛ بل للشيخ اجتهادات أكثر تحرراً، مثل: جعل دية المسلم ثمانمائة ريال بدل مائة ناقة (٥) وهكذا، وهذا منهج لم يعهده المقلدة وسابقة للإمام - رحمه الله - جعلتهم يُشنعون عليه بلا برهان.

ومن أبرز معطيات دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - وجهوده العودة بعلماء المسلمين إلى الاجتهاد في الفروع، بعد أن كان ذلك معدوماً أو شبه معدوم، وهنا يجدر بالذكر أن يُقال: إن دعوة الإمام - رحمه الله - تتلخص في مبدأين رئيسين:

الأول: الدعوة إلى توحيد الله - سبحانه وتعالى -، وإخلاص العبادة له، قولاً وعملاً، والبعد عن كل ما ينافي ذلك أو يُناقضه.

الثاني: الدعوة إلى الاجتهاد ومحاربة التقليد الأعمى المذموم (٦).

وجهد الإمام - رحمه الله - في التحذير من التقليد - وترك الأخذ من الكتاب والسنة عن فهم وعلم ومعرفة ووفق السبل والوسائل المُتاحة في عصره - بيّن واضح، ففي رسالة له لأحد المدعوين يقول: "وإلا فمعلوم أن اتباعكم لابن حجر في الحقيقة، ولا تبعثون بمن خالفه من

(١) = علي بن الحسين بن حرب بن عيسى البغدادي قاضي مصر، سمع: أحمد بن المقدم، والحسن بن عرفة، وعنه أبو بكر بن المقرئ، وأبو حفص ابن شاهين، توفي سنة (٣١٩هـ). انظر: طبقات الشافعية الكبرى - تاج الدين السبكي (٤٤٦/٣ - ٤٥٥)، وسير أعلام النبلاء - للذهبي (٥٣٨/١٤ - ٥٣٩)، والبداية والنهاية - ابن كثير (١١/١٦٧).

(٢) لسان الميزان - ابن حجر (٣٨٤/١)، وسير أعلام النبلاء للذهبي (٥٣٧/١٤ - ٥٣٨).

(٣) مجموع مؤلفات الشيخ - فتاوى ومسائل (٤٣/٢).

(٤) انظر: الدرر السنية في الأجوبة النجدية - جمع: عبد الرحمن بن قاسم (٤١٥/٤).

(٥) انظر: المرجع السابق (٤٠١/٧ - ٤٠٢).

(٦) انظر: حقيقة دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأثرها في العالم الإسلامي - محمد بن عبد الله السلطان (١٣٨ - ١٤٠) مجلة البحوث الإسلامية - العدد (٢١) سنة (١٤٠٨هـ).



رسول أو صاحب أو تابع حتى الشافعي نفسه، ولا تعبئون بكلامه إذا خالف نص ابن حجر، وكذلك غيركم إنما اتباعهم لبعض المتأخرين لا للأئمة؛ فهؤلاء الحنابلة من أقل الناس بدعة، وأكثر الإقناع والمنتهى مخالف لمذهب أحمد ونصه، يعرف ذلك من عرفه"^(١).

ومن قلّد على غير بصيرة لا يعترف بخطئه، بل يبرر أنه قلّد لعدم فهمه، والإمام- رحمه الله- يبين لمن هذا حاله أن الله تكفل لمن اتبع هداه أنه مضمون له السلامة من الهلكة والشقاء فيقول: "ولما عرف- سبحانه- أن هذه الأمة سيحري عليها ما جرى على من قبلها من اختلافهم على أكثر من سبعين فرقة، وأن الفرق كلها تترك هدى الله إلا فرقة واحدة، وأن كل الفرق يُقرّون أن كتاب الله هو الحق لكن يعتذرون بالعجز، وأنهم لو يتعلمون كتاب الله، ويعملون به لم يفهموا لغموضه، قال: ﴿فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾^(٢)، وهذا تكذيب هؤلاء الذين ظنوا في القرآن ظن سوء. قال ابن عباس: "تكفل الله لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه، ألا يضل في الدنيا، ولا يشقى في الآخرة"^(٣)، وبيان هذا أن هؤلاء الذين يزعمون أنهم لو تركوا طريقة الآباء، واقتصروا على الوحي، لم يهتدوا بسبب أنهم لا يفهمون، كما قالوا: ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾^(٤)، فرد الله عليهم بقوله: ﴿بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ﴾^(٥)، فضمن لمن اتبع القرآن أنه لا يضل كما ضلّ من اتبع الرأي؛ فتجدهم في المسألة الواحدة يحكون سبعة أقوال أو ستة، ليس منها قول صحيح، والذي ذكره الله في كتابه في تلك المسألة بعينها لا يعرفونه"^(٦).

(١) مجموع مؤلفات الشيخ- الرسائل الشخصية (١٤٣/٣).

(٢) سورة طه آية رقم [١٢٣].

(٣) المصنف في الأحاديث والآثار- عبد الله بن أبي شيبة (١٣٦/٧) (ح ٣٤٧٨١).

(٤) سورة البقرة آية رقم [٨٨].

(٥) سورة البقرة آية رقم [٨٨].

(٦) مجموع مؤلفات الشيخ- فتاوى ومسائل (٤٦/٢)، وانظر: مجموع مؤلفات الشيخ- كتاب فضائل القرآن والتفسير-

تفسير سورة طه (٢٠٠/٢).

وقد أخذ الإمام يبين للمقلدة ويوضح منهجه، كما في رسالته إلى أحمد بن إبراهيم^(١)، "...وأما قولك أبغي أشاور إبراهيم^(٢) فلا ودي تصير ثالثاً لابن عباد^(٣) وابن عيد^(٤)، أما ابن عباد فيقول: أي شيء أفعل بالعناقر، وإلا فالحق واضح ونصحتهم وبينت لهم، وابن عيد أنت خابره، حاول إبراهيم في الدخول في الدين، وتعذر من الناس أن إبراهيم ممتنع، يا سبحان الله! إذا كان أهل الوشم وأهل سدير وغيرهم يقطعون أن كل مطوع في قرية لو ينقاد شيخها ما منهم أحد يتوقف كيف يكون قدر الدين عندكم؟ كيف قدر رضا الله والجنة؟ كيف قدر النار وغضب الله؟ ولكن ودي تُفكر فيما تعلم"^(٥).

ووقف الإمام- رحمه الله- تجاه هذه الشبهات والمعوقات التي ألّبت على الناس دينهم الصحيح بالأباطيل من الأقوال التي ورثوها عن شاكلهم موقفاً واضحاً بيناً، وأبان أن تعظيم أهل الحق لا يعني تقليدهم فيما أخطئوا فيه، أو قصر الحق على قولهم دون سواهم من أهل العلم، ويتجلى ذلك في قوله- رحمه الله-: "ولست -ولله الحمد- أدعو إلى مذهب صوفي، أو فقيه، أو متكلم، أو إمام من الأئمة الذين أعظمهم مثل: ابن القيم والذهبي^(٦) وابن كثير

(١) أحمد بن إبراهيم مطوع مرات في زمن الإمام، جرى بينه وبين الإمام مراسلات، والتي يظهر منها أنه يميل إلى خصوم الإمام، كما يظهر أنه ليس عالماً مشهوراً؛ لذا لم يُترجم له. انظر: مجموع مؤلفات الشيخ -الرسائل الشخصية (١١٢/٣).

(٢) لم أقف له على ترجمة رغم التتبع وبذل الجهد.

(٣) محمد بن حمد بن عباد الدوسري، ولد في بلدة البير، وتنقل بينها وبين حوطة سدير التي استفاد من علمائها، عُين في قضاء ثرماء حتى توفي سنة (١١٧٥هـ)، من المعارضين والمعاندين لدعوة الإمام، جرى بينه وبين الإمام مراسلات، له تاريخ ابن عباد. انظر: علماء نجد خلال ثمانية قرون- عبد الله البسام (٥١٦/٥-٥١٨)، ومجموع مؤلفات الشيخ- الرسائل الشخصية (٩/٣، ١٥، ١٤).

(٤) محمد بن عيد من مطاوعة ثرمدا كاتبه الإمام ولم يستجب لدعوته، قُتل في وقعة الصحن سنة (١١٨٠هـ). انظر: تاريخ ابن غنام (٧٨٢/٢)، وعنوان المجد في تاريخ نجد- عثمان بن بشر (١٣٦/١)، وتاريخ الفاخري- محمد الفاخري (١٤١).

(٥) مجموع مؤلفات الشيخ- الرسائل الشخصية (١١٤/٣)، وتاريخ ابن غنام (٤٢٦/١).

(٦) محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، حافظ، مؤرخ، علامة محقق، تركماني الأصل، ولد في دمشق سنة (٦٧٣هـ) رحل إلى القاهرة وطاف كثيرا من البلدان، وكف بصره سنة (٧٤١هـ) تصانيفه كبيرة كثيرة تقارب المئة أشهرها: ميزان الاعتدال، وتذكرة الحفاظ، وسير أعلام النبلاء. توفي في دمشق سنة (٧٤٨هـ). انظر: الدرر الكامنة- ابن حجر (٣٣٦/٣)، وطبقات الشافعية الكبرى- تاج الدين السبكي (٢١٦/٥)، والبداية والنهاية- ابن كثير (٢٢٥/١٤).



وغيرهم، بل أدعو إلى الله وحده لا شريك له وأدعو إلى سنة رسول الله ﷺ التي أوصى بها أول أمته وآخريهم، وأرجو أني لا أرد الحق إذا أتاني؛ بل أشهد الله وملائكته وجميع خلقه إن أتانا منكم كلمة من الحق لأقبلنَّها على الرأس والعين، ولأضربن الجدار بكل ما خالفها من أقوال أئمتي حاشا رسول الله ﷺ فإنه لا يقول إلا الحق" (١).

وبهذا يفرق الإمام بين التقليد الذي هو الاتباع بلا حجة، والاتباع المبني على الدليل والبرهان.

يقول الشيخ صالح الفوزان (٢) - حفظه الله -: "والإمام - رحمه الله - لا يأخذ قول المذهب الذي ينتسب إليه قضية مسلمة حتى يعرضه على الدليل، فما وافق الدليل أخذ به، ولو لم يكن في المذهب الذي يقلده إذا وافق قول أحد الأئمة الآخرين؛ لأن هدفه موافقة الدليل، وهذا في حد ذاته يعتبر تجديداً في الفقه أيضاً، بخلاف التقليد الأعمى والتعصب الممقوت" (٣).

وهكذا نهج أتباع دعوة التوحيد المتبعين لمنهج السلف طريق النجاة، وسلموا من شبهة التقليد الأعمى الذي يقود إلى الهلكة، والبعد عن الصراط المستقيم والطريق القويم.

(١) مجموع مؤلفات الشيخ-الرسائل الشخصية (٣/١٣٩).

(٢) صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، ولد بالشماسية، سنة ١٣٥٤هـ، التحق بالدراسة النظامية فيها، وبعدها التحق بالمعهد العلمي، ثم التحق بكلية الشريعة بالرياض، وتخرج فيها، ونال درجة الماجستير في الفقه، وكذا الدكتوراه، درس بالمعهد العلمي بالرياض ثم في كليات جامعة الإمام وعضواً في اللجنة الدائمة للإفتاء والبحوث العلمية، ولا يزال على رأس العمل، ومن مشايخه: الشيخ عبد العزيز بن باز، والشيخ عبد الله بن حميد، والشيخ محمد الأمين الشنقيطي وغيرهم، وله مؤلفات كثيرة مفيدة منها: التحقيقات المرضية في المباحث الفرضية، وأحكام الأطعمة في الشريعة الإسلامية، والإرشاد إلى صحيح الاعتقاد. انظر: موقع الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء على الرابط:

<http://www.alifta.net/Fatawa/MoftyDetails.aspx>

(٣) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد (١/١٠).

المبحث الثاني: اتباع الهوى والحسد

من الأدواء الخطيرة التي تفتك بوحدة المجتمع، وتفت في الرابطة الدينية قبل الاجتماعية، الهوى والحسد، فمبنى كلٍّ منهما على الآخر إذ: "إن أصل العداوة والشر والحسد الواقع بين الناس من اتباع الهوى، فمن خالف هواه أراح قلبه وبدنه وجوارحه فاستراح وأراح"^(١).
وبهذين الداءين - أي: الهوى والحسد - بلغ بأهل الكتاب أن كَفَّر بعضهم بعضًا، وضلل بعضهم بعضًا^(٢).

وأعظم ما استثار خصوم الإمام - رحمه الله - إنما دفعهم الهوى والحسد؛ لسرعة انتشار الدعوة، ولخوفهم وهلعهم على مصالحهم ومكانتهم^(٣).
فالهوى الفكري، والحسد الذي منشؤه الفكر المنحرف، لهما إسهام في اختلال الأمن الفكري، ويتضح ذلك من خلال المطلبين التاليين:

(١) روضة المحبين ونزهة المشتاقين - ابن القيم (٤٨٢).

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - عبد الرحمن بن سعدي (٤٨).

(٣) انظر: إسلامية لا وهابية - ناصر العقل (١٦٠-١٦١).



المطلب الأول: اتباع الهوى

الهوى في اللغة: هوى الشيء: سقط من علو إلى سفلى، واستهوى الشيء فلاناً: أعجبه وشغل هواه، واستهوى فلاناً: أثر فيه حتى جعله يتقبل رأيه دون أن يقوم لديه الدليل اليقيني على صحته، والهوى: الميل والعشق، ويكون في الخير والشر، وميل النفس إلى الشهوة^(١).

فالهوى اصطلاحاً: ميل النفس إلى الشبهات والشهوات، من غير داع الشرع، والعقل السليم^(٢).

فاتباع الهوى يقود الإنسان إلى انحراف تفكيره، وميله عن جادة الصواب؛ ولذا جاء في الشرع المطهر التحذير من الانزلاق والتردي في متاهات الهوى؛ لأن النتائج ضلال وانحراف فكري قال - تعالى -: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾^(٣)، وقال - تعالى -: ﴿فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا﴾^(٤)، وقال - تعالى -: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾^(٥) ^(٦).

وفي حديث القرآن عن اتباع الهوى أشار إلى أنه قد يُوصل الإنسان إلى أمر خطير، وهو أن يجعل نفسه إله ومعبود من دون الله إذا أطلق لها عنان الهوى، ولم يلجمها بلجام الشرع، قال - تعالى -: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾^(٧).

(١) انظر: مقاييس اللغة - ابن فارس (٩٢٤)، والمعجم الوسيط - مجمع اللغة العربية - باب الهاء (١٠٤٣-١٠٤٤).

(٢) انظر: التعريفات - علي الجرجاني (٢٧٨).

(٣) سورة ص آية رقم [٢٦].

(٤) سورة النساء آية رقم [١٣٥].

(٥) سورة النازعات آية رقم [٤٠-٤٢].

(٦) انظر: الانحراف الفكري وأثره في الإرهاب - خالد القرشي (٣٧٣-٣٧٤).

(٧) سورة الجاثية آية رقم [٢٣].

إن عدم التقيد بما شرع الله اتباعاً لهوى النفس، وما تستلذه من عدم تقييدها بقيود الشرع التي أمر الله بها، لهو أثر من آثار الانحراف الفكري، ولا شك أن هذا هو عين الضلال، قال -تعالى-: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ﴾^(١).

وجاء عن الرسول الكريم في ذم اتباع الهوى، قوله ﷺ: "وأما المهلكات فشح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه"^(٢).

واتباع الهوى مذمومٌ شرعاً؛ لأنه يجعل الإنسان كلاً على غيره بتعطيله لفكره وإدراكه، وقدرته على التمييز، وقد ذم الشرع المُطهر من هذه حاله؛ بل وحط من منزلته وقدره، قال -تعالى-: ﴿أَرَأَيْتَ مَنْ أَخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكَيْلًا﴾^(٣) ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾^(٤).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "فإن الإنسان قد يعرف أن الحق مع غيره، ومع هذا يجحد ذلك لحسده إياه، أو لطلب علوه عليه، أو لهوى النفس، ويحمله ذلك الهوى على أن يعتدي عليه، ويرد ما يقول بكل طريق، وهو في قلبه يعلم أن الحق معه، وعامة من كذب الرسل علموا أن الحق معهم وأنهم صادقون"^(٥).

وذكر ابن القيم -رحمه الله-: "أن البدع واتباع الهوى أصل كل شر" وبهما كُذبت الرسل، وعُصي الرب، ودُخلت النار، وحلت العقوبات، فالأول: من جهة الشبهات، والثاني: من جهة الشهوات، ولهذا كان السلف يقولون: احذروا من الناس صنفين: صاحب هوى فتنه هواه، وصاحب دنيا أعجبته دنياه"^(٦).

(١) سورة الأحقاف آية رقم [٥].

(٢) رواه الطبراني في المعجم الكبير (٣٠١/١١) (ح ٦٥١)، والبخاري في مسنده (١٣/ ١١٤) (ح ٦٤٩١)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٥٠٣/٧) (ح ٣٧٥٧٢)، والحديث حسنه الألباني. انظر: السلسلة الصحيحة (٤/٤١٢) (ح ١٨٠٢).

(٣) سورة الفرقان آية رقم [٤٣-٤٤].

(٤) انظر: مفهوم الأمن الفكري في الإسلام وتطبيقاته التربوية - أمل نور (٥٠-٥١).

(٥) مجموع الفتاوى (٧/١٩١).

(٦) أعلام الموقعين عن رب العالمين - ابن القيم (١/١١٦).



والهوى مرض عضال مهلك وآفة خطيرة تعرض على القلب فتحرفه عن فطرته السليمة، فعواقبه مهلكة لصاحبه لما يسببه من انحراف عن مسار الحق والهدى والرشاد والهداية^(١).

وقد اعترض الإمام - رحمه الله - فئام من الناس مبنى مُعارضتهم على الهوى من أجل تحقيق مكاسب زعمانية زائفة، أو دنيوية.

فيرى ابن عفالق أن الإمام - رحمه الله - "أساء الظن بربه وبرسوله وبأتمته وتنقيصهم... إذا سمع من يقول ملجؤنا رسول الله كان عنده أعظم ممن جعل لله ندًا لا أدري أهدا منه فرط جهالة، أو غباوة، أم محض عناد وغبوية"^(٢).

ويقرر التهمة، ويدلل عليها، ويورد الاعتراضات والاحتمالات التي قد ترد عليها، ويكثر النقل فيها، ثم يحكم على الإمام - رحمه الله - حتى وإن نفاها عن نفسه، ولم ترد في كتبه، ولا رسائله، كما في زعمه أن الإمام - رحمه الله - يقول: إن اختلاف العلماء نقمة^(٣).

ويورد من الاعتراضات التي يستحکم فيها الهوى بلا زمام ولا خطام فيقول: "الذي أوقعكم فيه من الأمور الشنيعة أن هذا الرجل من ظهوره إلى الآن شغله مدح نفسه، وتخطئة العلماء، ويقول ليس عندهم حجة تدفع حجتي، فقبلتم قوله، ولم تصغوا إصغاء من طلب الحق، بل تبادرون بكل ما جاءكم من كتاب بالإعراض عنه، والسباب والسفه عن قائله قبل أن يُفتح الكتاب أو يُنظر فيه، فإذا قال لكم هو أو بعض سفهائه: فلان العالم لا يعرف شيئًا، أو كلامه حجة عليه، أطعتموه وقلدتم قوله، ولو قال لكم العلماء: إن كلام ابن عبد الوهاب ينقض بعضه بعضًا، أو يقتضي الاعتراض على الأنبياء والصحابة لا تطيعوه، ولو قال لكم على ذلك ألف حجة"^(٤).

وصاحب الهوى إذا أعياه الخصم بقوة بيانه ووضوح دليله ليس له مفر إلا بركوب مركب السب والشتيم، إذ لا حجة له ولا برهان، وهكذا خصوم الإمام - رحمه الله -؛ ولذا يقول ابن عفالق عندما قال الإمام - رحمه الله - : "أنت يا مَنْ مَنَّ اللهُ عليه بالإسلام، لا تظن أنك إذا

(١) انظر: أثر الهوى على التوحيد - منذر الغماري (٢).

(٢) انظر: جواب ابن عفالق على رسالة ابن معمر - صحيفة (٤٢ب-٤٣أ).

(٣) انظر: المرجع السابق - صحيفة (٤٧أ-٤٨أ).

(٤) المرجع السابق - صحيفة (١٥٥).

قلت: هذا هو الحق وتارك ما سواه، لكن لا أتعرضهم ولا أقول فيهم شيئاً، لا تظن ذلك يُخلصك، بل لا بد من بغضهم وبغض من يحبهم، ومسبتهم ومعاداتهم، كما قال أبوك إبراهيم: ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ (٤) (١)، ولم يقل رجل أنا أتبع النبي ﷺ، وهو على الحق، ولكن لا أتعرض اللات والعزى، وأبا جهل وأمثاله، لم يصح إسلامه (٢) انتهى كما مر، (قال ابن عفالق): فانظروا يا عباد الله إلى هذا الكلام الفاسد الركيك، والكفر والزندقة، فهل عبر بهذه العبارة خارجي أو إجماعي أو عالم أو جاهل، فهذا الرجل جعل سب هذه الأمة والقدرح فيهم وعداوتهم وبغضهم وتكفيرهم أصلاً من أصول دينه الفاسد، بل لا يصح إسلام أحد عنده، ولو دخل في دينه طائغاً مختاراً إلا بسب الأحياء والأموات، فخالف ما أمر الله به ورسوله، ونحو عنه (٣).

ويُفسر ابن عفالق كلام الإمام - رحمه الله - وفقاً لهواه بتفسيرات ليس لها مسوغ، ولا يُمكن أن تصدر من الإمام - رحمه الله - بمثل قوله: "إن من أتى ببعض العبادة وترك بعضاً، ولم ينذر أو يذبح إلا لله، ولم يتوسل بنبي ولا غيره، أنه المؤمن حقاً، وإن عطل صفات الربوبية كلها، فما هذا الجهل المركب والكفر الصريح" (٤).

ويحمل ابن عفالق كلام الإمام - رحمه الله - ما لا يحتمله سياقه، تبعاً لهواه بقوله: "ذكر في رسائله إلينا أن الله - تعالى - أرسل محمداً رسوله إلى ناس، ولم يقل إلى جميع الخلق من الجن والإنس، فخصّ ابن عبد الوهاب رسالته ﷺ بمن يحج ويصوم ويتعبد، فيؤخذ من كلامه أنه لم يُرسل إلى من يقول الآلهة ثلاثة، ولا إلى من يقول العزيز والمسيح ابن الله، ولا إلى من سب الله - تعالى - جهرة... أحرص الله لسانه عن أن يذكر ما فيه تنويه لنبينا ﷺ من عموم رسالته وشمول دعوته، فلم يقدر لسانه أن ينطق إلا بخصوصها طلباً لترويج بدعته" (٥).

(١) سورة الممتحنة آية رقم [٤].

(٢) انظر: كلام الإمام - رحمه الله - في الدرر السنية في الأجوبة النجدية: جمع: عبد الرحمن بن قاسم (١٠٩/٢).

(٣) جواب ابن عفالق على رسالة بن معمر - صحيفة (٦٥ب).

(٤) المرجع السابق - صحيفة (٦٦ب).

(٥) رد ابن عفالق على ابن معمر - صحيفة (٣٩-٣٩ب).



ويُتوَع محمد بن أحمد الأحسائي^(١) التُّهَم للإمام- رحمه الله- فيصفه بالمارق الزنديق الكافر، والمبتدع المارد رأس المُضِلين^(٢).

ورغم وضوح الأدلة وصراحتها وانطباقها على الواقع وظهورها لخصوم الإمام- رحمه الله- إلا أنهم- وهوى في نفوسهم- يحدون عن الحق حتى يقول قائلهم بعد أن ساق الآيات الزاجرة عن الشرك: "ولأن أهل العلم قد عدوا في المكفريات من أشرك بالله، قلنا هذا حق والآيات حق، وكلام أهل العلم حق؛ ولكن أهل العلم قالوا في تفسير أشرك بالله: أي ادعى الله شريكاً"^(٣).

ويبرر الشرك إن وجد بتبريرات تدل على ضعف قاعدته وهشاشتها، وهي: إن وُجد شيء من أنواع الشرك في خصوم الإمام- رحمه الله-، فهو شرك أصغر، أو أكبر فهم جُهاَل لم تقم عليهم الحجة^(٤).

ويستحكم الهوى عند ابن السويدي في تفسيره لبعض النصوص ويجيد بها عن مقصودها، فيستدلُّ بخوف النبي ﷺ على أمته من الأئمة المضلين أنه لم يخف عليهم من الشرك أو الكفر، وأنه لو كانوا يكفرون بعده لما خاف عليهم، وود أن يسلم الله عليهم من يُهلكهم، ويستدلُّ من بقاء الطائفة المنصورة على الحق أنه لم يسجل التاريخ أن هذه الطائفة قاتلت ما ملأ البلاد من مظاهر يعدها الإمام- رحمه الله- شركًا وعبادة أوثان، وأنه لم يُعهد أن هذه الطائفة قاتلت على هذه الأمور وكفرت من فعلها، إلى غير ذلك من النصوص التي يظهر فيها الهوى جليًّا فلم تكن على قواعد العلماء الذين يزعم أن لا يؤخذ حكم إلا بعد إجماعهم القطعي عليه^(٥).

ومن أدلة ابن السويدي التي يستدلُّ بها هوى على بطلان دعوة الإمام- رحمه الله- وضلاله أنه إذا صح ما يدعو إليه فستكون الأمة منذ ثمانمائة سنة على ضلالة إلا هو وأتباعه،

(١) محمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد اللطيف الشافعي الأشعري. كذا رقمه في تقريره للصواعق والرعود- عبد الله بن داود (١٩)، ولم أقف له على ترجمة.

(٢) انظر: تقريره على الصواعق والرعود- صحيفة (١٧-٧ب).

(٣) المشكاة المضيئة- ابن السويدي- صحيفة (١٢).

(٤) انظر: المرجع السابق- صحيفة (٢٢-٢٣).

(٥) انظر: المرجع السابق- صحيفة (٢٢-٢٣).

ومما يزيد عجب ابن السويدي وتهكمه وسخريته أن الفرقة الناجية التي وصفها رسول الله ﷺ بأوصاف، وذكرها أهل العلم أنه ليس في الإمام ولا أتباعه منها خصلة واحدة^(١).

ويزعم عبد الله ابن داود أن الإمام- رحمه الله- كثر جميع الأمة وأمر بقتلها، وأنه يقول: لا يصح إسلام أحد إلا على يديه، وأنه أوجب الهجرة إليه^(٢).

ويتجارى به الهوى في التشنيع على الإمام- رحمه الله- والصدّ عن دعوته إلى أن يتجنّى على الإمام بكلام لا يتوافق مع الواقع فيقول عن الإمام: "فلم يخبره أحد من العلماء، ولم يحضر له درسًا، ولم يثن عليه أحد بخير، بل من سمع كلامه ولو من بعيد شهد أنه جبار عنيد، ولا درس في العلوم الشرعيّة، ولا ألف كتابًا، ولا ناظر، ولا أتقن جوابًا، وليس عنده إلا التمثيل والتقدير، والخوض في كلام السميع البصير، ولذته في التكفير، والقتل واللعن، وتضليل الأمة والكذب عليها والظعن وسب العلماء والأخبار، وافتضاض الجواري الأبيكار، وشتيم الأحياء والأموات، وأكل الحرام، ومال اليتامى والشبهات، ومذهبه التشديد والتضييق والتعسير، وسدّ طرق الجنة إلا من طريق العسير"^(٣).

ويزعم بن داود أن الإمام- رحمه الله- لا يُدخل أعيان العلماء في الإسلام إلا بعد أن يُعلمهم معنى لا إله إلا الله، وشهادتهم له بالعصمة والهدى^(٤).

وفي سياقه للأدلة الدالة على فضل الأمة، ومنزلة العلماء، وتفسيرها تبعًا لهواه وسالكًا فيها مسلك التنفير من هذه الدعوة وإمامها ما تنبو عنه الفطر السليمة والديانة المستقيمة، فقد حشد جملة من الأدلة وذهب فيها مذهبًا رائده فيه الهوى^(٥).

ولم يردع عبد الله ابن داود تناقضه الواضح عن رمي التُّهم جزافًا على الدعوة وأئمتها، فقد سطر في كتابه تناقضًا واضحًا فيه الهوى وعدم الرشد والهدى، فمرة يذكر عن أهل نجد أنهم على عقيدة مرضيّة، وأنهم أهل عبادة وزهادة، وأهل اجتهاد في نشر العلم والتوحيد، ويذكر في

(١) انظر: المرجع السابق-صحيفة(٢٣ب).

(٢) انظر: الصواعق والرمود-صحيفة(١٢ب).

(٣) المرجع السابق-صحيفة(٥١ب).

(٤) انظر: المرجع السابق-صحيفة(٥٨ب).

(٥) انظر: المرجع السابق-صحيفة(٨٦أ-٨٧ب).



سياق هذا الكلام أنه بعد ظهور الإمام ودعوته تغير حالهم فصاروا يحكمون بغير ما أنزل الله، ويصلون إرضاءً للولاة، حتى أن بعضهم من فرط جهله يُصلي بلا وضوء، وجعلوا الزكاة مغرمًا يؤخذ من الغني والفقير، والحج ساقط عندهم؛ لأن الأولى زيارة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، والفطر في رمضان مباحًا ولم يتوصلوا إليه إلا بالغزو، وأنهم أبقوا أهل البادية على حالهم الأولى بسبب معاهدتهم له وإعطائهم على كل بعير دينار، وأنهم يُجرِّشون بين قبائل الظفير وعنزة ليأخذوا الخمس من كل منهما، وأنهم يُجرِّمون صيد المُخالفين ويحل بعد معاهدتهم وإن كان ذبحه قبل المعاهدة^(١).

ويحلف الأيمان المغلظة تبعًا لهواه وخلافًا لما يزعم من قواعد يطعن على الإمام بمخالفتها أن محمد بن عبد الوهاب قائد أتباعه إلى النار^(٢).

ويسطر من التُّهم ما ليس له عليه حجة ولا برهان، كقوله مخاطبًا الإمام عبد العزيز بن سعود: "لم يُكَمِّل الدين عندك إلا محمد بن عبد الوهاب، ولم يتم الدين إلا في بلد مُسيلمة الكذاب، ففي أي سورة نزلت أنه يجب على أهل الشام والحرمين الهجرة إلى اليمامة، وأنه لا يتم لأحد إسلام إلا على يديك، وأن معنى لا إله إلا الله مقصورةٌ معرفته عليك، وأن من فاتته ركعة من صلاة الجماعة يُضرب عشرة أسواط، ويُكشف رأسه ويُسود وجهه ويُؤخذ منه مدٌّ بر، وأنه يرصد للمصلي آخر الليل في المسجد ويُقتل، وأن المؤذن يُرمى بالرصاص وهو على المنارة، ويُقال له: كذبت يا عدو الله لا يُقبل منك هذا حتى تشهد أن محمد بن عبد الوهاب على الحق ومن عاداه على الباطل، وأن من لم يخلق رأسه لم يتم إسلامه، ومن شُتم معه رائحة التتن^(٣) يُضرب ثمانون جلدة ويُجرق متاعه، إلى غير ذلك من الأمور التي اخترعها ولم يُنزل الله بها من سلطان"^(٤).

ومن اتباع الهوى ما سلكه خصوم الدعوة في حق الإمام وأتباعه، في تنزيلهم النصوص الواردة على سبيل الذم عليهم، والاستشهاد بأقوال أهل العلم في ذمهم، بل وتآلى الخصوم على

(١) انظر: المرجع السابق-صحيفة(١٢٣-أ١٢٣ب).

(٢) انظر: المرجع السابق-صحيفة(١٤٩ب).

(٣) المراد به: السجائر.

(٤) المرجع السابق-صحيفة(٢٢٢ب).

الله أنه لا يُوفقههم للتوبة، ولا للاستغفار لفتنة الله لهم، وظنهم أنهم على الهدى، وحقيقتهم أنهم يظنون الكفر وإن زعموا أنهم أعرف الناس بالإيمان، وأنهم شر الخلق والخليقة^(١) ويزيد الأمر بأن يقول عبد الله بن داود: "فوالله الذي لا إله إلا الله، إن جميع هذه الصفات شاهدناها منهم مثل الشمس، وأن فيهم من الشر أضعاف ذلك"^(٢).

ووصل الحال بأن يحكم للإمامين محمد بن عبد الوهاب، ومحمد بن سعود - رحمهما الله - من باب التهكم والسخرية، ويصفهما بصفات لا تصدق إلا على الأنبياء، ولا يُسوّغ إطلاقها عليهما إلا الهوى، إذ لا يسندها نقل، ولا يُقرها عقل، فيقول عبد الله بن داود عن الإمامين: "أما هما فمقطوع لهما بالجنة والعصمة، وأنها لا ينطقان عن الهوى، ومحكوم لمن عاداهم بعكس ذلك، هكذا يؤخذ من قواعدهم المعكوسة، ومن فحوى أقوالهم المنكوسة، ومن تدبر أقوالهم وأفعالهم بعلم وإنصاف رأى ذلك يقيناً"^(٣).

ووصف الإمام وأتباعه بالسفه والطيش وقلة العقل بقوله: "وكل ذلك موجود فيهم، بحيث يعرفهم الخاص والعام في كلامهم، ومشيههم، ووجوههم، وأعينهم فإنهم لا يثبتون على قول واحد، بل يجولون ويضطربون، ويتناقض كلامهم في المجلس الواحد مرات، وليس لأمرهم هذا قواعد يرجعون إليها بخلاف غيرهم من أهل البدع، فإن لهم قواعد يرجعون إليها، وإن كانت فاسدة، وإن تناقض كلامهم في بعض المواضع، وكذا قلة العقل، فإن كل من تأمل أفعاله واستمع مقاله عرف قلة عقله"^(٤).

واتهم الإمام بأنه يُكرم الرافضة للمودة التي بينهم وبينه باطناً^(٥)، ثم يعود لحشد النصوص من السنة التي يُحذر فيها ﷺ من الفتن، ولم يكتفِ بالصحيح، بل ويحشد الموضوعات والغرائب التي لا تثبت، ويزيد على ذلك أنه يُورد منامات لا يتصورها إلا نسج الخيال، ويؤولها ويُنزها على الإمام وأتباعه^(٦).

(١) ويُفسر الخلق بالناس، والخليقة بالبهايم. الصواعق والرعود - عبد الله بن داود - صحيفة (١٨).

(٢) المرجع السابق - صحيفة (١٨).

(٣) المرجع السابق - صحيفة (٢٠).

(٤) المرجع السابق - صحيفة (١٦).

(٥) انظر: المرجع السابق - صحيفة (١٥، ١٦).

(٦) انظر: المرجع السابق - الصحائف (٣٣-٤١).



ويزعم أن الإمام لم يأخذ عن العلماء المُعتبرين، ولم يتفقه على شيخ، بل يبحث عن الغرائب في الكتب، ومن الكتب بلا علم ولا بصيرة، ويسوق أقوال العلماء والنصوص التي تُحذر من التصدر بلا علم ولا فقه، ويُزهاها على الإمام، ويزيد في سياقٍ عارٍ عن الصحة أن الإمام سئل عن مسألة فقهية، فقال: "للسائل أسأل عبد الرحمن بن الشيخ فإنه هو الذي يعرف هذا الخريبطات، أو قال: الدوبييلات، ووقع مثل هذا كثيراً منهم، فعلم أنه لا خير فيهم ولا فيما فهموا"^(١).

ويسوق بعد ذلك في سياق المُشفق الناصح للأمة كلام ونقولات عن العلماء تُحذر من اتباع الإمام لعدم أهليته، ويُجهله بها، ويُورد من تلقاء نفسه على الإمام ما لم يقله، بل قول الإمام بخلافه، فيقول عن الإمام: "وقال ابن عبد الوهاب: لا يزال الرجل عالماً ما لم يتعلم، فإذا تعلم فهو أجهل الجاهل، وحكمنا عليه بالكفر والضلال"^(٢).

ويتهم الإمام بأنه يجمع ضلال الفرق، وأن أتباعه يقفون على أبواب المساجد آخر الليل، ويقومون بقتل من قصدها من كبار السنِّ وأصحاب العاهات؛ لأنهم - كما يزعم الخصم - يُعتبرون أكفر من فرعون، إلا إذا شهدوا للإمام بالعصمة، وأنه لا ينطق عن الهوى، وأن من عاداه زاغ، وفي الكفر هوى، وكل العلماء كذبة، وأن أتباعه يحسنون تفسير القرآن^(٣).

وتجاري الهوى بابن داود إلى أن يأتي بما تُحيله العقول لا أن تصدقه، فيقول: "كثيراً ما يجد الرجل في البرية معه الحطب لأيتامه وأرامله، فيقول ذلك الرجل: أنا مسلم مُلتزم لجميع شرائع الإسلام، وأنا أتوب إلى الله وإليكم"^(٤)، وأذهب معكم لبلدكم وأوافقكم في كل ما تقولون، فيقولون: أنت أعلم الله فيك خيراً، فيقول: دعوني أصلي، فيقولون له: صل، فإذا سجد أهوى إليه بالسلاح وقتلوه، وبعض الأحيان يتركونه حتى يُسلم، ثم يتبادرونه بالسلاح، ويشقون بطن الأمة الحامل ويُخرجون ولدها ويرفعونه على الريح، ويقولون: انظر يا ربنا فعلنا بهذا المشرك"^(٥).

(١) المرجع السابق - صحيفة (٣٧).

(٢) المرجع السابق - صحيفة (٣٧).

(٣) انظر: المرجع السابق - صحيفة (٤٣).

(٤) وهذه العبارة تدل على أن بضاعته في التوحيد مُزجاة.

(٥) المرجع السابق - صحيفة (٤٨).

وخلف من سلف من أهل الأهواء تبع لهم في إرثهم، فهذا زيني دحلان يزعم أن محمد بن عبد الوهاب لا يتبع كتابًا ولا سنة؛ إنما ضابط الحق عنده ما وافق هواه، وإن خالف النصوص الشرعيّة وإجماع الأمة، وضابط الباطل ما لم يوافق هواه، ولو دلّ عليه نص جلي أجمعت عليه الأمة^(١).

وقد جد الإمام - رحمه الله - وبذل جهده في علاج هذه الظاهرة التي تفتت في عصره، وصارت مركبًا لكل مُبطل، وصاددٌ عن هدى الله، ومُنفرٍ عنه، وذكر أصوله التي ينقل عنها، وقعد لكلامه بأقوال من سبقه من أهل العلم، ففي رسالته لابن عيسى، والتي يحذره فيها من اتباع الهوى يقول: "فقد قال ابن القيم في أعلام الموقعين^(٢) ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَأَعْلَمَ أَنَّ مَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ﴾"^(٣) فقسم الأمر إلى أمرين لا ثالث لهما: إما الاستجابة للرسول، وإما اتباع الهوى"^(٤).

وفي رسالة طويلة للإمام - رحمه الله - لابن سحيم يُحذره من اتباع الهوى، ويفتح له آفاقًا يستلهم منها الرشد والهدى، يقول فيها: "فهذا ما يسر الله نقله من كلام أهل العلم على سبيل العجلة، فأنت تأمله تأملًا جيدًا، واجعل تأملك لله مستعيذًا بالله من اتباع الهوى، ولا تفعل فعلك أولًا، لما ذكرت لك أنك تتأمل كلامي وكلامه، فإن كان كلامي صحيحًا لا مجازفة فيه، وأن شاميكم لا يعرف معنى لا إله إلا الله، ولا يعرف عقيدة الإمام أحمد، وعقيدة الذين ضربوه فاعرف قدره، فهو بغيره أجهل، واعرف أن الأمر أمر جليل، فإن كان كلامي باطلاً، ونسبت رجلاً من أهل العلم إلى هذه الأمور العظيمة بالكذب والبهتان فالأمر أيضاً عظيم، فأعرضت عن ذلك كله، وكتبت لي كتابًا في شيء آخر، فإن كان مرادك اتباع الهوى أعاذنا الله منه، وأنت مع ولد المويس كيف كان، فاترك الجواب، فإن بعض الناس يذكرون عنك أنك صائر معه؛ لأجل شيء من أمور الدنيا، وإن كنت مع الحق فلا أعذرِكَ من تأمل

(١) انظر: الدرر السنية (٤٥)، وخلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام (١١/٢).

(٢) (٣٩/١).

(٣) سورة القصص آية رقم [٥٠].

(٤) مجموع مؤلفات الشيخ - الرسائل الشخصية (١٦٥/٣).



كلامي هذا وكلامي الأول، وتعرضهما على كلام أهل العلم وتحررها تحريراً جيداً، ثم تتكلم بالحق" (١).

ويكشف الإمام للخصوم زيف الشبهة التي حجت الحق عن كثير منهم والتي وضعها لهم الشيطان، وجعلها قياداً لهم يمنعهم عن هدى الله، وهي: أن القرآن والسنة لا يعرفهما إلا المجتهد المطلق المنتصف بصفات يندر وجودها، ولعلها لا توجد في الكُمل من الصحابة فضلاً عنم دونهم (٢).

ومن جهود الإمام- رحمه الله- ربطه للحكم بدليله البين الجلي، ليُزيل به الإشكال عن الفهم، ففي رسالته لأحد المدعوين يحذره فيها من الهوى الذي يصد به الناس عن الهدى، ويذكر له أن من أنفع الأدوية لهذا الداء الإخلاص لله والانطراح بين يديه، فيقول: "وأنا أذكر لك الدليل على هذا الأمر، وأوصيك بالبحث عنه، والحرص عليه، وأحذرك عن الهوى والتعصب؛ بل اقصد وجه الله، واطلب منه وتضرع إليه أن يهديك للحق" (٣).

ويذكر الإمام- رحمه الله- في بيانه للحق الذي يدعو إليه لأحد المدعوين حتى لا يلتفت للدعاية المُغرضة التي يُرَوِّج لها، أن من الفتن التي جرت عليه من الخصوم، أعظمها اتباع الهوى (٤)، ويُحذِر في تأليفاته وشروحه من الهوى، إذ إن طاعته جماع الشر، وكل الخير في مُخالفته (٥)، ويُكرّر الإمام- رحمه الله- في مؤلفاته أن من أسباب انحراف العقيدة الذي جرى على الناس في زمنه اتباع الهوى (٦).

وفيما قعده الإمام من مسائل خالف فيه رسول الله ﷺ أهل الجاهلية لئلا ينساق في ركابهم من يستزله الشيطان، وبعد أن ذكر ثلاث عشرة قاعدة لضلالهم عن الحق، يقول- رحمه

(١) المرجع السابق (٤٣/٣-٤٤).

(٢) انظر: تاريخ ابن غنام (٢٢١/١-٢٢٢).

(٣) مجموع مؤلفات الشيخ- الرسائل الشخصية (٨٠/٣).

(٤) انظر: الدرر السنية في الأجوبة النجدية- جمع: عبد الرحمن بن قاسم (٥٧/١).

(٥) مجموع مؤلفات الشيخ- كتاب فضائل القرآن والتفسير (٣٨/٢).

(٦) انظر: المرجع السابق (٥٤/٢)، والدرر السنية في الأجوبة النجدية- جمع: عبد الرحمن بن قاسم (١٩٩/١)، ومجموع

مؤلفات الشيخ- الرسائل الشخصية (٦٠/٣)

الله-: "الرابعة عشرة: أن كل ما تقدم مبني علي قاعدة وهي: النفي والإثبات، فيتبعون الهوى والظن، ويعرضون عما جاءت به الرسل"^(١).

واتباع الهوى يصرف الشيطان به الإنسان عن التفكير الذي يستلهم به الهدى وإعمال الفكر، وبذل الجهد في الوصول إلى الحق، وبهذا يحصل الانحراف والوقوع في الشرك، والزلل، يقول الشيخ صالح الفوزان - حفظه الله -: "إذا ظهر الجهل، وظهر اتباع الهوى حصل في الأمة ما حصل من جعل هذه الأمور الشركية من الدين، وجعل التوحيد هو الخروج عن الدين، ولا حول ولا قوة إلا بالله"^(٢).

(١) مجموع مؤلفات الشيخ-مسائل الجاهلية (٦/٢٣١).

(٢) إغاثة المستفيد بشرح كتاب التوحيد (١/٣٠٩).



المطلب الثاني: الحسد

الحسد في اللغة: القشر؛ لأنه يقشر القلب كما تقشر القراد الجلد فتمص دمه، وحسده: إذا تمنى أن تتحول إليه نعمته، وفضيلته، أو يسلبها هو^(١).

وفي الاصطلاح هو: تمنى زوال نعمة المحسود إلى الحاسد^(٢).

والحسد من الأمراض الخبيثة التي تتأصل في نفوس المعرضين المعاندين، الذين يعترضون على تقدير الله وقسمه بين خلقه، وهو صفة خبيثة لكل من يُعرض عن الحق عن علم ودراية، ولقد ذمّ الله - جل وعلا - على أهل الكتاب هذا المسلك، فقال - تعالى -: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كَفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقُّ﴾^(٣).

والحاسد مُعترض على قدر الله وتقديره، قال - تعالى -: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾^(٤).

والحسد من أعظم الأسباب المانعة من قبول الحق والانقياد له، قال ابن القيم - رحمه الله -: "ومن أعظم هذه الأسباب الحسد، فإنه داء كامن في النفس، ويرى الحاسد المحسود قد فُضِّلَ عليه، وأوتي ما لم يُؤت نظيره، فلا يدعه الحسد أن ينقاد له، ويكون من أتباعه"^(٥).

والحسد له أثره السيئ على الأفراد والمجتمعات، فبه تنشأ العدوات والأحقاد، وتُتقطع أواصر الصلات، وتفسد العلاقات، ويُخَوَّن الأمين، ويُصدَّق الكاذب، ويُجهَّل العالم، ويدفع إلى ارتكاب الجرائم وقبيح الأعمال، وضرره جسيم على صاحبه في الدنيا والآخرة^(٦).

(١) انظر: مقاييس اللغة - ابن فارس - كتاب الحاء (٢٠٩)، ولسان العرب - ابن منظور - باب الحاء (١٦٦/٣-١٦٧).

(٢) انظر: التعريفات - علي الجرجاني (٩٢)، والديباج على مسلم - عبد الرحمن السيوطي (٢٧٥/٦).

(٣) سورة البقرة آية رقم [١٠٩].

(٤) سورة النساء آية رقم [٥٤].

(٥) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى (١٦).

(٦) انظر: أثر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في تحقيق الأمن - عبد العزيز الجوهري (١٩٦-١٩٧).

وبالفعل قد أثر هذا الداء أثراً بالغاً في زمن الإمام؛ لتطلع الناس إلى الرفعة والعلو، مع رقة الدين في زمنه.

وقد صرح كثير ممن غلف قلوبهم الحسد للإمام، وانتشار دعوته في المحافل الكبار، وتجمعات الناس، أن الإمام مُحق فيما يدعو إليه، وما يأمر به هو الحق، وبعضهم يُقر عند خاصته، ويُنكر عند العامة، حتى دفعهم حسدهم للإمام - رحمه الله - إلى إنكار ما هو معروف من الشرع^(١).

ويُوهمون الناس بالتلبيس عليهم في الأحكام، ويُنكرون من الحق ما كان واضحاً، ودليله صريحٌ، فكيف بما يحتاج إلى جمع بين النصوص، ومعرفة الخاص من العام، والمحكم من المتشابه، والمطلق من المقيد؛ بل حمل الحسد جملة من علماء السوء أن أنكروا على عثمان بن معمر - عندما كان الإمام في كنفه - تأديبه من تخلف عن صلاة الجماعة، ويأتون إلى رؤساء البدو، ويحذرونهم من أداء الصلاة في حَيْثهم ورفع الأذان، ويحثونهم على التمسك بقبائح الأعمال، وما كانوا عليه من الكفر والعصيان، وحملهم على ذلك ما ملأ قلوبهم من البغض والحسد^(٢)، بل إن ابن سحيم قد كتب وأقر أن ماجاء به الإمام هو الحق، وإنما نكث عن القبول والانقياد بسبب الحسد، قال الإمام - رحمه الله -: "وعندنا كُتِبَ يده في رسائل متعددة أن هذا هو الحق، وأقام على ذلك سنين، لكن أنكر آخر الأمر لأسباب أعظمها البغي أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده"^(٣).

وما دفع الدولة العثمانية إلى رمي الإمام وأتباعه بأقبح الأوصاف، وأقذع الألفاظ إلا ما ملأ قلوبهم من الحسد؛ فلا تكاد تخلو وثيقة من وثائق ومراسلات الدولة مع أعوانها إلا وتشتمل على وصفهم بالخوارج^(٤)؛ بل لم يتورعوا أن يجمعوا بين المتناقضات في وصفهم، فقد وصفوهم

(١) انظر: تاريخ ابن غنام (٧١٨/٢)، ومجموع مؤلفات الشيخ - الرسائل الشخصية (٣٥/٣ - ٣٦، ١٥١)، وكتاب مفيد المستفيد - محمد بن عبد الوهاب (٦/٢١٣ - ٢١٤).

(٢) انظر: تاريخ ابن غنام (١/٢٢٧).

(٣) مجموع مؤلفات الشيخ - الرسائل الشخصية (٣/٣٦).

(٤) انظر: على سبيل المثال لا الحصر - الصواعق والرمود - عبد الله داود - صحيفة (١٥، ١٤، ١٦، ٤٩، ٣١، ١٧) ومن وثائق تاريخ شبه الجزيرة العربية في العصر الحديث - تحقيق: عبد الرحيم عبد الرحمن (وثيقة رقم ٣) ص (٥٩)، ووثيقة رقم (٤) ص (٦٧)، ووثيقة رقم (٥) ص (٧٠)، ووثيقة رقم (٩) ص (٨٩)، ووثيقة رقم (١٠) ص (٩١)، ووثيقة رقم (١) من الفصل الثالث ص (٩٥)، ووثيقة رقم (٢) من الفصل الثالث ص (٩٧).



بالروافض^(١)؛ ولأجل هذا قام المُتزلّفة من المُتطفلين على العلم بتطبيق النصوص التي وردت في ذم الخوارج على الإمام وأتباعه^(٢)، وضمنوا ذلك في مؤلفاتهم ومكاتباتهم.

"وما تفوه به أهل الزيغ والردى، وما مكروا به رؤوس العدا، وما نووا به أهل الهدى... حملهم على ذلك الحسد المحرم المذموم"^(٣).

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيه فالقوم أعداء له وخصوم^(٤)

فلما استقر الإمام - رحمه الله - في العيينة، ووفد إليه بعض طلاب العلم، وبدأ بمكاتبة من يطمع في صلاحه، حسده على هذا الخير كثير من أشرار الرؤساء الذين خافوا على مراكزهم، وساعدهم من تشبه بالعلماء في قُرى نجد، وصاحوا به عند الأشراف، والأحساء والبصرة، وألبوا عليه حتى صدر أمر أمير الأحساء إلى ابن معمر لإخراج الإمام^(٥).

وتناول من لم تكن له قدم في العلم راسخة على الإمام بعبارات ظاهرها فيه الرحمة وباطنها من قبله العذاب، بقوله: " فلماذا تأخذون بأقواله، وتُقتلون وتسفكون الدماء، وتتركون من هو أعلم منه بالله، مع أن العلماء السابقين الأولين ومن تبعهم إلى الآن اجتهدوا في الدين وبينوه بالبراهين، ولكن يزعم - يعني الإمام - أن الشريعة الغراء أتته وحيًا إليه دون غيره"^(٦).

وتأبى عبارات ابن عفالق إلا أن تُسطر ما جال في نفسه من حسد أحرق قلبه على الدعوة وإمامها بقوله عن الإمام: "إنما هضم نفسه فجعل يُظهر للناس أن قصده الحمية لله فتابعه من لا عقل له ولا لب"^(٧).

ويُكابِر في حسده وبغضه للدعوة وإمامها، ويأتي بما تنقضه مكاتبات الإمام ومؤلفاته وسيرته وأخباره، فيقول: " لكن ابن عبد الوهاب ليس له سابقة علم ولا معرفة بالعلم وأهل

(١) كما في المجلد الأول من المصدر السابق (١١٧، ١٧٩، ١٨٤، ١٩٠، ١٩٨، ٣٢١، ٣٥٥).

(٢) انظر: الصواعق والرعود - عبد الله بن داود - صحيفة (٤٨ ب، ٤٩ ب)، ومصباح الأنام وجلاء الظلام في رد شبه البدعي النجدي التي أضل بها العوام - علوي الحداد (٧-١١).

(٣) انظر: تاريخ ابن غنام (١/٢٢١-٢٢٢).

(٤) البيت لأبي الأسود وقيل للعزمي - انظر: بحجة المجالس وأنس المجالس - ابن عبد البر (٩٠).

(٥) انظر: المقامات - عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب (٨٤-٨٥).

(٦) رد ابن عفالق على ابن معمر - صحيفة (٤٠ أ).

(٧) المرجع السابق - صحيفة (٤٤ أ).

العلم، ولا أصول يرجع إليها، فهو يقول القول من غير أن يدري ما يترتب عليه من المفسد العظيمة، ونحن نرى مذاهب المبتدعة، كالخوارج وغيرهم يحتززون في كل مقالة، ولهم أصول تكون لهم كالحصون المانعة فلا تُفتح تلك الحصون إلا بعد المُعالجة بالبراهين القاطعة، وهذا الرجل ليس له أصول يرجع إليها، بل مذهبه واضح البطلان فهو كما قيل: بيض على قيص"^(١).

ويقلل من قيمة الإمام وأتباعه بقوله: "خبط ابن عبد الوهاب خبط عشواء، وزعم أنه وتابعيه وصلوا إلى الغاية القصوى، وليس هذا غريب من شدة الجهل، وغلبة الهوى"^(٢)، وعندما أعيى الإمام - رحمه الله - الخصوم بالحجج العقلية ووضح دلائلها ظنوا أنهم يجدون ملجأً يصرفون به الناس فزعموا أنهم يستدلون بالأدلة العقلية التي تحقق مُرادهم، والتي لم تزدهم إلا كشفًا لعوارهم، وإخراج مكنون صدورهم، وقد زعم ابن عفالق أنه يورد أدلة عقلية تكشف بطلان دعوة الإمام، فيقول: "فاعلم أن الله - تعالى - لو لم يُرسل رسله ويؤيدهم بالآيات والمعجزات الدالة على صدقهم لما كان الله على خلقه حجة وله دليل، فهل ثبت عندك أن ابن عبد الوهاب رسول من الله إليكم على حين فترة من الرسل، مؤيد بالبراهين والمعجزات الدالة على صدقه، أم تقولون إنه كآحاد الأمة، فإن قلت: إنه كآحاد الأمة، قلنا لكم: بأي دليل ثبت عندكم الأخذ بقوله دون أقوال غيره من علماء الأمة، فهل يجوز في العقل تصديق رجل واحد غير معصوم، وتتركون أقوال من هو أصدق وأبر وأكمل إيمانًا ومعرفة منه وسابقة، أيجوز في العقل تكذيب علماء الأمة قرنًا بعد قرن، وأنهم تواطعوا على الكذب والباطل"^(٣).

وقد يُظهر الحاسد حرقة على الأمة وخوفه عليها مقدمة للنيل من المحسود، والحط من قدره، حتى يقول قائلهم: "فإن اليوم ابتلي الناس بمن ينتسب إلى الكتاب والسنة، ويستنبط من علومهما، ولا يُبالي من خالفه ممن وافقه، وإذا طُلب منه أن يعرض كلامه على أهل العلم لم يفعل، بل يُوجب على الناس الأخذ بقوله وبمفهومه، ومن خالفه فهو عنده كافر"^(٤).

(١) المرجع السابق - صحيفة (٥٣ب - ٥٤) (١٥٤)

(٢) المرجع السابق - صحيفة (٤٨)

(٣) جواب ابن عفالق على رسالة ابن معمر - صحيفة (١٦٤).

(٤) المشكاة المضيئة - ابن السويدي - صحيفة (١ب)



ويُبالغ ابن السويدي في تنقصه للإمام - رحمه الله - بأنه يُعانَد ويحيد عن الحق كعادته، ويدعي المراتب العالية؛ لأنه أحدث مذهبًا مغايرًا لما عليه أهل العلم والفضل الذين لا يقولون القول الذي عليه دين الأمة من تلقاء أنفسهم^(١).

بل ويزيد على ذلك أن يخرج عن حدود البحث العلمي إلى عبارات لا تليق بأهل العلم ولا من ينتسب إليه، ولا يظهر من إيرادها دليل علمي ولا حجة بقوله: "ومما يدل على بطلان مذهبكم الباطل العاطل الفاسد الكاسد..."^(٢).

ويرمي شائئ الإمام - رحمه الله - أنه ليس له قدم في العلم راسخة، وإنما بضاعته الجهل، والتطفل على العلماء حتى يقول قائلهم: "فخطر في خاطره العاطل أنه ليس فوق البسيطة من يعرف الحق من الباطل؛ ولذلك قال: أرسل رسالة الخديعة وأجنبها من أمري كل داهية واهية شنيعة وأسيلها من قولي أو فعلي كلما ينفر منه سالم الطبيعة، وأجتهد فيمن يُعيني على تقويم اللسان كي يظن السامع لها اتصافي بصفة ذوي البيان والإتقان، وهو والله لم يُقارب تلك الدرجات، بل يخبط خبط عشواء في الظلمات، وقد أخذ صحيحها من كلام ابن القيم، وابن تيمية عسى أن يُقال هذا سالم الطوية، وبعث بها لجميع علماء أهل الأرض مع أنه لا يعلم السنة من الفرض، ولا الطول من العرض، وتزيا بما لا يليق به، وادعى ما لم يتعلق بشيء من سببه، فهو كلابس ثوبي زور يُريد بذلك زيادة الظهور، وما يدري المغرور أن أدنى الطلبة يكف دعواه، ويقمع بصوارم الحق محياه، ويظهر ما كتم من أباطيله ويكشف ما أبهم من تخايله"^(٣).

ويستحكم الحسد عند بن داود حتى يُورد من القواعد ما تأنفه الطباع السليمة والعقول المستقيمة فضلاً عما يتقمص لبوس أهل العلم والفضل، وأن أول ما بدأ به الإمام - رحمه الله - هو سب العلماء ولعنهم والبحث عن مثالبهم، وسوء الظن بهم، وأن له وردًا لازمًا في لعن العلماء وتكفيرهم، وأنه لا يتم الإسلام عنده إلا بذلك، وأنه انهمك في الذنوب والمعاصي من أول أمره^(٤).

(١) انظر: المرجع السابق - صحيفة (١٥)

(٢) المرجع السابق - صحيفة (١٢٥)

(٣) الصواعق والرعود - عبد الله بن داود - صحيفة (١٣-١٣ب)

(٤) انظر: المرجع السابق - صحيفة (٤٤).

ويورد عبارات شاهدة على ما في قلبه من الحسد الذي استحکم فيه: "وهذا الشقي اللئيم يدعي أنه أحاط بجميع العلوم بلا تعلم ولا تعليم، بل أوعاها إلهاما من الشيطان الرجيم"^(١).

وفي معرض تجهيله للإمام وأتباعه يحمله حسده على افتراءات ليس لها مستند علمي كقوله: "فوالله ثم والله، إن مقالة ابن عبد الوهاب وأتباعه أقبح من مقالة أهل النهروان وأبشع، وأنها أعظم ضرراً على المسلمين وأجمع، وأنها لا تخيل فيها ولا تشبيه، ولا يخفى عورها على نبيه... فليس عندهم إلا الزور والفجور والعناد والكذب، والتدليس والطيش والفساد، وغلب عليهم الجهل، وأصمهم وأعماهم حب الرياسة وأبتهتهم، وامتألت قلوبهم من الزيغ والحسد، وعمتهم الفتنة حتى جرت منهم مجرى الدم من الجسد، قد نكبوا عن علم الشريعة ونسوه، وأكبوا على تضليل الأمة وتدارسوه، يُريد الإنسان منهم أن يتقدم ويأبى الله إلا أن يُريد تأخيرهم، ويبتغي العزة ولا علم عنده، فلا تجد له ولياً ولا نصيراً"^(٢).

وتعددت صور الحسد في أعداء الإمام للتنفير من دعوته وبذل - رحمه الله - جهده في تجلية هذا الداء لمن يُغرر بهم، ويُصدون عن الدعوة بأساليب شتى، فكشف حقيقتهم وشخص داءهم.

يقول الإمام - رحمه الله -: "والحاصل أن ما ذكر عنا من الأسباب غير دعوة الناس إلى التوحيد والنهي عن الشرك فكله من البهتان، وهذا لو خفي على غيركم، فلا يخفى على حضرتكم، ولو أن رجلاً من أهل بلدكم، ولو كان أحب الخلق إلى الناس قام يلزم الناس بالإخلاص ويمنعهم من أهل القبور، وله أعداء وحساد أشد منه رياسة، وأكثر أتباعاً وقاموا يرمونه بما تسمع"^(٣).

ومن ناصب الإمام العداة وحسده على ما من الله به عليه من نظر إلى أن ما جاء به الإمام رفع أقواماً ووضع آخرين، وهذا يعود على نفوسهم حسرةً وغيظاً، فكان لهم شبهة من قالوا: ﴿أَهْلُوا لَمَنْ أَلَّهِ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا﴾^(٤)، وكان من جهوده أنه أبان - رحمه الله - حال

(١) المرجع السابق - صحيفة (٤٥أ).

(٢) المرجع السابق - صحيفة (١٧٩أ).

(٣) مجموع مؤلفات الشيخ - الرسائل الشخصية (٢٢/٣).

(٤) سورة الأنعام آية رقم [٥٣].



هؤلاء الأذعياء للعلم والهدى في مراسلاته، وأجوبته لمن لُبس عليهم دينهم بألفاظ عبارة وأسلوب علمي مبناه على الدليل والحجة النقلية والعقلية^(١).

ومن جهوده- رحمه الله- أنه ضمن مؤلفاته التحذير من هذا الداء وخطورته، ففي كتاب الكبائر^(٢)، بوب: باب الحسد، وأورد النصوص من الكتاب والسنة، الزاجرة عنه، والمنفرة منه، وبالجملة فإن "من صاح من هذه الدعوة، وأنكرها إنما حملهم على ذلك أمور ثلاثة: الحسد، والكبر، والثالث، مخافة أن يظهر عليهم لعلمهم في باطن الأمر أنه الحق، لكن أضمرُوا وأظهروا عداوته، كما قد جرى من أمثالهم ممن قد سلف"^(٣).

فاقتسم الحسد أصحاب الزعامات من المنتسبين للعلم والرئاسة كما سيتضح في المبحث التالي - إن شاء الله-.

(١) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ- فتاوى ومسائل (١١/٢-١٢).

(٢) انظر: المرجع السابق (٢٨٦/٦).

(٣) المقامات- عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب (٨٧).

المبحث الثالث: الخصوم من أصحاب الزعامات والمنتسبون للعلم

إن كل من يقوم بالدعوة إلى الله - سبحانه وتعالى - لا بد أن تواجهه عقبات، ممن يُضَيِّع عليهم الداعي مراكزهم التي تسنموها بالباطل غالبًا، وهذا من سنن الله التي يبتلي بها عباده على حسب مراتبهم، وشواهد هذا في القرآن كثيرة، فلا تخلو قصة نبي من مُعارضة، وبشتى صور المعارضة، من الإيذاء والكيد الكُبار، الذي يُحَاك من أجل طمس معالم الدعوة.

وخصوم دعوة الإمام - رحمه الله - هم خصوم الأنبياء والمصلحين في كل زمان ومكان، وقد كان منطلق الدعوة هو العودة بالإسلام إلى معينه الصافي، والأمر بعبادة الله وحده وإخلاص الدين له، فشرق بهذه الدعوة أصحاب الزعامات، ومن يُلبس على الناس دينهم؛ من أجل أكل أموالهم بالباطل، فقد اصطدمت الدعوة في بداياتها بخصوم كبار لهم ثقلهم السياسي وتأييدهم الشعبي، إضافة إلى سبل الدعاية العريضة التي تُقلب بها الحقائق وتُغير بها المفاهيم والاتجاهات، مما كان له أثره البالغ^(١) على نجاح الدعوة؛ بل وأصبح معوقًا من المعوقات الكبار التي اعترضت طريق الدعوة؛ وكيف لا يكون ذلك؟ وقد سطر الواقع الذي عاش فيه الإمام - رحمه الله - الكيد العريض الذي سلكه الخصوم من الساسة وأصحاب الزعامات من الداخل والخارج، ومن تلبس بلبوس العلم من الداخل والخارج كذلك، الذين أحسوا بالخطر على مكاسبهم الماديّة الزائلة عندما انتشرت الدعوة، كما سيتضح في المطالب التالية:

(١) انظر: إسلامية لا وهابية - ناصر العقل (١٤٨).



المطلب الأول: الخصوم من أصحاب الزعامات المحليّة،

وإعاقتهم لقبول دعوة الإمام - رحمه الله -:

أصحاب الزعامات المحليّة، وأصحاب النفوذ والشوكة أخذوا يكيّدون للدعوة عن طريق الحرب المعلنة، والدعاية المغرضة، ولم يتركوا سبيلاً يُعيّقون به هذه الدعوة وانتشارها إلا سلكوه، ومن أولئك:

١- المتنفذون في حريملاء، حيث إن البلد لم يكن فيها رئيس له الكلمة في بداية ظهور الإمام - رحمه الله - ، وبعد وفاة والده (١١٥٣هـ) وإعلانه بالدعوة، كان في البلد قبيلتان كلٌّ منهما تدّعي الأمر لنفسها، وكان في البلد عبيد لإحدهما كثر تعديهم وفسقهم، فلما أنكر الإمام فسادهم وإفسادهم، هموا أن يفتكوا به، فأثر الانتقال إلى بلد العيينة للبحث عن أرض خصبة للدعوة^(١).

٢- سليمان بن محمد بن غرير الحميدي^(٢) زعيم الأحساء والقطيف وما حولها، والذي أرسل إلى عثمان بن معمر كتاباً يأمره فيه بوضع حدّ لهذه الدعوة حتى لا يستفحل أمرها، وذلك بعد أن أغراه المعارضون للدعوة، وأنه لا بد أن يخرج الإمام من بلده، وتوعده إن لم يفعل ذلك، باتخاذ إجراءات اقتصادية ضده، فما كان من ابن معمر إلا تنفيذ إرادة حاكم الأحساء، وذلك في عام (١١٥٧هـ)^(٣).

وبعد التحالف الذي تم بين الإمامين محمد بن عبد الوهاب ومحمد بن سعود - رحمهما الله - والذي بدأ سنة (١١٥٧هـ) انتقل الخصوم إلى لون آخر من ألوان المواجهة، وظهر منهم:

(١) انظر: عنوان المجد في تاريخ نجد - عثمان بن بشر (١/٨٥-٨٦).

(٢) سليمان بن محمد بن غرير الحميدي زعيم بني خالد، وصل إلى الحكم بعد وفاة أخيه علي سنة (١١٤٢هـ) عارض الدعوة وحاربها، ثار عليه مشاهير بني خالد سنة (١١٦٦هـ)، فلجأ إلى الخرج وتوفي فيها. انظر: تاريخ الفاخري - محمد الفاخري (١٣٤)، وبنو خالد وعلاقتهم بنجد - عبد الكريم الوهيبي (٢٣٥-٢٤٥، ٣٥٨-٣٥٩).

(٣) انظر: عنوان المجد في تاريخ نجد - عثمان بن بشر (١/٨٧-٨٨)، والمقامات - عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب (٩٠)، والمعارضة النجدية لدعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب - محمد النويصر (٢٥٦).

١- دهام بن دواس^(١)، والذي كاد للدعوة بكل السبل، وقعد لها ولأتباعها كل مرصد، وحذر منها وأنذر رغم مد يد العون له من قبل الدعوة وأنصارها، وإعانتته عندما قام عليه أهل الرياض، ففي حال الضعف يُذعن للدعوة، وفي القوة يتلون، وقد غدر بأهل منفوحة، وهم من أتباع الدعوة سنة (١١٥٩هـ)، والتقى أتباع الدعوة وإياه في عدة وقعات، ثم أخذ يشن هجماته على الدرعيّة، وينذر النذور الشركيّة إن غزاه ابن سعود.

واستمر بن دواس يكيّد للدعوة وأنصارها وأتباعها، ويتحيز لخصومها، ويحيك المؤامرات معهم من أجل القضاء عليها، فقد ظاهر دهام بن دواس رئيس منفوحة في طور من أطوار إمارتها، وبلدة ثرمداء وأهل الوشم وأناس من أهل سدير، وثادق وجلويّة حرملاء، وسار إلى حرملاء ونازل أهلها وجند محمد بن سعود^(٢)، وعلى الرغم من بذل الجهد في دعوته هو وأتباعه من قبل أئمة الدعوة، وإرسال الدعاة لتعليم الناس دينهم وكشف حقائق ما التبس عليهم^(٣)؛ إلا أنهم أبوا إلا قتال الدعوة ومناصريها، وبدءوها بالقتال فما كان منهم إلا أن دفعوا عن المال والحرمة، علمًا أن أئمة الدعوة لم يبدءوا أحدًا بقتال، كما قال الإمام- رحمه الله:- "وأما القتال فلم نقاتل أحدًا حتى اليوم إلاّ دون النفس والحرمة، وهم الذين أتونا في ديارنا، ولا أبقوا مكنًا، ولكن قد نقاتل بعضهم على سبيل المقابلة ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾^(٤) وكذلك من جاهر بسب دين الرسول بعد ما عرفه"^(٥).

(١) دهام بن دواس بن عبد الله آل شعلان، حكم الرياض من عام (١١٥١-١١٨٧هـ) وحارب الدعوة سبعًا وعشرين عامًا. انظر: تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد-إبراهيم بن عيسى(٨٠)، وتاريخ الفاخري-محمد الفاخري(١٠٠)، (١٢٩، ١٤٥).

(٢) انظر: عنوان المجد في تاريخ نجد- عثمان بن بشر (١/٩٥، ١٠٠، ١١٠، ١٠٩)، وتاريخ نجد ودعوة محمد بن عبد الوهاب السلفية- سنت جون فيلي (٥٠-٥٣، ٥٦، ٥٧-٥٨).

(٣) كما فعل مع دهام بن دواس. انظر: عنوان المجد في تاريخ نجد- عثمان بن بشر (١/١٠٩-١١٠).

(٤) سورة الشورى آية رقم [٤٠].

(٥) مجموع مؤلفات الشيخ-الرسائل الشخصية (٢٣/٣)



٢- إبراهيم بن محمد بن عبد الرحمن^(١) أمير بلدة ضرما، نقض العهد مع الإمام محمد بن سعود والإمام محمد بن عبد الوهاب- رحمهما الله- سنة (١١٦٤هـ)، وقتل دعاة الإمام الذين في بلده، واستولى على أموالهم^(٢).

٣- نقض أهل حريملاء العهد سنة (١١٦٥هـ) ومحاربتهم للدعوة وأتباعها، وقتلهم لأمرهم من قبل محمد بن سعود وتأهبهم للحرب، وجمع الأنصار وتألبيهم على الدعوة^(٣).

٤- محاربة عريعر بن دجين^(٤) رئيس الأحساء للدعوة وأئمتها، وقد كان له معهم عدة

وقعات:

أولاً: حارب الدعوة سنة (١١٧٢هـ)، وهذه المُحاربة بعد التحالف بين الإمامين، فهو مُختلف مرحلياً عن موقفه الأول قبل التحالف، وقد انضم إليه أهل الوشم وسدير ومُنيخ، وعريان عنزة، وبلدان الخرج وأهل الرياض وغيرهم من الأحزاب التي نقضت العهد على الدعوة، وناصروها العداء، وقد ردَّ الله الكيد على أهله، وأذل الباطل وحزبه^(٥).

(١) إبراهيم بن محمد بن عبد الرحمن، أمير ضرما، نقض العهد، وقتل ونهب، فسلط الله عليه من قتله وولده بعد أربعة أشهر جزاء وفاقاً. انظر: تاريخ ابن غنام (٢٦٨٩)، وتاريخ ابن عباد- محمد بن عباد (٨٦).

(٢) انظر: عنوان المجد في تاريخ نجد- عثمان بن بشر (١٠٥/١).

(٣) انظر: المرجع السابق (١٠٧/١-١٠٨).

(٤) عريعر بن دجين بن سعدون، تولى مشيخة بني خالد سنة (١١٦٩)، وقعت بينه وبين أئمة الدعوة معارك منذ توليه حتى وفاته (١١٨٨هـ)، فخلفه ابنه بطين، والذي قتله أخواه وتوارثا الإمارة من بعده. انظر: تاريخ الفاخري-محمد الفاخري (١٣٤، ١٣٦، ١٤٥-١٤٦)، وتاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد- إبراهيم بن عيسى (٨٨).

(٥) انظر: تاريخ الوهابيين وحياة العرب الاجتماعية-آندروا كرايتون (٢٨)، وتاريخ الفاخري- محمد الفاخري (١٣٧، ١٤٠)، وعنوان المجد في تاريخ نجد- عثمان بن بشر (١٢١/١-١٢٢)، وتاريخ نجد ودعوة محمد بن عبد الوهاب السلفية- سنت جون فليبي (٥٥).

يقول عبدالله بن عبدالمحسن التركي^(١): " كان ازدياد قوة الدرعية من الأمور التي أثارت حسد حاكم الأحساء، لا سيما أن هذا الحاكم كان له نفوذ سياسي في بعض القرى النجدية، وقد رأينا من قبل كيف استخدم نفوذه هذا في الضغط على حاكم العيينة عثمان بن معمر؛ لطرده الإمام محمد بن عبد الوهاب عندما كان مقيماً بها، ومنذ أن لجأ الإمام إلى الدرعية، وبدأت حركة الجهاد من أجل نشر الدعوة، أخذ نفوذ حكومة الأحساء يتقلص من منطقة العارض، مما زاد في قلقها، هذا بالإضافة إلى استنجد زعماء المعارضة بحاكم الأحساء عريعر بن دجين، فهبّ لنجدتهم مدفوعاً بعواملٍ سياسيةٍ ودينيةٍ، وكان سبب جذب الزعماء لتلك المعارضة هو جهد علماء المعارضة بوسيلتين:

الأولى: عن طريق إقناعهم بأن الدعوة تعمل لإفساد عقائد العامة.

الثانية: بإخافة هؤلاء الزعماء، فأسروا إليهم بأن من أهداف الدعوة إثارة العامة على الخاصة والأمراء"^(٢).

ثانياً: بعد رجوع النجراني ونقضه التحالف مع بعض الجموع - كما سيأتي -، سرى إلى نفوس المعارضين الأمل في القضاء على الدعوة، فأغروا ابن عريعر بالزحف على الدرعية، وأطبق معه من القوى المعارضة من أهل نجد الجرم الغفير ممن نقض العهد، وتتابعوا إلى ابن عريعر ووفدوا عليه، وتحالفوا معه لحرب الدعوة وأهلها في الدرعية الذين لم يكن لهم معينٌ وناصرٌ إلا القوي الذي لا يُهزم جنده، ولا يُخلف وعده، فلجئوا إلى الله في كشف هذه الغمة والفتنة

(١) عبد الله بن عبدالمحسن بن عبدالرحمن التركي، ولد في بلدة حرمة سنة (١٣٥٩هـ)، تلقى التعليم الأولي في الجمعية، والجامعي إلى الماجستير في كلية الشريعة في الرياض، والدكتوراه في جامعة الأزهر، عمل في المعاهد العلمية بعد تخرجه، ثم أستاذاً مساعداً في كلية الشريعة، وتقلد عدداً من المناصب آخرها مديراً لجامعة الإمام من عام (١٣٩٦هـ)، ثم وزيراً لوزارة الشؤون الإسلامية، ثم أميناً لرابطة العالم الإسلامي، من مؤلفاته: مناقب الإمام أحمد بن حنبل - تحقيق -، وتوجهات الإسلام في نطاق الأسرة، وشرح العقيدة الطحاوية - تحقيق -. انظر: المعجم الجامع في تراجم العلماء وطلبة العلم المعاصرين - كتاب إلكتروني - المكتبة الشاملة (١٨٨).

(٢) الإمام محمد بن سعود دولة الدعوة والدعاة (٦٠).



المدلومة، فتنازلوا وتراموا وتقاتلوا قتالا شديداً، فرد الله الأعداء بكيدهم لم ينالوا خيراً؛ إذ ما كان من ابن عريعر بعد هجومه الفاشل على الدرعية إلا أن رحل وتوجه إلى الأحساء^(١).

٥- وقعة النجرانيين: من قبائل يام، وكانوا في ذلك الوقت باطنية المذهب، وقد استنجد بهم العجمان لرابط النسب، وقد كان لهم عدة وقعات مع الدعوة وأئمتها:

أولاً: سارع النجرانيون لنجدة العجمان كما مر، وزحفوا مع جموع عظيمة سنة (١١٧٨هـ)، وقصدوا أهل الدعوة، والتقوا معهم في الحائر جنوب الرياض، فوقعت ملحمة عظيمة قُتل فيها من أهل الدعوة خلقٌ وأسر خلق، ورحل أهل نجران وجموعهم بعد هزيمتهم لأهل الدعوة يريدون الدرعية فنزلوا الباطن، وظن أهل الدعوة أنهم تُستأصل شأفتهم بعد هذا الغزو ولن تقم لهم قائمة؛ إذ تأمر على أهل الدعوة مع النجرانيين آل ظفير، ودهام بن دواس، ورئيس بلدة الدم وحثوه للقضاء على أهل الدعوة والترأس على الجميع، فكفى الله المؤمنين كيدهم وهدانوا النجراني وصالحوه، مُقابل مبالغ مالية وتبادل الأسرى، وكان النجراني قد أرسل إلى بني خالد وواعدهم، ولكنه أخلف الوعد، ونكص راجعاً إلى وطنه بعد ما وصل ابن عريعر إلى الدهناء بجموعه^(٢).

ثانياً: عاد النجراني في سنة (١١٨٩هـ) بعد أن دفع له صاحبها الدم ووادي الدواسر أموالاً وانضم لهم ابن عريعر لاحقاً، فأقبل بقبائل يام، وأهل نجران واجتمعت له جموع غفيرة من أهل الخرج ومن حولهم، فقصد الحائر، وتقاتل معهم ثم صالحهم ورحل إلى ضرماء، وقاتل أهلها وقتل من جنده خلقاً كثيراً تفرقوا على إثره في الأودية وتفرقت بعدهم الجموع، التي لم تقم للعجمان بعدها قائمة^(٣).

(١) انظر: عنوان المجد في تاريخ نجد- عثمان بن بشر (١٣٢/١-١٣٣)، والمعارضة النجدية لدعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب- محمد النويصر (٢٥٨).

(٢) انظر: عنوان المجد في تاريخ نجد- عثمان بن بشر (١٣٠/١-١٣٢)، وتاريخ نجد ودعوة محمد بن عبد الوهاب السلفية- سنت جون فيليبي (٦٥-٦٧)، والمعارضة النجدية لدعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب- محمد النويصر (٢٥٨-٢٥٩).

(٣) انظر: عنوان المجد في تاريخ نجد- عثمان بن بشر (١٥٣/١-١٥٤)، والمعارضة النجدية لدعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب- محمد النويصر (٢٦٠).

٦- أشرف مكة: لا شك أن للحرمين مكانتهما في نفوس جميع المسلمين، وللقائمين عليهما أثر بالغ على كل مسلم، وقد سمع الحجاج من بعض الأشراف الذين بأيديهم القيادة ممن ينظر إليهم الحجاج نظرة إجلال وإكبار، الشيء الكثير عن الإمام وأتباعه، وأنهم لا يحترمون الأولياء والصالحين لذا تجرأوا على هدم قبابهم، ويمنعون من زيارة الرسول ﷺ؛ لأنهم لا يُحبونه إلى غير ذلك من الدعاية التي أوجدت عند الناس من سائر الأصقاع انطباعًا سيئًا عن الإمام ودعوته (١)، ولم يقف الأمر عند هذا الحد؛ بل تعدى إلى محاربة الدعوة وأنصارها في عدة وقعات من أشهرها:

أولاً: سير الشريف غالب بن مساعد^(٢) جموعًا غفيرة من مكة سنة (١٢٠٤هـ)، مما حدا بضعاف النفوس والإيمان أن تشرَّب أعناقهم لهذا الجمع الكثيف والذراء المنيف، ويظنون الهلكة بالمسلمين وأتباع الدعوة، فما كان منهم إلا أن نقضوا العهد وخانوا الموثيق، ولفوا لف جيش الأشراف وانضموا تحت لوائه فارتدت كثيرٌ من القبائل والبلدان الذين قصدوا الدرعية للقضاء على الدعوة في دارها، وفي أثناء مسيرهم نزلوا أهل قصر بسام في السر فامتنع عليهم، فأقاموا بالسر أربعة أشهر، وكتبوا شريف مكة، والذي سار بنفسه مع جموع عظيمة مددًا لهذا الجيش، فنزل في أرض السر ثم ارتحلوا إلى بلدة الشعراء والتي استعصت عليه، ولم يكن له طائل من حصارها وضربها إلا خسارة الأموال والأنفس فارتحل وعاد إلى بلاده^(٣)، وفي هذه السنة أرسل الإمام- رحمه الله- لعلماء مكة يبين لهم حقيقة دعوته، وسبب اعتراض الخصوم عليه^(٤)،

(١) انظر: خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام- أحمد دحلان (٢٢٧-٢٣٨)، وعنوان المجد في تاريخ نجد- عثمان بن بشر (١٩٢/١-١٩٣).

(٢) غالب بن مساعد بن سعيد الحسني من أمراء مكة، تولى بعد أخيه سرور (سنة ١٢٠٢ هـ)، ونازعه ابن أخيه عبد الله بن سرور، فقبض عليه واستتب له الأمر زمنًا، واستمر في الإمارة إلى أن زحف محمد علي باشا والي مصر لقتال السعوديين، فتحول الشريف عن ولائه لآل سعود، فاستخدمه محمد علي مدة قصيرة، ثم قبض عليه وأرسله إلى مصر سنة (١٢٢٨هـ)، فأقام أشهرًا وأرسل إلى الآستانة ونُفي إلى سلانيك فتوفي فيها سنة (١٢٣١هـ). انظر: عنوان المجد في تاريخ نجد- عثمان بن بشر (٣٤٩/١-٣٥٠)، والأعلام للزركلي (١١٤/٥-١١٥).

(٣) انظر: عنوان المجد في تاريخ نجد- عثمان بن بشر (١٩٣/١-١٩٥)، وتاريخ نجد ودعوة محمد بن عبد الوهاب السلفية- سنت جون فيليبي (٨٦-٨٧).

(٤) انظر: عنوان المجد في تاريخ نجد- عثمان بن بشر (١٩١/١).



وذكرهم بما تم في المناظرة التي تمت في ولاية الشريف أحمد بن سعيد^(١) عام (١١٨٥هـ) وما جرى فيها من قبول للحق وإذعان له^(٢).

ثانياً: عاد الشريف مرة أخرى سنة (١٢١٠هـ) وقصد أتباع الدعوة، فهزمهم في عالية نجد، ومثّل برجال منهم، وأخذ أموالاً وأنعاماً، وكاد يهلك المنهزمون من الرجال والنساء والأطفال من شدة الحر.

ثم جمع غالب بن مساعد الشريف جموعاً أخرى من بادية وحاضرة، والتقى مع أهل الدعوة وأنصارهم في عالية نجد وتقاتلوا قتالاً شديداً تغيرت فيه موازين المعركة، وانهمز الشريف وجنده، وطاردهم فرسان الدعوة، وغنموا غنائم عظيمة^(٣).

ولم يكتف الأشراف بحرب الدعوة فحسب، بل حبسوا حجاجها، ومنعوهم من الحج ستين سنة^(٤).

وقد بذل الإمام - رحمه الله - جهده فأبان للناس الهدى القويم والصراط المستقيم، وأرسل الدعاة والمصلحين، وقام بإرسال من ناظر المُخالفين والمُعترضين، فقد أرسل من ناظر وأقام الحجّة على المُخالفين، وأقام الجهاد، وجهاز الجيوش، وبعث السرايا، على يد محمد بن سعود، وابنه - رحمهما الله - بعدما وقفوا منه ومن دعوته العداة الديني، ووقفوا منه موقف الخصم المُنحرف في عقيدته، بل وقتلوه هو وأتباعه، قال - رحمه الله -: "فهذا هو الذي أوجب الاختلاف بيننا وبين الناس حتى آل بهم الأمر إلى أن كفرونا وقتلونا واستحلوا دماءنا وأموالنا حتى نصرنا الله عليهم وظفرنا بهم، وهو الذي ندعو الناس إليه^(٥) ونقاتلهم عليه بعد ما نقيم عليهم

(١) أحمد بن سعيد بن سعد بن زيد بن محسن: الشريف من أمراء مكة، تولى سنة (١١٨٤هـ) وانتزعها منه الشريف عبد الله، فقاتله الشريف أحمد واستعادها بعد شهرين و٢٧ يوماً، واستمر إلى سنة (١١٨٥هـ) فقاتله ابن أخيه الشريف سرور بن مساعد، وانتزع الإمارة منه، وجرت بينهما حروب وتغلب سرور وحبسه إلى أن مات بجدة سنة (١١٩٥هـ). انظر: عنوان المجد في تاريخ نجد - عثمان بن بشر (١/١٧٦)، والأعلام للزركلي (١/١٣١).

(٢) انظر: تاريخ ابن غنام (١/٧٨٩-٧٩١).

(٣) انظر: عنوان المجد في تاريخ نجد - عثمان بن بشر (١/٢٢٣-٢٢٥)، وتاريخ نجد ودعوة محمد بن عبد الوهاب السلفية - سنت جون فيليبي (٩٤-٩٥).

(٤) انظر: المقامات - عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب (٩٧).

(٥) أي التوحيد، ونبذ الشرك.

الحجة من كتاب الله وسنة رسوله، وإجماع السلف الصالح من الأئمة ممثلين لقوله - سبحانه وتعالى -: ﴿ وَقَتْلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ﴾ (٣٩) (١) فمن لم يجب الدعوة بالحجة والبيان قاتلناه بالسيف والسنان" (٢).

فقد كاتب الإمام - رحمه الله - أهل البلدان، ودعا إلى الله على بصيرة، حتى أذعنت له جل الجزيرة من اليمن وأقصى عُمان وما دونه والحرمين ونجد، وسادها الأمن بجميع صوره، وعزت البلاد وتوحدت، فلما توفي - رحمه الله - أخذ المكانة من بعده ابنه حسين، والذي امتدت في عصره خصومة الخصوم من أصحاب الزعامات الداخليّة والخارجيّة (٣).

(١) سورة الأنفال آية رقم [٣٩].

(٢) مجموع مؤلفات الشيخ - الرسائل الشخصية (٦٤/٣).

(٣) انظر: عنوان المجد في تاريخ نجد - عثمان بن بشر (٢٠١/١ - ٢٠٤).



المطلب الثاني: الخصوم من أصحاب الزعامات الخارجيّة

لقد حاول أصحاب الزعامات الداخليّة محاولات مستميتة في سبيل إخماد الدعوة، وسلكوا لأجل ذلك كل الوسائل الممكنة، فلما فشلوا في كل الميادين، قام ابن عرير حاكم الأحساء، والأشراف في الحجاز يُراسلون الدولة العثمانيّة^(١) من أجل إسقاط الحرمين، وعودتهما للحال التي كانا عليه قبل دخولهما تحت إمرة الدعوة وولائهما، علمًا بأن معارضة الخصوم الداخليّة، كانت كالمُقدّمات لخصوم الدعوة من الخارج، فاستصرخ الخصوم الدولة العثمانيّة التي شرقت بالدعوة لنجدتهم، فقامت بالوكالة عن الخصوم بالداخل من أجل إخماد الدعوة، قال ابن غنام - رحمه الله -: "و حين استقر التوحيد، وثبتت أصوله في جميع بلدان الأحساء، غشّى قلوب المبطلين الحزن والأسى، وكانوا يقضون الأيام، وهم يعلّلون نفوسهم بعودة الباطل ودولته (أي: الدولة العثمانيّة)، فأرسلوا كثيرًا من الرسائل إلى الحكام يستثيرونهم على المسلمين أهل التوحيد، ويخوفونهم عاقبة انتصارهم وغلبتهم"^(٢).

ومما يدلُّ على أن همّ علماء السوء كان استثارة الحكام والساسة ضد خصومهم من المصلحين الصادقين لتعطيل الخير من الانتشار، الذي يُعطل عليهم شيئًا من المكاسب الماديّة، وفي هذا السبيل يقول عبد الله بن داود مُستثيرًا الزعماء ضد دعوة الإمام - رحمه الله -: " وليس له رادع إلا بسيف السلطان، وتخريب الديار والأوطان، فلعل شجاعًا يكشف هذه الغمة، ويقطع تلك الفتنة الصماء المدلّمة بجيش عرمرم متزاحم الأفواج وعسكر ضخم متلاطم الأمواج ممدود بغاية الظفر والنصر مرصود بعناية الربانيّة على أهل العصر، فيجيء مسيلمة... ويدمر الإمامة ويُجدد ويلها إلى قيام الساعة"^(٣).

فقام المغرضون للدعوة المتربصون بها بتجيش الجيوش لمحاربتها؛ حفاظًا على عروشهم ومكانتهم السياسيّة، التي كان يُحيط بها أهل الأهواء والمرتزة من الدراويش ومرتزة التكايا والزوايا، فقد قام أهل الباطل بالاستنصار بالدولة العثمانيّة حامية الإسلام ومقدساته زعموا،

(١) انظر: وثائق نجد - تقارير أمراء العثمانيين المعاصرين لظهور محمد بن عبد الوهاب واستقرار أول دولة لآل سعود في نجد والحجاز - علي موجاني (١٩٥، ٢٣٢، ٢٤٩، ٢٥٢، ٢٥٤، ٢٦٠، ٢٦٥).

(٢) تاريخ ابن غنام (١٩٣).

(٣) الصواعق والرعود - صحيفة (١٢ ب - ١٣ أ).

وأغروها على الدعوة، التي بزعمهم حرّفت حتى الشعارات الإسلاميّة، ففي كسوة الكعبة والتي يُكتب عليها "لا إله إلا الله محمد رسول الله" كتبوا "لا إله إلا الله سعود خليفة الله" وأن هذه الدعوة تدعو إلى قيام دولة ستستأثر بالحرمين وتُحاد الدولة العثمانيّة في ملكها وسلطانها^(١)، والتي بدورها رمت الدعوة وأتباعها بأنهم طوائف إلحاد، وأهل فساد وفسق لا إيمان لهم ولا دين^(٢)، وهؤلاء سلف لمن قال عن موسى - عليه السلام - ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾^(٣) بل إن من المضحكات المبكيات وصفهم أهل التوحيد ودعاة العقيدة الصحيحة بالمشركين^(٤)، فأفرطت في إلقاء الشبهات والدعاية المشوهة، والنبز بالألقاب المنفرة؛ لأن السياسة إذا انحلت من ربة الدين لا ضمير لها ولا خلق.

وقد صورت هذه السياسة الإمام بعينها العوراء السقيمة التي تحقق مصالحها ومقاصدها لا بعين الحقيقة، وساندها في ذلك الجهلة والمتصدرة لأجل الدنيا، والذين بثوا ما تأفكته السياسة، وأرجفوا بما تلقىه إليهم من غير علم بمقاصد ولا نيات ولا غايات، ونسوا أن عليهم تبعات ما يَأفكون^(٥)، وكذلك تصدّر رؤساء العصبيات على اختلاف مشاربهم موقف الساسة، وما زال أهل الباطل والمكر الكبار يستنصرون بالدولة العثمانيّة، وكذلك أهل العلائف عبدة الدينار والدرهم الذين يصدق عليهم قول المصطفى - عليه الصلاة والسلام -: "تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة إن أعطي رضي وإن لم يعط سخط"^(٦) الذين "خرجوا من أوطانهم بأولادهم ونسائهم، ولم يمكن إلا الذي ليس له إيراد من ذلك، وأتوا إلى مصر والشام، ومنهم من ذهب إلى إسلامبول يشتكون من الوهابي (على حد زعمهم)، ويستغيثون بالدولة في خلاص الحرّمين لتعود لهم الحالة التي كانوا عليها من إجراء الأرزاق واتصال الصلات، والنيابات والخدم في الوظائف التي بأسماء رجال الدولة كالفراشة والكناسة ونحو ذلك"^(٧) والذين حُرّموا

(١) انظر: من وثائق تاريخ شبه الجزيرة العربية في العصر الحديث - تحقيق: عبد الرحيم عبد الرحمن (١/٨٩).

(٢) انظر: المرجع السابق (١/٢٢٨).

(٣) سورة غافر آية رقم [٢٦].

(٤) انظر: من وثائق شبه الجزيرة العربية في العصر الحديث - تحقيق: عبد الرحيم عبد الرحمن (٢/١٣-١٤).

(٥) انظر: محمد بن عبد الوهاب داعية التوحيد والتجديد في العصر الحديث - محمد الأثري (١٥-١٦).

(٦) رواه البخاري في صحيحه - كتاب الجهاد - باب الحراسة في الغزو في سبيل الله (٢٣٢) (ح٢٨٨٧).

(٧) تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار - عبد الرحمن الجبرتي (٤/١٢٢).



منها بسبب امتناع الحج الشامي والمصري عن الحجى للمشاعر المقدسة، والذي امتنع عن الحج بسبب منع الدولة العثمانيّة له، لا كما يُزعم بأنهم مُنعوا من الحج^(١).

وقد قامت الدولة العثمانيّة بعدة حملات على الدعوة ودولتها ومن تلكم الحملات:

١- الحملة التي قام بها ثويني^(٢) بعد أن استقر في ولاية المنتفق سنة (١٢١١هـ)، فقام باستنفا رعاياه من عربان المنتفق، وأهل البصرة، والظفير، وبني خالد ونزل على الجهراء^(٣)، فأقام عليها ثلاثة أشهر وهو يجمع الجموع والمدافع وآلات الحرب، وسير سفناً من البصرة عن طريق البحر فقصدوا القطيف، وارتحل ثويني من الجهراء، وقصد الأحساء فاجتمع له قوة هائلة أخافت الناس وأذعرتهم، واشتد الأمر والكرب عليهم، فأرسل الإمام سعود لهم ردّاً من أنصار الدعوة وجنودها لتثيت الناس والذود عن الدين وأهله، وكفى الله المؤمنين القتال فسلط على ثويني أحد عبيده فقتله، فاختلت صفوف جيشه، وتفرق جمعه ورجع بكيده، وتفرقت جموعه مخذولة مهزومة^(٤).

٢- حملة سليمان باشا^(٥) والي العراق سنة (١٢١٣هـ)، والتي انضم إليه فيها جموع كثيرة من الأكراد والبصرة، وعربان المنتفق وجميع بوادي العراق، وشمّر والظفير، واتفق له قوة هائلة من أداة الحرب، وولى على هذه الحملة علي كينخيا^(٦) وسيّره إلى نجد سنة (١٢١٣هـ)،

(١) انظر: من وثائق تاريخ شبه الجزيرة العربية في العصر الحديث - تحقيق: عبد الرحيم عبد الرحمن (٦١/٣).

(٢) ثويني بن عبد الله بن محمد بن مانع، من آل شبيب، من شيوخ القبائل في بادية العراق، حكم مدة من الزمن، وتقاتل هو والترك، وعُزل وأعيد إلى منصبه في المنتفق ليقابل توسع الدولة السعودية، وانتدبه لقتالهم، وزحف أبو قريحة يريد نجدًا، فلم يلبث أن أُغتيل سنة (١٢١٢هـ) وكفى الله المؤمنين شره. انظر: عنوان المجد في تاريخ نجد - عثمان بن بشر (١٠٧/١-١٠٨)، والأعلام للزركلي (١٠٢/٢).

(٣) ماء معروف قرب الكويت، والآن مدينة من مدن الكويت. انظر: تاريخ الكويت السياسي - حسين خزعل (٢٥).

(٤) انظر: عنوان المجد في تاريخ نجد - عثمان بن بشر (٢٣٣/١-٢٣٦). وتاريخ نجد ودعوة محمد بن عبد الوهاب السلفية سنت جون فليبي (٩٦-٩٧).

(٥) هو سليمان (باشا) ابن أمين بن حسين الجليلي الموصلية من وجوه العراق. ولد سنة (١١٥٢هـ)، ولي الموصل سنة (١١٨٦هـ)، ونقل إلى كركوك ثم إلى ولاية سيواس، فقبصر، فالموصل، ثم استقال ولزم بيته إلى أن توفي سنة (١٢١١هـ). انظر: الأعلام للزركلي (١٢٢/٣).

(٦) علي كينخا كان وزيرًا لسليمان باشا والي العراق، وقاد حملة للدولة العثمانية على أنصار الدعوة سنة (١٢١٣هـ)، وتولى مكان سليمان باشا بعد وفاته سنة (١٢١٧هـ). انظر: عنوان المجد في تاريخ نجد - عثمان بن بشر (٢٥٢/١)، وتاريخ الفاخري - محمد الفاخري (١٦١، ١٦٢).

فقصده الأحساء في طريقه وانضمت إليه بعض النواحي التي نقضت العهد، واستعصى عليه قصر المبرز، والذي استنزف جهده ووقته وقوته، فقد مكث في محاولة فتحه من السابع من رمضان إلى السابع من ذي القعدة، وقد بذل كل الوسائل والأسباب لتهديمه واقتحامه، فلما يئس بذل أسباب الصلح مع من كان داخل الحصن، ثم سلك سبيل الوعيد والتهديد، ولكن الله رد كيده وصار امتناع هذا الحصن سبباً لخذلانه وتفرق جموعه، فلما انقضت الفلول بعد أن أتلقت بعض متاعها بإشعال النار فيها حتى لا يستفاد منها، وفي طريق عودة هذه الجموع جمع الله بينها وبين جيش الدعوة بقيادة الإمام سعود بن عبد العزيز على غير ميعاد وحصلت مناوشات، وقذف الله الرعب في قلوب الجيوش الغازية، والتي دعت إلى المصالحة فصالحهم سعود، وعادوا إلى أوطانهم لم ينالوا خيراً^(١).

٣- حملة محمد علي^(٢) والي مصر: قام محمد علي بحملته ضد الدولة السعودية بعد أن أسند له الوالي العثماني المهمة، فسير عدة حملات بقيادة بعض رجالاته، وابنه أحمد طوسون، وإبراهيم ثم هو، وكانت أولى هذه الحملات سنة (١٢٢٦هـ) وقد زودت جموعه الغفيرة بأنواع الأسلحة والذخيرة، والمدافع وما استطاع من آلة الحرب المتطورة في ذلك الوقت، وقد تخلل هذه الحملات خيانات وغدر ونقض للعهد من الأشراف ومن القبائل، وأهل المدن المحصنة، وكانت الحرب سجلاً، وكادت هذه الحملات أن تُصد لولا النقص والإرجاف ممن في قلبه مرض، وتخللها صلح تسبب في نقضه رجال من أهل القصيم والبوادي، فعادت الحرب بين إمام الدعوة من آل سعود وأتباعه، وبين عسكر محمد علي الذين التفوا حوله من كل حذب وصبوب، ووقعت مساجلات ومعارك أبلى فيها أهل الصدق والإخلاص بلاءً حسناً، وبذلوا فيها مهنجاً وأموالاً، ولكن ليقضي الله أمراً كان مفعولاً، فسار إبراهيم باشا بعساكره إلى الدرعية رغم

(١) انظر: تاريخ الوهابيين وحياة العرب الاجتماعية-آندرو كرايتون (٣٢)، وعنوان المجد في تاريخ نجد-عثمان بن بشر (٢٥٢/١-٢٥٥)، وتاريخ نجد ودعوة محمد بن عبد الوهاب السلفية-سنت جون فليبي (١٠١-١٠٢).

(٢) محمد علي (باشا) ابن إبراهيم أغا بن علي، المعروف بمحمد علي الكبير مؤسس آخر دولة ملكية بمصر، ألباني الأصل، قدم مصر وكيلاً لرئيس قوة من المتطوعة جهزتها (قوله) تتألف من (٣٠٠) سنحت له الفرصة للتروس. اضطرت الدولة العثمانية لتوسع السعوديين (في دولتهم الأولى) بالحجاز وغيره، فانتدبت، كما انتدبت واليها ببغداد والشام، لخرمهم، فكانت له معهم وقائع معروفة، حكم مصر وراثياً (سنة ١٢٥٧) اعتزل الأمور لابنه إبراهيم (باشا) سنة (١٢٦٤هـ) وأقام في قصر رأس التين بالإسكندرية مريضاً إلى أن توفي بها سنة (١٢٦٥هـ) ودفن بالقاهرة. انظر: عنوان المجد في تاريخ نجد-عثمان بن بشر (٢٥٠/٢)، والأعلام للزركلي (٢٩٨/٦-٢٩٩).



نشوب معارك ضارية بينه وبين أهل البلاد التي يمر بها، فحاصر الدرعيّة بضعة أشهر واستعصت عليه، وقاتل أهلها قتالا شرسًا تشيب من هول ما دار في نواحيها من المعارك نواصي الولدان على ما يذكر أهل التاريخ، ثم لما طالت المعارك والحصار صالحَ عبد الله بن سعود^(١) الباشا، وسيره الباشا إلى مصر ومنها إلى الترك ثم قُتل - رحمه الله - وقد كثر الواشون في الأعيان وأهل الصلاح من أئمة الدعوة من فئام من أهل نجد، وحصل عليهم بلاء عظيم وفتنة، وخرّبت الدور وهدمت القصور، وأُتلف الحرث والزروع، وسُخّر الناس وأذلوا وأهينوا، وفشت المنكرات، واستشرى القتل في الناس، وصار الرجل لا يأمن على نفسه وهو في عُقر داره؛ لأنها أثّرت الضغائن والعداوات وصار الرجل لا ينفك عنه سلاحه ولا جموعه لا ليل ولا نهار^(٢).

وقد بذل الإمام وأئمة الدعوة ورجالها - رحمهم الله - في دفع هذا المُعوق ما في الوسع لكون العدو أشرس وأقوى، وكانت على نفس منوال ما بُذل في مواجهة الزعامات الداخليّة، إلا أن الأهم والأظهر هو تجييش الجيوش، واستنهاض الهمم للجهاد والحضّ عليه.

(١) عبد الله بن سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود، جهزه والده لقتال جند محمد علي باشا سنة (١٢٢٦هـ)، وقد تولى بعد والده سنة (١٢٢٩هـ)، نازل عساكر الترك في عدة مواقع، صالح محمد علي عندما نازل الدرعية - بعد حصارها واستبسالة في الدفاع عنها - وكثر القتل فسيره إلى مصر ثم إلى إستنبول وقتل سنة (١٢٣٣هـ) رحمه الله رحمة واسعة. انظر: تاريخ الفاخري - محمد الفاخري (١٧٢، ١٧٧، ١٧٨، ١٧٩-١٧٨، ١٨٢)، وتاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد - إبراهيم بن عيسى (١٠١، ١٠٣، ١٠٨).

(٢) انظر: عنوان المجد في تاريخ نجد - عثمان بن بشر (٣٠٧/١) وما بعدها، وتاريخ نجد ودعوة محمد بن عبد الوهاب السلفية - سنت جون فيلي (١٣٢-١٥٧).

المطلب الثالث: الخصوم من المنتسبين للعلم

إن دعوة الإمام - رحمه الله - كسائر الدعوات التي تدعو إلى صراط الله المستقيم، ولم تسلم هذه الدعوة من أهل الأهواء والمبطلين ممن ينتسبون إلى العلم، والذين تنوعت سبل إعاقتهم لها، وطرق حرهم عليها، وتشنيعهم على الإمام وأتباعه.

وقد بدأ الخصوم مع بداية الدعوة فعندما هدم الإمام القباب في بداية الدعوة، وأزال كل ما كان وسيلة من دون الله، ثارت ثائرة المبطلين في وجه الحق " فأخذوا في رده والإنكار عليه، وأتوا بأعظم الأسباب، وزجوا الخلق في لجأة الضلال والارتياب، وضجوا على كلمة الحق بالتكذيب والإكذاب، وعجوا مطبقين على الشيخ، بأنه ساحر ومفتر أو كذاب"^(١)، وصنفوا المصنفات في تفسيق الإمام وتبديعه وتكفيره^(٢)، وتغييره لشرع الله كما زعموا، فقد اصطدمت الدعوة بمعرضين شداد لهم سندٌ من ساسة وأصحاب نفوذ وسلطان؛ بل كانت الدولة العثمانية بأتباعها سندًا لهذه المعارضة العلمية، التي ما فتئت تدس على الإمام - رحمه الله - ودعوته بدسائس شتى، عبر المصنفات والرسائل، التي يبعثون بها للأمرء والعلماء، والتي تزحم بالتقليل من الشرك ووسائله، وتهوينه في نفوس الناس حتى لا يستجيبوا لدعوته؛ وفي هذا يقول عبد الله بن داود: "فرماه العلماء عن قوس واحدة، وجزموا بتعطيل عقيدته الكاسدة وتسفيه مقالته الفاسدة، ولم يشك أحد منهم في تبديعه وتضليله، أو تكفيره وتعطيله، وأتته التأليف من جميع الأقطار، ورد عليه العلماء من جميع الأمصار"^(٣)، ولا شك أن هذا التشويش معوق من معوقات الأمن الفكري، وهؤلاء الخصوم لا يخرجون عن أحد أصناف ثلاثة:

١- علماء ضلال يرون الحق باطلاً والباطل حقاً، ويعتقدون أن البناء على القبور، واتخاذ المساجد عليها، ودعائها من دون الله والاستغاثة بها وما أشبه ذلك دين وهدى، ويعتقدون أن من أنكر ذلك فقد أبغض الصالحين والأولياء، وهو عدو يجب جهاده.

(١) تاريخ ابن غنم (١/٢١٦).

(٢) انظر: وثائق نجد - تقارير أمراء العثمانيين المعاصرين لظهور محمد بن عبد الوهاب واستقرار أول دولة لآل سعود في نجد والحجاز - جمع: علي موجاني (٢٥٠، ٢٥٢، ٢٦٥، ٣٦٥).

(٣) الصواعق والرعود - صحيفة (١٢ب).



٢- منتسبون للعلم جهلوا حقيقة هذا الرجل، ولم يعرفوا الحق الذي دعا إليه بل قلدوا غيرهم وصدقوا ما قيل فيه من الخرافيين المضللين، وظنوا أنهم على هدى فيما نسبوه إليه من بغض الأولياء والأنبياء، ومن معاداتهم، وإنكار كراماتهم، فذموا الإمام وعابوه ونفروا عنه.

٣- قسم خافوا على مناصبهم ومراتبهم ومكانتهم فعادوه؛ لئلا تمتد أيدي أنصار الدعوة الإسلامية إليهم فتنزلهم عن مراكزهم^(١).

ولا شك أن أغلب الناس عامة، لا يميزون بين هذه الأقسام، ومن ينتسب إلى العلم ويستشهد بالأدلة ولو على غير وجهها ويتزىي بزى أهل العلم، ولو لم يكن منهم من يُحسن به الظن غالبًا، فإذا تجرد من الخوف من العظيم- سبحانه-، واتبع هواه، فإنه سيضل ويضل، وسيكون عثرة في طريق الصلاح والإصلاح.

ومن خصوم الدعوة المنتسبين للعلم وساكن الإمام- رحمه الله- في بلده:

١- سليمان بن محمد بن سحيم:

فهو من أشر الناس على الإمام ودعوته، وأعظمهم تشنيعًا وسعيًا بالشر في سبيل القضاء عليها، فقد شَرَّقَ وغرَّبَ وأرسل الرسائل لجمع من الجهات، فقام معه من على شاكلته من أهل الزيف والضلال، وأفتوا أن الإمام من أعظم الفجار ومن أقبح الضلال والكفار^(٢)، ومن شاهد رسالته التي سطرها في الإثارة على الإمام، وقدمها بمقدمة يستثير فيها عواطف أهل الغيرة، ويستعديهم على الدعوة وإمامها، ويقلب فيها الحقائق، على من لا يعرف حقيقة الأمر، فقد يقع في منزلق خطير، حيث يقول في رسالته: "من الفقير إلى الله- تعالى- سليمان بن محمد بن سحيم، إلى من يصل إليه من علماء المسلمين، وخدام شريعة سيد ولد آدم، من الأولين والآخرين، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد:

فالذي يحيط به علمكم أنه قد خرج في قطرنا رجل مبتدع، جاهل، مُضل ضال، من بضاعة العلم والتقوى عاطل، جرت منه أمور فضيحة، وأحوال شنيعة، منها شيء شاع وذاع وملاً الأسماع، وشيء لم يتعد أماكننا بعد، فأحببنا نشر ذلك لعلماء المسلمين، ورثة سيد المرسلين، ليصيّدوا هذا المبتدع صيد أحرار الصقور، لصغار بغاث الطيور، ويردوا بدعه

(١) انظر: الإمام محمد بن عبد الوهاب- دعوته وسيرته- عبد العزيز بن باز (٣٩).

(٢) انظر: تاريخ ابن غنام (١/٢١٧).

وضلالاته، وجهله وهفواته، والقصد في ذلك القيام لله ورسوله ونصرة الدين، جعلنا الله وإياكم من الذين يتعاونون على البر والتقوى.

فمن بدعه وضلالاته: أنه عمد إلى شهداء أصحاب رسول الله ﷺ الكائنين في الجبيلة؛ زيد بن الخطاب - رضي الله عنه - وأصحابه، وهدم قبورهم وبعثرها؛ لأجل أنهم في حجارة، ولا يقدر أن يحفروا لهم، فطووا على أضرحتهم قدر ذراع؛ ليمنعوا الرائحة والسباع، والدفان لهم خالد وأصحاب رسول الله ﷺ.

وعمد أيضا إلى مسجد في ذلك وهدمه، وليس داع شرعي في ذلك إلا اتباع الهوى... فبينوا - رحمكم الله - ذلك للعوام المساكين الذي لبس عليهم، وأبطل عليهم الاعتقاد الصحيح... وبينوا للناس خطأه، فقد افتتن بسببه ناس كثير من أهل قطرنا، فتداركوا - رحمكم الله - الأمر قبل أن يرسخ في النفوس، فإن الجواب متعين على من وقف عليه، ممن له معرفة بحكم الله ورسوله؛ لأن ذلك إظهار للحق عند خفائه وإدحاض للباطل^(١).

قال ابن غنام - رحمة الله - في رد الباطل الذي زعمه ابن سحيم في ثنايا رسالته السابقة: "فالذي حدث من الشيخ - رحمه الله - وأتباعه، أنه هدم البناء الذي على القبور، والمسجد المجهول في المقبرة على القبر الذي يزعمون أنه قبر زيد بن الخطاب - رضي الله عنه -، وذلك كذب ظاهر؛ فإن قبر زيد - رضي الله عنه - ومن معه من الشهداء لا يُعرف أين موضعه؛ بل المعروف أن الشهداء من أصحاب رسول الله ﷺ قتلوا في أيام مسيلمة في هذا الوادي، ولا يُعرف أين موضع قبورهم من قبور غيرهم، ولا يُعرف قبر زيد من قبر غيره، وإنما كَذَبَ ذلك بعض الشياطين وقال للناس: هذا قبر زيد، فافتنوا به، وصاروا يأتون إليه من جميع البلاد للزيارة، ويجمع عنده جمع كثير، ويسألونه قضاء الحاجات وتفريج الكربات؛ فلأجل ذلك هدم الإمام ذلك البناء الذي على قبره، وذلك المسجد المبني على المقبرة؛ اتباعاً لما أمر الله به ورسوله من تسوية القبور، والنهي الغليظ الشديد في بناء المساجد عليها، كما يعرف ذلك من له أدنى ملكة من المعرفة والعلم.

(١) تاريخ ابن غنام (١/٣٤٤-٣٤٧).



وقوله: وبعثرها لأجل أنهم في حجارة، ولا يقدر أن يحفروا لهم، فطووا على أضرحتهم قدر ذراع ليمنعوا الرائحة والسباع. فكل هذا كذب وزور، وتشنيع على الإمام عند الناس بالباطل والفجور، وكلامه هذا تكذبه المشاهدة؛ فإن الموضع الذي فيه تلك القبور موضع سهل لين للحفر، وأهل العيينة والجبيلة وغيرها من بلدان العارض يدفنون موتاهم في تلك المقبرة، وهي أرض سهلة لاحجارة فيها، والحجارة والوعر عن تلك المقبرة شمالاً وجنوباً، ولكن هذا العدو وأشباهه يرمون هذا الإمام بالأمور الفظيعة، والأهوال الهائلة الشنيعة، لكي ينفر السامعون لذلك عن الدخول في دين الله، وليس ذلك بيدع من الشيطان وحزبه"^(١).

٢- عبدالله بن عيسى وشهرته (المويس):

خصم لدود من خصوم الإمام ودعوته، فقد عارض الإمام واستمر في مُعارضته، ومواقفه في محاربة الدعوة ظاهرة، حيث كان يُروج للكتب التي تطعن في الدعوة، كالكتاب الذي ألفه أحمد بن علي البصري، والمشهور بالقباني^(٢)، حيث كان لكتبه رواجٌ عند المعارضين، وسطر فيه إنكار توحيد الألوهية، ويزعم المويس أن هذا كلام العلماء، ويدعو الناس إليه، وصد به الناس عن التوحيد، وبذل لأجل ذلك وقته ونفسه وماله، وأخذ يرسل المكاتبات التي تصد عن الحق الذي جاء به الإمام^(٣)، وشرّق وغرّب في أسفاره من أجل استثارة أهل الكفر والضلال على الإمام ودعوته، فقد سافر إلى العراق ومكة لإغرائهم على الإمام، وأنه يُنكر ما هم عليه من الضلال، واعتبر من على شاكلته هذا من مناقب المويس^(٤).

ومن طوامه مكاتبته لأهل الوشم يُحذرهم من دعوة الإمام- رحمه الله- حيث يقول الإمام: "وكتب لأهل الوشم يستهزئ بالتوحيد، ويزعم أنه بدعة، وأنه خرج من خراسان ويسب دين الله ورسوله"^(٥).

(١) تاريخ ابن غنام (١/٣٦٢-٣٦٣).

(٢) لم أف له على ترجمة، وله رواجٌ عند الخصوم كما ذكر الإمام- رحمه الله-.

(٣) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ- الرسائل الشخصية (٣/١١-١٢).

(٤) انظر: المرجع السابق (٣/١٥، ١١٣).

(٥) المرجع السابق (٣/٣٨).

وهذه الجملة من الطوام المهلكة لما تشتمل عليه من الكفر البواح، الدائر بين الاستهزاء، والسب للدين، وزعمه أن التوحيد خرج من خراسان، بل أشيع عن المويس أنه يستميل الخصوم ضد الدعوة بالدنيا^(١).

وفي تعامل المويس، وإنكاره على من أنكر على خطيب جمعة تكلمه في العرّض^(٢) والجوهر^(٣) ونفيه لهما، يتضح جهله، ومجانفته للحق والصواب، وعدم فهم مذهب السلف، حيث قرر المويس أن مذهب السلف في مثل هذه الألفاظ إثبات من غير تعطيل ولا تجسيم ولا كيف ولا أين.

بل ويقرر أن مذهب أهل السنة أنهم يُثبتون ما أثبتته الرسول ﷺ من السمع والبصر والحياة والقدرة والإرادة والعلم والكلام، وهذه عقيدة الأشاعرة^(٤) حيث يثبتون سبع صفات، وما عداها يؤولونه، فلا يُميز بين كلام أهل الحق من أهل الباطل، وهو يزعم أنه من العلماء، ويُكاتب خصوم الدعوة في الأحساء ويعاونهم على سب دين الله ورسوله^(٥).

ويسخر المويس من تعلم معنى لا إله إلا الله وتعليمها للناس، وهي من أهم ما دعا إليه الإمام - رحمه الله - حيث يقول: "إن بنيات حرمة وعيالهم يعرفون التوحيد فضلاً عن رجالهم، وأيضاً: تعلم معنى لا إله إلا الله بدعة"^(٦).

وقد بذل الإمام وسعه وحذّر من مسلك الباطل الذي كان عليه المويس ومن على شاكلته وكشف حقيقة أمرهم للناس حتى لا يغتروا بهم، فيقول - رحمه الله - : "فهذه خطوط

(١) انظر: المرجع السابق (٤٤/٣).

(٢) العرّض: هو الذي يفتقر إلى محل ليقوم به، فكل ما يكون في الجوهر من طعم ولون ولمس وغيره فهو عرض. انظر:

التعريفات - علي الجرجاني (١٥٣)، والمعجم الفلسفي - جميل صليبا (٦٩/٢).

(٣) الجوهر: ما قام بنفسه حادثاً كان أو قديماً، وله تعريفات أخر. انظر: التعريفات - علي الجرجاني (٨٣-٨٤)، والمعجم

الفلسفي - جميل صليبا (٤٢٤/١-٤٢٦).

(٤) الأشاعرة: هم الذين على مذهب أبي الحسن الأشعري قبل أن يرجع إلى معتقد أهل السنة والجماعة، وهم في العموم لا

يثبتون من الصفات إلا سبعا، ويُؤولون الباقي، ويقولون في القدر بالكسب. انظر: أصول الدين - عبد القاهر

البغدادي (٩٠)، والملل والنحل للشهرستاني (٨١/١) وما بعدها.

(٥) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ - الرسائل الشخصية (٧٢/٣-٧٩).

(٦) المرجع السابق (٩٥/٣).



المويس وابن إسماعيل وأحمد بن يحيى^(١) عندنا في إنكار هذا الدين والبراءة منه، وهم الآن مجتهدون في صد الناس عنه"^(٢).

٣- محمد بن عبد الرحمن بن عفالق:

الذي حذر من الدعوة وإمامها وأتباعها، وكاتب الرؤساء من أجل الصدِّ عنها، خاصة ابن معمر الذي ناصر الدعوة في أول قيامها، ومن نظر فيما سطره عن الدعوة يرى أنه لم يترك سبيلًا من سبل الصدِّ إلا سلكه حتى لو لم يكن له فيه برهان، فيقول: "هذا الرجل - يعني الإمام - خص رسالة رسول الله ﷺ بمن يصوم ويحج ويعبد، فكأنه يقول: وأما إلى غيرهم فلا؛ لأنه ذكر في رسائله إلينا أن الله - تعالى - أرسل محمدًا رسوله إلى أناس يتبعون ويصومون ويحجون، فانظروا إلى هذا الكلام الذي غلب عليه الهوى، فقال: أرسله إلى أناس، ولم يقل إلى جميع الخلق من الجن والإنس، فخص ابن عبد الوهاب رسالته ﷺ بمن يحج ويصوم ويتعبد، فيؤخذ من كلامه أنه لم يُرسل إلى من يقول: الآلهة ثلاثة، ولا إلى من يقول: العزيز والمسيح ابن الله، ولا إلى من سب الله - تعالى - جهرة، ولا إلى من قال الملائكة بنات الله، ولا إلى من أنكر الرسالة والنبوة، ولا إلى من حاد الله ورسوله، ولا إلى من أنكر البعث والنشور، وغير ذلك من أهل الكفر، بل لما غلب هوى تكفيره لهذه الأمة على قلبه أخرج لسانه عن أن يذكر ما فيه تنويه لنبينا ﷺ من عموم رسالته وشمول دعوته، فلم يقدر لسانه أن ينطق إلا بخصوصها طلبًا لترويح بدعته، فكيف يقبل قلب مؤمن مقالته، فانظر كيف يكتم مساوي الكفار ومخازيهم لهوى نفسه، وإن أجهل ذلك إلى هضم مقام النبوة وحسن مرتبة الرسالة، وتنقيصه للأمة المعصومة من الضلالة المحفوظة من الغواية فيكتم محاسنهم الجميلة ويرميهم بالشرك الأعظم ويجعل عباداتهم كلها لله هباءً منثورًا فظلمهم ظلمًا عظيمًا، تعالى الله عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا"^(٣).

(١) أحمد بن يحيى بن محمد بن رميح، ولد في العطار من بلدان سدير، وقرأ على علمائها حتى بلغ شأواً في العلم، وصار قاضيًا لبلدة رغبة حتى توفي بها عام (١١٦٣هـ). انظر: تاريخ الفاخري - محمد الفاخري (١٣٣)، وتاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد - إبراهيم بن عيسى (٨٤)، وعلماء نجد خلال ثمانية قرون - عبد الله البسام (١/٥٥٣-٥٥٤).

(٢) مجموع مؤلفات الشيخ - الرسائل الشخصية (٩٢/٣).

(٣) رد ابن عفالق على ابن معمر - صحيفة (٣٩، ٣٩ب).

بل وجعل قول الإمام - رحمه الله - "أرسله إلى أناس يتعبدون ويحجون ويتصدقون"^(١) كفرًا صريحًا؛ لأنه بهذه العبارة حصَّ من ذكر، ويصف الإمام بعد ذلك بالملحد في الدين، والكاذب على الله وعلى رسوله ﷺ^(٢).

ويلبس على الناس بنسبة الإمام وأتباعه إلى الجهل، وعدم التفريق بين الكفر الأصغر والأكبر، وأن الأحاديث الصحيحة دلت على أن من حلف باللات والعزى لا يكفر، بقوله: "ففي الأحاديث الصحيحة أنه لا يكفر من حلف بالأصنام، وتكفرون أنتم من قال: يا رسول الله، والله ما أظن من قال قولكم هذا شم رائحة الإسلام، بل تعديتم وأفرطتم وجعلتم من قال: يا رسول الله أشد من عبدة الأصنام"^(٣).

ويلوي أعناق النصوص ليطبقها على الإمام - رحمه الله - وأتباعه، دون نظر لما هم عليه، ولا لأقوال أهل العلم فيها، بقوله: "وأما أنتم يا أهل الإمامة ففي الحديث الصحيح عنكم يطلع قرن الشيطان، وأنتم لا تزالون في شر من كذابكم إلى يوم القيامة"^(٤).

ويزعم ابن عفالق أن الإمام - رحمه الله - خرج عن منهج من سبقه من العلماء كابن القيم وغيره من الأئمة السابقين واللاحقين والذين يثبتون الإيمان الكامل لعامة الناس مع وجود القباب والسادات والتي قطعًا لهم ارتباط بها^(٥).

٤- عبد الله بن داود الزبيري:

الذي أتى بما لا تستسيغه العقول السليمة فضلا عن أن تحكيه، ووصل به الحال إلى قوله: إن والده غفل عن أمه فواقعها شيطان فكان أبا له، وأن من أسباب افتتاح أهل العيننة به أن مارداً داخل امرأة منهم، وقال للرقاة: لن يُخرجه إلا محمد بن عبد الوهاب^(٦).

وقد تناول على الإمام - رحمه الله - وحذر منه وأنذر، وحشد النصوص وساقها على غير مساقها من التحذير والتنفير من دعوته، إضافة إلى تنزيل نصوص الخوارج على الإمام وأتباعه،

(١) جواب ابن عفالق على رسالة ابن معمر - صحيفة (١٦٥).

(٢) انظر: المرجع السابق - صحيفة (١٦٥).

(٣) رد ابن عفالق على ابن معمر - صحيفة (٤٨ ب).

(٤) المرجع السابق - صحيفة (٤٨ ب).

(٥) انظر: جواب ابن عفالق على رسالة ابن معمر - صحيفة (١٥٧).

(٦) انظر: الصواعق والرعود - عبد الله بن داود - تقریظ: محمد بن فيروز - صحيفة (١٣).



وجزمه بأنهم ضلال، ويغلب عليهم الطيش والسفه والتناقض، وليس لهم قواعد يرجعون إليها، ويعرفهم الخاص والعام في مشيهم، ووجوههم، وأعينهم^(١)، فيقول عن الإمام وأتباعه: "صفة هؤلاء الأخباث لا يتكلمون إلا بكتاب الله، خاصهم وعامهم، ويجعلونه بدلاً من الكلام، وذلك حرام، ويدعون الناس إليه، حتى أن الطغامة^(٢) منهم الذي لا يعرف ألف ب ت ث إذا اجتمع برجل من أكابر العلماء، ولو فرضنا أن ذلك العالم في رتبة الإمام أحمد لا يقول له إلا: أدعوك إلى كتاب الله، ولو كان لا يُحسن الآية من الفاتحة، ولا تصح صلاته، بل سمعنا منهم مرارًا لا تُحصى، يقول العامي منهم: لو يجتمع علي علماء أهل الأرض خصمتهم، وأقمت عليهم الحججة من القرآن"^(٣).

ومما ساقه في صد الناس عن الدعوة والتنفيذ منها، ما قاله مخاطبًا الإمام وأتباعه: "فالرجل منكم متى رأى رجلاً لم يخلق قتله، ولو قال أنا مُسلم، أنا موحد، أنا منكم، وتشهد، وقد قتلوا رجلاً منهم يمثل ذلك، خصوصًا من البوادي، وظاهر دينكم الفاسد؛ أنه لا يصح إيمان أحد إلا حالقًا رأسه، فإذا جاءكم رجل مُعاهد، ورأيتموه لم يخلق أول ما تأمرونه بالخلق، وكثير ما تأخذون سكينًا وتُخرجون به رأسه عمدًا وتُسمون شعر الرأس شعائر الكفر، وتُشددون فيه تشديدًا لا حدَّ له"^(٤).

ويحشد جملة من الأدلة من السنة يستشهد بها باطلاً على ضلال الإمام - رحمه الله -، وحتى يؤكد صحة ما ذهب إليه يستشهد بالمنامات، ويزيد في البرهان فيذكر خطورة الكذب في الرؤيا ووعيد من كذب فيها، ثم يسوق رؤيا لأخيه وأنه رأى "كلابًا حمراء لها أذنان كبار، وطلعت علينا من المكان الفلاني، وصارت تطردنا إلى أن دخلنا في البلد مع الباب الفلاني، فلما صار عصر ذلك اليوم، حمل علينا أولئك الخوارج من ذلك المكان، وهزمونا إلى أن دخلونا مع ذلك الباب المذكور في الرؤيا فلم تزد الرؤيا ولم تنقص"^(٥).

(١) انظر: الصواعق والرعود - صحيفة (١٦٦-١٦٦ ب).

(٢) أوغاد الناس وجهتهم وأرادهم. انظر: المعجم الوسيط - مجمع اللغة - باب الطاء (٥٨٧).

(٣) المرجع السابق - صحيفة (١٨)، وانظر: صحيفة (١٧٥).

(٤) المرجع السابق - صحيفة (٣٢).

(٥) المرجع السابق - صحيفة (٤١ ب).

وكذلك فإن شدة الخصومة قادتته إلى إيراد ما لا يُتصور عقلاً، فضلاً عن أن يكون واقعاً، ومن ذلك ما حكاه عن المُعارضين من أهل نجد وقولهم للإمام: "فلماذا يأتي أتباعك إلى المسجد آخر الليل ويؤذنون فيه، فإذا جاءهم أعمى أو شايب أو غايب يُريد الصلاة قتلوه، وشهدت أنه أكفر من فرعون، قال: لأنكم توالون أهل القباب، قالوا: لا نواليهم ولا نُحبهم، قال: لا أقبل منكم أبداً حتى تشهدوا لي بالصدق والعصمة، ولجميع العلماء بالكذب والفرية، وأني لا أنطق عن الهوى، وأن من عاداني فقد زاع، وفي الكفر هوى، وتجاهدوا معي بالسيف والمال واللسان، وتشهدوا أن كل من يتبعني يُحسن تفسير القرآن"^(١).

وقد اجتهد هؤلاء في سبيل نشر الباطل بين الناس؛ اتباعاً للهوى وطاعةً للشيطان، فقد ذكر الإمام - رحمه الله - في رسائله بعض صنيع هؤلاء الخصوم، ومن ذلك رسالة ابن سحيم لأهل القصيم والتي قال الإمام عنها: "ثم لا يخفى عليكم أنه بلغني أن رسالة سليمان بن سحيم قد وصلت إليكم، وأنه قبلها وصدقها بعض المنتمين للعلم في جهتكم، والله يعلم أن الرجل افتري عليّ أموراً لم أقلها، ولم يأت أكثرها على بالي، فمنها قوله: إني مبطل كتب المذاهب الأربعة، وإني أقول: إن الناس من ستمائة سنة ليسوا على شيء، وإني أدعي الاجتهاد، وإني خارج عن التقليد، وإني أقول: إن اختلاف العلماء نقمة، وإني أكفر من توسل بالصلحين، وإني أكفر البوصيري لقوله يا أكرم الخلق، وإني أقول لو أقدر على هدم قبة رسول الله ﷺ لهدمتها، ولو أقدر على الكعبة لأخذت ميزابها وجعلت لها ميزاباً من خشب، وإني أحرم زيارة قبر النبي ﷺ، وإني أنكر زيارة قبر الوالدين وغيرهما، وإني أكفر من حلف بغير الله، وإني أكفر ابن الفارض"^(٢)، وابن عربي"^(٣)، وإني أحرق دلائل الخيرات وروض الرياحين، وأسميه روض الشياطين.

(١) المرجع السابق - صحيفة (٥٤ ب).

(٢) محمد بن عمر بن علي بن مرشد بن الفارض الحموي، ثم المصري، صاحب الاتحاد الذي قد ملأ به التائية، ولد في مصر سنة (٥٧٦هـ) شاعر الفلسفة ووحدة الوجود، قال عنه الذهبي: "فإن لم يكن في تلك القصيدة صريح الاتحاد الذي لا حيلة في وجوده، فما في العالم زندقة ولا ضلال" توفي سنة (٦٨٩هـ) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٣٦٨/٢٢)، والوافي بالوفيات للصفدي (٤٤/٢).

(٣) محيي الدين أبو بكر محمد بن علي بن محمد بن أحمد الطائي ابن عربي، نزيل دمشق. قال الذهبي عن كتابه الفصوص: "فإن كان لا كفر فيه، فما في الدنيا كفر، نسأل الله العفو والنجاة!" عُظِّم من أهل البدع والضلال، له أكثر من أربعمائة مصنف، توفي سنة (٦٣٨هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٤٨/٢٣-٤٩)، والأعلام للزركلي (٢٨١-٢٨٢/٦).



جوابي عن هذه المسائل أن أقول سبحانه هذا بهتان عظيم. وقبله من بهت محمداً ﷺ أنه يسب عيسى بن مريم ويسب الصالحين، فتشابهت قلوبهم بافتراء الكذب وقول الزور، قال- تعالى: ﴿إِنَّمَا يَقْتَرِي الْكَاذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾^(١) بهتوه ﷺ بأنه يقول: إن الملائكة وعيسى وعزيراً في النار"^(٢).

وقد بذل الإمام- رحمه الله- جهده في كشف عوار هؤلاء الأعداء، بعد أن بذل جميع السبل الممكنة في دعوتهم وهدايتهم، مما تطيش بسببه العقول، ويصدق عليه قوله- عليه الصلاة والسلام:- "تتجارى بهم الأهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه"^(٣).

ولقد صور الإمام حال أعداء العلم بقوله: "ثم صار الأمر عند أكثر من يدعي العلم، وأنه من هداة الخلق، وحفاظ الشرع إلى أن الأولياء لا بد فيهم من ترك اتباع الرسل، ومن تبعهم فليس منهم، ولا بد من ترك الجهاد، فمن جاهد فليس منهم، ولا بد من ترك الإيمان والتقوى، فمن تعهد بالإيمان والتقوى فليس منهم، يا ربنا نسألك العفو والعافية إنك سميع الدعاء"^(٤).

وكشف الإمام- رحمه الله- زيف ما يدعيه الأعداء من العلم، إذ مبناه على غير هدى" ومن أعجب ما أجرى من الرؤساء المخالفين أي لما بينت لهم كلام الله، وما ذكر أهل التفسير في قوله: ﴿الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾^(٥)، وقوله: ﴿وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعُونَا عِنْدَ اللَّهِ﴾^(٦)، وقوله: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَىٰ اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾^(٧)، وما ذكر الله من إقرار الكفار في قوله: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ

(١) سورة النحل آية رقم [١٠٥].

(٢) مجموع مؤلفات الشيخ- الرسائل الشخصية (٣/٧-٨).

(٣) رواه أبو داود في سننه- كتاب السنة- باب شرح السنة (١٥٦٠-١٥٦١) (ح٤٥٩٧)، والحديث حسنه الألباني كما في صحيح سنن أبي داود (٣/٨٦٩) (ح٣٨٤٣).

(٤) مجموع مؤلفات الشيخ- مجموعة رسائل في التوحيد والإيمان- ستة أصول عظيمة (٦/٢٦٥).

(٥) سورة الإسراء آية رقم [٥٧].

(٦) سورة يونس آية رقم [١٨].

(٧) سورة الزمر آية رقم [٣].

السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ) ... الآية^(١) وغير ذلك، قالوا: القرآن لا يجوز العمل به لنا ولأمثالنا ولا بكلام الرسول ولا بكلام المتقدمين، ولا نطيع إلا ما ذكره المتأخرون"^(٢).

وهؤلاء الخصوم لما اصطدموا بالواقع الذي يدعو إليه الإمام - رحمه الله - من إخلاص الدين لله، ونهيهم عن دعوة الصالحين والأموات من الأنبياء وغيرهم، وعن الذبح والنذر والتوكل وغير ذلك مما هو حق لله، وأمرهم بفرائض الدين، ونهيهم عن المنكرات من شرب الخمر والتعامل بالربا، كبر ذلك على من يضللون الناس باسم العلم؛ إذ كيف يرونهم على مثل هذه الأخطاء ويتركونهم من غير إنكار أو توجيه، فلما لم ينجسوا جواباً، ولم يتوجه لهم القدح فيما أعلنه الإمام من مبادئ؛ لكونها مستحسنة عند العوام، جعلوا قدحهم فيما يتعلق بالتوحيد وأبواب الشرك، ولبسوا بذلك على العوام - كما سبق في مبحث المعوقات العقديّة -، وأجلبوا على الإمام بخيل الشيطان ورجله وكبرت الفتنة^(٣).

وذكر الإمام أن أعظم فتنة هي التي روج لها أدياء العلم، ولبسوا بها على العامة، حيث يقول - رحمه الله -: "فإنه قد جرى عندنا فتنة عظيمة، بسبب أشياء نهيتم عنها بعض العوام من العادات التي نشئوا عليها، وأخذها الصغير عن الكبير، مثل عبادة غير الله، وتوابع ذلك من تعظيم المشاهد، وبناء القباب على القبور وعبادتها واتخاذها مساجد، وغير ذلك مما بينه الله ورسوله غاية البيان، وأقام الحجة وقطع العذرة، ولكن الأمر كما قال ﷺ: "بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ"^(٤) فلما عظم العوام قطع عاداتهم وساعدتهم على إنكار دين الله بعض من يدعي العلم، وهو من أبعد الناس عنه - إذ العالم من يخشى الله - فأرضى الناس بسخط الله؛ وفتح للعوام باب الشرك بالله، وزين لهم وصدتهم عن إخلاص الدين لله؛ وأوهمهم أنه من تنقيص الأنبياء الصالحين، وهذا بعينه هو الذي جرى على رسول الله ﷺ لما ذكر أن عيسى - عليه السلام - عبد مربوب، ليس له من الأمر شيء، قالت النصراني: إنه سبّ المسيح وأمه، وهكذا قالت الرافضة لمن عرف حقوق أصحاب رسول الله ﷺ وأحبهم، ولم يغفل فيهم، رموه

(١) سورة يونس آية رقم [٣١].

(٢) مجموع مؤلفات الشيخ - الرسائل الشخصية (٢٢/٣)، وتاريخ ابن غنام (٤١٤/١).

(٣) انظر: المرجع السابق (٨٣/٣).

(٤) رواه مسلم في صحيحه - كتاب الإيمان - باب بيان أن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً وإنه يارز بين المسجلين

(٧٠٢) (ح ٢٧٢).



بيغض أهل بيت رسول الله ﷺ وهكذا هؤلاء، لما ذكرت لهم ما ذكره الله ورسوله، وما ذكره أهل العلم من جميع الطوائف، من الأمر بإخلاص الدين لله، والنهي عن مشابهة أهل الكتاب من قبلنا في اتخاذ الأحبار والرهبان أرباباً من دون الله، قالوا لنا تنقصتم الأنبياء والصالحين والأولياء، والله - تعالى - ناصر لدينه، ولو كره المشركون" (١).

ومع هذه المعارضة من أدياء العلم، وافترائهم على الإمام، فلم يمنعه ذلك من تصويهم فيما كان معهم من الحق، وهذا من إنصاف الإمام - رحمه الله - وعدله مع خصومه، ومن ذلك قوله عن المويس: "وأما التعطيل والكيف فصدق في ذلك، فجمع لكم أربعة ألفاظ نصفها حق من عقيدة الحق، ونصفها باطل من عقيدة الباطل وساقها مساقاً واحداً، وزعم أنه مذهب أهل السنة فجهل وتناقض" (٢).

(١) مجموع مؤلفات الشيخ - الرسائل الشخصية (٩٧/٣).

(٢) المرجع السابق - الرسائل الشخصية (٧٤/٣).

الفصل الثالث: عوائق الاجتماع والائتلاف.

وفيه ثلاثة مباحث:

- المبحث الأول: تفرق كلمة أهل الحل والعقد.
- المبحث الثاني: استحلال الدماء والأموال.
- المبحث الثالث: اتهام الإمام بالتكفير بالعموم.



الفصل الثالث: عوائق الاجتماع والاتلاف

حثّ الإسلام على الاجتماع والاتلاف، والوحدة بتوجيه رباني، كما في قوله - تعالى -:

﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾^(١).

فمن عقيدة أهل السنة والجماعة وأصولهم الاجتماع ووحدة الكلمة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: "فإن الفرقة والاختلاف من أعظم ما نهى الله عنه ورسوله"^(٢).

ولا يُمكن أن يتحقق الاجتماع إلا بامثال أوامر الله - عزَّ وجلَّ -، والتمسك بكتابه، واتباع سنة نبيه ﷺ، وترك الكتاب والسنة والإعراض عنهما له نتيجة حتمية، وهي التفرق والاختلاف والتنازع، ومن استقرأ التاريخ وجده شاهد عيان على هذا، وأكبر شاهد لذلك واقع المسلمين المعاصر، وليس الحديث عن البلاد الإسلامية بعمومها، بل حتى في البلد الواحد، ولم تقع الأمة الإسلامية في التيارات المتناحرة، التي خدشت العقيدة وفرقت القلوب، وجعلت الأمة شيعاً وأحزاباً؛ إلا بإعراضها عن كتاب ربها، وسنة نبيها ﷺ، وليس للأمة أن تخرج مما وقعت فيه إلا بالرجوع للمنهج الذي رسمه القرآن، واتبعه سلف هذه الأمة، ودعوا إليه، قال إمام أهل السنة أحمد بن حنبل - رحمه الله -: "إن الله - جلَّ ثناؤه، وتقدَّست أسماؤه - بعث محمداً بالهدى ودين الحق؛ ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، وأنزل عليه كتابه الهدى والنور لمن اتبعه، وجعل رسول الله ﷺ الدال على معنى ما أراد من ظاهره وبالسنة، وخاصه وعممه، وناسخه ومنسوخه، وما قصد له الكتاب.

فكان رسول الله ﷺ هو المعبر عن كتاب الله الدال على معانيه، شاهده في ذلك أصحابه، من ارتضاه الله لنبيه واصطفاه له، ونقلوا ذلك عنه، فكانوا هم أعلم الناس برسول الله ﷺ، وبما أخبر عن معنى ما أراه الله من ذلك بمشاهدتهم ما قصد له الكتاب، فكانوا هم المعبرين عن ذلك بعد رسول الله ﷺ...، وقال ابن عباس - رضي الله عنهما - للخوارج: "

(١) سورة آل عمران آية رقم [١٠٣].

(٢) مجموع الفتاوى - ابن تيمية (٤٦١/٦).

أتيتكم من أصحاب رسول الله ﷺ، المهاجرين والأنصار، ومن عند ابن عم رسول الله ﷺ وصهره، وعليهم نزل القرآن، وهم أعلم بتأويله منكم، وليس فيكم منهم أحد" (١).

وما تنازع الناس واختلفوا إلا بسبب عدم التسليم لأمر الله، وأمر رسوله ﷺ، وقد قال -تعالى-: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (٢).

فإذا لم يُسلم العبد لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ظاهرًا وباطنًا، ويعتصم بهما وقع في الضلال والهلكة، وصار أمره إلى شتات، ولم يجتمع مع غيره لاختلاف المصالح وتفاوت المشارب، وصارت الأمة مرمى لأعدائها، قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "وهذا التفريق الذي حصل من الأمة، علمائها ومشائخها، وأمرائها وكبرائها، هو الذي أوجب تسلط الأعداء عليها، وذلك بتركهم العمل بطاعة الله ورسوله، كما قال -تعالى-: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِيُّوْا أَخَذْنَا مِيثَقَهُمْ فَسَوْأَ حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ﴾ (٣).

فمتى ترك الناس بعض ما أمرهم الله به وقعت بينهم العداوة والبغضاء، وإذا تفرق القوم فسدوا وهلكوا، وإذا اجتمعوا صلحوا وملكوا، فإن الجماعة رحمة والفرقة عذاب" (٤).

وقد عانى الإمام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- من الفرقة والاختلاف بسبب البعد عن هدى الله واتباع سنة رسول الله ﷺ، وركوبهم مركب الهوى.

فمن المعوقات الخطيرة التي عانى منها الإمام -رحمه الله- تفرق كلمة أهل الحل والعقد، وهذا أدى إلى اعتداء بعضهم على بعض، ونتج عن ذلك سفك للدماء واستحلال للأموال.

(١) المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة - جمع: عبد الإله الأحمدى (٢/٤٠٣-٤٠٤).

(٢) سورة النساء آية رقم [٦٥].

(٣) سورة المائدة آية رقم [١٤].

(٤) مجموع الفتاوى - ابن تيمية (٣/٤٢١).



فسعى - رحمه الله - لإخماد الفتن، ومداواة الأمراض المهلكة التي حلت بجسد الأمة، وسعى للشم الشعث ونبذ الفرقة والخلاف^(١)؛ وذلك لعلمه - رحمه الله - لما للتفرق وعدم الاجتماع من أثر سلبي، وما ينتج عنه من التنازع، والفشل الذريع الذي يفت في عضد الأمة كما قال - تعالى - : ﴿وَلَا تَنَزَعُوا أَنْفُسَكُمْ فَيُكْفَرُوا بِكُمْ فَنَكْتُمُونَ﴾^(٢).

وهذا التنازع له أثره في فكر الأمة وأجيالها وضعف شوكتها، وطعن بعضها على بعض، وهذا له خطره المباشر على الأمن الفكري الذي هو ركيزة كل أمن، ويتجلى ذلك في المباحث التالية:

(١) انظر: عقيدة الإمام محمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي - صالح العبود (٢ / ٩٨٤).

(٢) سورة الأنفال آية رقم [٤٦].

المبحث الأول: تفرق كلمة أهل الحل والعقد

المراد بأهل الحل والعقد هم: العلماء والرؤساء ووجهاء الناس^(١).

إن أهل الحل والعقد الذين لهم الناس تبع، إذا ألهمهم الله الرشد، وسلوكوا الهدى الذي بيّنه الله في كتابه، وأمر بالرد إليه عند التنازع، تحصل بهم الألفة، وتجتمع بهم الكلمة، كما قال - سبحانه -: ﴿فَإِنْ نَنْزَعْنَاهُ مِنْ شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾^(٢)، وقوله - تعالى -: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾^(٣).

ولكن إذا لم يكن هذا منهجهم وتجارت بهم الأهواء، وقعوا في الشتات والفرقة، فظهرت النتيجة الحتمية وهي ذهاب الريح، وهذا له أثره المباشر في الأمن الفكري، لاختلال المفاهيم عند الناس بسبب التنازع الفكري، فيؤدي ذلك إلى الضعف والفرقة وضياع المجد والسلطة، والوقوع في الهلكة.

وهذا هو حال نجد في منتصف القرن الثاني عشر، حيث كانت تحكم البلدان إمارات ومشيخات صغيرة متناثرة متنازعة، وكان كل أمير وشيخ في نجد يشعر بالاستقلالية المطلقة.

فكان الحال حال اختلاف وفتن، وحرب بين البلدان وقتل، ونهب وسلب بين القبائل، فلا أمن ولا أمان؛ بل كانت أقاليم متعددة، وكل جهة ترى أنها هي الأحق بالزعامة.

وكانت هذه الإمارات ضعيفة، وأهل الحل والعقد في كل بلد هم الذين يقررون حالة السلم والحرب، ويُنظمون الشؤون الداخلية والعلاقات الخارجية^(٤).

فنجد في زمن الإمام - رحمه الله - أن الرياض يحكمها دهام بن دواس، والذي لم يكن من أهلها، بل كان والده رئيساً على بلدة منفوحة، فقتل أناساً من أهل بلده، وبعد وفاته وتولي ابنه قام عليه أهل البلد وقتلوه وأخرجوا إخوته، ومنهم دهام، واستوطن الرياض، فلمّا قُتل واليهما،

(١) انظر: الاعتصام - إبراهيم الشاطبي (٤٥١/٢)، ومنهاج الطالبين وعمدة المفتين - يحيى بن شرف النووي (١٣١)، ونهاية المحتاج إلى شرح المنهاج - أحمد بن حمزة الرملي (٣٩٠/٧).

(٢) سورة النساء آية رقم [٥٩].

(٣) سورة الشورى آية رقم [١٠].

(٤) انظر: إسلامية لا وهاية - ناصر العقل (٢٩٨).



واستولى على الأمر من بعده أحد عبيده، والذي زعم أنه قابض لأولاد سيده، ثم ما لبث أن هرب خوفاً من أهل الرياض، والتي بقيت بلا رئيس، وكان دهام في فترة ولاية العبد خادماً عنده، فتسنى له الأمر وتسلم الإمارة^(١)، وحرملاء فيها الرؤساء قبيلتان، وليس لإحدهما قول على الأخرى^(٢)، وهكذا سائر البلدان، كثر فيها القتل وسفك الدماء والاختلاف، لا لأجل العقيدة والدين، وإنما من أجل مطامع الدنيا، ومن ذلك ما حصل في الدرعية سنة (١١٢٠هـ) حيث قُتل رئيسها، وفي بلدة التويم من نواحي سدير قُتل رئيسها محمد بن فوزان^(٣)، فاختلّفوا على الولاية فقسموا البلد أربعاً كل ربع تولى عليه شخص، فهذه قرية ضعيفة قليلة الرجال والمال، وتكون على هذه الحال^(٤).

وفي سنة (١١٢١هـ) اختلف أهل الفرعة، وهي بلدة صغيرة من بلاد الوشم قُتل رئيسها. وفي سنة (١١٢٤هـ) قاتل أهل ثادق أهل ثرمدا وقتلوا منهم رجالاً ولم يحصلوا من جراء هذا القتال على شيء.

وفي سنة (١١٢٦هـ) سار حاكم الأحساء وحاكم العيينة، وقصدوا اليمامة ونازلوا أهلها ونهبوا منها منازل.

وفي سنة (١١٢٨هـ، ١١٣٠هـ) قاتل ابن معمر أهل حرملاء، وفي تلك الوقعتين قتل رجالاً من أهلها.

فأي اجتماع، وأي وحدة كلمة مع هذا الوضع الذي يُختلف فيه على من هم في سدة الحكم مع صغر الولاية، وأين الدور الفاعل الذي قام به العلماء والأمرء ووجهاء المجتمع لحقن الدماء ووحدة الكلمة.

واستمر الوضع على الحال السابق حتى من الله على البلاد والعباد بالإمام ودعوته، حيث قدم إلى الدرعية عام (١١٥٧هـ) وتبايع هو والإمام محمد بن سعود - رحمهما الله - فاجتمعت

(١) انظر: عنوان المجد في تاريخ نجد - عثمان بن بشر (١/٩٥).

(٢) انظر: المرجع السابق (١/٨٥).

(٣) لم أفد له على ترجمة رغم بذل الجهد.

(٤) انظر: عنوان المجد في تاريخ نجد - عثمان بن بشر (١/٦٣-٦٤).

كلمة أهل العقد، فصارت الإمامة الشرعيّة لمحمد بن سعود، والإمام الدينيّة العلميّة للشيخ محمد بن عبد الوهاب.

فأمّن الله بمهذين الإمامين السبل، وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر، وظهرت شعائر الدين، وحُكم بين العباد بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، واجتمع الناس على أخوة الدين^(١).

إن اجتماع كلمة أهل الحل والعقد ووحدهم ضرورة من الضروريات التي يفرضها الواقع الإنساني، لكون الإنسان اجتماعيًا بطبعه، وهذه الحالة تحتاج إلى تعاون مع من يُعاشهم؛ لحاجة الجميع إلى الدفاع عن النفس والاستقرار الأمني، وتبادل المصالح والمنافع، والتي لن تقوم إلا على أمن فكري سليم من اللوثات والانحراف، وإذا لم يكن مبناه على دين صحيح وعقيدة سليمة، فلن يستقيم أمرٌ ولن تتحد كلمةٌ.

وقد زعم خصوم الدعوة أن من أهداف دعوة الإمام - رحمه الله - هو التفريق لا الجمع، والتشتيت لا التآليف، وهذه دعاية مُغرضة، مجافية للواقع الذي نمت فيه الدعوة، والمنهج الذي ارتسمه الإمام، وسعى الخصوم إلى التفريق بين جموع الأمة بكل وسيلة، وساءهم توافد الناس على الإمام وأتباعه، واجتماع الكلمة ووحدة الصف، ووصفوا من هذا حاله بأوصاف منفرة، ومن ذلك قول ابن عفالق: "ولست ألوم من تابعه من أهل بلده؛ لأنهم تحت قهره، مأخوذون بالقهر والخوف الشديد من ولائهم، ولكن الملووم من ليس هو تحت يده، وما له عليه سلطانا، فتراه مهاجرًا إليه بماله وولده وبدنه زاعمًا أنها هجرة إلى الله - تعالى - ورسوله ﷺ"^(٢).

ومن الدعاية السيئة ما يؤكد ابن عفالق أن سبب افتراق الأمة واختلافها وتشتت شملها هو دعوة الإمام - رحمه الله - إمعانًا منه في صد الناس عن هدى الله^(٣).

ومن الافتراء ما يشيعه عبد الله بن داود بقوله: "وهذا الرجل لم يخرج إلا ليُفرق بين الأمة؛ فإنه كثيرًا ما يقول: ما دام أهل البلد فرقة واحدة فهم لا يعرفون هذا الدين، ولا هذا التوحيد،

(١) انظر: المرجع السابق (١/٦٥-٧٩).

(٢) رد ابن عفالق على ابن معمر - صحيفة (٤٦ ب).

(٣) انظر: المرجع السابق - صحيفة (١٥٥ أ).



ويكتب لذلك إلى من قرره من أهل نجد، ويقول: في مكاتباته لهم إن رأيناكم حزينين علمنا أنكم عرفتم التوحيد وقبلتموه، وإن رأيناكم حزناً واحداً علمنا أنكم لم تعرفوه، ولم تتقبلوه"^(١).

ويزعم ابن داود أن الإمام يقول: من قال: في ديننا الأول شيئاً حسناً فهو لم يعرف هذا الدين، وأن الإمام يجتهد في نقض ما نصت عليه الجماعة؛ لأن هذا هدف من أهداف دعوته^(٢).

ومن تأمل كتابات الإمام- رحمه الله- ومراسلاته يجدها تنطق بعكس ذلك، وتهدف إلى الاجتماع وجمع الكلمة- كما يتضح من خلال المقومات في الباب الثاني-.

وقد بذل الإمام- رحمه الله- جهده في مراسلة الزعماء من رؤساء البلدان وقضاةهم، فمنهم استجاب لداعي الحق وهُدى الله، ومنهم من ناصبه العدا، واستهزأ به، ونسبه إلى الجهل، ورماه بما هو بريء منه، والقصد من ذلك هو صد الناس عن هدى الله^(٣).

ومن جهود الإمام- رحمه الله- وحرصه على وحدة الكلمة تطفه في الخطاب للمدعوين غير المُعاندين، وحرصه على لقاءهم لإزالة أسباب الاختلاف مهما كانت مشقتها على النفس؛ لأن المصلحة المترتبة على ثمة الاجتماع أعظم وأجل^(٤).

ومن جهوده- رحمه الله- أنه أصّل تأصيلاً علمياً حث فيه على الوحدة والائتلاف في مؤلفاته، كما في رسالته أصول الإيمان، فقد بَوَّبَ باباً حشد تحته النصوص الحاثية على هذا الأصل، والمُرغبة فيه، والزاجرة لمن خالفه^(٥)، وفي أصول الإيمان حذر من التفرق والاختلاف^(٦)؛ لأنه لا شوكة للإسلام ولا عزة ولا منعة للمسلمين بغير الوحدة والاجتماع.

(١) الصواعق والرعود- صحيفة(٣٢-٣٣).

(٢) انظر: المرجع السابق- صحيفة(٥٠أ).

(٣) انظر: عنوان المجد في تاريخ نجد- عثمان بن بشر (٩٢/١).

(٤) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ- الرسائل الشخصية(١٧٠/٣).

(٥) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ- أصول الإيمان(١٨٧/٦-١٨٩).

(٦) انظر: المرجع السابق(١٨٧/٦).

المبحث الثاني: استحلال الدماء والأموال

إن من الضرورات التي جاءت بها الشريعة السمحة بحفظ الأموال والأنفس، وفي آيات الوصايا قال الله - سبحانه وتعالى -: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾^(١)، وقال - تعالى -: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾^(٢).

وكل ضال مُضِلُّ أيًّا كان لبوسه له نصيب من الاجترار على دماء الناس وأموالهم، حتى لو لبس لهم لبوس الدين وانتسب إلى خدمة الشريعة إذا لم يكن مقصده الله والدار الآخرة، فإنه يتصيد من يجيد بهم عن الصراط المستقيم للاستكثار قال - تعالى -: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَآكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾^(٣).

وقد أبان رسول الله ﷺ أن بعثته كانت لإثبات التوحيد لله - سبحانه وتعالى -، وحفظ الدماء والأموال، ولا يتحقق هذا إلا بعد إقامة التوحيد، والتحاكم لشرع الله، قال ﷺ: "أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله"^(٤).

وفي بيانه ﷺ لأمته لحكم الدماء والأموال بغير وجه حق يقول: "كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه"^(٥).

(١) سورة الأنعام آية رقم [١٥١].

(٢) سورة النساء آية رقم [٢٩].

(٣) سورة التوبة آية رقم [٣٤].

(٤) رواه البخاري في صحيحه - كتاب الإيمان - باب ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَءَاتَوْا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾ (٤) (ح ٢٥).

(٥) رواه مسلم في صحيحه - كتاب البر - باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره (١١٢٧) (ح ٦٥٤١).



ولعظم الدم الحرام عند الله - عزَّ وجلَّ -، فإنه أول مقضي به يوم القيامة، قال النبي ﷺ:
"أول ما يقضى بين الناس في الدماء" (١).

ولكون الفسحة بعدها تضيق فقد جاء تحذيره ﷺ بقوله: "لا يزال المؤمن في فسحة من دينه، ما لم يصب دمًا حرامًا" (٢).

وعن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: "إن من ورطات الأمور التي لا مخرج لمن أوقع نفسه فيها: سفك الدم الحرام بغير حله" (٣).

ومن المبادئ التي أعلنها ﷺ في حجة الوداع قوله: "فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم بينكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا، ليلغ الشاهد الغائب فإن الشاهد عسى أن يبلغ من هو أوعى له منه" (٤).

ولا تُستباح هذه الضرورات إلا إذا اختل الأمن، ولا يختل الأمن الحسي إلا باختلال الأمن الفكري، ولذا نجد أن خصوم الإمام - رحمه الله - رأوا أن دعوته تُشكل لهم حرمانًا مما كانوا يتهوكون فيه من دماء وأموال، فأروا أن المبادئ التي يدعو إليها "تُشكل بطبيعتها حرمانًا متواصلًا من شأنه أن يُباعد بدلًا من أن يُشجع رجالًا ما زالوا مرتبطين بعاداتهم وتقاليدهم مغرورين باستقلالهم، ومعتادين على النهب والسلب" (٥).

ومن أشنع حوادث الاستحلال ما حصل من أهل القصيم حينما نقضوا العهد وأقدموا على قتل المعلمة والمشايخ الذين كانوا يعلمونهم أصول الدين ويؤمنونهم في الجمع والجماعات، فتعاهدوا على نقض البيعة وقتلوا أئمتهم ومنهم من هو قاصد لصلاة الجمعة، بل لم تأخذهم

(١) رواه البخاري في صحيحه - كتاب الرقاق - باب القصاص يوم القيامة (٥٤٨) (ح ٦٥٣٣).

(٢) رواه البخاري في صحيحه - كتاب الديات - باب قول الله - تعالى -: ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ ﴾ [النساء: ٩٣] (٥٧٢) (ح ٦٨٦٢).

(٣) رواه البخاري - كتاب الديات - باب قول الله - تعالى -: ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ ﴾ [النساء: ٩٣] (٥٧٢) (ح ٦٨٦٣).

(٤) رواه البخاري في صحيحه - كتاب العلم - باب قول النبي ﷺ: رُبُّ مُبْلِغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ (٨) (ح ٦٧).

(٥) الوهابيون تاريخ ما أهمله التاريخ - لويس دوكورانسي (١٧-١٨).

الرأفة في الضرير الذي لا يُبصر، ومن سلم من قتلهم أسروه وسلموه إلى خصوم الدعوة ليقتلوه صبراً، فأبي استحلال بغير وجه حق بعد هذا؟!^(١).

وكان واقع الجزيرة قبل قيام الدعوة استهانة بالدماء والأموال، فلا أمان على الأنفس ولا على الأموال، حيث الحياة شريعة غاب كما مر في مبحث تفرق كلمة أهل الحل والعقد.

ومن العجب أن الإمام- رحمه الله- كان حريصاً على حفظ دماء المسلمين وأموالهم، وتوحيد كلمتهم، ومع ذلك أذاع عنه الخصوم أنه يبيح دماء المسلمين وأموالهم، وكل ذلك إساءة منهم لدعوة الإمام- رحمه الله-، وصدُّ للناس عن اتباع داعي الله.

فيرى ابن السويدي أن دعوة الإمام- رحمه الله- سبب في استحلال دماء الناس وأموالهم^(٢)، ويزعم أن الإمام يستحل دماء وأموال عوام المسلمين بأدنى شبهة، وليس له حجة إلا أنهم لم يتبعوا قوله^(٣).

ويصف عبد الله بن داود الإمام- رحمه الله- بأنه يُغض المسلمين ويُعادِيهم، ويستحل دماءهم وأموالهم، ويجعل دارهم دار حرب؛ بسبب ما تنطوي عليه نفسه من الموارد الفاسدة، وأنه يرمي الأمة بالضلال كي يستبيح دماءها وأموالها^(٤)، ويزعم أعظم من هذا، وهو أن الإمام وأتباعه يُعطون الرجل الأمان، فإذا أخذوا ما عنده من الأخبار، وشرع في الصلاة وكان في سجودها ابتدروه بالرماح والسيوف^(٥).

ويتهم الإمام مع ما فعله الخصوم، ومع الواقع الذي يعيشه الناس واستُبيحت فيه الحرمات بقوله: "وأما أنت فتستحل دماء المسلمين، وأموالهم وأعراضهم"^(٦).

(١) انظر: عنوان المجد في تاريخ نجد- عثمان بن بشر(١٧٠/١-١٧١)، وتاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد-إبراهيم بن عيسى(٩١).

(٢) انظر: المشكاة المضيئة-صحيفة(١١أ).

(٣) انظر: المرجع السابق-صحيفة(١٥أ).

(٤) انظر: الصواعق والرعود-صحيفة(٣٤)، وصحيفة(٥٧ب).

(٥) انظر: المرجع السابق-صحيفة(٦٠ب).

(٦) المرجع السابق-صحيفة(١٠٣أ).



ويزعم أن الإمام- رحمه الله- بدعوته يستحل دماء وأموال الموحدين، وحرماهم^(١)، وأن بغض المسلمين قد استحکم في قلب الإمام- رحمه الله- حتى وصل به الأمر إلى استحلال دمائهم وأموالهم وجعل دارهم دار حرب^(٢).

كذا محمد بن عبد اللطيف الأحسائي يُشيع عن الدعوة وأئمتها استحلال دماء الناس وأموالهم وسبي نسائهم وأطفالهم^(٣).

وتتنامي روافد الخصوم إلى علوي الحداد الذي اتهم الإمام- رحمه الله- بإباحة أموال المسلمين ودمائهم، وردّ عليه الشيخ سليمان بن سمحان بقوله: "... وأنها دعوى كاذبة خاطئة، وبنيتم على ذلك تكفيره وتكفير من تبعه، على دين الله ورسوله واستحلال دمائهم وأموالهم، من غير ذكر قرينة حال أو مقال، إلا بدعوى مجردة عن الدليل"^(٤).

وقد تجلّت جهود الإمام- رحمه الله- في كشف هذا الزيف في صور منها:

ما سطره في رسائله والتي منها رسالته إلى أحمد بن إبراهيم، كاشفًا من يتذرّع بهذه الفرية في حق الإمام وأتباعه وأنه: أي المتهم للشيخ أولى بتهمته؛ بل هو الحقيق بها، يقول- رحمه الله-: "وتعرف روحة المويس وأتباعه لأهل قبة الكواز وسيّة طالب يوم يكسيه صاية، ويقول لهم: طالع الناس ينكرون قببكم، وقد كفروا وحلّ دُمهم ومالهم، وصار هذا عندك وعند أهل الوشم وعند أهل سدير والقصيم من فضائل المويس ومناقبه، وهم على دينه إلى الآن... وقد صرحوا فيها أن من أقر بالتوحيد كفر وحلّ ماله ودمه وقتل في الحل والحرم"^(٥).

ومن جهوده- رحمه الله- أنه كشف موقف الخصوم من الدعوة وأتباعها، حتى لا يلتبس الأمر على المدعويين بزعمهم أن الإمام هو من يستحل الدماء والأموال، فيقول: "فأما ابن عبد

(١) المرجع السابق- صحيفة(١٣٤ب)، وانظر: صحيفة(١٣٧ب).

(٢) انظر: المرجع السابق- صحيفة(٤٥أ).

(٣) انظر: تقرّظه على الصواعق والرعود- صحيفة(٦ب-١٧أ).

(٤) الأسنة الحداد في رد شبهات علوي الحداد(١٢).

(٥) مجموع مؤلفات الشيخ- الرسائل الشخصية(١١٣/٣).

اللطف وابن عفالق وابن مطلق^(١) فحشوا بالزبيل أعني: سبابة التوحيد واستحلال دم من صدق به، أو أنكر الشرك"^(٢).

ويقول- رحمه الله- موضحًا شبهة الخصوم وزعمهم أن الخلاف بينهم وبين الإمام وأتباعه إنما هو في التكفير والقتال، فيقول: "إن العداوة واستحلال دمائنا وأموالنا ونسائنا، ليس عند التكفير والقتال، بل هم الذين بدءونا بالتكفير والقتال"^(٣).

ومن جهود الإمام- رحمه الله- في هذا المقام بيانه بأن المخالفات يتولد بعضها عن بعض حتى يكون خللها وأثرها عريضًا، وقد يصعب على النفوس المتورطة فيها دفعة نتيجة هذه التراكمات المهلكة، فيقول: "فإذا كان هذا في أهل الملل فكيف بأهل الملة الواحدة إذا ضلوا، ثم جاءهم من يرشدهم إلى دينهم الذي أنزل الله عليهم، وهو الذي ينحلونه؟ فإن تولوا بعد معرفته فأولئك هم الفاسقون، فإن جمعوا مع التولي تكذيبه، وإن جمعوا مع التكذيب الاستهزاء، فإن جمعوا مع ذلك عداوته الشديدة، فإن أضافوا إلى ذلك تكفير من صدق كتابهم ونيهم واستحلال دمه وماله، فإن أضافوا إلى ذلك كله اتباع دين المشركين أعداء نبيهم، ونصروه بما قدروا عليه، وبذلوا النفوس والأموال في نصرته، وعبادة دين نبيهم وإزالته من الأرض، حتى لا يذكر فيها، فالله المستعان"^(٤).

ومن جهود الإمام- رحمه الله- ما جلاه الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن (١٢٩٣هـ) موضحًا منهج الإمام- رحمه الله- وجهوده في حفظ الدماء والأموال: "... وكذلك قام بالنكير على أجلاف البوادي، وأمراء القرى والنواحي، فيما يتجاسرون عليه، ويفعلونه من قطع السبيل، وسفك الدماء، ونهب الأموال المعصومة، حتى ظهر العدل واستقر، وفشا الدين واستمر، والتزمه كل من كانت عليه الولاية، من البلاد النجدية، وغيرها، والحمد لله على ذلك"^(٥).

(١) لم أفق له على ترجمة رغم بذل الجهد.

(٢) مجموع مؤلفات الشيخ- الرسائل الشخصية (١١٣/٣).

(٣) مجموع مؤلفات الشيخ- كتاب فضائل القرآن (٣٤/٢).

(٤) المرجع السابق (٥٥/٢).

(٥) الدرر السنة في الأجوبة النجدية- جمع: عبد الرحمن بن قاسم (٤٦٢/١).



ومن جهوده- رحمه الله- أنه أكد حرمة الدماء والأموال في مؤلفاته، ففي كتاب الكبائر^(١)، باب: تعظيم قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، ويورد فيه الزواجر الشديدة، والنواهي الغليظة عن الولوج في هذا الخضم العسير، والذي هو ورطة من الورطات المهلكة، وفي الأموال باب: الظلم في الأموال^(٢).

فكيف بعد كل هذا يُتصور أن الإمام يُبيح دماء المسلمين وأموالهم!؟

بل إنه حقن دماء المسلمين، وحافظ على أموالهم، وجعلهم- بعد توفيق الله- أمة واحدة، بعد تفرقهم، وحقق الله لهم بدعوته الأمن الحسي والأمن المعنوي، والذي هو ثمرة من ثمرات الأمن الفكري، أما من خالف دعوة الإمام في الماضي والحاضر؛ فإنه تجاسر على دماء المسلمين بغير وجه شرعي، واستباح أموالهم، وإن زعم أنه من أتباع الإمام وثمره من ثمرات دعوته، ونحن نرى في واقعنا أنه لم يكن في صفوف المستبشرين للدماء، المخالفين لمنهج العلماء من تضلع بمنهج الإمام ودعوته.

(١) مجموع مؤلفات الشيخ (٦/٣٠١-٣٠٢).

(٢) مجموع مؤلفات الشيخ- كتاب الكبائر (٦/٣١٢).

المبحث الثالث: اتهام الإمام بالتكفير بالعموم

إن من أعظم الأحكام خطراً، وأشدّها أثراً في واقع الأمة حكم التكفير؛ لما يبنى عليه من أحكام في الدنيا والآخرة.

والتكفير حكم لله - تعالى - ولرسوله - عليه الصلاة والسلام -، وهو باب مهلكة لمن ولج فيه بغير برهان، فعن ابن عمر أن النبي ﷺ قال: "إذا أكفر الرجل أخاه فقد باء بها أحدهما"^(١).

واشتد نكير رسول الله - عليه الصلاة والسلام - على أفضل من وطئ البسيطة بعد النبيين، وهم الصحابة الأطهار في هذه المسألة؛ لأن من نتائجها سفك الدماء، واستباحة الأموال، فكيف بمن دونهم، فهذا هو - عليه الصلاة والسلام - يشتد نكيره على حبه وابن حبه أسامة بن زيد^(٢) - رضي الله عنهما - لقتله رجلاً بين صفوف الكفار، وهو في المعركة ويُقاتل في صفوف العدو، فعن أسامة بن زيد قال: "بعثنا رسول الله ﷺ في سرية، فصبحنا الحرقات من جهينة"^(٣)، فأدرت رجلاً، فقال: لا إله إلا الله فطعنته، فوقع في نفسي من ذلك، فذكرته للنبي ﷺ فقال رسول الله ﷺ: أقال لا إله إلا الله وقتلته؟، قال قلت: يا رسول الله إنما قالها خوفاً من السلاح، قال: أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا؟، فما زال يكررها علي حتى تمنيت أني أسلمت يومئذ"^(٤).

وفي تحذير عظيم من الشفيق على الأمة، والحريص على سلامتها من الانزلاق في هذا الباب، ها هو - عليه الصلاة والسلام - يوجه ويُصحح في حوار يبين فيه مغبة الولوج في باب

(١) رواه مسلم في صحيحه - كتاب الإيمان - باب بيان حال من قال لأخيه المسلم يا كافر (٦٩٠) (ح ٢١٥).
(٢) أسامة بن زيد بن حارثة، استعمله رسول الله ﷺ على جيش لغزو الشام، وفيه عمر وكبار الصحابة، فمات قبل إنفاذه، وأنفذه أبو بكر، حدث عنه من الصحابة أبو هريرة وابن عباس، وفضائله كثيرة، اعتزل الفتن بعد مقتل عثمان، توفي سنة (٥٤هـ). انظر: الإصابة في تمييز الصحابة - أحمد بن حجر (٢٩/١)، وسير أعلام النبلاء للذهبي (٢/٤٩٦ - ٥٠٧).

(٣) جهينة: قبيلة من قُضاعة، يُنسب إليها خلق كثير من الصحابة والتابعين. انظر: الأنساب للسمعاني (٢/١٣٤)، واللباب في تهذيب الأنساب للجزري (١/٣١٧-٣١٨).

(٤) رواه مسلم في صحيحه - كتاب الإيمان - باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال لا إله إلا الله (٦٩٤) (ح ٢٧٧).



الحكم على الناس بلا برهان، فعن المقداد بن الأسود^(١) أنه قال: يا رسول الله أرأيت: إن لقيت رجلا من الكفار، فقاتلني فضرب إحدى يدي بالسيف، فقطعها ثم لاذ مني بشجرة، فقال: أسلمت لله أفأقتله يا رسول الله بعد أن قالها؟ قال رسول الله ﷺ: " لا تقتله، قال فقلت: يا رسول الله إنه قد قطع يدي، ثم قال ذلك بعد أن قطعها أفأقتله؟ قال رسول الله ﷺ: " لا تقتله، فإن قتلته فإنه بمنزلك قبل أن تقتله، وإنك بمنزلته قبل أن يقول كلمته التي قال"^(٢).

فلما رأى خصوم الإمام خطر التكفير، وأثره في نفوس الناس أخذوا يُشيعون عنه أنه يُكفر عموم الناس، فكانت هذه الدعاية والإشاعة من أعظم المعوقات التي تشبعت بها أفكار الكثير من الناس عن دعوة الإمام، خصوصاً وأن المشيعين لها يسبقون بها دعوة الإمام - رحمه الله -، من أجل أن يكون للناس ردة فعل سلبية تجاه الدعوة وعدم قبولها، والإمام لما بدأ دعوته يعلم حال المدعويين، وما هم عليه من الكفر والضلال والعصيان، فلم يتسرع بتكفير ولا قتال، حتى قام عليه أعداء الحق المبين ودعوة المرسلين، وعلى أصحابه بالقتل والتكفير، بلا دليل ولا برهان.

ومن يُشيع عن الإمام - رحمه الله - أنه يُكفر المسلمين الدولة العثمانية، والتي امتلأت مكاتباتها بتكفير الإمام ومن ناصر دعوته^(٣).

وقد تنوع خصوم الإمام - رحمه الله -، فمنهم من دفعه إلى الافتراء على الإمام فساد معتقده، ومنهم من دفعه جهله، ومنهم من دفعه سلطة سياسية، ومنهم من دفعه تقليده لعلماء الضلال، ومنهم من لُبس عليه بالشبه^(٤)، وقالوا: إن كان الذي نفعل من الدعوات والاعتقادات في أهل القبور فيما مضى من الأزمان فنحن على كفر وضلال، فهم الذين ألزموا أنفسهم هذا الحكم، فما كان منهم إلا أنهم كتبوا ونشروا، وأغروا الحكام والولاة وأهل الضلال

(١) المقداد بن عمرو، ويعرف بابن الأسود، صحابي، من السابقين للإسلام، شهد بدرًا وما بعدها، روى عنه علي، وابن مسعود، وابن عباس، وغيرهم، سكن المدينة وتوفي فيها سنة (٣٣ هـ). انظر: الإصابة في تمييز الصحابة - أحمد بن

حجر (١/١٣٣-١٣٤)، وسير أعلام النبلاء للذهبي (١/١٨٥-١٨٩)

(٢) رواه البخاري في صحيحه - كتاب المغازي - باب: (٣٢٨) (ح ٤٠١٩).

(٣) انظر على سبيل المثال لا الحصر: وثائق نجد - تقارير أمراء العثمانيين المعاصرين لظهور محمد بن عبد الوهاب واستقرار أول دولة لآل سعود في نجد والحجاز - علي موجاني (٢٥٠، ٢٥٢، ٣٦٣، ٣٦٥).

(٤) انظر: منهج الإمام محمد بن عبد الوهاب في مسألة التكفير - أحمد الرضيما (٣٥٣، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٦٠، ٣٦٣).

والفساد، وأشاعوا أن ابن عبد الوهاب يُكفر كل الناس، ومُرادهم من ذلك التنفير والصدُّ عن دعوة الإمام^(١)، ومن أولئك الخصوم:

١- محمد بن عفالق، والذي اتهم الإمام بالتكفير واستحلال الأموال والفروج، واستنتج استنتاجات باطلة بهذه الفرية التي يصد بها عن سبيل الله، وأن الإمام- رحمه الله- يكفر بأدنى شرك أصغر من شرك العباد^(٢)، وأن الذي عليه الناس في الأحساء، لم يكن من مظاهره سوى الذبح والنذر والاستغاثة، وهذا يعده العلماء من الشرك الأصغر^(٣)، وزعم أن الإمام خرج على المسلمين وكفرهم: "زاعماً أنه أمرٌ بالمعروف ناه عن منكر، حتى كفر من لم يُصر على كبيرة جُمع عليها، وكفر من قال: يا رسول الله مُتوسلاً به، بل كَفَّر من لم يُكفره، بل فعل أكبر من ذلك وأعظم من استحلال الدماء والفروج والأموال"^(٤)، وفي الواقع أن الذي يُكفر بأدنى شبهة هم الخصوم لا الإمام، ولذا يقول ابن عفالق عن الإمام- رحمه الله-: "ولكن هو خرج عن أقوال الخوارج، والمعتزلة^(٥)، والقدرية^(٦)، بل خرج من الثنتين والسبعين فرقة، فهدم سور الشريعة"^(٧)، وزعم أن الإمام وأتباعه كفروا بالله وبرسوله إن تمسكوا بما هم عليه، فيقول: "وأما توحيدكم الذي مضمونه الخروج على المسلمين، وتكفيرهم وتضليلهم، في صورة أنكم تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر، فهذا إلحاد لا توحيد، ويؤول بصاحبه إلى الكفر والعياذ بالله، فإن من ضل وأضل الأمة وحكم عليها بالكفر بغير علم ولا وحي من الله، فهو ضال مُضل، فإن

(١) انظر: تاريخ ابن غنام (١/٢٢٠-٢٢١).

(٢) انظر: رد ابن عفالق على ابن معمر- صحيفة (١٣٩).

(٣) انظر: جواب ابن عفالق على رسالة ابن معمر- صحيفة (٥٩).

(٤) رد ابن عفالق على ابن معمر- صحيفة (٤٢ ب).

(٥) المعتزلة: سمو بذلك لاعتزال واصل بن عطاء حلقة الحسن البصري، وأخذ يُقرر مذهبه، ويُلقبون أنفسهم بأصحاب العدل والتوحيد، ينفون صفات الله، ويقولون بخلق القرآن، ونفي الرؤية، ولهم أصول خمسة، وهي: العدل، والتوحيد، والمنزلة بين المنزلتين، والوعيد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولهم فيها تأويلات، وهم فرق يُكفر بعضهم بعضاً. انظر: التنبيه والرد- أحمد الملطي (٤٩-٦١)، ومقالات الإسلاميين- علي الأشعري (١/٢١٦)، والملل والنحل-محمد الشهرستاني (١/٣٨-٦٧).

(٦) القدرية: نفاة القدر، وهم قبل المعتزلة، وأول من قال بالقدر معبد الجهني، وقيل: رجل نصراني اسمه سوسن، وظهرت هذه الفرقة في آخر زمن الصحابة، وانتشر هذا القول بالقدر على يد المعتزلة، وهم فرق. التنبيه والرد- محمد الملطي (١٧٦-١٨٧)، والملل والنحل للشهرستاني (٤١/١)، والقضاء والقدر- عبد الرحمن المحمود (١٦٢).

(٧) رد ابن عفالق على ابن معمر- صحيفة (٥٥ ب).



مما أجمعت عليه الأمة أن من قال: قولاً يتوصل به إلى تضليل الأمة فهو كافر إجماعاً، وأنتم تقولون القول ولم تعلموا ما يأتي منه عليكم من المفاصد العظيمة، بل زعمتم أنه لا يتم توحيدكم إلا بتكفيركم الأحياء والأموات"^(١)، ويكرر زعمه بتكفير الإمام - رحمه الله - للأمة بقوله: "حكم بكفر الأمة برها وفاجرها، وأهل السنة والجماعة، والفرقة الناجية"^(٢).

ويُلبّس ابن عفالق على الناس، في معرض رده على الإمام بقوله: "الشرك في العبادة لا يُلحق بالكافر المُكذّب للرسول، غايته أنه من عصاة الموحدين، فألجأته النصوص (أي: الإمام) فهرب من القول بشرك العبادة إلى القول بالردة فحكم عليهم بها، فانظر وتأمل مقصد هذا الخبيث الجاهل، مقصده أن هذه الأمة لا ينفعهم إيمانهم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وأنهم كالكفار الذين كذبوا رسول الله ﷺ، وحكم على الأمة المعصومة من الكفر بالنصوص المصرحة والأدلة القاطعة بالردة، فيا من أضله الله، ألسنت تعلم أن من حكم على الأمة بالردة فهو مرتد بإجماع الأئمة، ولا يُحكم على شخص معين بالردة إلا بشاهدين عدلين فكيف تحكم عليهم بها مجازفة بالظنون"^(٣).

٢- ابن السويدي، وقد افتري على الإمام - رحمه الله - وتنقصه بقوله: "ومن خالفه فهو عنده كافر، هذا وهو لم يكن فيه خصلة واحدة من خصال أهل الاجتهاد، ولا والله عشر واحدة، فراج كلامه على كثير من الجهال، فإننا لله وإنا إليه راجعون، الأمة كلها تصيح بلسان واحد، ومع هذا لا يرد لهم في كلمة، بل كلهم كفار أو جهال"^(٤).

ويحتج ابن السويدي على الإمام - رحمه الله - بأن من يقول لا إله إلا الله لا يكفر مهما عمل من عمل، فيقول: "من أين لكم أن المسلم الذي يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، إذا دعا غائب، أو ميت، أو نذر له، أو ذبح لغير الله، أو تمسح بقبر، أو أخذ من ترابه أن هذا هو الشرك الأكبر الذي من فعله حبط عمله، وحل ماله ودمه"^(٥).

(١) رد ابن عفالق على ابن معمر - صحيفة (٥٦ ب).

(٢) المرجع السابق - صحيفة (٥٧ ب).

(٣) جواب ابن عفالق على رسالة ابن معمر - صحيفة (٧١ ب).

(٤) المشكاة المضية رداً على الوهاية - صحيفة (١ ب).

(٥) المرجع السابق - صحيفة (٢ ب).

ويبرر لخصوم الإمام- رحمه الله- ويزكيهم، ويُجد ما هم عليه من انحراف؛ لأنه- بزعمه- يلزم منه انتقاص السلف الصالح- رحمهم الله- بقوله: "بل الذين تكفروا اليوم وتستحلون دماءهم وأموالهم عقائد أهل السنة والجماعة الفرقة الناجية"^(١).

ويكرر هذه الفرية التي يطول معها النقل في كتابه في مواضع متعددة وبأساليب توحى للقارئ أن الإمام- رحمه الله- يُكفر الأمة ويُضللها بعمومها^(٢).

٣- عبد الله بن داود، والذي يؤكد أن التكفير بالعموم هو مسلك الإمام- رحمه الله-، وأنه يُكفر الأمة عامة إلا من هاجر إليه واتبعه فيقول عن الإمام: "وشهر سيف الفتنة على المسلمين وأمر بتكفيرهم وقتلهم أجمعين... وجزم بتضليل الأمة من نحو ستمائة عام، وروج على الطغام العوام، وزعم أنه لا يصح إسلام إلا على يديه... فمن تبعه وترك ما هو عليه، فهو المؤمن الموحد عنده، وإن كان من أفسق الفاسقين، ومن خالفه فهو الكافر المشرك عنده، وإن كان من أكابر العلماء العاملين"^(٣).

ويقول: "إن جميع أهل القبلة عنده كفار إلا من وافقه في كل ما يقول، وترك المنقول والمعقول"^(٤).

ولا يلبث أهل الضلال من أن يفصحوا عن منهجهم الضال، والوقوع في الهلكة العاجلة، وهي الحكم على الناس بلا دليل ولا برهان، فقد حكم على الإمام بقوله: "فرماه العلماء عن قوس واحدة وجزموا بتعطيل عقيدته الكاسدة، وتسفيه مقالته الفاسدة، ولم يشك أحد منهم في تبديعه، وتضليله، أو تكفيره وتعطيله، وأتته التآليف من جميع الأقطار، ورد عليه معظم علماء الأمصار، فكان مدة لا يرد خطابًا إلا الجور والسيوف، ولا يُحسن جوابًا إلا المكر والزور والحيف، ثم إن العلماء لما رأوا أنه لا يُجيب ولا يرجع إلى الحق يُنيب، ولم تجد فيه النصيحة بل تزايد أفعاله القبيحة"^(٥).

(١) المرجع السابق - صحيفة (٧ب).

(٢) انظر: المرجع السابق - صحيفة (٩أ، ١١أ، ١٥أ، ١٦ب، ١٨أ).

(٣) الصواعق والرعود - عبد الله بن داود - صحيفة (١٢ب)، وانظر: صحيفة (٤٧أ-٤٧ب).

(٤) المرجع السابق - صحيفة (١٥ب)، وانظر: (٢١ب)، و(٣٢ب)، و(٤٩أ-٤٩ب).

(٥) انظر: المرجع السابق - صحيفة (١٢ب).



وقد كرر الحكم بكفر الإمام- رحمه الله- وحشد في أكثر من موضع من كتابه الصواعق والرمود^(١) ما يُدلل به على ذلك، وزعم أن محمد بن الطيب المغربي نزيل المدينة قد حكم بخروج الإمام من الدين، ودخل في جملة الكافرين، وأنه كافر زنديق تجب المبادرة لقلته بلا تأخير^(٢).

ويقسم بالله الذي لا إله غيره أن جميع أقوال ابن عبد الوهاب ما أراد منها إلا تكفير الأمة واستحلال دمائها وأموالها، وهذا لا شك فيه ولا ارتياب عند من له أدنى معرفة بالشريعة^(٣).

ويذكر عن الإمام- رحمه الله-: " أنه إذا أتاه إنسان يريد أن يكفر على يديه بزعمه، وإلا فهو مسلم، وإنما يُريد أن يكفر على يديه، يقول له: لا أقبل منك حتى تشهد على جميع الناس بالشرك والضلال، وأنهم ليسوا على دين إلا أنا ومن اتبعني، ويأمره أيضاً بتكفير أناس من العلماء بأعيانهم أمواتاً وأحياء^(٤)".

وقد راجت هذه الفرية، وأثرت في نفوس المدعوين، الذين بنوا حكمهم على دعوة الإمام عن طريق السماع، أو اتباع من يقتص من كلام الإمام ما يُوافق هوى في نفسه ينزع إليه، بل لم يمنع هؤلاء المفترين من الإحالة على كتب الإمام للإيهام والافتراء، مع بترهم للنصوص والتصرف فيها، ولا زالت هذه الفرية يلوكها من انحرفت عقيدته، أو تأصل الهوى في نفسه، ورُمي بسبب هذه التهمة أتباع هذه الدعوة السلفية بالتشدد والإرهاب رغم تنفيذ الإمام- رحمه الله- لها وتعدد ردوده ووضوح منهجه فيها^(٥).

وقد بذل الإمام- رحمه الله- جهده وبذل ما في وسعه لانتشال من أراد الله سلامته من الوقوع في هذه العماية، وكل ذلك من أجل الحفاظ على فكر الأمة، ورسم منهجاً واضحاً، يستطيع من سار عليه أن يكشف بطلان خرص وتخمين خصوم الدعوة في كل زمان ومكان، فقد أكد في كتاباته ومراسلاته بطلان تلك الفرية، ودحضها، وبيّن منهجه بكل جلاء ووضوح،

(١) انظر: على سبيل المثال: صحيفة(١٥٣)، وصحيفة(١٨١).

(٢) انظر: المرجع السابق-صحيفة(٨٢-٨٢ب).

(٣) انظر: المرجع السابق-صحيفة(١٩٨).

(٤) المرجع السابق-صحيفة(٢٣٥ب).

(٥) انظر: قصة الإمام محمد بن عبد الوهاب-راغب السرجاني(٢٧٨).

فيقول في رسالته لحمد التويجري^(١): "وكذلك تمويهه أي: ابن سحيم على الطعام بأن ابن عبد الوهاب يقول: الذي ما يدخل تحت طاعتي كافر، ونقول: سبحانه هذا بهتان عظيم، بل نشهد الله على ما يعلمه من قلوبنا بأن من عمل بالتوحيد، وتبرأ من الشرك وأهله، فهو المسلم في أي زمان وأي مكان، وإنما نكفر من أشرك بالله في إلهيته بعد ما تبين له الحجة على بطلان الشرك وكذلك نكفر من حسنه للناس، أو أقام الشبه الباطلة على إباحته، وكذلك من قام بسيفه دون هذه المشاهد التي يشرك بالله عندها، وقاتل من أنكرها وسعى في إزالتها"^(٢).

والإمام- رحمه الله- حاله حال العلماء الراسخين والمعلمين الربانيين، لم يأت بحكم جديد من تلقاء نفسه؛ بل حكم بحكم قرره القرآن، وورد في سنة سيد المرسلين، وتبع فيه العلماء الربانيين، فلا يخلو كتاب من كتب الفقهاء من باب من أبواب الفقه يُسمى "باب الردة" يُوردون فيه أمورًا من فعلها أو قال بها كفر، فالإمام- رحمه الله- لم يكن بدعًا من العلماء في هذا الباب؛ ولكنه نزل حكمًا شرعيًا على واقع الناس، وهذا الحكم خالف مألوفهم، أو أهواءهم، أو قطع عليهم متعًا من دنياهم، فشرقوا بما جاء به رغم بيانه لمنهجه، وإيضاحه له، حيث يقول- رحمه الله- في القواعد التي أصّل عليها منهجه تجاه المُخالف:

"الأولى: بيان التوحيد مع أنه لم يطرق آذان أكثر الناس.

الثانية: بيان الشرك ولو كان في كلام من ينتسب إلى العلم، أو عبادة من دعوة غير الله، أو قصده بشيء من العبادة، ولو زعم أنهم يريدون أنهم شفعاء عند الله؛ مع أن أكثر الناس يظن أن هذا من أفضل القربات، كما ذكرتم عن العلماء أنهم يذكرون أنه قد وقع في زمانهم.

الثالثة: تكفير من بان له أن التوحيد هو دين الله ورسوله، ثم أبغضه ونقّر الناس عنه، وجاهد من صدق الرسول فيه، ومن عرف الشرك، وأن رسول الله ﷺ بعث بإنكاره وأقر بذلك ليلاً ونهارًا ثم مدحه وحسنه للناس، وزعم أن أهله لا يخطئون لأنهم السواد الأعظم، وأما ما ذكر الأعداء عني أي أكفر بالظن وبالموالاتة، أو أكفر الجاهل الذي لم تقم عليه الحجة، فهذا بهتان عظيم يريدون به تنفير الناس عن الله ورسوله.

(١) لم أقف له على ترجمة رغم بذل الجهد والوسع.

(٢) مجموع مؤلفات الشيخ-الرسائل الشخصية(٣/٣٤).



الرابعة: الأمر بقتال هؤلاء خاصة حتى لا تكون فتنة، ويكون الدين كله لله، فلمّا اشتهر عني هؤلاء الأربع صدقني من يدعي أنه من العلماء في جميع البلدان في التوحيد وفي نفي الشرك، وردوا عليّ التكفير والقتال، إذا تحققت ما ذكرت لك انبى الجواب على ما ذكرت في أول الأوراق من إقراركم بمعرفة نواقض الإسلام بإجماع العلماء بشرط أنكم لا تكفرون بالظن، ولا من لا تعرفون، فنقول: من المعلوم عند الخاص والعام ما عليه البوادي أو أكثرهم فإن كابر معاند لم يقدر على أن يقول إن عنزة وآل ظفير، وأمثالهم كلهم مشاهيرهم والأتباع إنهم مقرون بالبعث ولا يشكون فيه، ... من أنكر البعث أو شك فيه، أو سب الأذان إذا سمعه، أو فضّل فريضة الطاغوت على حكم الله،... قال علماءؤكم: معلوم أن هذا حال البوادي لا ننكره، ولكن يقولون: لا إله إلا الله، وهي تحميمهم من الكفر ولو فعلوا كل ذلك، ومعلوم أن هؤلاء أولى وأظهر من يدخل في تقريركم، فلما أظهرت تصديق الرسول فيما جاء به سبوني غاية المسببة، وزعموا أنني أكفر أهل الإسلام وأستحل أموالهم، وصرحوا أنه لا يوجد في جزيرتنا رجل واحد كافر، وأن البوادي يفعلون من النواقض مع علمهم أن دين الرسول عند الحضرة، وجحدوا كفرهم، وأنتم تذكرون أن من رد شيئاً مما جاء به الرسول بعد معرفته أنه كافر^(١).

فلم يُنزل الإمام - رحمه الله - الحكم على من ينطبق عليه جزافاً؛ بل بعد توفر شروط وانتفاء موانع؛ بل كثيراً ما يدعو الخصوم إلى الرجوع إلى كتبهم التي ينتحلونها ليحاكمهم إليها^(٢)، ويقول الإمام - رحمه الله - بكل وضوح: "كل إنسان أجادله بمذهبه إن كان شافعيّاً فبكلام الشافعيّة، وإن كان مالكيّاً فبكلام المالكيّة، أو حنبليّاً أو حنفيّاً فكذلك، فإذا أرسلت إليهم ذلك عدلوا عن الجواب؛ لأنهم يعرفون أنني على الحق، وهم على الباطل"^(٣).

ومن جهود الإمام - رحمه الله - أنه حاور الخصوم من خلال إيراد شبههم وتفنيدها، ومن أعظم الشبه التي يرمي بها الخصوم الإمام، ويتهمونه بها، أنه يُكفر عموم المسلمين بزعمهم أن من قال: لا إله إلا الله لا يكفر^(٤).

(١) مجموع مؤلفات الشيخ - الرسائل الشخصية (١٣/٣ - ١٥).

(٢) انظر: المرجع السابق (١٩/٣، ١٤٧، ١٥٤، ١٦٤).

(٣) المرجع السابق (٨٠/٣).

(٤) انظر: الصواعق والرعود - عبد الله بن داود - صحيفة (٢٨٣ - ٢٩٣).

ويقولون: إن الذين قاتلهم رسول الله من الكفار، ونزل فيهم القرآن لا يشهدون أن لا إله إلا الله، فكيف يُساوي الإمام بين من يشهد أن لا إله إلا الله، ومن نزل القرآن بكفرهم، وقد وردت هذه الشبهة على الإمام - رحمه الله - وأجاب عنها بقوله: "إذا تحققت أن الذين قاتلهم رسول الله ﷺ أصح عقولا، وأخف شرًا من هؤلاء، فاعلم أن هؤلاء شبهة يوردونها على ما ذكرنا، وهي من أعظم شبههم، فأصغ سمعك لجوابها.

وهي أنهم يقولون: إن الذين نزل فيهم القرآن لا يشهدون أن لا إله إلا الله، ويكذبون الرسول ﷺ، وينكرون البعث، ويكذبون القرآن ويجعلونه سحرًا، ونحن نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ونصدق القرآن، ونؤمن بالبعث، ونصلي، ونصوم. فكيف تجعلوننا مثل أولئك؟.

فالجواب: أنه لا خلاف بين العلماء كلهم أن الرجل إذا صدق رسول الله ﷺ في شيء، وكذبه في شيء أنه كافر لم يدخل في الإسلام، وكذلك إذا آمن ببعض القرآن وجحد بعضه، كمن أقر بالتوحيد وجحد وجوب الصلاة، أو أقر بالتوحيد والصلاة وجحد وجوب الزكاة، أو أقر بهذا كله وجحد الصوم، أو أقر بهذا كله، وجحد الحج.

ولما لم ينقد أناس في زمن النبي ﷺ ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ (٩٧) (١).

ومن أقر بهذا كله وجحد البعث كفر بالإجماع، وحل دمه وماله كما قال - تعالى - ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ (١٥٠) ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾ (١٥١) (٢).

فإذا كان الله قد صرح في كتابه أن من آمن ببعض وكفر ببعض، فهو الكافر حقًا، وأنه يستحق ما ذكر، زالت الشبهة...، ويقال أيضًا: إن كنت تقرأ أن من صدق الرسول ﷺ في كل

(١) سورة آل عمران آية رقم [٩٧].

(٢) سورة النساء آية رقم [١٥٠ - ١٥١].



شيء، وجحد وجوب الصلاة، إنه كافر حلال الدم والمال بالإجماع، وكذلك إذا أقر بكل شيء إلا البعث.

وكذلك لو جحد وجوب صوم رمضان، وصدق بذلك كله، لا تختلف المذاهب فيه، وقد نطق به القرآن كما قدمنا.

فمعلوم أن التوحيد هو أعظم فريضة جاء بها النبي ﷺ، وهو أعظم من الصلاة والزكاة والصوم والحج، فكيف إذا جحد الإنسان شيئاً من هذه الأمور كفر ولو عمل بكل ما جاء به الرسول ﷺ؟ وإذا جحد التوحيد^(١) الذي هو دين الرسل كلهم لا يكفر؟ سبحان الله ما أعجب هذا الجهل !!.

ويقال أيضاً: هؤلاء أصحاب رسول الله ﷺ قاتلوا بني حنيفة، وقد أسلموا مع النبي ﷺ، وهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويؤذنون ويصلون.

فإن قال إنهم يقولون: إن مسيلمة نبي، قلنا: هذا هو المطلوب، إذا كان من رفع رجلاً إلى رتبة النبي ﷺ كفر وحل ماله ودمه ولم تنفعه الشهاداتان ولا الصلاة، فكيف بمن رفع شمساً أو يوسف^(٢)، أو صحابياً، أو نبياً إلى مرتبة جبار السموات والأرض؟ - سبحان الله - ما أعظم شأنه ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبٍ مُّتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾^(٣).

ويقال أيضاً: الذين حرّقهم علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - بالنار كلهم يدعون الإسلام، وهم من أصحاب علي - رضي الله عنه -، وتعلموا العلم من الصحابة، ولكن اعتقدوا في علي مثل الاعتقاد في يوسف وشمسان وأمثالهما، فكيف أجمع الصحابة على قتلهم وكفرهم؟! أتظنون أن الصحابة يكفرون المسلمين؟ أم تظنون أن الاعتقاد في تاج وأمثاله لا يضر، والاعتقاد في علي بن أبي طالب كفر؟.

(١) وقد أخذ الخصوم على الإمام أن أكثر كلامه عن التوحيد. انظر: الصواعق والرمود - عبد الله بن داود - صحيفة (١٩).

(٢) يوسف ممن يُعتقد فيه في زمن الإمام، حيث كان على قبره وثن يُعبد، وهو في جهة الخليج في الإحساء أو الكويت. انظر: فتاوى محمد بن إبراهيم (١/١٣٥).

(٣) سورة غافر آية رقم [٣٥].

ويقال أيضاً: بنو عبيد القداح^(١) الذين ملكوا المغرب ومصر في زمان بني العباس كلهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويدعون الإسلام، ويصلون الجمعة والجماعة، فلما أظهروا مخالفة الشريعة في أشياء دون ما نحن فيه أجمع العلماء على كفرهم وقتلهم، وأن بلادهم بلاد حرب، وغزاهم المسلمون حتى استنقذوا ما بأيديهم من بلدان المسلمين^(٢).

والخلاصة: أن هذه الفرية بلغ بعضها الإمام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - فتعددت ردوده وأجوبته عليها، ولأن فرية تكفير المسلمين واستباحة دمائهم قد شاعت وذاعت في غالب بلاد المسلمين، وانتشرت انتشار النار في الهشيم، فقد حرص الإمام - رحمه الله - على تأكيد هذه الردود، وإعلان براءته مما ألحق به، فأرسل هذه الردود إلى مختلف البلاد.

ومراد الإمام - رحمه الله - أن الناس الذين تفشى فيهم الشرك والجهل قد انساقوا خلف علماء السوء الذين يزينون الباطل للناس ويدعونهم إليهم، كابن سحيم وأمثاله الذين أجمع على قتلهم أهل العلم^(٣).

ومن جهود الإمام - رحمه الله - أنه أبان أحكامه على مخالفيه المضبوطة بنصوص الكتاب والسنة، وإن خالف أهواء الخلق ومرادهم، وما خالف الكتاب والسنة لا اعتبار له، وإن وافق أهواء الخلق وإراداتهم، إذ إنه عاد بالأمة إلى العهد الأول الذي كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه، وهذا جلي واضح في أقواله، وظاهر في مؤلفاته، فلا يُكفر إلا من كفره الله ورسوله، وأجمع العلماء على تكفيره^(٤).

(١) هم من تسموا بالفاطميين كذباً وزوراً، وهم كما قال فيهم بعض العلماء: ظاهرهم الرضا وباطنهم الكفر الخض، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "فإن غاية ما يزعمه أنهم كانوا يظهرون الإسلام والتزام شرائعه، وليس كل من أظهر الإسلام يكون مؤمناً في الباطن، إذ قد عُرف في المظهرين للإسلام المؤمن والمنافق،... وهؤلاء القوم يشهد عليهم علماء الأمة وأئمتها وجماهيرها أنهم كانوا منافقين زنادقة، يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر، فالشاهد لهم بالإيمان شاهد لهم بما لا يعلمه، وكذلك النسب قد عُلم أن جمهور الأمة تطعن في نسبهم، ويدكرون أنهم من أولاد الجحوس أو اليهود. انظر: مجموع الفتاوى (١٢٨/٣٥).

(٢) مجموع مؤلفات الشيخ - كشف الشبهات (١٢٦-١٢٦)، وانظر مغالطات ابن عفالق على هذه الشبهات وتلبيسه على الناس افتراءً على الله وصدراً عن هدايته في رسالته الموسومة ب: جواب ابن عفالق على رسالة ابن معمر - صحيفة (١٦٩-١٧١).

(٣) مجموع مؤلفات الشيخ - الرسائل الشخصية (١٦٩/٣).

(٤) انظر: الأسنة الحداد في رد شبهات علوي الحداد (٥٦).



ومن جهود الإمام - رحمه الله - أنه من أشد المُحدِّرين من التكفير وأسبابه والوسائل الموصلة إليه، ومن أنصف ورجع إلى كلامه ظهر له ذلك جليًّا من خلال النقول النصيَّة التالية عن الإمام - رحمه الله - فقد ذكر في مسائله على الآيات من (١٠٠-١٠٨) من سورة آل عمران حيث قال: "الرابعة عشرة: فيه التنبيه على قوله: "لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض" (١) "لأن ذلك سبب النزول" (٢).

ويقول - رحمه الله -: "وأما القول: إنا نكفر بالعموم، فذلك من بهتان الأعداء، الذي يصدون به عن هذا الدين، ونقول: سبحانك هذا بهتان عظيم" (٣).

ويبين الإمام - رحمه الله - أن أحكامه لا تصدر من دوافع دنيويَّة؛ إنما من منطلق الحق والعدل، فيقول: "على أن الذي نعتقد، وندين الله به، ونرجو أن يثبتنا عليه في مسألة المسلم إذا أشرك بالله بعد بلوغ الحجة، أو المسلم الذي يفضل هذا على الموحدين، أو يزعم أنه على حق أو غير ذلك من الكفر الصريح الظاهر الذي بينه الله ورسوله ﷺ، وبينه علماء الأمة أنا نؤمن بما جاءنا عن الله وعن رسوله ﷺ من تكفيره ولو غلط فيه من غلط" (٤).

ويكرر - رحمه الله - منهجه ويزيده وضوحًا وتصريحًا في أكثر من مؤلف من مؤلفاته، فيقول: "إننا نكفر من أشرك بالله في إلهيته بعدما نبين له الحجة على بطلان الشرك، وكذلك نكفر من حسنه للناس، أو أقام الشبهه الباطلة على إباحته، وكذلك من قام بسيفه دون هذه المشاهد التي يشرك بالله عندها، وقاتل من أنكرها، وسعى في إزالتها والله المستعان" (٥).

"نُكفر من بان له أن التوحيد هو دين الله ورسوله ثم أبغضه، ونقّر الناس عنه، وجاهد من صدق الرسول فيه، ومن عرف الشرك، وأن رسول الله ﷺ بعث بإنكاره ثم مدحه وحسنه للناس وزعم أن أهله لا يخطئون؛ لأنهم السواد الأعظم، وأما ما ذكر الأعداء عني أني أكفر بالظن

(١) رواه البخاري في صحيحه - كتاب العلم - باب: الإنصات للعلماء (ح ١٢١) (ص ١٣).

(٢) مجموع مؤلفات الشيخ - كتاب فضائل القرآن (٥٧/٢).

(٣) مجموع مؤلفات الشيخ - الرسائل الشخصية (٥٨/٣).

(٤) مفيد المستفيد في كفر تارك التوحيد (١٧).

(٥) مجموع مؤلفات الشيخ - الرسائل الشخصية (٣٤/٣).

وبالموالة أو أكفر الجاهل الذي لم تقم عليه الحجة، فهذا بهتان عظيم يريدون به تنفير الناس عن الله ورسوله" (١).

ومن جهوده- رحمه الله- أنه فند شبه المُغرضين المعاندين، والتي لا زالت تلوكها ألسن من جهل حقيقة الدعوة، ولم يطلع على منهج الإمام الذي يحل كثيرًا من إشكالات العصر لو طُبق في واقع الناس، بل ويرد على من ينتحل دعوته على غير هدى ولا برهان، فيقول- رحمه الله-: "ما ذكر لكم عني أبي أكفر بالعموم فهذا من بهتان الأعداء، وكذلك قولهم: إني أقول من تبع دين الله ورسوله وهو ساكن في بلده أنه ما يكفيه حتى يجيء عندي فهذا أيضًا من البهتان؛ إنما المراد اتباع دين الله ورسوله في أي أرض كانت؛ ولكن نكفر من أقر بدين الله ورسوله ثم عاداه وصد الناس عنه، وكذلك من عبد الأوثان بعد ما عرف أنها دين للمشركين وزينه للناس، فهذا الذي أكفره، وكل عالم على وجه الأرض يكفر هؤلاء إلا رجلًا معاندًا أو جاهلًا" (٢).

"ومنها: ما ذكرتم إني أكفر جميع الناس إلا من اتبعني، وأزعم أن أنكحتهم غير صحيحة، ويا عجبًا! كيف يدخل هذا في عقل عاقل؟، هل يقول هذا مسلم أو كافر أو عارف أو مجنون؟! (٣) .."

"وأما التكفير فأنا أكفر من عرف دين الرسول، ثم بعدما عرفه سبه، ونهى الناس عنه وعادى من فعله، فهذا هو الذي أكفره وأكثر الأمة والله الحمد ليسوا كذلك" (٤).

وقد زعموا أن الإمام محمدًا	يكفر أهل الأرض طُرًّا على عمدٍ
ويقتلهم من غير جرمًا تجبرًا	ويأخذ أموال العباد بلا حدٍّ
ومن لم يطعه كان بالله كافرًا	إلى غير هذا من خرافات ذي اللدِّ (٥)

وبهذا يتضح جليًّا بُعد الإمام- رحمه الله- عن هذه الفرية والتُّهمة التي ليس لها مستند من نقل ولا عقل.

(١) المرجع السابق (١٤/٣).

(٢) المرجع السابق (٣٢/٣).

(٣) المرجع السابق (٢٢/٣).

(٤) مجموع مؤلفات الشيخ- الرسائل الشخصية (٢٣/٣)، وتاريخ ابن غنام (٤١٤/١).

(٥) تبرئة الإمامين من تزوير أهل الكذب والبين- سليمان بن سحمان (٧٥).



وقد حذر "الإسلام من الحكم بالكفر على أحد من أهل القبلة؛ لما يترتب على ذلك من آثار خطيرة، قال - تعالى -: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِنُفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ (١) فإذا كان هذا النهي في التحليل والتحريم في الفروع؛ فكيف بالأصول في الإيمان والكفر، وما يترتب على ذلك من أحكام، وقد ثبت في الحديث الصحيح عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال: "أبما رجل قال لأخيه: يا كافر فقد باء بها أحدهما" (٢)، ولذلك أجمع العلماء على عدم جواز تكفير أهل القبلة إلا أن يروا كُفْرًا بواحا عندهم فيه من الله برهان.

"وقد أكدت الوقائع والدراسات العلميّة أن (التكفير والغلو فيه) دون اعتبار للضوابط الشرعيّة من أهم وأخطر الانحرافات الفكرية السائدة لدى كثير من الجماعات التي تتبنى العنف والإرهاب المادي والفكري، ما يؤكد أن تحقيق الأمن الفكري يرتبط بالتخلص من هذا الداء" (٣).

(١) سورة النحل آية رقم [٢١٦].

(٢) رواه البخاري في صحيحه - كتاب الأدب - باب من أكفر أخاه بغير تأويل فهو كما قال (٥١٥) (ح ٦١٠٤).

(٣) الأمن الفكري مفهومه وأهميته ومتطلبات تحقيقه - عبد الحفيظ المالكي (٥٠) بمجلة البحوث الأمنية العدد (٤٣) شعبان (١٤٣٠هـ).

الباب الثاني:

مقومات الأمن الفكري ووسائله في دعوة الإمام محمد بن

عبد الوهاب.

وفيه خمسة فصول:

الفصل الأول: مقومات منهج الإمام. وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الردُّ إلى الله ورسوله ﷺ.

المبحث الثاني: الرجوع لفهم السلف.

المبحث الثالث: البعد عن المصطلحات المبتدعة.

الفصل الثاني: بيان عقيدة أهل السنة والجماعة. وفيه مبحثان:

المبحث الأول: نشر عقيدة أهل السنة والجماعة.

المبحث الثاني: بيان وسطية أهل السنة والجماعة.

الفصل الثالث: تطبيق الشريعة. وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: إقامة القضاء الشرعي.

المبحث الثاني: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

المبحث الثالث: تطبيق السنة في حياة الناس اليومية.

الفصل الرابع: عناية الإمام بجمع الكلمة. وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: اهتمامه بالجماعة.

المبحث الثاني: تعامله مع الولاة.

المبحث الثالث: موقفه من العلماء.

المبحث الرابع: منهجه في التعامل مع المخالفين.

الفصل الخامس: وسائل الإمام في حفظ الأمن الفكري. وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: الإقناع العقلي والحجة العلميّة.

المبحث الثاني: الدعوة إلى الله.

المبحث الثالث: التعليم.

المبحث الرابع: الحوار.

المبحث الخامس: المناظرة.



الباب الثاني:

مقومات الأمن الفكري ووسائله في دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب

المقومات: جمع المقوم، وأصل الكلمة الثلاثي هو: قَوْمٌ، وأحد معانيه: الانتصاب، والعزم^(١).

ومن أبرز الاستعمالات اللفظية لهذا الأصل "قيام"، والقيام يجيء بمعنى: المحافظة والإصلاح، ومنه قوله - تعالى -: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾^(٢) (٣).

وقام الأمر: اعتدل، وأقام الشيء أدامه^(٤)، وأمر قَيْمٌ: أي مستقيم^(٥)، وقوام الأمر (بالكسر): نظامه وعماده^(٦)، وقَيْمُ الأمر: مقيمته، والقَيْم: السيد وسائس الأمر^(٧).

فَقَوْمٌ الشيء وقوامة بمعنى واحد.

فالمراد بالمقومات: الركائز التي بنى عليها الإمام - رحمه الله - دعوته.

إن كل جاد في هذه الحياة يسعى لتحقيق هدف ديني أو دنيوي؛ لا بد له من أسس ينطلق منها وأهداف يسعى لتحقيقها، ووسائل يستعين بها، ومن لم يكن كذلك فهو كالمُنْبَتِّ.

ومن المطالب المهمة للإنسان الأمنُ بجميع صورته؛ إذ إنه مطلب يسعى لتحقيقه الفرد والجماعات والدول، ولا يتحقق الأمن بجميع منظوماته إلا إذا بُني على أسس فكرية سليمة.

ومن نظر إلى واقع الأمم والشعوب وجدها تسعى جاهدةً إلى تحقيق هذه الغاية، وتبذل في تحقيقها الغالي والنفيس؛ حتى لو أدى ذلك إلى تقديم المهج رخيصة في سبيل ذلك.

(١) انظر: مقاييس اللغة (٤٣/٥).

(٢) سورة النساء آية رقم [٣٤] .

(٣) انظر: لسان العرب (٤٩٧/١٢).

(٤) انظر: القاموس المحيط (١٦٨/٤).

(٥) انظر: المحكم لابن سيده (٣٦٦/٦).

(٦) انظر: لسان العرب (٤٩٩/١٢).

(٧) المرجع السابق (٥٠٢/١٢).

ومن أجل تحقيق الأمن تُرسم الخطط وتوضع البرامج، وتتنوع المشروعات في منظومات مبنية على دراسات وركائز متينة.

ولا شك أن دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - ظهرت فيها المقومات التي تُنبئ بنجاحها في بداية قيامها، يقول كورانسيه في كتابه تاريخ الوهابيين^(١): "تبع أهمية الكتاب الذي نشره وخطره من أن اسم الوهابيين معروف جدًا اليوم في أوربا، ويبدو أنه مُقدَّر لهؤلاء العرب أن يؤدي دورًا عظيمًا في مجريات التاريخ، وإذا تحقق لهم ذلك فإنه من الأهمية بمكان التعريف بهم، ولا سيما أن مقومات الأمة العظيمة موجودة في بداياتها".

إن الأمن الفكري لا يمكن أن يتحقق في ظل غياب الإيمان بالله وسلامة العقيدة^(٢)، والانقياد التام لأمر الله وأمر رسوله ﷺ، ولا يخفى على كل بصير عناية الإمام - رحمه الله - بهذا الجانب والاهتمام به والرجوع بالناس إلى المورد الصافي والظل الوافي، ومن سبر مؤلفات الإمام - رحمه الله - وجد تأصيلًا جليًا وقواعد كلية للأمن الفكري^(٣)، تنبئ عن بعد نظر ودقة فهم يتضح من خلال ما سطره - رحمه الله - في مؤلفاته الماتعة النافعة.

وهذه المقومات والمرتكزات التي بنى عليها الإمام - رحمه الله - أهداف دعوته، تتجلى في الفصول التالية.

(١) (٢١).

(٢) انظر: نحو مجتمع آمن فكريًا - عبد الحفيظ المالكي (١٢) بحث مقدم للمؤتمر الأول للأمن الفكري (١٤٣٠هـ).

(٣) انظر: هذه القواعد في مجموع مؤلفات الشيخ - فضائل القرآن (٥-٢٥).



الفصل الأول: مقومات منهج الإمام

وفيه ثلاثة مباحث:

- المبحث الأول: الرد إلى الله ورسوله ﷺ.
- المبحث الثاني: الرجوع لفهم السلف.
- المبحث الثالث: البعد عن المصطلحات المبتدعة.

الفصل الأول: مقومات منهج الإمام

المنهج في اللغة: هو الطريق البين الواضح^(١)، و"أنهج الطريق: وضح واستبان، وانتهج الطريق: استبانته وسلكه"^(٢).

وقد ارتسم الإمام - رحمه الله - منهجًا مغايرًا لما كان عليه أهل عصره ممن يُشار إليهم بأنهم علماء، والذين انزروا في زوايا ضيقة اختطوها لأنفسهم، ويرون من خلالها أنهم حققوا المقصود من عبادة الله، ولذا رفض الإمام - رحمه الله - "الركون إلى منهجية التفكير السائدة والقائمة على اجتزاء جانب، والاكتفاء به عن غيره، بعد أن رأى عيوب هذا المنهج ظاهرة في: اجتماع التوحيد والشرك، والاتباع والابتداع في آن واحد، وهما نقيضان لا يجتمعان"^(٣).

فسلك - رحمه الله - مسلكًا غير مسلكتهم، واستلهم من وحي الله المنهج الذي يسير عليه؛ إذ ليس مُلْتَزِمًا أن يسير على المنهج المعوج، والله - عز وجل - يقول: ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَيْنَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ (٤٨) ^(٤).

قال ابن عباس - رضي الله عنهما - في قوله تعالى: ﴿ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ أي: سبيلا وسنة^(٥).

فإذا غابت شريعة رب العالمين عن واقع الناس سيطر عليهم الشتات، ولأدل على ذلك من الواقع الذي كان يعيشه العربي قبل مجيء الرسالة الخاتمة، حيث كان يعيش في فوضى عارمة

(١) انظر: مقاييس اللغة - ابن فارس - كتاب النون (٨٧٤).

(٢) المعجم الوسيط - مجمع اللغة العربية - باب النون (٩٩٦).

(٣) مجلة الدارة - أحمد الحليبي - العدد (١) - السنة الثانية والثلاثون (١٧).

(٤) سورة المائدة آية رقم [٤٨].

(٥) انظر: تفسير القرآن العظيم - ابن كثير (١٢٩/٢).



مع نفسه ومحيطه، أدت إلى تغييب عقله، وقتل أقرب الناس إليه، وانتهاك الحرمات لغياب المنهج الذي يُحدّد له المسار الصحيح، ويُبين معالم الطريق.

وحين انبثق فجر الإسلام رسم منهجاً قوياً يشمل العقيدة الراسخة التي تربط المسلم بربه، والتي تستمد أصولها من كتاب الله وسنة رسوله - عليه الصلاة والسلام -، وعلى فهم من نزل القرآن بلغتهم، وعاصروا التنزيل، ومن سلك سبيلهم بإحسان؛ وهذا له أثره الواضح فيمن بعدهم؛ وذلك لسلامة أصوله ونقاء مشربه.

إن المنهج الرباني الذي شرعه الله لعباده وحجته على خلقه التي تضمنها القرآن والسنة ليس مجرد معرفة منفصلة عن واقع الناس؛ بل واقع يُترجمه العمل، والإمام - رحمه الله - اتخذ القرآن الكريم، والسنة النبوية ميزاناً لتصحيح العقيدة، وإخلاص الدين لله، ومنها يستمد منها الاستبصار لتصحيح المسار، فتوحيد مصادر التلقي للأمة في عقائدها وعباداتها وقضاياها الكبرى له علاقته المباشرة بالأمن الفكري؛ لأنه يحمي الأمة ويصونها من عبث العابثين^(١)، وهذا يتضح من خلال المباحث التالية:

(١) انظر: الأمن الفكري مفهومه وأهميته ومتطلبات تحقيقه - عبد الحفيظ المالكي (٤٨) مجلة البحوث الأمنية العدد: (٤٣) شعبان (١٤٣٠ هـ).

المبحث الأول: الردُّ إلى الله ورسوله ﷺ

إن الرد إلى الله ورسوله فيه دليل على التسليم لأمر الله: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾^(١).

فالرد إلى الله ورسوله ﷺ فيه العصمة من الزلل، والأمان للدين والفكر، والسلامة من الآثار المترتبة على ذلك، وذلك من عدة جوانب:

"أولها: من حيث تحقيق عصمة المتنازعين من المخالفة التي تُغضب الله - تعالى -، فتجلب للمتخاصمين والمتنازعين آثار ذلك الغضب، والتي منها فساد الأمن بشكل عام، والأمن الفكري بشكل خاص.

ثانيها: تحقيق الاجتماع والائتلاف بين المتنازعين، وبقاء المحبة والاحترام بينهم، وهذه الحيثية بلا شك صمام أمان للجميع.

ثالثهما: حصول الطمأنينة النفسية، والقناعة العقلية بحكم الله، فإن حكم الله ورسوله لهما سلطان على النفوس والعقول ليس لغيرهما، إذ إن حكم الله قد صدر ممن يعلم من خلق الله، ويعلم ما يصلحهم في أمور دينهم وديناهم"^(٢).

وهذا ما حرص الإمام - رحمه الله - على تحقيقه في مجتمعه، وأصله في دعوته، ويتضح ذلك من خلال المطالبين التاليين:

(١) سورة النساء آية رقم [٥٩].

(٢) انظر: استثمار مسائل الاعتقاد في تحقيق الأمن الفكري - عبد اللطيف الحفظي (١١)، بحث مقدم للمؤتمر الوطني الأول للأمن الفكري (١٤٣٠هـ).



المطلب الأول: الرد إلى الله

المراد إلى كتابه؛ لأن القرآن الكريم كَلِيَّةُ الشريعة، وينبوع الحكمة، وآية الرسالة، ونور البصائر والأبصار، فلا طريق إلى الله سواه، ولا نجاة لسالك بغيره، ولا مُستمسك بشيء يُخالفه^(١)، فهو حجة الله على خلقه قال - تعالى - ﴿ذَلِكَ يَأْنِ اللَّهُ نَزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾^(٢).

وهذا فيه دلالة على أنه - سبحانه - إنما أنزل كتابه لهداية خلقه، وتبيين الحق من الباطل، والهدى من الضلال، فمن صرفه منهم عن مقصوده تبعاً لهواه ومراده، فهو حقيق بأن يُجازى بأعظم العقوبة؛ لمحادثته لله، وبعده عن الحق، ولمخالفته للكتاب الذي جاء بالحق، والموجب للاتفاق وعدم الافتراق والتناقض والاختلاف؛ لأن مراده المنازعة والمُخاصمة فمرج أمره وكثر شقاقه^(٣)، قال - تعالى - ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغِيًّا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(٤).

فهنا حقيقة ينبغي أن يتنبه لها المختلفون أن نُمَّةً ميزاناً ثابتاً ينبغي أن توزن به الأقوال، وقولاً فصلاً ينتهي عنده الجدل، ولا يُتَشَبَثُ بعده بحال الناس ولا ما درجوا عليه من الباطل والضلال؛ لأن كلَّ ما خالف الكتاب لا يكون حقاً بحال، ولو اشتهر وانتشر وارتضاه الناس^(٥).

(١) انظر: الموافقات - إبراهيم الشاطبي (٢٠٠/٣).

(٢) سورة البقرة آية رقم [١٧٦].

(٣) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - عبد الرحمن السعدي (٦٧).

(٤) سورة البقرة آية رقم [٢١٣].

(٥) انظر: في ظلال القرآن - سيد قطب (٢١٠/١).

قال - تعالى -: ﴿ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (٦٤)^(١)، "فالقرآن فاصل بين الناس في كل ما يتنازعون فيه"^(٢).
ومن أعظم الركائز التي يرتكز عليها الأمن الفكري، وينبغي أن تكون أصلاً من أصوله،
ومنطلقاً من منطلقاته القرآن العظيم؛ لأنه ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ (٤٢)^(٣).

(١) سورة النحل آية رقم [٦٤] .

(٢) تفسير القرآن العظيم - ابن كثير (٦٩٩/٢) .

(٣) سورة فصلت آية رقم [٤٢] .



المطلب الثاني: الردُّ إلى رسول الله ﷺ

والمراد بالرد: إلى رسول الله ﷺ في حياته، وإلى كلامه بعد وفاته، وهو سنته، والسنة: هي المصدر الثاني من مصادر التشريع، وهي وحي من الله - سبحانه وتعالى - فمصدرها هو مصدر الكتاب العزيز، قال - تعالى -: ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۗ ﴾^(١).

والسنة النبوية زادٌ للداعي إلى الله، ورافد مهم من روافد الدعوة، فمنها يستمد ما يُريد إيصاله للناس سواء في باب العقائد، أو القيم، أو المعاملات عملاً بقوله - تعالى -: ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْفَكِرُونَ ﴾^(٢)، وهي التي تقوده إلى المنهج الأسلم، والسييل الأقوم؛ إذ مبناها على وحي الله: ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾^(٣)، وهي التي تُميز من امتثل هديه ﷺ واقتفى أثره متبعاً لقول ربه - عز وجل -: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾^(٤).

قال ابن كثير - رحمه الله - في تفسيره: "هذه الآية الكريمة أصل كبير في التأسى برسول الله ﷺ في أقواله وأفعاله وأحواله"^(٥).

وقال الإمام الشافعي - رحمه الله - : "ولا أعلم من الصحابة، ولا من التابعين أحداً أخبر عن رسول الله ﷺ إلا قبل خبره وانتهى إليه، وأثبت ذلك سنة... وصنع ذلك الذين بعد التابعين، والذين لقيناهم كلهم يثبت الأخبار ويجعلها سنة يحمد من تبعها، ويعاب من خالفها، فمن فارق هذا المذهب كان عندنا مفارقاً سبيل أصحاب رسول الله ﷺ، وأهل العلم بعدهم إلى اليوم، وكان من أهل الجهالة"^(٦).

(١) سورة النجم آية رقم [٣-٤].

(٢) سورة النحل آية رقم [٤٤].

(٣) سورة يوسف آية رقم [١٠٨].

(٤) سورة الأحزاب آية رقم [٢١].

(٥) تفسير القرآن العظيم (٥٧٤/٣).

(٦) مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة - عبد الرحمن السيوطي (٣٤-٣٥).

وهكذا كان الإمام - رحمه الله - معظماً لرسول الله ﷺ وقافاً عند أقواله، ويتضح ذلك من قوله - رحمه الله - عند إيراده لقوله - عليه الصلاة والسلام - : "من قال: لا إله إلا الله، وكفر بما يعبد من دون الله، حرم ماله ودمه وحسابه على الله" ^(١)، قال: وهذا من أعظم ما يبين معنى لا إله إلا الله، فإنه لم يجعل التلفظ بها عاصماً للدم والمال، بل ولا معرفة معناها مع لفظها، بل ولا الإقرار بذلك، بل ولا كونه لا يدعو إلا الله وحده لا شريك له، بل لا يحرم ماله ودمه حتى يضيف إلى ذلك الكفر بما يعبد من دون الله، فإن شك أو توقف لم يحرم ماله ودمه.

فيا لها من مسألة ما أعظمها وأجلها، ويا له من بيان ما أوضحه، وحجة ما أقطعها للمنازع" ^(٢).

ومما سبق يتبين أن الأمة الإسلامية على امتداد تاريخها، قد أجمعت على الأخذ بالسنة النبوية والاهتداء بها، ومن حاد عن هذا السبيل فهو ضال مبتدع.

إن الرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ والاهتداء بهديهما يؤدي إلى حماية الفكر، ويُبعد عن دواعي القلق والتناقض والوقوع في الشر، ويحقق الأمن بشتى صورته، حيث إن تناسق الفكر لدى الأفراد، وتوحيد مشاربهم وتوجهاتهم الفكرية يخدم المصلحة العامة والتي هي بدورها تحقق الأمن وتدعمه، وتختفي حينها بذرة الشك والقلق والعصيان" ^(٣).

والإمام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - رجع بالناس لما كان عليه الصحابة والتابعون من الرد إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وجعلهما ركيزة هامة بنى عليهما أصول دعوته، حيث اعتمد - رحمه الله - على القرآن الكريم بصفته المصدر الأول للتشريع الإسلامي، والذي عاش معه منذ صباه، فقد حفظه قبل سن البلوغ، وقد ظهرت آثار إتقانه له واستظهاره في كثرة استشاداته به، حتى كادت بعض مؤلفاته تكون جمعاً للنصوص في المسألة الواحدة، من كثرة ما يُورده من الأدلة الدالة على المسألة التي يُقررها.

(١) رواه مسلم في صحيحه - كتاب الإيمان - باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله... (٦٨٥) (ح ٢٣).

(٢) مجموع مؤلفات الشيخ - كتاب التوحيد (١٧/٦).

(٣) الدلالات التربوية لمفهوم الأمن الفكري في القرآن الكريم والسنة النبوية - عبد الله آل عايش (١٩١).



وقد بيّن الإمام - رحمه الله - أن الله قد أكمل الدين، والكامل لا يحتاج إلى زيادة؛ وبذلك يُفهم معنى قوله - تعالى -: ﴿فَإِنْ نَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ (٥٩)^(١)، ويُبين معنى ذلك من سياق الآية بقوله: "فإذا كان الله - سبحانه - قد أوجب علينا أن نرد ما تنازعنا فيه إلى الله أي: إلى كتاب الله، وإلى الرسول ﷺ أي: إلى سنته، علمنا قطعاً أن من ردّ إلى الكتاب والسنة ما تنازع الناس فيه، وجد فيهما ما يفصل النزاع.

وقال أيضاً: إذا اختلف كلامُ أحمدَ وكلامُ الأصحاب، فنقول في محل النزاع: التراد إلى الله وإلى رسوله لا إلى كلام أحمد، ولا إلى كلام الأصحاب"^(٢).

وقد ذكر الإمام - رحمه الله - في مسائله على سورة يوسف قاعدة كليّة في هذا الصدد فقال: "العشرون: القاعدة الكلية التي تفرع عنها تلك الجزئية، وهي أن أحكام الدنيا إلى الله لا إلى آراء الرجال، كما قال - تعالى -: ﴿وَمَا أَخْلَقْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾"^(٣) (٤).

ولا أدلّ على ذلك ولا أبين من تسطيره لفضائل القرآن، وما ذكر فيها من القواعد ودقيق المسائل، والتي هي عناوين عريضة للأمن الفكري، وحصون منيعة تُحصّن الفكر من الزيغ والضلال عن الهدى الذي جاء به الكتاب العزيز.

قال - رحمه الله -: "باب: وجوب تعلم القرآن وتفهمه واستماعه والتغليظ على من ترك ذلك"^(٥)، وقوله: "باب: الخوف على من لم يفهم القرآن أن يكون من المنافقين"^(٦)، وقوله: "باب: الجفاء عن القرآن"^(٧)، وقوله: "باب: من ابتغى الهدى من غير القرآن"^(٨).

(١) سورة النساء آية رقم [٥٩].

(٢) مجموع مؤلفات الشيخ - أربع قواعد تدور الأحكام عليها (١٠/٣).

(٣) سورة الشورى الآية رقم [١٠].

(٤) مجموع مؤلفات الشيخ - كتاب فضائل القرآن والتفسير (١١٩/٢).

(٥) المرجع السابق (٩/٢).

(٦) المرجع السابق (٤/٢).

(٧) المرجع السابق (٩/٢).

(٨) المرجع السابق (١٠/٢).

وفي (أصول الإيمان) يذكر الإمام- رحمه الله- ما يدل على أصول منهجه وهو الرد إلى الكتاب والسنة فييبوب: "باب: الوصيَّة بكتاب الله- عز وجل-"^(١)، ويسرد تحته جملة من النصوص الدالة على ذلك، و"باب: حقوق النبي ﷺ وجوب طاعته والأخذ عنه والانقياد لأمره ونهيه"^(٢).

ويحث من قَبْلَ قوله على الاعتناء بكتاب الله، وذلك بعد بيانه لعظمة القرآن الكريم، ووجوب تقديمه على ما سواه، فيقول- رحمه الله-: "أشرت على من قَبْلَ نصيحتي من إخواني أن لا يصير في قلبه أجلّ من كتاب الله، ويظن أن القراءة فيه أجلّ من قراءة القرآن"^(٣).

وقال- رحمه الله- في جواب لأحد السائلين يُبين أن القرآن يجد فيه الراد إليه العلم الصحيح الذي يُجَلِّي له ما أشكل، ويهديه للتي هي أقوم: "اعلم- رحمك الله- أن الله- سبحانه- عالم بكل شيء، يعلم ما يقع على خلقه، وأنزل هذا الكتاب المبارك الذي جعله تبياناً لكل شيء، وتفصيلاً لكل شيء، وجعله هدى لأهل القرن الثاني عشر ومن بعدهم، كما جعله هدى لأهل القرن الأول ومن بعدهم.

ومن أعظم البيان الذي فيه: بيان جواب الحجج الصحيحة، والجواب عما يعارضها، وبيان الحجج الفاسدة ونفيها، فلا إله إلا الله، ماذا حُرِّمه المعرضون عن كتاب الله من الهدى والعلم؟! ولكن لا معطي لما منع الله"^(٤).

ومن تتبع مؤلفات الإمام- رحمه الله- وجد أغلب رقمه هو آيات وأحاديث، ولا تكاد تجد صفحة واحدة لا تشتمل على جملة من النصوص، فلغة الأرقام- التي يُقال: إنها لا تكذب- تؤكد ذلك وتؤيده، في كتاب التوحيد مثلاً يشتمل على ستة وستين باباً، ذكر فيه اثنان وثمانون استشهاداً من القرآن، ومائة وخمسة وتسعون استشهاداً من حديث النبي ﷺ^(٥).

(١) مجموع مؤلفات الشيخ- أصول الإيمان (١٨٣/٦-١٨٥).

(٢) المرجع السابق (١٨٦/٦).

(٣) المرجع السابق-الرسائل الشخصية (٢٢/٣).

(٤) المرجع السابق-كتاب فضائل القرآن وتفسيره (١٩٩/٢).

(٥) انظر: دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب من الإحياء والإصلاح إلى الجهاد العالمي- ناتانا دي لونغ باس (١٢٢-١٢٣).



وهذا الكمُّ الهائل من الاستشهادات من الكتاب والسنة ينم عن حرصه - رحمه الله - على استبانة الحق واتباع سبيله، وتبليغ دين الله كما أنزل، وهداية الخلق للحق، ويظهر ذلك بجلاء في معرض توجيهه - رحمه الله - لأحد السائلين حين يبين له المنهج الحق فيقول: "فالذي علمناه عن رسول الله ﷺ أنهما (أي: الملكين) يسألان الميت عن ثلاث: عن التوحيد، وعن الدين، وعن محمد ﷺ... ولا يجوز الزيادة على ما قال الله ورسوله"^(١).

ويقول: "إني أذكر لمن خالفني أن الواجب على الناس اتباع ما وصى به النبي ﷺ أمته، وأقول لهم الكتب عندكم انظروا فيها ولا تأخذوا من كلامي شيئاً؛ لكن إذا عرفتم كلام رسول الله ﷺ الذي في كتبكم فاتبعوه، ولو خالفه أكثر الناس"^(٢).

فأين هذا من كلام عبد الله بن داود وزعمه أن الإمام لا يأخذ بالحديث، ولا يتعلمه، ولا يُعلمه أصحابه، بل يكتبكم حديث رسول الله ﷺ عن أتباعه؟!^(٣).

وقد أبان الإمام - رحمه الله - وكشف شُبُهَة المُلبِّسين التي لبَّسها عليهم الشيطان ولَبَّسوا بها على الناس في ترك القرآن والسنة؛ لعدم فهمهما، فيقول: "رد الشبهة التي وضعها الشيطان في ترك القرآن والسنة، واتباع الآراء، والأهواء المتفرقة المختلفة، وهي: أن القرآن والسنة لا يعرفهما إلا المجتهد المطلق، والمجتهد هو الموصوف بكذا وكذا، أو صافاً لعلها لا توجد تامةً في أي بكر وعمر، فإن لم يكن الإنسان كذلك، فليعرض عنهما فرضاً حتماً لا شك ولا إشكال فيه، ومن طلب الهدى منهما فهو إما زنديقاً، وإما مجنوناً؛ لأجل صعوبة فهمها.

فسبحان الله وبحمده! كم بيّن الله - سبحانه - شرعاً وقدرًا، خلقاً وأمرًا في رد هذه الشبهة الملعونة من وجوه شتى، بلغت إلى أمر الضروريات العامة، ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾ إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْيُنِهِمْ غُلًّا فَهِىَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ

(١) مجموع مؤلفات الشيخ - الرسائل الشخصية (١٠/٣).

(٢) المرجع السابق (١٩/٣).

(٣) انظر: الصواعق والرعود - صحيفة (١٥٠).

﴿١﴾ وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا نُنذِرُ مَنْ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾ ﴿١﴾-﴿٢﴾.

والإمام- رحمه الله- لم يكن بدعا من العلماء، فقد نهج منهج السلف الصالح- عليهم رضوان الله- وقرر ما صرح به الوحي من التسليم، والانقياد لأمر الله وأمر رسوله ﷺ فيقول- رحمه الله-: "وأما متابعة الرسول ﷺ فواجب على أمته متابعتها في الاعتقادات، والأقوال، والأفعال؛ قال الله- تعالى-: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿٣١﴾ ﴿٣﴾.

وقال ﷺ: "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد" ﴿٤﴾. رواه البخاري ومسلم، وفي رواية لمسلم: "من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد" ﴿٥﴾، فتوزن الأقوال والأفعال بأقواله وأفعاله، فما وافق منها قُبل، وما خالف رُدَّ على فاعله كائنا من كان، فإن شهادة أن محمداً رسول الله تتضمن تصديقه فيما أخبر به، وطاعته، ومتابعتة في كل ما أمر به، وقد روى البخاري ﴿٦﴾ من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: "كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبي، قيل: ومن يأبي قال: من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبي". فتأمل- رحمك الله- ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه بعده ﴿٧﴾.

وفي رسالة للشيخ- رحمه الله- لأحد القضاة يُبين له المنهج الصحيح المتمثل في عدم الأخذ باجتهادات الفقهاء عند معارضتها للكتاب والسنة، ويُحذره من نهج ذلك؛ لأنه قد يؤول بمنتحله إلى الشرك فيقول: "ولا خلاف بيني وبينكم أن أهل العلم إذا أجمعوا وجب اتباعهم، وإنما الشأن إذا اختلفوا هل يجب علي أن أقبل الحق ممن جاء به، وأردَّ المسألة إلى الله والرسول

(١) سورة يس [٧-١١].

(٢) مجموع مؤلفات الشيخ- مجموعة رسائل في التوحيد والإيمان (٦/٢٦٥-٢٦٦).

(٣) سورة آل عمران آية رقم [٣١].

(٤) سبق تخريجه.

(٥) سبق تخريجه.

(٦) في صحيحه- كتاب الاعتصام - باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ (٦٠٦) (ح ٧٢٨٠).

(٧) مجموع مؤلفات الشيخ- الرسائل الشخصية (٣/٦٠).



مقتدياً بأهل العلم؟، أو انتحل بعضهم من غير حجة، وأزعم أن الصواب في قوله؟ فأنتم على هذا الثاني، وهو الذي ذمه الله وسماه شركاً، وهو اتخاذ العلماء أرباباً، وأنا على الأول أدعو إليه وأناظر عليه^(١).

ويذكر الإمام- رحمه الله- كلاماً نفيساً في هذا الباب، وينقل عن الإمام أحمد- رحمه الله- في وجوب الرد إلى الكتاب والسنة بقوله: "ولما ذكر له بعض أصحابه أن هذه الكتب فيها فائدة لمن لا يعرف الكتاب والسنة، قال: إن عرفت الحديث لم تحتج إليها، وإن لم تعرفه لم يجل لك النظر فيها، وقال: عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته يذهبون إلى رأي سفيان والله يقول: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(٢)، قال: أتدري ما الفتنة؟ الفتنة الشرك، ومعلوم أن الثوري عنده غاية، وكان يسميه أمير المؤمنين، فإذا كان هذا كلام أحمد في كتب نتمنى الآن أن نراها، فكيف بكتب قد أقر أهلها على أنفسهم أنهم ليسوا من أهل العلم، وشهد عليهم بذلك، ولعل بعضهم مات وهو لا يعرف ما دين الإسلام الذي بعث الله به رسوله ﷺ، وشبهتكم التي ألقيت في قلوبكم أنكم لا تقدر على فهم كلام الله ورسوله والسلف الصالح، وقد قدمنا أن النبي ﷺ قال: " لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة"^(٣) إلى آخره، فتأمل هذه الشبهة، أعني قولكم لا نقدر على ذلك، وتأمل ما حكى الله عن اليهود في قوله: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ﴾^(٤)، وقوله: ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ﴾^(٥)، وقوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾^(٦)، وقوله: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾^(٧)، واطلب تفاسير هذه الآيات من كتب أهل العلم، واعرف من نزلت فيه، واعرف الأقوال والأفعال التي كانت سبباً لنزول هذه الآيات، ثم اعرضها على قولهم لا نقدر على فهم القرآن

(١) مجموع مؤلفات الشيخ- الرسائل الشخصية (١٤٣/٣).

(٢) سورة النور آية رقم [٦٣].

(٣) سبق تخريجه.

(٤) سورة البقرة آية رقم [٨٨].

(٥) سورة البقرة آية رقم [٩٩].

(٦) سورة الزخرف آية رقم [٣].

(٧) سورة القمر آية رقم [٣٢، ١٧، ٢٢].

والسنة تجد مصداق قوله: "لتتبعن سنن من كان قبلكم"، وما في معناه من الأحاديث الكثيرة، فلتكن قصة إسلام سلمان الفارسي منكم على بال، ففيها أنه لم يكن على دين الرسل إلا الواحد بعد الواحد حتى إن آخرهم قال عند موته: لا أعلم على وجه الأرض أحدًا على ما نحن فيه ولكن قد أظل زمان نبي، واذكر مع هذا قول الله - تعالى -: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةَ يَهُودٍ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ﴾ (١)، فحقيق لمن نصح نفسه، وخاف عذاب الآخرة أن يتأمل ما وصف الله به اليهود في كتابه، خصوصًا ما وصف به علماءهم ورهبانهم من كتمان الحق، ولبس الحق بالباطل، والصد عن سبيل الله، وما وصفهم الله، أي: علماءهم من الشرك، والإيمان بالجبت والطاغوت، وقولهم للذين كفروا: ﴿هَؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا ۗ﴾ (٢)؛ لأنه عرف أن كل ما فعلوا لا بد أن تفعله هذه الأمة وقد فعلت، وإن صعب عليك مخالفة الكبراء، ولم يقبل ذهنك هذا الكلام، فأحضر بقلبك أن كتاب الله أحسن الكتب وأعظمها بيانًا وأشفى لداء الجهل وأعظمها فرقًا بين الحق والباطل، والله - سبحانه - قد عرف تفرق عباده واختلافهم قبل أن يخلقهم، وقد ذكر في كتابه: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً ۗ﴾ (٣)، وأحضر قلبك هذه الأصول وما يشابهها في ذهنك، واعرضها على قلبك فإنه إن شاء الله يؤمن بها على سبيل الإجمال فتأمل قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَنْبَغُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا ۗ﴾ (٤)، وتكرير هذا الأصل في مواضع كثيرة، وكذلك قوله: ﴿أَتَجِدُلُونَنِي فِي سَمَاءِ سَمِيئْتُمْوهَا أَنْتُمْ وءَابَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَِا مِنْ سُلْطٰنٍ ۗ﴾ (٥)، فكل حجة تحتجون بها تجدها مبسوسة في القرآن وبعضها في مواضع كثيرة، فأحضر بقلبك أن الحكيم الذي أنزل كتابه شفاء من الجهل فارقًا بين الحق والباطل لا يليق منه أن يقرر هذه الحجج ويكررها مع

(١) سورة هود آية رقم [١١٦].

(٢) سورة النساء آية رقم [٥١].

(٣) سورة النحل آية رقم [٦٤].

(٤) سورة لقمان آية رقم [٢١].

(٥) سورة الأعراف آية رقم [٧١].



عدم حاجة المسلمين إليها ويترك الحجج التي يحتاجون إليها ويعلم أن عباده يفترون حاشا
أحكم الحاكمين من ذلك" (١).

لذا فإن سلامة المنهج ووضوح مصادره وسلامتها لدى الإمام له أثره الواضح في الأتباع،
وهذه ميزة تميز بها منهج الإمام - رحمه الله - حيث اعتمد على الدليل من القرآن والسنة، وهذا
ما لم يتوفر للمناهج الفكرية والاعتقادية التي كانت في زمن الإمام - رحمه الله -، وهذا يترتب
عليه:

- ١ - سلامة منهج الإمام من التناقض وقصور النظر في تعامله مع النصوص.
 - ٢ - انسجام منهجه مع الفطرة؛ لأن مصدره وحي الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.
 - ٣ - شعور من يسير على هذا المنهج بالهوية والاحترام للأمر والنهي المشتملة عليه النصوص؛ لوضوحه وسلامته من الهوى وحفظ النفس (٢).
- فالتمسك بالقرآن والسنة والرجوع إليهما فيه الأمن التام، والاهتداء التام، والسعادة التامة، والإعراض عنهما يأتي بنقيضه، قال - تعالى -: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾ (٣).
- والعيش الضنك ليس معه أمن ولا انشراح ولا طمأنينة، بل هي حياة خوف وقلق، وتعب في القلب والبدن (٤).
- وفي الحديث عنه - عليه الصلاة والسلام -: "وجعل الذلّة والصغار على من خالف أمري" (٥).

(١) مجموع مؤلفات الشيخ - الرسائل الشخصية (٣/١٤٥-١٤٦).

(٢) انظر: الأمن الفكري في الإسلام ومقوماته ومزاياه - جميل عبيد القرارة (٣٠).

(٣) سورة طه آية رقم [١٨].

(٤) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ - فتاوى ومسائل (٢/٤٧).

(٥) رواه الإمام أحمد في مسنده (٤١٠) (ح ٥١١٤)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٤/٢١٢) (ح ١٩٤٠١)، والبخاري تعليقا - كتاب الجهاد - باب ما قيل في الرماح (٢٤٣)، والحديث صححه أحمد شاكر في تعليقاته على أحاديث المسند (٧/١٢١) (ح ٥١١٤).

"والمقصود أنه بحسب متابعة الرسول تكون العزة والكفاية والنصرة، كما أنه بحسب متابعته تكون الهداية والفلاح والنجاة، فالله - سبحانه - علق سعادة الدارين بمتابعته، وجعل شقاوة الدارين في مخالفته، فلأتباعه الهدى والأمن، والفلاح والعزة، والكفاية والنصرة، والولاية والتأييد، وطيب العيش في الدنيا والآخرة، ولمخالفيه الذلة والصغار، والخوف والضلال، والخذلان والشقاء في الدنيا والآخرة"^(١).

فالرُّدُّ إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ عند النزاع هو في حقيقته أمن وحماية للفكر والدين والتصورات، إذ فيه عصمة من الزيغ الذي حذر الله منه، وتحقيق للوحدة والائتلاف الذي به أمن المجتمع، ويتحقق بذلك الطمأنينة النفسية، والقناعة العقلية بحكم الله وحكم رسوله ﷺ^(٢)، إذ إنه من المعلوم "أن التأصيل، وضبط مصادر المعرفة والتلقي أساس الأمن الفكري، فإن الاعتقاد وصحته، والعمل وسلامته - كل ذلك - منوط بسلامة المصدر الذي أخذ منه الاعتقاد، أو العمل"^(٣).

وقد كان من المبادئ التي أصلها الإمام - رحمه الله - وشهد بها غير المسلمين، هو الرجوع بالناس إلى المصدر النقي، وهو الإسلام في صفائه الأول، والمتمثل في الإيمان بالله على وفق ما ورد في كتاب الله، والرد إليه و إلى رسوله^(٤).

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد - ابن القيم (٣٧/١).

(٢) انظر: استثمار مسائل الاعتقاد في تحقيق الأمن الفكري - عبد اللطيف الحفظي (١١)، بحث مقدم للمؤتمر الوطني الأول للأمن الفكري (١٤٣٠هـ).

(٣) بناء المفاهيم ودراساتها في ضوء المنهج العلمي - مفهوم الأمن الفكري أمودجًا - عبد الرحمن اللويحي (٢٣) بحث مقدم للمؤتمر الوطني الأول للأمن الفكري (١٤٣٠هـ).

(٤) انظر: الوهابية بتقارير القنصلية الفرنسية في بغداد - إعداد: هاشم ناجي (١٢٤).



المبحث الثاني: الرجوع لفهم السلف

المُرَاد بالسلف: قال ابن فارس: السين واللام والفاء تدل على تقدمٍ وسبق، ومن ذلك السلف الذين مضوا^(١).

وجاء في عبارات العلماء على إطلاق السلف على أنهم: جمهور أصحاب القرون المفضلة، من الصحابة، والتابعين، وتابع التابعين^(٢).

وقال الإمام - رحمه الله -: " السلف الصالح من المهاجرين والأنصار والتابعين وتابع التابعين والأئمة الأربعة - رضي الله عنهم أجمعين -"^(٣).

وعليه فمن تمسك بالكتاب والسنة، وسار على منهج الصحابة، والتابعين، عقيدةً وفهمًا قولًا وعملاً، فهو داخل في دائرة السلف، وإن تأخر زمنًا^(٤)، إذ أن السلف - رضي الله عنهم - كان منهجهم في التعامل مع النصوص يتمثل في أن ما أمرهم به ﷺ امتثلوه، وما نهاهم عنه انتهوا عنه، وما أخبرهم به صدقوه، وما أشكل عليهم سألوا عنه، وهذا هو العاصم للأمة بعد رحمة الله من الزيغ والضلال والهلكة، وفيه تحصين للفكر من الانحراف، وحفظ له من الوقوع في الشبهات؛ وذلك لمعاصرتهم لوقت نزول الوحي، وملازمتهم لرسول الله ﷺ " فأخذوا الإسلام عنه مباشرة، وشرايعه مُشاهدة، وأحكامه مُعانية من غير واسطة، ولا سفير بينهم وبينه واصله، فحاولوها عيانًا، وحفظوا عنه شفاهاً، وتلقفوه من فيه رطبًا، وتلقنوه من لسانه عذبًا، واعتقدوا جميع ذلك حقًا، واخلصوا بذلك من قلوبهم يقينًا، فهذا دين أخذ أوله عن رسول الله ﷺ مشافهة، لم يشبهه لبس ولا شبهة، ثم نقلها العدول عن العدول، من غير تحامل ولا ميل، ثم الكافة عن الكافة، والصفافة عن الصفافة، والجماعة عن الجماعة أخذ كف بكف، وتمسك خلف بسلف، كالحروف يتلو بعضها بعضًا، ويتسق آخرها على أولها رصنًا ونظمًا"^(٥).

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة - ابن فارس (٤١٤) مادة (سلف)، ولسان العرب - ابن منظور (٣٣٠/٦).

(٢) انظر: لوامع الأنوار البهية - محمد السفاريني (٢٠/١).

(٣) مجموع مؤلفات الشيخ - الرسائل الشخصية (٢٩/٣).

(٤) انظر: الموقف المعاصر من المنهج السلفي في البلاد العربية - مفرح القوسي (٢٨).

(٥) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة - هبة الله اللالكائي (٢٢/١ - ٢٣).

وعلى هذا المسلك سار الإمام - وإن تأخر زمنًا-، فبعد أن استوعب- رحمه الله- نصوص الكتاب والسنة، عرضه على ما فهمه سلف هذه الأمة، ومدى موافقته لمراد الله ومراد رسوله ﷺ من هذه النصوص؛ لعلمه اليقيني أنهم الأولى والأحرى بالفهم والصواب من غيرهم، كيف لا؟ "ومستندهم في معرفة مُراد الرب- تعالى- من كلامه ما يشاهدونه من فعل رسوله ﷺ وهدية، وهو يُفصّل القرآن ويُفسره، فكيف يكون أحد من الأمة بعدهم أولى بالصواب منهم" (١).

ولو نظرنا إلى ما سطر خصوم الإمام- رحمه الله- وافترائهم على الإمام أنه لم يقتف آثار من سلف في جميع العلوم، كقول: عبد الله بن داود: "ويقول الرجل من أتباعكم: اقرءوا لي ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ (٢) وأنا أفسرها، يريد أن يُفسرها، وهو لا يعرف منها حرفًا، وتعدون هذا عندكم من جملة المجتهدين المُفسرين، وتعدلون عن التفاسير الذي فسرها-عليه السلام- هو وأصحابه، والتابعون، والعلماء المجتهدين، وهي عندكم، وتُحذرون عنها، وتُعاقبون من أظهر منها ورقة هي وجميع كتب أهل العلم، من حديث وفقه وغيره، وتُحرقون شيئًا منها، وتُهينون شيئًا منها، وتُحرقون شيئًا، وتجتهدون في أن لا يروه عوامكم من كتب العلم شيئًا" (٣)، ويسير الحداد على نفس المنوال، من التزييف والتضليل فيقول: "ومن ذلك أنه منع من مُطالعة كتب الفقه، والحديث، والتفسير، وأحرق كثيرًا منها، ومن ذلك؛ أنه أذن لكل من تبعه أن يُفسر القرآن بحسب فهمه، حتى همج الهمج، ولو كانوا لا يقرءون القرآن ولا يعرفونه، حتى صار الذي لا يقرأ يقول: لمن يقرأ اقرأ لي شيئًا من القرآن، وأنا أفسره لك، فإذا قرأ له شيئًا فسره له، وأمرهم أن يعملوا بما فهموه منه، وجعل ذلك مُقدمًا على ما في كتب العلم، ومن ذلك أنه يدعي باطنًا أنه أتى بدين جديد، كما يظهر من قرائن أحواله وأقواله، ولذلك لم يقبل من دين نبينا محمد ﷺ شيئًا إلا القرآن؛ فإنه قبله ظاهرًا فقط؛ لئلا يعلم الناس حقيقة أمره فينكشفوا عنه، بدليل أنه هو واتباعه إنما يؤولونه بحسب ما يوافق هواهم، لا بحسب ما فسره النبي ﷺ وأصحابه، والسلف الصالح وأئمة التفسير، فإنه لا يقول بذلك، كما أنه لا يقول بما عدا القرآن من

(١) أعلام الموقعين- ابن القيم (٤/١٦٢).

(٢) سورة الإخلاص آية رقم [١].

(٣) الصواعق والرعود- صحيفة (١٧-١٨).



أحاديث النبي ﷺ، وأقاويل الصحابة- رضي الله عنهم- وما استنبطه العلماء من القرآن والحديث، ولا يأخذ بالإجماع، ولا القياس وغير ذلك مما اعتبروه"^(١).

ولقد كانت دعوة الإمام- رحمه الله- في حقيقتها قائمة على فهم السلف ومنهجهم - رضي الله عنهم- وتجديد لما اندرس من معالم هذا العلم الموروث عن رسول الله ﷺ، وأصحابه، ومن بعدهم؛ لأنهم من أدرك التنزيل، وفهموا مُراد الله عن رسول الله ﷺ، وأخذ عنهم من بعدهم من صالح الأمة، ولا يزال هذا الخير يُتوارث؛ لأنه لا تزال عليه طائفة من الأمة حتى يأتي أمر الله، ومن حفظ الله لهذا الدين أنه مُتسلسل عن الأكابر، وهو من ميزاته التي يتميز بها عن غيره من الأديان.

فالإمام- رحمه الله- قامت دعوته على تصحيح المفاهيم، التي أصابها لوثات علقت بها من أدران الشرك والبدع والخرافات، فحرص على إقامة مُجتمع إسلامي يُطبق شريعة الله في واقعه عقيدةً وعبادةً، ونهج حياة على فهم صحيح سليم، تأمن معه الأمة على فكرها، وتبني عليه مستقبل ثوابتها، سليمًا من لوثات الأفكار وضلال العقول.

ومما ينبغي التنبيه عليه أن ادعاء "اتباع السلف الصالح الموصول إلى رضوان الله- سبحانه- مشروط بالإحسان في الاتباع، وليس أيّ اتباع، صحيحًا، أو مغلوطنًا، أو مشوبًا ببعض آثار الفوضى الفكرية، أو العاطفية، كما يريد فريق من الناس أن يخدع نفسه، ويخدع الناس من حوله حين يقوم ببعض شعائر الدين، فتنسيه بقية المهمات الشرعية الكبرى، بحجة أنه متبع للسلف الصالح، فهذا الإحسان في الاتباع، هو المحك الأكبر، والمؤشر الأدق"^(٢).

وقد سار الإمام- رحمه الله- على ما سار عليه سلف الأمة ونهج نهجهم في التلقي والاستدلال، المبني على فهمهم لنصوص الكتاب والسنة، وعدم معارضتهما، وهذا "من أعظم ما أنعم الله به عليهم، اعتصامهم بالكتاب والسنة، فكان من الأصول المتفق عليها بين الصحابة والتابعين لهم بإحسان، أنه لا يقبل من أحد قط أن يعارض القرآن، لا برأيه، ولا

(١) مصباح الأنام وجلاء الظلام في رد شبه البدعي النجدي التي أضل بها العوام- علوي الحداد(٤).

(٢) تأملات في دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب- عبد الله التركي(١٢٤).

ذوقه، ولا معقوله، ولا قياسه، ولا وجدته، فإنهم ثبت عنهم بالبراهين القطعيات والآيات البيّنات أن الرسول جاء بالهدى ودين الحق، وأن القرآن يهدي للتي هي أقوم^(١).

فالنزاع بين إمام الدعوة وخصومه في الفهم عامل مهم في إعطاء التصور الصحيح عن المسألة محل النزاع؛ وما ذلك إلا لاختلاف المناهج والمشارب، وما ينتج عنه من اختلاف منهجي وعقدي، فالإمام- رحمه الله- سار على طريقة السلف يُقرر السنة وينصرها، ويُجانب البدعة ويهجرها ويُحاربها^(٢).

وقد بيّن الإمام محمد بن عبد الوهاب- رحمه الله- ذلك في رسالته للشيخ السويدي أحد كبار علماء العراق فقال: "إني والحمد لله مُتَّبِعٌ ولستُ بمبتدع، عقيدتي وديني أدين الله به هو مذهب أهل السنة والجماعة، الذي عليه أئمة المسلمين مثل الأئمة الأربعة وأتباعهم إلى يوم القيامة"^(٣).

ويقرر منهجه في أمر من أمور العقيدة وهو صفات الله، ويذكر أنه على الأصل العتيق وهو فهم السلف، فيقول- رحمه الله-: "بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، الجواب-وبالله التوفيق- عن المبحث الأول عن آيات الصفات وأحاديثها التي اختلف فيها علماء الإسلام، فنقول: الذي نعتقد وندين الله به، هو مذهب سلف الأمة وأئمتها، من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، من الأئمة الأربعة وأصحابهم-رضي الله عنهم أجمعين-، وهو: الإيمان بذلك، والإقرار به، وإمراره كما جاء، من غير تشبيه، ولا تمثيل، ولا تعطيل، قال الله- تعالى-: ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا نُبِّئَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ ﴾^(٤).

وقد شهد الله- تعالى- لأصحاب نبيه ﷺ ومن تبعهم بإحسان بالإيمان، فعلم قطعاً أنهم المراد بالآية الكريمة، فقال-تعالى-: ﴿ وَالسَّبِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ

(١) الفتاوى-ابن تيمية(٢٨/١٣).

(٢) انظر: إسلامية لا وهابية- ناصر العقل(١٦١).

(٣) مجموع مؤلفات الشيخ- الرسائل الشخصية(٢١/٣، ٨٥).

(٤) سورة النساء آية رقم [١١٥].



فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١﴾، وقال- تعالى-: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ (٢) الآية، فثبت بالكتاب لهم أن من اتبع سبيلهم فهو على الحق، ومن خالفهم فهو على الباطل" (٣).

ولقد ردّ الإمام- رحمه الله- على من يعترضون على فهم السِّلَف، ولا يأخذون به، ويتهمون الآخذين به بقوله: "ولا يجوز أيضاً أن يكون الخالفون أعلم من السابقين، كما قد يقوله بعض الأغبياء، ممن لم يعرف قدر السِّلَف، بل ولا عرف الله ورسوله والمؤمنين به حقيقة المعرفة المأمور بها، من أن طريقة الخلف أعلم وأحكم، وطريقة السِّلَف أسلم؛ فإن هؤلاء المبتدعة الذين يفضلون طريقة الخلف على طريقة السِّلَف، إنما أتوا من حيث ظنوا أن طريقة السِّلَف هي مجرد الإيمان بألفاظ القرآن والحديث، من غير فقه لذلك، بمنزلة الأميين الذين قال الله فيهم: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي وَإِنَّهُمْ إِلَّا يُظُنُّونَ﴾ (٤)، وأن طريقة الخلف هي استخراج معاني النصوص المصروفة عن حقائقها، بأنواع المجازات وغرائب اللغات، فهذا الظن الفاسد أوجب تلك المقالة التي مضمونها نبد الإسلام وراء الظهر، وقد كذبوا على طريقة السِّلَف، وضلوا في تصويب طريقة الخلف، فجمعوا بين الجهل بطريقة السِّلَف في الكذب عليهم، وبين الجهل والضلال بتصويب طريقة الخلف، وسبب ذلك اعتقادهم أنه ليس في نفس الأمر صفة دلّت عليها هذه النصوص، بالشبهات الفاسدة التي شاركوا فيها أهل الجهل والضلال، من الجهميَّة (٥) والمعتزلة والرافضة، ومن سلك سبيلهم من الضالين" (٦).

(١) سورة التوبة آية رقم [١٠٠].

(٢) سورة الفتح آية رقم [١٨].

(٣) انظر: الدرر السنيَّة في الأحوبة النجدية- جمع: عبد الرحمن بن قاسم (٣٤/٣).

(٤) سورة البقرة آية رقم [٧٨].

(٥) الجهميَّة: هم أتباع الجهم ابن صفوان، وهي فرقة مُعطلَّة تُنكر الأسماء والصفات، وتزعم أن الإنسان مجبور على أفعاله، ويقولون: بقاء الجنة والنار، وأن الإيمان هو المعرفة بالقلب، وغيرها من الضلالات. انظر: التنبيه والرد- محمد الملطي (١١٠-١٥٤)، والفرق بين الفرق- عبد القاهر البغدادي (١٩٩-٢٠٠)، والملل والنحل للشهرستاني (٧٣/١-٧٤).

(٦) الدرر السنيَّة في الأحوبة النجدية- جمع: عبد الرحمن بن قاسم (٣/٤٠ - ٤١).

ويُحقق الإمام - رحمه الله - تعظيم السَّلَف في النفوس بقوله في مسأله على كتاب التوحيد:
"عمق علم السَّلَف لقوله: قد أحسن من انتهى إلى ما سمع"^(١)، ويقول - رحمه الله -: بُعد
السَّلَف عن مدح الإنسان بما ليس فيه"^(٢).

ويرد الإمام - رحمه الله - على من يأتي إلى قبر النبي ﷺ ويسأله الشفاعة، ويتهم الإمام -
رحمه الله - بإنكار شفاعته النبي ﷺ، ويبين الإمام أن هذا هو الحق الموافق لفهم السَّلَف - عليهم
رضوان الله - بقوله: "بل نشهد أن رسول الله ﷺ الشافع المشفع صاحب المقام المحمود نسأل
الله الكريم رب العرش العظيم أن يشفعه فينا، وأن يحشرنا تحت لوائه، هذا اعتقادنا، وهذا الذي
مشى عليه السَّلَف الصالح من المهاجرين والأنصار، والتابعين وتابع التابعين، والأئمة الأربعة -
رضي الله عنهم أجمعين -، وهم أحب الناس لنبيهم، وأعظمهم في اتباعه وشرعه؛ فإن كانوا
يأتون عند قبره يطلبونه الشفاعة فإن اجتماعهم حجة، والقائل إنه يطلب الشفاعة بعد موته
يورد علينا الدليل من كتاب الله، أو من سنة رسول الله، أو من إجماع الأمة، والحق أحق أن
يُتَّبَع"^(٣).

ويوضح الإمام - رحمه الله - أن المُقدم عنده الدليل الشرعي بفهم السَّلَف، فيقول: "وأما
ما ذكرتم من حقيقة الاجتهاد فنحن مقلدون الكتاب والسنة، وصالح سلف الأمة، وما عليه
الاعتماد من أقوال الأئمة الأربعة أبي حنيفة النعمان بن ثابت، ومالك بن أنس، ومحمد بن
إدريس، وأحمد بن حنبل - رحمهم الله تعالى -"^(٤).

وفي احتجاج الإمام على مسألة الشفاعة يُصرح بأن هذه طريقة السَّلَف ومنهجهم فيقول:
"هذا الذي ذكرناه لا يخالف فيه أحد من علماء المسلمين، بل قد أجمع عليه السَّلَف الصالح
من الصحابة، والتابعين، والأئمة الأربعة وغيرهم، ممن سلك سبيلهم ودرج على منهجهم"^(٥).

(١) مجموع مؤلفات الشيخ - كتاب التوحيد (١١/٦).

(٢) المرجع السابق (١١/٦).

(٣) مجموع مؤلفات الشيخ - الرسائل الشخصية (٢٩/٣).

(٤) المرجع السابق (٥٥/٣).

(٥) المرجع السابق (٦٤/٣).



ويقول- رحمه الله- في إحدى رسائله ناصحًا وموجهًا، ومُرشدًا لطلب العلم والحق وفهمه من مظانه: "واطلب كلام أهل العلم في زمانه- أي ابن القيم- مثل: الحافظ الذهبي، وابن كثير، وابن رجب، وغيرهم... فإن لم تتبع هؤلاء، فانظر كلام الأئمة قبلهم، كالحافظ البيهقي في كتاب المدخل، والحافظ ابن عبد البر، والخطابي وأمثالهم، ومن قبلهم كالشافعي، وابن جرير، وابن قتيبة، وأبي عبيد، فهؤلاء إليهم المرجع في كلام الله، وكلام رسوله، وكلام السلف، وإياك وتفاسير المحرفين للكلم عن مواضعه وشروحهم، فإنها القاطعة عن الله وعن دينه"^(١).

ويتبين في رسالة الإمام- رحمه الله- لعلماء مكة اهتمامه بكتب السلف وفهم ما فيها بقوله: "فهذه كتب الحنابلة عندكم بمكة -شرفها الله- مثل: الإقناع، وغاية المنتهى، والإنصاف، اللاتي عليها اعتماد المتأخرين وهو عند الحنابلة: كالتحفة، والنهاية عند الشافعية، وهم ذكروا في باب الجنائز هدم البناء على القبور، واستدلوا عليه بما في صحيح مسلم عن علي- رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ بعثه بهدم القبور المشرفة، وأنه هدمها، واستدلوا على وجوب إخلاص الدعوة لله، والنهي عما اشتهر في زمنهم من دعاء الأموات بأدلة كثيرة، وبعضهم يحكي الإجماع على ذلك، فإن كانت المسألة إجماعًا فلا كلام، وإن كانت مسألة اجتهاد، فمعلومكم أنه لا إنكار في مسائل الاجتهاد، فمن عمل بمذهبه في محل ولايته لا ينكر عليه"^(٢).

وفي جواب الإمام- رحمه الله- لعبد الله بن سحيم على مسائل وردته من العارض، ورد الإمام عليه بسرده لأقوال الأئمة الأربعة، وهذا فيه دلالة واضحة على معرفته لحق من سلف^(٣).

وقد سار على منهج الإمام من أتى بعده من أبنائه وتلاميذه، ووضح أثره عليهم، حيث يُصرح أئمة الدعوة باتباعهم للسلف، وسلوك طريقهم وبيانه للناس عند دعوتهم كما ذكروا لعلماء مكة عند دخولها مع الإمام سعود بن محمد، ومناظرتهم لعلماء البلد الحرام بقولهم: "مذهبنا في أصول الدين، مذهب أهل السنة والجماعة، وطريقتنا طريقة السلف، التي هي الطريق الأسلم؛ بل والأعلم والأحكم"^(٤).

(١) المرجع السابق (٣/١٤٤).

(٢) المرجع السابق (٣/٢٤).

(٣) انظر: المرجع السابق (٣/٣٩-٤٣).

(٤) الدرر السننية في الأحوبة النجدية- جمع: عبد الرحمن بن قاسم (١/٢٢٦).

ويقول محمد بن عبد اللطيف آل الشيخ (١٣٦٧هـ)، مقررًا منهج الإمام- رحمه الله- ومبنيًا الثمرة التي يجنيها المتبع لمنهج السلف وفهمهم: "وباتباع السلف الصالح، والأخذ بهديهم وسلوك طريقتهم، والسكوت عما سكتوا عنه، يزول عن المؤمن شبهات كثيرة، وبدع وضلالات شهيرة، أحدثها المتأخرون بعدهم، كالكلام في تأويل آيات الصفات وأحاديثها، بالتأويلات المستكرهة التي لم تعهد عن الصحابة، والتابعين لهم بإحسان، فإنهم سكتوا عن تفسير ذلك بالتأويلات الباطلة، وقالوا: أمرها كما جاءت"^(١).

ولقد صور الشيخ سليمان بن سحمان- رحمه الله- الحال التي كان عليها الناس في زمن الإمام- رحمه الله- وبعدهم عن فهم الدين، وما طرأ عليه من الانحراف بقوله: "فلما تفاقم هذا الخطب وعظم، وتلاطم موج الكفر والشرك في هذه الأمة وجسّم، واندرست الرسالة المحمدية، وانمحت منها المعالم في جميع البرية، وطُمست الآثار السلفية، وأقيمت البدع الرفضية، والأمور الشركية، تجرد الإمام للدعوة إلى الله، ورد هذا الناس إلى ما كان عليه سلفهم الصالح في باب العلم والإيمان، وباب العمل الصالح والإحسان، وترك التعلق على غير الله من الأنبياء والصالحين وعبادتهم... وتجريد المتابعة لرسول الله ﷺ في الأقوال والأفعال، وهجر ما أحدثه الخلف والأغيار، فجادل في الله، وقرر حججه وبيّناته، وبذل نفسه لله، وأنكر على أصناف بني آدم الخارجين عما جاءت به الرسل، المعرضين عنه، التاركين له، وصنف في الرد على من عاند وجادل وماحل، حتى ظهر الإسلام في الأرض، وانتشر في البلاد والعباد، وعلت كلمة الله، وظهر دينه، وانقمع أهل الشرك والفساد، واستبان لذوي الأبواب والعلوم من دين الإسلام ما هو مقرر معلوم"^(٢).

والإمام- رحمه الله- رغم افتئات المفترين كان حريصًا على ربط الجيل بفهم السلف ومنهجهم؛ فكان يُعَرِّج على أقوالهم ويسوق مقولاتهم؛ من أجل العودة بالأمة إلى المنهج الأسلم الذي تربي عليه جيل الصحابة-رضوان الله عليهم- يعتقد معتقدتهم، وينهج نهجهم في فهم الكتاب والسنة، ويقتدي بهم في أخلاقهم وأعمالهم وسمتهم"^(٣).

(١) مجموع مؤلفات الشيخ- الرسائل الشخصية (٣/٣٢).

(٢) الضياء الشارق في رد شبهات الماذق المارق- سليمان بن سحمان (٣٢-٣٣).

(٣) انظر: مفهوم الأمن الفكري في الإسلام وتطبيقاته التربوية- أمل محمد نور (٩٦-٩٧).



المبحث الثالث: البعد عن المصطلحات المبتدعة

والمراد بذلك مصطلحات أهل الكلام، والذين هم في عُرف السَّلَف عند الإطلاق: كل من انتسب إلى الكلام المذموم المُخالف للكتاب والسنة، باعتقاده والمجادلة عنه^(١)، وهم الذين يُقدمون الدلائل العقلية على النقلية^(٢).

قال ابن تيمية - رحمه الله -: " فالسَّلَف ذموا أهل الكلام الذين هم أهل الشبهات والأهواء، لم يذموا أهل الكلام الذين هم أهل كلام صادق، يتضمن الدليل على معرفة الله - تعالى -، وبيان ما يستحقه وما يمتنع عليه"^(٣).

وبناءً عليه فإن كل من سلك المنهج الكلامي في أبواب العقيدة فإنه داخل في أهل الكلام^(٤).

وقد عُرف عنهم كثرة جدلهم بالباطل، وقلة تعظيمهم لكلام الله وكلام رسوله ﷺ؛ بل هم من أجهل الناس بأقواله ﷺ، وأحواله، وبواطن أموره، وظواهرها^(٥).

وكان الإمام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - في كلامه على التوحيد ينطلق من منهج السَّلَف - رضوان الله عليهم - وقد حاد عن طريقة المتكلمة، فلم يذكر في تقريراته، ولا تفصيلاته في مسائل الاعتقاد المصطلحات الكلامية، والألفاظ الفلسفية، التي ينغلق بها الفهم، ويتشتت

(١) انظر: درء تعارض العقل والنقل - ابن تيمية (١/١٧٨)، وموقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة - سليمان الغصن (١/٢٨).

(٢) انظر: مقدمة ابن خلدون (٤٥٨)، والمواقف في علم الكلام - عبد الرحمن الإيجي (٧).

(٣) درء تعارض العقل والنقل (٧/١٨١).

(٤) انظر: موقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة - سليمان الغصن (١/٢٨).

(٥) انظر: مجموع الفتاوى - ابن تيمية (٤/٩٥)، وموقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة - سليمان الغصن (١/٢٨ - ٢٩).

معها الذهن من محدثات الألفاظ، كالجوهر والعرض والجسم^(١) والجهة^(٢) وتأويل الصفات، وما شابه ذلك من المصطلحات الحادثة^(٣).

وقد مضى في المبحث السابق أن الإمام - رحمه الله - قد سار على منهج السلف في فهم نصوص الكتاب والسنة ودلالاتهما، وما هو يقرر هذا المنهج في عدم استعماله لهذه المصطلحات، لعلمه بمآلاتها الفاسدة، وما تُحدث من خلل وشرخ في بناء فكر الأمة؛ لأن المصطلحات التي تُغير بها المفاهيم لها خطورتها على عقيدة الأمة وثوابتها وأمنها الفكري، فاستعمال الألفاظ غير الشرعيّة يفتح على الأمة باب شر لا يُمكن غلقه؛ فهي تفتح الباب لكل مُبطل للولوج، وما استعمال المصطلحات الحادثة عنا ببعيد، فحدوث مصطلح الإرهاب، والحريّة، والمساواة مثلاً جعلت أهل الباطل يفتحون على ثوابت الأمة وعقيدتها وشريعة رب العالمين كِنانات سهام ألفاظهم، ويستكنون خلف هذه المصطلحات لزعة الثوابت.

لذا فإن الإمام - رحمه الله - "تحاشى الخلافات الكلاميّة، وأبى كل الإباء أن يجترّها أمام أقوام ليس من مصلحتهم أن يسمعوها، أو يقرءوا عنها أصلاً، فخرجت كتبه ورسائله خالية من التقعر والتكلف، نقيّة من الغوص فيما لا ينفع الخاصة، ولا يفهمه العامة من الناس، لكنها في الوقت ذاته تأخذ بعقول الأكياس، لقد أرسلت كتابات الإمام مسائل الاعتقاد إرسالاً، كأنها مسلمات - وهي كذلك - لا تتطلب جدلاً عقيماً، أو سفسطة باردة، فغزا الإمام بهذا اليسر والسهولة في بيان العقيدة الصحيحة، قلوب الناس، تماماً، كما فعل الرسول ﷺ وأصحابه الكرام، ومن تبعهم بإحسان"^(٤).

ولم يكن عدم استعمال الإمام - رحمه الله - لهذه المصطلحات عن جهل بها وعدم معرفة، أو أنها مُندرسة في زمنه؛ بل لعلمه - رحمه الله - أن هذه المصطلحات المُبتدعة المُحدثة تشتمل على ضلال، وتُساق من غير هُدى.

(١) الجسم: هو الجوهر الممتد الذي يقبل الانقسام طولاً وعرضاً وعمقاً. انظر: التعريفات - علي الجرجاني (٧٩)، والمعجم الفلسفي - جميل صليبا (٤٠٢/١).

(٢) الجهة: عند الفلاسفة نهاية البعد، وهي منتهى الحركة. انظر: المعجم الفلسفي - جميل صليبا (٤٠٢/١).

(٣) انظر: عقيدة الإمام محمد بن عبد الوهاب - صالح العبود (١/٣١٦).

(٤) تأملات في دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب - عبد الله التركي (١٢٦).



ولقد بين - رحمه الله - في رسالته لابن سحيم المسلك الصحيح تجاه هذه الألفاظ الحادثة بقوله: "وأما ما لا يوجد عن الله ورسوله إثباته ونفيه، مثل الجوهر والجسم والعرض والجهة، وغير ذلك لا يثبتونه ولا ينفونه، فمن نفاه مثل صاحب الخطبة التي أنكرها ابن عيدان^(١) وصاحبه فهو عند أحمد والسلف مبتدع، ومن أثبته مثل هشام ابن الحكم^(٢) وغيرهم فهو عندهم مبتدع، والواجب عندهم السكوت عن هذا النوع اقتداء بالنبي ﷺ وأصحابه، هذا معنى كلام الإمام أحمد الذي في رسالة المويس أنه قال: لا أرى الكلام إلا ما ورد عن النبي ﷺ فمن العجب استدلاله بكلام الإمام أحمد على ضده"^(٣).

وقد ضمن الإمام - رحمه الله - رده على بدعيّة استعمال هذه الألفاظ بكلام لشيخ الإسلام ابن تيميّة - رحمه الله - وهو قوله: "فهذه الألفاظ لا يطلق إثباتها ولا نفيها، كلفظ الجوهر والجسم والتحيز والجهة ونحو ذلك من الألفاظ؛ ولهذا لما سئل ابن سريج عن التوحيد فذكر توحيد المسلمين قال: وأما توحيد أهل الباطل فهو الخوض في الجواهر والأعراض، وإنما بُعث النبي ﷺ بإنكار ذلك، وكلام السلف والأئمة في ذم الكلام وأهله مبسوط في غير هذا الموضوع، والمقصود أن الأئمة كأحمد وغيره لما ذكر لهم أهل البدع الألفاظ المجملة، كلفظ الجسم والجوهر والحيز لم يوافقوهم لا على إطلاق الإثبات، ولا على إطلاق النفي"^(٤).

ونقل الإمام - رحمه الله - في مؤلفاته ما يشفي ويكفي في تقرير خطأ من استعمل هذه الألفاظ وهو قوله: "أنا أقطع أن أبا بكر وعمر ماتا ما عرفا الجوهر والعرض، فإن رأيت أن طريقة أبي عليّ الجبائي^(٥)....."

(١) لم أف له على ترجمة رغم بذل الجهد.

(٢) هشام بن الحكم البغدادي الكندي، من مُتكلّمي الرافضة، كان له دراية بصناعة علم الكلام، ومن المغالين في التحسيم والتشبيه، والقول بأن أفعال العباد مخلوقة، توفي ببغداد بعد نكبة البرامكة. انظر: الفهرست - ابن النديم (٢١٧-٢١٨)، والفرق بين الفرق - عبد القاهر البغدادي (٤٨-٥٣).

(٣) مجموع مؤلفات الشيخ - الرسائل الشخصية (٧٣/٣).

(٤) المرجع السابق (٧٣/٣).

(٥) محمد بن عبد الوهاب بن سلام بن خالد، أبو عليّ الجبائي، ولد سنة (٢٣٥هـ)، وتتلّمذ على الشحام من أصحاب أبي الهذيل العلاف شيخ المعتزلة في زمانه، اشتغل عليه أبو الحسن الأشعري، ثم رجع عنه، وله تفسير مطوّل، له فيه اختيارات غريبة في التفسير، وقد ردّ عليه أبو الحسن الأشعري فيه، وقال: "كأن القرآن نزل بلغة أهل جبّاء"، من كتبه: الرد على أهل النجوم، توفي سنة (٣٠٣هـ). انظر: معجم البلدان - ياقوت الحموي (٩٧/٢)، وسير أعلام النبلاء للذهبي (١٨٣/١٤-١٨٤)، والبداية والنهاية - ابن كثير (١٢٥/١١).

وأبي هاشم^(١) خير لك من طريقة أبي بكر وعمر، فبئس ما رأيت"^(٢).

ونقل الإمام- رحمه الله- عن شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله- في مسائله التي نقلها عنه كلامًا جامعًا مانعًا بين فيه ما صارت إليه مآلات من ساق المصطلحات المحدثه في غير مساقها من أهل الكلام، أو استعمالها في تقرير عقيدة الأمة وثوابتها فقال: "والحاذق منهم الذي غرضه الحق يصرح بالحيرة في آخر عمره؛ إذ لم يجد في الاختلافات التي نظر فيها وناظر ما هو حق محض، وكثير منهم ترك الجميع ويرجع إلي دين العامة، كما قال أبو المعالي^(٣) وقت السياق لقد خضت البحر الخضم، وخليت أهل الإسلام وعلومهم، ودخلت في الذي نھوا عنه، والآن إن لم يتداركني ربي برحمته، فالويل لابن الجويني، وها أنا ذا أموت على عقيدة أمي، وكذلك أبو حامد^(٤) في آخر عمره استقر أمره على الحيرة، وكذلك الشهرستاني مع أنه أخبر هؤلاء بالمقالات والاختلاف، وصنف فيها كتابه المعروف"^(٥). فإذا كان هذه حال مُريد الحق منهم، فكيف بمن مُراد الباطل ونُصرته.

والتقاعدة الجامعة لكل مُبطل والتي سطرها الإمام- رحمه الله- في مسائله بقوله: " أهل الكلام يردون باطلاً بباطل"^(٦)، فكيف ينهج الإمام طريقة من كان هذا حاصل أمره عنده!.

(١) عبد السلام بن محمد بن عبد الوهاب الجبائي، أبو هاشم المعتزلي، ولد سنة (٢٤٧هـ)، من كبار الأذكياء، تتلمذ على والده، وله مؤلفات وتلاميذ، توفي سنة (٣٢١هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٦٣/١٥-٦٤)، والبداية والنهاية-ابن كثير(١١/١٧٦).

(٢) المرجع السابق (٣/٧٤).

(٣) عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني أبو المعالي، ولد سنة (٤١٩هـ) في بلدة جوين (من نواحي نيسابور) ثم رحل إلى بغداد، فمكة حيث جاور فيها أربع سنين، وذهب إلى المدينة المنورة فأفتى ودرس؛ ولذا لقب بإمام الحرمين، ثم عاد إلى نيسابور فبنى له فيها الوزير نظام الملك المدرسة النظامية، وكان يحضر دروسه أكابر العلماء، وليس له علم بالحديث، رجع في نهاية حياته إلى مذهب السلف، توفي سنة (٤٨٧هـ). انظر: الأنساب- عبد الكريم السمعاني(٢/١٢٩-١٣٠)، وسير أعلام النبلاء للذهبي(١٨/٤٦٨-٤٧٧).

(٤) محمد بن محمد بن أحمد الطوسي الشافعي المعروف بالغزالي، ولد سنة (٤٥٠هـ) بالطابران إحدى قسبتي طوس بخراسان، لازم الجويني، وبرع في علوم كثيرة، من أذكياء العالم، له الإحياء، وفتاى الفلاسفة، فقيه، متكلم، وأشعري، وصوفي، مال في آخر حياته إلى سماع الحديث، توفي سنة (٥٠٥هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (١٩/٣٢٢-٣٤٦)، والبداية والنهاية-ابن كثير(١٢/١٧٣-١٧٤).

(٥) مجموع مؤلفات الشيخ- هذه مسائل(٢/٧٩-٨٠)، وانظر: منهاج السنة النبوية-ابن تيمية(٥/٢٦٩).

(٦) مجموع مؤلفات الشيخ- هذه مسائل(٢/٨٢)، وانظر: منهاج السنة النبوية-ابن تيمية(٥/٢٨٣).



وقال الإمام - رحمه الله - عن مناهج المخالفين من أهل الكلام للرسول في رسالته إلى ابن عبد اللطيف: "وما يهون عليك مخالفة من خالف الحق، وإن كان من أعلم الناس وأذكاهم، وأعظمهم جاهًا، ولو اتبعه أكثر الناس، ما وقع في هذه الأمة من افتراقهم في أصول الدين وصفات الله - تعالى -، وغالب من يدعي المعرفة، وما عليه المتكلمون، وتسميتهم طريقة رسول الله ﷺ حشواً وتشبيهاً وتحسيماً، مع أنك إذا طالعت في كتاب من كتب الكلام - مع كونه يزعم أن هذا واجب على كل أحد، وهو أصل الدين - تجد الكتاب من أوله إلى آخره لا يستدل على مسألة منه بآية من كتاب الله، ولا حديث عن رسول الله، اللهم إلا أن يذكره ليحرفه عن مواضعه.

وهم معترفون أنهم لم يأخذوا أصولهم من الوحي، بل من عقولهم، ومعترفون أنهم مخالفون للسلف في ذلك، مثل ما ذكر في فتح الباري، في مسألة الإيمان، على قول البخاري: وهو قول وعمل، ويزيد وينقص، فذكر إجماع السلف على ذلك، وذكر عن الشافعي أنه نقل الإجماع على ذلك، وكذلك ذكر أن البخاري نقله، ثم بعد ذلك حكى كلام المتأخرين ولم يرده.

فإن نظرت في كتاب التوحيد في آخر الصحيح، فتأمل تلك التراجم، وقرأت في كتب أهل العلم من السلف، ومن أتباعهم من الخلف، ونقلهم الإجماع على وجوب الإيمان بصفات الله - تعالى -، وتلقيها بالقبول، وأن من جحد شيئاً منها، أو تأوّل شيئاً من النصوص، فقد افتري على الله، وخالف إجماع أهل العلم، ونقلهم الإجماع أن علم الكلام بدعة وضلالة، حتى قال أبو عمر ابن عبد البر: أجمع أهل العلم في جميع الأعصار والأمصار: أن أهل الكلام أهل بدع وضلالات، لا يعدّون عند الجميع من طبقات العلماء"^(١).

فالإمام - رحمه الله - يُبيّن ويُحذر من الانزلاق في هذا الباب لخطورته على من ولجه؛ لأن هذا الكلام مع مخالفته للشرع، فيه مُكابرة للعقل، ولم يكن هذا المسلك منهم عن قصور في العقول بقدر ما هو قصور في الفهم عن الله؛ لأن "أهل الكلام وأتباعهم من أحذق الناس وأفطنهم، حتى إن لهم من الذكاء، والحفظ والفهم ما يحير اللبيب، وهم وأتباعهم مقرون أنهم مخالفون، حتى إن أئمة المتكلمين لما ردوا على الفلاسفة في تأويلهم في آيات الأمر والنهي، مثل قولهم المراد بالصيام كتمان أسرارنا، والمراد بالحج زيارة مشايخنا، والمراد بجبريل العقل الفعال،

(١) مجموع مؤلفات الشيخ - الرسائل الشخصية (٣/١٤٦-١٤٧).

وغير ذلك من إفكهم، رد عليهم الجواب بأن هذا التفسير خلاف المعروف بالضرورة من دين الإسلام، فقال لهم الفلاسفة: أنتم جحدتم علو الله على خلقه واستواءه على عرشه، مع أنه مذكور في الكتب على ألسنة الرسل، وقد أجمع عليه المسلمون كلهم، وغيرهم من أهل الملل، فكيف يكون تأويلنا تحريفاً، وتأويلكم صحيحاً؟! فلم يقدر أحد من المتكلمين أن يجيب عن هذا الإيراد^(١).

وفي معرض رد الإمام على بعض ضلالات أهل الكلام، يقول: "إن المتكلمين يقولون: التوحيد لا يتم إلا بإنكار الصفات، فقال أهل السنة: لا يتم التوحيد إلا بإثبات الصفات، وتوحيدكم، هو التعطيل؛ ولهذا آل هذا القول ببعضهم إلى إنكار الربّ - تبارك وتعالى -، كما هو مذهب ابن عربي، وابن الفارض، وفئام من الناس، لا يحصيهم إلا الله.

فهذا بيان لقولك: هل مراده الصفات؟ أو الأفعال؟ فبين السَّلَف: أن العبادة إذا كانت كلها لله عن جميع المخلوقات، فلا تكون إلا بإثبات الصفات، والأفعال، فتبين أن مُنكر الصفات مُنكر لحقيقة الألوهية؛ لكن لا يدري، وتبين لك أن من شهد أن لا إله إلا الله صدقاً من قلبه، لا بد أن يثبت الصفات والأفعال، ولكن العجب العجاب ظن إمامهم الكبير أن الألوهية هي القدرة، وأن معنى قولك: لا إله إلا الله، أي: لا يقدر على الخلق إلا الله! إذا فهمت هذا تبين لك عظم قدرة الله على إضلال من شاء، مع الذكاء والفطنة، كأنهم لم يفهموا قصة إبليس، ولا قصة قوم نوح، وعاد، وثور، وهلمّ جزاً، كما قال شيخ الإسلام، في آخر الحموية: أوتوا ذكاء، وما أوتوا زكاءً، وأوتوا علومًا، وما أوتوا فهومًا، وأوتوا سمعًا، وأبصارًا، وأفئدة ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَرًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَرُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾^(٢)، والله أعلم^(٣).

(١) المرجع السابق (٣/١٤٧).

(٢) سورة الأحقاف آية رقم [٢٦].

(٣) الدرر السنية في الأحوية النجدية - جمع: عبد الرحمن بن قاسم (١١٣/١-١١٤).



وبهذا تتضح الصورة جليّة واضحة للمنهج الذي سار عليه الإمام- رحمه الله- في استعماله للألفاظ والمصطلحات الشرعيّة، وبعده عن المُحدثات من الألفاظ، ومُصطلحات أهل الكلام، واتخذ ركيزة ثابتة بنى عليها منهجه؛ لأن هذه المصطلحات تُحدث متاهات فكريّة لها أثرها البالغ في الأمن الفكري؛ حيث تُنتج تصورات فكريّة مُنحرفة نتيجة لاختلاف العقول، وتنوع المشارب والنزعات والأفهام والأهواء^(١).

فضبط المصطلحات الشرعيّة بضوابط واضحة، وبيّنها للناس، يخرجهم من طائفة الأضرار الشرعيّة المترتبة على تحريف بعضها، والوقوع في اللبس أو التبرير للعمل، وهذا مما يحقق الأمن الفكري المنشود^(٢).

(١) انظر: أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلاميّة ضد الأفكار الهدامة- عبد الله الجربوع (١/٦٥).

(٢) انظر: نحو بناء إستراتيجية وطنية لتحقيق الأمن الفكري- عبد الحفيظ المالكي (١٨٠).

الفصل الثاني: بيان عقيدة أهل السنة والجماعة

وفيه مبحثان:

- المبحث الأول: نشر عقيدة أهل السنة والجماعة
- المبحث الثاني: بيان وسطية أهل السنة والجماعة



الفصل الثاني: بيان عقيدة أهل السنة والجماعة

مما يُميز منهج أهل السنة والجماعة في دعوتهم، هو الوضوح وسمو الأهداف، فلا خفاء في دعوتهم، ولا غموض في مناهجهم؛ لأن مقصدهم تعبيد الخلق للخالق، وتحقيق الهدف الذي أوجدوا من أجله.

لذا أعلن الإمام - رحمه الله - مبادئه للملأ، وبين لهم حقيقة ما يدعو إليه، وأعظم هدف يسعى لتحقيقه في واقع الناس، وهو: إفراد الله بالعبادة والخلوص من الشرك.

فمرتكز دعوته هو توحيد رب العالمين على نهج السلف السابقين، التوحيد الذي ترك رسول الله ﷺ أمته عليه، وواعدهم على الحوض إن هم استقاموا عليه.

فالتوحيد والدعوة إليه، وتأصيله في النفوس، هو الأساس الذي قامت عليه دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله -؛ وذلك لأن الإخلاص هو الجوهر للعقيدة، ومرتكز العبادات النقي، وركيزة تعاليم الإسلام، والمُميز للدين القويم؛ لأنه يُعبد الإنسان لله وحده؛ ولذا كانت الغاية الكبرى في الإسلام عبادة الله وفق ما شرع الله ورسوله ﷺ، فإذا تحررت العقيدة وصلحت، استقر الضمير وصلح بتحقيقه لهذا الأصل، ومن ثمّ تستقر النفوس وتأمين، وتستقر النظم والأوضاع والأخلاق، والعلاقات بشتى صورها والتي لا يُمكن أن تستقر إلا باستقرار حقيقة الألوهية، ومن وقف على آثار الإمام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - والمتمثلة في كتبه ومسائله ورسائله، يتضح له بجلاء أن الدعوة إلى التوحيد، والبراءة من الشرك، تحتل المكان الأول، والاهتمام الأكبر، وله في ذلك أسوة حسنة في رسول الله ﷺ الذي ما فتى يغرّس عقيدة التوحيد، ويقتلع جذور الشرك لمدة ثلاثة عشر عامًا، فالتوحيد الخالص هو ما بُعث لأجله الرسل، وعليه تقوم قاعدة الشريعة، إذ لا شريعة بدون عقيدة صحيحة^(١).

وقد اعترف خصوم الإمام - رحمه الله - بأنفسهم أن دعوته للناس قائمة على هذا الأساس، يقول ابن عفالق عن الإمام - رحمه الله -: "يقول للناس كافة (أي: الإمام): أدعوكم إلى شهادة أن لا إله إلا الله"^(٢).

(١) انظر: تأملات في دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب - عبد الله التركي (٣٧).

(٢) رد ابن عفالق على ابن معمر - صحيفة (٥٥أ).

وعندما وفد جمع من العلماء إلى مصر والتقوا بعلماء الأزهر سنة (١٩٨٠م) وعرضوا عليهم العقيدة التي يدعو لها الإمام - رحمه الله -، وبعض مؤلفاته في العقيدة، أقرروا وأذعنوا واعترفوا أن هذا هو الحق الذي لامرية فيه، وأقرروا بالإجماع أن هذه هي العقيدة التي يؤمنون بها^(١).

والعقيدة التي دعا الإمام الناس إليها، وناصح من أجل إيصالها وتوضيحها، إنما هي عقيدة السلف الصالح، الصحابة والتابعين وتابعيهم، من أهل السنة والجماعة بإحسان إلى يوم الدين، وهي العقيدة الواردة في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

والناظر في آثار الإمام - رحمه الله - يتجلى له بوضوح أن الإمام داعية عقيدة وتوحيد في المقام الأول، وأن تصحيح معتقدات الناس، وخلوص أعمالهم لله وفق مُراد الله هو أكبر همه، وغاية مراده؛ لما للمعتقد الصحيح من أثر في قبول العمل ورده؛ لذا حرص الإمام على نشر العقيدة ببيانها، وبيان أنها من عند الله وأنها وسطاً لا غلو فيها ولا جفاء.

وقد بين الإمام هذه العقيدة وجلاها في جميع مؤلفاته وكتبه، ومن أوضحها سفره العظيم "كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد" وهو الكتاب الذي له الصدارة بين كتب الإمام - رحمه الله - .

وقد رأى الإمام - رحمه الله - أن أولى المهمات التي ينبغي أن ينصب عليها اهتمامه، ويقوم على إصلاحه هي العقيدة؛ إذ هي جوهر الدعوة؛ لأنها أول ما جاء به الإسلام ودعا إليها^(٢).

ويتضح ذلك جلياً في المبحثين التاليين:

(١) انظر: مواد لتاريخ الوهابيين - جوهان بوركهارت (٤٩).

(٢) انظر: داعية التوحيد محمد بن عبد الوهاب - عبد العزيز الأهل (٦٩).



المبحث الأول: نشر عقيدة أهل السنة والجماعة

سبق أن أهم المهمات عند الإمام- رحمه الله- هي العقيدة الصحيحة، عقيدة أهل السنة والجماعة، والمراد بهم: "المتمسكون بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وما اتفق عليه السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان"^(١).

ولم يأت الإمام- رحمه الله- بعقيدة جديدة، بل قام بإحياء ما اندرس من معتقد صحيح، وصحح ما تفسى من انحراف عقدي ونشر العقيدة الصحيحة^(٢).

فقد سعى الإمام- رحمه الله- في بيان العقيدة، ونشرها بين الناس بكل وسيلة ممكنة، ونوع الأساليب في إيصالها، بين الشرح، والتعليم مشافهة، وبين التأليف المختصر، والذي يتأتى بالتلقين للعامة، وبين الشرح المفصل، كما يتضح ذلك من خلال مؤلفات الإمام وكتبه.

ومما ينبغي الإشارة إليه أن الأمن الفكري لا يتحقق إلا بعقيدة صافية صحيحة، تبلور في العقل، وترتكز في النفس، وهذا لا يكون إلا إذا كانت العقيدة مبنية على منهج رباني، تستمد منه الثبات الذي تبته في نفوس أتباعها، بعيداً عن التذبذب الذي يتعارض مع الفطرة، وما غرسه الله فيها من بذرة خير^(٣).

لذا فقد كثرت تأليفات الإمام- رحمه الله- في العقيدة، وما تشتمل عليه هذه التأليفات من مسائل عقديّة تدل على اهتمامه بأمن الناس الفكري، ونشره لعقيدة أهل السنة والجماعة، ويتضح ذلك من خلال الإشارات التالية لأهم ما كتبه في هذا الباب.

كتاب التوحيد^(٤):

والذي يحتوي على تحقيق توحيد الألوهية، وبيان ما يُناقضه من الشرك، فلكون أكثر الناس في زمن الإمام- رحمه الله- جهلوا هذا النوع من التوحيد وارتكسوا في الشركيات والبدع

(١) الفتاوى- ابن تيمية (٣/٣٧٥).

(٢) انظر: مواد لتاريخ الوهابيين- جوهان بوركهارت (١٣).

(٣) انظر: تطبيق الشريعة الإسلامية في المملكة العربية السعودية وآثاره في الحياة- عبد الرحمن الزيندي (٢٦٢).

(٤) طبع ضمن مجموع مؤلفات الشيخ (٥/١١١-٦) وطبع كثيراً طباعات مستقلة، وتناوله جملة من العلماء وطلبة العلم بالشرح.

التي تُنافيه، فكتب لهم أبواب هذا الكتاب التي تُجلي هذا النوع من التوحيد وتُبين عقيدة أهل السنة والجماعة.

وقد حرص تلاميذ الإمام وأتباعه على استنساخ هذا الكتاب الذي علا صيته وانتشر بين الخاص والعام.

كشف الشبهات^(١):

وهو من أهم كتب الإمام في بيان حجج أهل الباطل والرد عليها، وفيه تحصين لفكر الأتباع من شبهات أهل الباطل، فهو بمثابة القواعد للأمن الفكري الرشيد، وفيه خلاصة لعقيدة التوحيد.

ثلاثة الأصول^(٢):

وهي رسالة في العقيدة مُختصرة يسهل تلقينها وحفظها؛ لسهولة عبارتها ووجازتها، وكانت ولا زالت تُلقن للمبتدئين والعامّة.

القواعد الأربع^(٣):

وهي رسالة قصيرة بين فيها الإمام - رحمه الله - أن الإقرار بتوحيد الربوبية لا يُدخل في الإسلام، وأن الكفار كانوا يدعون معبوداتهم؛ لأجل القرية والشفاعة، وأن الرسول ﷺ قاتل المشركين على اختلاف أصنافهم ولم يُفرق بينهم، وأن حالهم في شركهم أهون من مشركي زمن الإمام - رحمه الله -.

فضل الإسلام^(٤):

وهي رسالة قد اشتملت على أصول الدين، ووجوب التمسك به، والتحذير من البدع.

أصول الإيمان^(٥):

وقد ذكر الإمام - رحمه الله - في هذا الكتاب المختصر أصول الإيمان إجمالاً، وختمه بفضل العلم والحضّ عليه، وبعض آدابه.

(١) طُبع ضمن مجموع مؤلفات الشيخ (١١٣/٦-١٣٢) وطُبع عدة طبعات مستقلة، وله شروح.

(٢) طُبع ضمن مجموع مؤلفات الشيخ (١٣٣/٦-١٤١) وطُبع مُنفردة عدة طبعات.

(٣) طُبع ضمن مجموع مؤلفات الشيخ (١٤٣/٦-١٤٦) وطُبع مُنفردة عدة طبعات.

(٤) طُبع ضمن مجموع مؤلفات الشيخ (١٤٧/٦-١٦٤) وطُبع مُنفردة.

(٥) طُبع ضمن مجموع مؤلفات الشيخ (١٦٥/٦-١٩٦).



كتاب مفيد المستفيد في كفر تارك التوحيد^(١):

وقد كتبه الإمام - رحمه الله - لتثبيت إخوانه بعد ارتياب بعض مدعي العلم من أهل العيينة، عندما نقضت حربلاء العهد، وخرجت على دعوة التوحيد، وبيّن فيه قواعد عظيمة للتعامل مع المستجدات وتغير الأحوال، وعلى المسلم أن يستفيد من أخبار الأنبياء وقصصهم مع أقوامهم، وذكر أنواع الشرك، ومتى يكفر الشخص ويُحكم بكفره.

مسائل الجاهليّة^(٢):

وهي أمور خالف فيها الرسول ﷺ أهل الجاهليّة، لتعلقها بإيمان القلب، وحاجة المسلم إلى معرفتها، وقد احتوت على ثمان وعشرين مسألة، ذكرها مُختصرة من باب التسهيل على طالب الحق.

الرسائل الشخصية^(٣):

وقد تضمنت هذه الرسائل العقيدة الصحيحة، وما هو عليه من الدين، والتصحيح للمخالفين، والتوضيح للمستترشدين.

وقد تضمنت هذه المؤلفات والرسائل عقيدة أهل السنة والجماعة، التي بثها الإمام بين الناس بشتى الوسائل والأساليب، ومن وسائل الإعلان والنشر الممكنة في عصر الإمام الرسائل، والتي كان لها صدى في مسامع الناس، لذا استثمرها الإمام - رحمه الله - لنشر عقيدة أهل السنة والجماعة، ومن ذلك نشره وإعلانه لعقيدته في رسالته لأهل القصيم، والتي تتضح من خلال العرض التالي:

بيان مجمل عقيدة الإمام^(٤):

يقول الإمام في رسالته إلى أهل القصيم - لما سأله عن عقيدته -:

(١) طُبِعَ ضمن مجموع مؤلفات الشيخ (١٩٦/٦-٢٢٥) وطُبِعَ مُنفردًا.

(٢) طُبِعَت ضمن مجموع مؤلفات الشيخ (٢٢٨/٦-٢٣٨) وطُبِعَت مُفردة.

(٣) طُبِعَت ضمن مجموع مؤلفات الشيخ (١٧٣-٥/٣).

(٤) تمت إضافة عنوانين تُفصّل مباحث العقيدة وهي مستفادة من كتاب -إسلاميّة لا وهابيّة- ناصر العقل (٦٤) وما بعدها.

[التزامه لعقيدة أهل السنة والجماعة]

قال: "أشهد الله، ومن حضرني من الملائكة، وأشهدكم أنني أعتقد ما اعتقدته الفرقة الناجية، أهل السنة والجماعة."

[أركان الإيمان]

من الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسوله، والبعث بعد الموت، والإيمان بالقدر خيره وشره.

[صفات الله تعالى]

ومن الإيمان بالله: الإيمان بما وصف به نفسه في كتابه، وعلى لسان رسوله ﷺ من غير تحريف، ولا تعطيل، بل أعتقد أن الله - سبحانه وتعالى - ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (١١) ﴿١﴾ فلا أنفي عنه ما وصف به نفسه، ولا أحرّف الكلم عن مواضعه، ولا أُلجِدُ في أسمائه وآياته، ولا أكيف، ولا أمثل صفاته - تعالى - بصفات خلقه؛ لأنه - تعالى - لا سمي له، ولا كفؤ له، ولا ند له، ولا يقاس بخلقه؛ فإنه - سبحانه - أعلم بنفسه وبغيره، وأصدق قيلا، وأحسن حديثا، فنزّه نفسه عما وصفه به المخالفون من أهل التكييف والتمثيل، وعما نفاه عنه النافون من أهل التحريف والتعطيل، فقال: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ (١٨٠) ﴿٢﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾ ﴿٣﴾.

[التزامه عقيدة السلف في القرآن]

وأعتقد: أن القرآن كلام الله، منزل غير مخلوق، منه بدأ، وإليه يعود، وأنه تكلم به حقيقة، وأنزله على عبده ورسوله وأمينه على وحيه، وسفيره بينه وبين عباده، نبينا محمد ﷺ.

(١) سورة الشورى آية رقم [١١].

(٢) سورة الصافات الآيات رقم [١٨٠-١٨٢].



[تقرير الحق في القدر]

وأومن بأن الله فعّال لما يريد، ولا يكون شيء إلا بإرادته، ولا يخرج شيء عن مشيئته، وليس شيء في العالم يخرج عن تقديره، ولا يصدر إلا عن تدييره، ولا محيد لأحد عن القدر المحدود، ولا يتجاوز ما خط له في اللوح المسطور.

[عقيدته فيما بعد الموت]

واعتقد الإيمان بكل ما أخبر به النبي ﷺ مما يكون بعد الموت؛ فأومن بفتنة القبر، ونعيمه، وعذابه، وبإعادة الأرواح إلى الأجساد، فيقوم الناس لرب العالمين حفاة عراة غرلا، تدنو منهم الشمس، وتنصب الموازين، وتوزن بها أعمال العباد، ﴿فَمَنْ ثَقَلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (١٠٢) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿١٠٣﴾ (١)، وتنشر الدواوين، فأخذ كتابه بيمينه، وأخذ كتابه بشماله.

[عقيدته في حوض نبينا محمد ﷺ]

وأومن بحوض نبينا محمد ﷺ بعرضة القيامة، ماؤه أشد بياضا من اللبن، وأحلى من العسل، آنيته عدد نجوم السماء، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً.

[عقيدته في الصراط]

وأومن بأن الصراط منصوب على شفيع جهنم، يمرُّ به الناس على قدر أعمالهم.

[وعن شفاعة نبينا - محمد صلى الله عليه وسلم-، قال:]

وأومن بشفاعة النبي ﷺ وأنه أول شافع، وأول مشفع، ولا ينكر شفاعة النبي - صلى الله عليه وسلم- ولكنها لا تكون إلا من بعد الإذن من الله، والرضا؛ كما قال - تعالى -: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ (٢٨) (٢)، وقال - تعالى -: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ (٣٥٥) (٣)، وقال - تعالى -: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُعْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ

(١) سورة المؤمنون الآياتان رقم [١٠٢-١٠٣].

(٢) سورة الأنبياء آية رقم [٢٨].

(٣) سورة البقرة آية رقم [٢٥٥].

يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى ﴿٢٦﴾ (١) وهو لا يرضى إلا التوحيد؛ ولا يأذن إلا لأهله. وأما المشركون فليس لهم من الشفاعة نصيب؛ كما قال - تعالى - ﴿فَمَا نَنْفَعُهُمْ شَفَعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ ﴿٤٨﴾ (٢).

[عقيدته في الجنة والنار والرؤية]

وأومن بأن الجنة والنار مخلوقتان، وأنهما اليوم موجودتان، وأنهما لا تفتيان، وأن المؤمنين يرون ربحهم بأبصارهم يوم القيامة، كما يرون القمر ليلة البدر، لا يضمون في رؤيته.

[عقيدته في نبوة ورسالة محمد ﷺ]

وأومن بأن نبينا محمداً ﷺ خاتم النبيين والمرسلين، ولا يصح إيمان عبد حتى يؤمن برسالته، ويشهد بنبوته.

[عقيدته في الصحابة وأمّهات المؤمنين]

وأن أفضل أمته أبو بكر الصديق؛ ثم عمر الفاروق، ثم عثمان ذو النورين، ثم علي المرتضى، ثم بقية العشرة، ثم أهل بدر، ثم أهل الشجرة أهل بيعة الرضوان، ثم سائر الصحابة رضي الله عنهم. وأتولى أصحاب رسول الله ﷺ، وأذكر محاسنهم، وأترضى عنهم، وأستغفر لهم، وأكف عن مساوئهم، وأسكت عما شجر بينهم، وأعتقد فضلهم عملاً بقوله - تعالى - ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿١٠﴾ (٣) وأترضى عن أمهات المؤمنين المطهرات من كل سوء.

[عقيدته في الأولياء وكراماتهم]

وأقر بكرامات الأولياء وما لهم من المكاشفات إلا أنهم لا يستحقون من حق الله - تعالى - شيئاً ولا يطلب منهم ما لا يقدر عليه إلا الله.

(١) سورة النجم آية رقم [٢٦].

(٢) سورة المدثر آية رقم [٤٨].

(٣) سورة الحشر آية رقم [١٠].



[عقيدته في المسلمين وأنه لا يكفرهم]

ولا أشهد لأحد من المسلمين بجنة ولا نار إلا من شهد له رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، ولكني أرجو للمحسن وأخاف على المسيء. ولا أكفر أحدًا من المسلمين بذنب، ولا أخرجه من دائرة الإسلام.

[عقيدته في الجهاد مع كل إمام والصلاة خلفهم]

وأرى الجهاد ماضيًا مع كل إمام برًا كان أو فاجرًا وصلاة الجماعة خلفهم جائزة، والجهاد ماضٍ منذ بعث الله محمدًا ﷺ إلى أن يقاتل آخر هذه الأمة الدجال لا يطله جورٌ جائر ولا عدلٌ عادل.

[عقيدته في السمع والطاعة للأئمة المسلمين]

وأرى وجوب السمع والطاعة لأئمة المسلمين برّهم وفاجرهم ما لم يأمرُوا بمعصية الله، ومن ولي الخلافة واجتمع عليه الناس ورضوا به وغلبهم بسيفه حتى صار خليفة وجبت طاعته؛ وحرّم الخروج عليه.

[موقفه من أهل البدع]

وأرى هجر أهل البدع ومباينتهم حتى يتوبوا، وأحكم عليهم بالظاهر وأكل سرائرهم إلى الله، وأعتقد أن كل محدثة في الدين بدعة.

[قوله في الإيمان]

وأعتقد أن الإيمان قول باللسان، وعمل بالأركان، واعتقاد بالجنان، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، وهو بضع وسبعون شعبة، أعلاها: شهادة أن لا إله إلا الله، وأدناها: إمطة الأذى عن الطريق.

[عقيدته في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر]

وأرى وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على ما توجبه الشريعة المحمدية الطاهرة.

فهذه عقيدة وحيزة حررتها وأنا مشتغل البال لتطلعوا على ما عندي، والله على ما نقول
وكيل" (١).

ولقد انتشرت هذه العقيدة في بون شاسع من منطقة الجزيرة، واطلع عليها علماء يُميزون
بين الحق والباطل، ولا شك أنه كان لها نصيب من الأثر والانتشار.

وفي توضيح عقيدته وبيانها، وكشف ما لبس من الشبه يقول- رحمه الله- في إحدى
رسائله إلى السويدي عالم من أهل العراق، وفي رسالة أخرى لعموم المسلمين ما نصه: "عقيدتي
وديني الذي أدين الله به، مذهب أهل السنة والجماعة، الذي عليه أئمة المسلمين، مثل الأئمة
الأربعة وأتباعهم إلى يوم القيامة؛ لكني بينت للناس إخلاص الدين لله، ونهيتهم عن دعوة
الأحياء والأموات من الصالحين وغيرهم، وعن إشراكهم فيما يعبد الله به، من الذبح والنذر
والتوكل والسجود، وغير ذلك مما هو حق الله الذي لا يشركه فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل،
وهو الذي دعت إليه الرسل من أولهم إلى آخرهم، وهو الذي عليه أهل السنة والجماعة" (٢).

ونشر العقيدة مشهور مستفيض عن الإمام- رحمه الله- يقول أحد أحفاد الإمام- رحمهم
الله جميعاً- وهو يقرر نشر الإمام للعقيدة الصحيحة: "قد عُرف واشتهر، واستفاض من تقارير
الإمام ومراسلاته، ومصنفاته المسموعة المقروءة عليه، وما ثبت بخطه، وعُرف واشتهر من أمره
ودعوته، وما عليه الفضلاء النبلاء من أصحابه وتلامذته، أنه على ما كان عليه السلف
الصالح، وأئمة الدين، أهل الفقه والفتوى، في باب معرفة الله، وإثبات صفات كماله، ونعوت
جلاله، التي نطق بها الكتاب العزيز، وصحّت بها الأخبار النبوية، وتلقاها أصحاب رسول الله
ﷺ بالقبول والتسليم، يثبتونها ويؤمنون بها، ويمرونها كما جاءت، من غير تحريف ولا تعطيل،
ومن غير تكيف ولا تمثيل" (٣).

وقد بذل الإمام- رحمه الله- وسعه في نشر العقيدة الصحيحة، وبيان الحق الذي يعتقد
قولا وعملا منذ وقت مبكر، ففي بدايات طلبه للعلم بالمدينة النبوية أنكر مظاهر الشرك التي

(١) مجموع مؤلفات الشيخ- الرسائل الشخصية (٧-٥/٣).

(٢) مجموع مؤلفات الشيخ- الرسائل الشخصية - (٢٢-٢١/٣). وانظر: تاريخ ابن غنام (٤١٣/١).

(٣) الدرر السنية في الأحوبة النجدية- جمع: عبد الرحمن بن قاسم (٥١٦/١).



تُمارس عند قبر النبي ﷺ عندما سأله شيخه محمد حياة السندي، وفي البصرة أنكر الشريكيات والبدع -التي كانت سبباً في إخراجها منها-^(١).

ومن نشره للعقيدة الصحيحة إلقاء الدروس، والمناظرة، والتأليف والمكاتبه، فقد ألف كتاب التوحيد الذي بين فيه العقيدة الصحيحة على وجه التفصيل في مظاهر الشرك، وترك نواقضه المنتشرة في عصره عام (١١٥٣هـ)^(٢)، وكتب الأصول الثلاثة التي يسهل تلقينها للمبتدئين والعامه، وهذا من وسائل الإمام- رحمه الله- في نشر العقيدة، وقد ألف غيرها من المختصرات مما يُسهل في نشر العقيدة، إذ يسهل تلقينها لطبقات الناس، وكاتب العلماء ببيان معنى كلمة الإخلاص^(٣)، وبيان الباطل الذي لبس لبوسه الخاصة وليس العامة فحسب، يقول الإمام- رحمه الله-: "ولا يخفك أن الذي عادانا في هذا الأمر هم الخاصة الذين ليسوا بالعامه، هذا ابن إسماعيل^(٤) والمويس وابن عبيد^(٥) جاءتنا خطوطهم في إنكار دين الإسلام الذي حكى في الإقناع، في باب حكم المرتد الإجماع من كل المذاهب أن من لم يدن به فهو كافر، وكاتبناهم ونقلنا لهم العبارات وخاطبناهم بالتي هي أحسن، ما زادهم ذلك إلا نفورا"^(٦).

ولم يكف الإمام- رحمه الله- عن نشر العقيدة الصحيحة رغم اعتراض المعترضين، حيث يقول: "وإن كان مرادك أبي أسكت عمن أظهر الكفر والنفاق، وسل سيف البغض على دين الله، وكتابه ورسوله، مثل ولد ابن سحيم، ومن أظهر العداوة لله ورسوله، من أهل العينه

(١) انظر: عنوان المجد في تاريخ نجد-عثمان بن بشر(١/٨٣).

(٢) انظر: تاريخ ابن غنام (١/٢١٥)، والدولة السعودية الأولى- عبد الرحيم عبد الرحمن(١/٤٣).

(٣) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ-الرسائل الشخصية (٣/١٣٣).

(٤) من خصوم الدعوة ذكره الإمام في رسائله بهذا الاسم تكراراً، ولم أستطع تمييزه. انظر: مجموع مؤلفات الشيخ-الرسائل الشخصية (٣/١١٣، ١٥، ١١٣، ١٦٣)، وتاريخ ابن غنام (١/٤٣١، ٤٦٦، ٥٠٠، ٧١٧)، وقد تتبعته كتب التراجم وأفرانه ولم أستطع تمييزه، ومن تُرجم له وانتقل من أشيقر إلى عنيزة من أسرة بن إسماعيل بسبب الدعوة والخلاف معها (عبد الله بن أحمد بن إسماعيل) المتوفى سنة (١١٩٦هـ) انظر: علماء نجد خلال ثمانية قرون- عبد الله البسام(٤/١٩-٢١).

(٥) محمد بن عبيد، من أهل ثرمداء، من معاصري الإمام ومُخالفه، تولى قضاء ثرمداء، قُتل في وقعة الصحن، والتي وقعت بين أئمة الدعوة وأهل ثرمداء سنة (١١٧٩هـ)، وقيل(١١٨٠هـ). انظر: تاريخ الفاخري- محمد الفاخري (١٤١)، علماء نجد خلال ثمانية قرون- عبد الله البسام (٦/٢٧٤).

(٦) مجموع مؤلفات الشيخ-الرسائل الشخصية (٣/١٦٣).

والدرعيّة، أو غيرهم، فهذا لا ينبغي منك، ولا يطاع أحد في معصية الله، فإن وافقتونا على الجهاد في سبيل الله وإعلاء كلمة الله، فلکم الحظ الأوفر"^(١).

ثم صار للشيخ - رحمه الله - أتباع من تلاميذه ومناصريه من أصحاب السلطات والشأن، كعثمان بن معمر في بادئ أمره، ثم المؤازرة التي فتحت آفاق نشر العقيدة والتوحيد من محمد بن سعود، وكل هذه العوامل ساعدت على نشر العقيدة الصحيحة.

ولما صار للشيخ شيء من السلطة، والقدرة على التغيير باليد، قام بهدم مظاهر الشرك وإزالتها، فكان هذا من التطبيق العملي لمبادئ الدعوة، ومن الوسائل المحسوسة لنشر العقيدة الصحيحة، ومن لم ينفع معه أسلوب النصح والدعوة، وأظهر العدواة للدين وتوحيد رب العالمين، وأصر، وعاند، وجاهر بالعدواة انتقل معه الإمام - رحمه الله - إلى إعلان الجهاد بعد إصرار من أصر على كفره وعناده بعد البيان وإقامة الحجة، وكان الهدف من الجهاد هو حماية العقيدة، والدفاع عنها، ونشر الدين وليس من أجل تحقيق مكاسب دنيويّة^(٢)؛ وإنما كان الهدف بناء العقيدة الصحيحة ونشرها بين الناس، حيث أنها من أهم وسائل تحقيق الأمن الفكري، ومُعززاته، وتتفق الدراسات التي بحثت في الأمن الوطني إلى أنها أهم مقومات الأمن^(٣).

فتحقيق أمن المجتمع الفكري لا يتم إلا إذا تحقق الأمن داخل الإنسان نفسه، ولن يكون آمناً في نفسه إلا إذا صلحت عقيدته، قال تعالى: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْآمَنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾^(٤) فهذا دليل صريح على أن التوحيد وسلامة العقيدة تحقق الأمن، ويحول بها الخوف، فيتحقق الأمن في الظاهر والباطن، فإذا حلّت في النفس السكينة والطمأنينة وعدم الشتات، باعتقاد سليم صحيح في الله، وما يجب له، انعدم الاضطراب والقلق، وجنح الإنسان إلى الرفق والإحسان في تعامله مع الناس، ولا يكون ذلك إلا بالإيمان بالله وتوثيق الصلة به، وصرف ما يستحقه له من

(١) المرجع السابق (١٧٢/٣).

(٢) انظر: دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب من الإحياء والإصلاح إلى الجهاد العالمي - ناتانا دي لونغ (٣٣٥).

(٣) انظر: نحو بناء إستراتيجية وطنية لتحقيق الأمن الفكري - عبد الحفيظ المالكي (٦٠)، والشرعية الإسلامية ودورها في تعزيز الأمن الفكري - عبد الرحمن السديس (٢٣).

(٤) سورة الأنعام الآيتان رقم [٨١-٨٢].



الاعتقادات والأعمال، وهذا ما حرص الإمام على نشره وتحقيقه في نفوس أرقها الشتات والانقسام في الاعتقاد.

فبالعقيدة الصحيحة وغرسها في النفوس يتحقق الأمن" بمفهومه الشامل، ومن صورته الأمن الفكري- والذي- لا يمكن أن يتحقق في غياب الإيمان بالله وإخلاص العبادة له؛ فالإيمان بالله وتطبيق ما أمر به واجتناب ما نهى عنه هو الطريق الأوحيد لنيل الأمن والاطمئنان، والاستقرار النفسي والاجتماعي، وقد وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالتمكين والاستخلاف في الأرض، حيث يقول- تعالى-: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾^(١)، ويقول- تعالى-: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾^(٢) (٣).

وفي بيان الإمام- رحمه الله- لأثر انتشار العقيدة الصحيحة، والانقياد لها والثبات عليها، يذكر أن فيه الأمن والسعة والسكينة، فيقول: "ولا تظنوا أن الضيق مع دين الإسلام، لا والله بل الضيق والحاجة، وسكنة الريح وضعفة البخت مع الباطل، والإعراض عن دين الإسلام، مع أن مصداق قولي فيما ترونه فيمن ارتد من البلدان أولهن (ضرما) وآخرهن (حرمللا) هم حصلوا سعة فيما يزعمون؟ أو ما زادوا إلا ضيقًا وخوفًا على ما هم قبل أن يرتدوا"^(٤).

(١) سورة النور آية رقم [٥٥].

(٢) سورة الأنعام آية رقم [٨٢].

(٣) الأمن الفكري مفهومه وأهميته ومتطلبات تحقيقه- عبد الحفيظ المالكي (٤٨-٤٩) مجلة البحوث الأمنية العدد (٤٣) شعبان (١٤٣٠هـ).

(٤) مجموع مؤلفات الشيخ- الرسائل الشخصية (٣/١٥٩).

المبحث الثاني: بيان وسطية أهل السنة والجماعة

الوسط لغة: قال ابن فارس: "الواو والسين والطاء: بناء صحيح يدل على العدل والنصف، وأعدل الشيء: أوسطه ووسطه..."^(١)، ووسط الشيء ما بين طرفيه، وأوسطه أعدله، والوسط الخيار فالعدل خير والخير عدل^(٢).

فالوسطية في الشرع تعني: العدل والخيرية، والتوسط بين الإفراط والتفريط^(٣).

وتعتبر الوسطية من أبرز سمات الأمة المحمدية، فقد وصف الله-تعالى- هذه الأمة بالوسطية، فقال- سبحانه-: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾^(٤).

قال عبد الرحمن بن سعدي- رحمه الله-: "أي عدلاً خياراً، وما عدا الوسط فأطراف داخله تحت الخطر، فجعل الله هذه الأمة وسطاً في كل أمور الدين، وسطاً في الأنبياء، بين من غلا فيهم كالنصارى، وبين من جفاهم كاليهود، بأن آمنوا بهم كلهم على الوجه اللائق بذلك، ووسطاً في الشريعة لا تشديدات اليهود وآصارهم ولا تهاون النصارى... فللهذه الأمة من الدين أكملها، ومن الأخلاق أجملها، ومن الأعمال أفضلها، ووهبهم الله من العلم والحلم، والعدل والإحسان، ما لم يهبه لأمة سواهم"^(٥).

فهذه الأمة هي الأمة الوسط بكل المعاني، أمةً وسطاً في التصور والاعتقاد، أمةً وسطاً في التفكير والشعور، أمةً وسطاً في التنظيم والتنسيق، أمةً وسطاً في الارتباطات والعلاقات، أمةً وسطاً في الزمان، أمةً وسطاً في المكان^(٦).

وبهذا يظهر أن ديننا الإسلامي الحنيف "وسط في التبعيد والتنسك، وسط في الأخلاق والآداب، وسط في التشريع والنظام"^(٧).

(١) معجم مقاييس اللغة- كتاب الواو (٩٥٥).

(٢) انظر: لسان العرب- ابن منظور (١٥/٢٩٣).

(٣) انظر: جامع البيان- ابن جرير الطبري (٧-٦/٢).

(٤) سورة البقرة آية رقم [١٤٣].

(٥) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (٧٠).

(٦) انظر: ظلال القرآن- سيد قطب (١٣١/١).

(٧) الخصائص العامة للإسلام- القرضاوي (١٣٥).



ومما ينبغي التنبه إليه أن الأمة الإسلاميّة لن تفيء إلى رشدّها، ولن تنجو من تفهقرها وتخبّطها في طرق الضلال والإضلال، ومن مزالق الغلو والجفاء، والإفراط والتفريط إلا بالرجوع إلى منهج الوسطيّة، وتطبيقه في الحياة العمليّة؛ لتنجو من الانحراف الذي أوقعها في الرزايا والمصائب والنكبات^(١).

ولقد بيّن الرسول ﷺ لأمته منهج الوسطيّة، والاعتدال، والتوازن في جميع أمور الحياة، وحذّر من الانحراف عنها، وركوب مركب التنطع والتشدد في الأقوال والأفعال في أحاديث كثيرة منها:

١ - قوله عليه الصلاة والسلام: "هلك المتنطعون، قالها ثلاثاً"^(٢).

٢ - وقوله ﷺ: "إن الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا، وأبشروا، واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة"^(٣).

قال ابن القيم - رحمه الله -: "فدين الله بين الغالي فيه والجافي عنه، وخير الناس النمط الأوسط، الذين ارتفعوا عن تقصير المفرّطين، ولم يلحقوا بغلو المعتدين، وقد جعل الله - سبحانه - هذه الأمة وسطاً، وهي الخيار العدل، لتوسطها بين الطرفين المذمومين، والعدل هو: الوسط بين طرفي الجور والتفريط، والآفات إنما تتطرق إلى الأطراف، والأوساطُ حميّة بأطرافها، فخير الأمور أوساطها"^(٤).

وفي زمن كانت الأمة أحوج ما تكون فيه إلى هذا الطريق الأعدل كانت دعوة الإمام - رحمه الله - هي الآخذة بزمامه لتصحيح المنهج، وبيان وسطيّة أهل السنة والجماعة في زمن اختلطت فيه المفاهيم، وأصبح الناس بين غالٍ وجافٍ.

وقد تبني - رحمه الله - منهج الوسطيّة في دعوته فقال: "ودين الله وسط بين طرفين، وهدى بين ضالّتين، وحق بين باطلين"^(٥).

(١) انظر: الوسطيّة في القرآن الكريم - علي الصلابي (٧-٨).

(٢) رواه مسلم في صحيحه - كتاب العلم - باب هلك المتنطعون (١١٤٢) (ح ٢٦٧٠).

(٣) رواه البخاري في صحيحه - كتاب الإيمان - باب: الدين يسر (٥) (ح ٣٩).

(٤) إغاثة اللهفان (١/٢٠١).

(٥) مجموع مؤلفات الشيخ - كشف الشبهات (٦/١٢٤).

وفي المقابل حذر- رحمه الله- من الغلو الذي انغمس الناس في حماته في زمنه أشد تحذير، فعقد في أهم كتبه وهو كتاب التوحيد جملة من الأبواب فيها تحذير من الغلو، وحشد تحتها جملة من الأدلة من الكتاب والسنة التي تُجلي هذا المزلق الخطير، ومن هذه الأبواب:

٣- "باب: ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين" (١).

٤- "باب: ما جاء من التغليظ في من عبد الله عند قبر رجل صالح، فكيف إذا عبده؟" (٢).

٥- "باب: ما جاء أن الغلو في قبور الصالحين يصيرها أوثاناً تُعبد من دون الله" (٣).

٦- "باب: ما جاء في حماية النبي ﷺ حمى التوحيد، وسده طرق الشرك" (٤).

وقال- رحمه الله -: "...فينبغي للمؤمن أن يجعل همه ومقصده معرفة أمر الله ورسوله في مسائل الخلاف، والعمل بذلك، ويحترم أهل العلم، ويوقرهم، ولو أخطئوا، لكن لا يتخذهم أرباباً من دون الله؛ هذا طريق المُنعم عليهم، وأما اطراح كلامهم وعدم توقيهم فهو طريق المغضوب عليهم، وأما اتخاذهم أرباباً من دون الله: إذا قيل: قال الله، قال رسوله، قيل: هم أعلم منا فهذا هو طريق الضالين" (٥).

فدين الإسلام لا إفراط فيه ولا تفريط.

فالإفراط، هو: الغلو بالقول أو الاعتقاد (٦).

والتفريط هو: الجفاء والترك للعمل (٧).

وكلاهما خروج عن الوسطية، وضلال يؤدي بصاحبه إلى خطر عظيم.

(١) مجموع مؤلفات الشيخ - كتاب التوحيد (٣٩/٦).

(٢) المرجع السابق (٤٢/٦).

(٣) المرجع السابق (٤٥/٦).

(٤) المرجع السابق (١٠٨/٦).

(٥) مجموع مؤلفات الشيخ - فتاوى ومسائل (٦٠/٢).

(٦) انظر: فتح المجيد شرح كتاب التوحيد (٢٢٣).

(٧) انظر: الوسطية في القرآن الكريم - علي الصلابي (٦٦) وما بعدها.



قال الإمام - رحمه الله -: "والفرقة الناجية وسط في باب أفعاله تعالى، بين القدرية والجبرية^(١)، وهم في باب وعيد الله بين المرجئة والوعيدية^(٢)؛ وهم وسط في باب الإيمان والدين بين الحرورية^(٣) والمعتزلة، وبين المرجئة والجهمية، وهم وسط في باب أصحاب رسول الله ﷺ بين الروافض والخوارج"^(٤).

ومن المطالب التي يجب تحقيقها في الفكر الوسطية، حتى لا يتجاوز الحد الذي ينبغي أن يقف عنده، فيقع في الانحراف عن الجادة في تقديره وتصوراته لما يُحيط به.

ومما لا شك فيه أن للانحراف الفكري أعراضاً ودلائل وعلامات، ومظاهر تدل عليه، وهي كالمقدمات لما يترتب عليه، ومن أهم هذه المظاهر التي تكاد تكون موضع إجماع لدى الباحثين في الانحراف الفكري الغلو في الدين والذي يعد من أبرز مظاهر الانحراف الفكري لدى كثير من الجماعات، وكذلك التكفير، والذي يُعد من أخطر مظاهر الانحراف الفكري، لما يترتب عليه من أحكام تُستباح بها الدماء والأموال والأعراض، بلا دليل شرعي، وما ينتج عنه من طعن في ذم العلماء، وتشنيع على المُخالف أيًا كانت مكانته أو دليله، وحصر الحق في شخص أو في مذهب أو طائفة، والاعتقاد أن الحق والعلم والدين وقف عليه لا يشركه فيه غيره مهما كانت مؤهلاته، وبذلك يُشنع على المُخالف، ويُجارب بكل الوسائل، تحت ذريعة الرد

(١) الجبرية: نسبة إلى القول بالجبر، وهو في اصطلاح المتكلمين نفي الفعل عن العبد، وإضافته إلى الله، وهي صنفان: جبرية خالصة، وهي التي لا تثبت للعبد فعلاً ولا قدرة على الفعل أصلاً، وإنما هو كالريشة في مهب الريح، أو ورق الشجر تحركها الرياح، كالجهمية أتباع الجهم بن صفوان، ويقرب منهم النجارية: أتباع أبي عبد الله الحسين بن محمد النجار، والضرارية: أتباع ضرار بن عمرو القاضي، وجبرية غير خالصة: وهي التي تثبت للعبد قدرة غير مؤثرة، وتنسب الفعل إليه على جهة الكسب والمباشرة، كالشاعرة. انظر: الملل والنحل - للشهرستاني (١/٧٢)، واعتقادات فرق المسلمين والمشركين - فخر الدين الرازي (٦٨-٦٩)، ومجموع الفتاوى - ابن تيمية (٨/١١٨، ١٢٨)، و (٢٢٨/١٣).

(أ) وهم الخوارج والمعتزلة.

(ب) الحرورية: اسم للخوارج الذين خرجوا على علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - وانحازوا إلى حروراء: موضع قرب الكوفة، يتبرعون من عثمان وعلي - رضي الله عنهما - ويتولون أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما -، ويستحلون الأموال والفروج، ويأخذون بالقرآن ولا يقولون بالسنة. انظر: التنبيه والرد - محمد الملطي (٦٨)، والبداية والنهاية - ابن كثير (٧/٢٧٨-٢٨٠)، ومعجم البلدان - ياقوت الحموي (٢/٢٤٥).

(ج) مجموع مؤلفات الشيخ - الرسائل الشخصية (٣/٥).

على المُخالف باعتبارها أصلاً من أصول الإسلام، ويرى كل منهم أنه من يُمثل الدين ويُطبقه كما أراد الله، ومن خالفه فهو من أهل الضلال والكفر والفسوق والعصيان^(١).

وإذا كان الإسلام يدعو إلى الوسطية، فإنه يحذر كل التحذير من كل ما يتعارض معها من إفراط وتفریط، فكلُّ منهما يُشكل معول هدم للأمن بفروعه وعلى رأسه الأمن الفكري للفرد والمجتمع؛ لأنهما مركب جنوح عن الصراط السوي في السير إلى الله، سواء كان ذلك في الاعتقاد أو العمل، أو التفكير أو التعامل، وخروج عن تعاليم الإسلام ومقاصده^(٢).

فالإسلام يقوم على الوسطية والاعتدال، وعلى رفع الحرج والمشقة، وقد بُني الإسلام على اليسر الذي يُعد من أبرز خصائصه وسماته، فالتزام الوسطية والاعتدال والابتعاد عن الإفراط أو التفریط يُعد من أهم الضمانات لتحقيق الأمن الفكري خاصة، والأمن بمفهومه الشامل عامة، يقول - تعالى -: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾^(٣)، ويقول - تعالى -: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّنَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾^(٤)، ويقول - تعالى -: ﴿ وَمَا جَعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ قَلِيلًا أَيْبِكُمْ إِبْرَاهِيمَ ﴾^(٥).

ومما سبق يتضح أن وسطية الإسلام تستلزم الابتعاد عن الإفراط والتفریط في كل شيء؛ لأن الزيادة على المطلوب في الأمر إفراط، والنقص عنه تفریط، وكل من الإفراط والتفریط خروج عن جادة الطريق، بالإضافة إلى أن وسطية الإسلام تقتضي إيجاد شخصية إسلامية معتدلة^(٦) تُطبق ما أمر الله به، وأمر به رسوله ﷺ تطبيقاً كاملاً على قدر الوسع والاستطاعة في جميع مناحي الحياة.

(١) انظر: الأمن الفكري من المصطلحات الحديثة، وأبرز انحرافات ارتكاب الجريمة - عبد الحفيظ المالكي - جريدة الرياض العدد (١٤٢٩١) ٢٧/٧/١٤٢٨هـ.

(٢) انظر: متطلبات المحافظة على نعمة الأمن - سليمان الحقييل (٢٥-٢٦)، والأمن الفكري وأسسها في السنة النبوية - جمال بادي وإبراهيم شوقار (١٤) بحث مقدم للمؤتمر الأول للأمن الفكري (١٤٣٠هـ).

(٣) سورة الأنبياء آية رقم [١٠٧].

(٤) سورة البقرة آية رقم [١٤٣].

(٥) سورة الحج آية رقم [٧٨].

(٦) الأمن الفكري مفهومه وأهميته ومتطلبات تحقيقه - عبد الحفيظ المالكي (٤٤-٤٥) مجلة البحوث الأمنية العدد (٤٣) شعبان (١٤٣٠هـ).



وقد سلك الإمام- رحمه الله- مسلك الوسطية في دعوته وجعلها ركيزة من ركائزها؛ ليقينه أنها تُحقق التوازن في الفكر، وبالتالي تعمل على تثبيت العقيدة الصحيحة في الإنسان، إذ إن الفكر المتزن الوسط يُبنى على العقيدة الصحيحة، ويدفع بالإنسان إلى الابتعاد عن أسباب الغلو، والتعصب، واتباع الهوى، والجمود.

الفصل الثالث: تطبيق الشريعة

وفيه ثلاثة مباحث:

- المبحث الأول: إقامة القضاء الشرعي
- المبحث الثاني: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
- المبحث الثالث: تطبيق السنة في حياة الناس اليومية



الفصل الثالث: تطبيق الشريعة

الهدف الأسمى والمقصد الأسنى من التلقي عن الله، وعن رسوله ﷺ هو العمل المبني على العلم الصحيح، وتطبيق شريعة رب العالمين في واقع الناس هو المقصد الذي من أجله أرسل الرسل، وأنزلت الكتب؛ لأنه لن تستقيم حياتهم، ولن يستقر أمنهم إذا انفصلوا عن شريعة ربهم.

قال ابن القيم - رحمه الله -: "فإن الشريعة مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد، وهي عدل كلها ورحمة كلها، ومصالح كلها، وحكمة كلها؛ فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور، وعن الرحمة إلى ضدها، وعن المصلحة إلى المفسدة، وعن الحكمة إلى العبث، فليست من الشريعة وإن أدخلت فيها بالتأويل، فالشريعة عدل الله بين عباده، ورحمته بين خلقه وظله في أرضه، وحكمته الدالة عليه وعلى صدق رسوله ﷺ أتم دلالة وأصدقها، وهي نوره الذي به أبصر المبصرون، وهداه الذي به اهتدى المهتدون، وشفاهؤه التام الذي به دواء كل عليل، وطريقه المستقيم الذي من استقام عليه فقد استقام على سواء السبيل، فهي قرة العيون، وحياة القلوب، ولذة الأرواح؛ فهي بها الحياة والغذاء والدواء والنور والشفاء والعصمة، وكل خير في الوجود فإنما هو مستفاد منها، وحاصل بها، وكل نقص في الوجود فسببه من إضاعتها، ولولا رسوم قد بقيت لخربت الدنيا وطوي العالم، وهي العصمة للناس وقوام العالم، وبها يمسك الله السموات والأرض أن تزولا، فإذا أراد الله - سبحانه وتعالى - خراب الدنيا وطَيَّ العالم رفع إليه ما بقى من رسومها، فالشريعة التي بعث الله بها رسوله هي عمود العالم، وقطب الفلاح والسعادة في الدنيا والآخرة"^(١).

وحقيقة الشريعة التي ينبغي تطبيقها في واقع الناس، هي ما أمر الله به على لسان رسوله - عليهم الصلاة والسلام -، قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : "الشريعة هي طاعة الله ورسوله وأولي الأمر منا، وقد قال الله - تعالى - : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^(٢)، وقد أوجب طاعته وطاعة رسوله في أي كثير من القرآن، وحرّم معصيته ومعصية رسوله، ووعد برضوانه، ومغفرته ورحمته، وجنته على طاعته وطاعة رسوله، وأوعد بضد

(١) أعلام الموقعين عن رب العالمين (١/٣).

(٢) سورة النساء آية رقم [٥٩].

ذلك على معصيته ومعصية رسوله، فعلى كل أحد من عالم، أو أمير، أو عابد، أو معامل، أن يطيع الله ورسوله فيما هو قائم به من علم أو حكم، أو أمر أو نهي، أو عمل أو عبادة، أو غير ذلك.

وحقيقة الشريعة: اتباع الرسل والدخول تحت طاعتهم، كما أن الخروج عنها خروج عن طاعة الرسل، وطاعة الرسل هي دين الله الذي أمر بالقتال عليه، فقال: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ﴾^(١)، فإنه قد قال: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾^(٢)، والطاعة له دين له.

وقال النبي ﷺ: "من أطاعني فقد أطاع الله، ومن أطاع أميري فقد أطاعني، ومن عصاني فقد عصا الله، ومن عصى أميري فقد عصاني"^(٣)، والأمر والعلماء لهم مواضع تجب طاعتهم فيها، وعليهم هم أيضاً أن يطيعوا الله والرسول فيما يأمرون.

فعلى كل من الرعاة والرعيّة والرؤوس والمرؤوسين أن يطيع كل منهم الله ورسوله في حاله، ويلتزم شريعة الله التي شرعها له.

وهذه جملة تفصيلها يطول غلط فيها صنفان من الناس، صنف سوغوا لنفوسهم الخروج عن شريعة الله ورسوله وطاعة الله ورسوله؛ لظنهم قصور الشريعة عن تمام مصالحهم جهلاً منهم، أو جهلاً وهوى، أو هوى محضاً.

وصنف قصروا في معرفة قدر الشريعة فضيقوها حتى توهموا هم والناس أنه لا يمكن العمل بها، وأصل ذلك الجهل بمسمى الشريعة ومعرفة قدرها وسعتها، والله أعلم^(٤).

والشريعة ليست لزمان دون زمان، ولا لفئة دون أخرى، بل "جميع العباد مأمورون بالخضوع لأحكام الشريعة وتشريعاتها في العبادات وغيرها، ويجب على الدولة أن تكون منفذة

(١) سورة الأنفال آية رقم [٣٩].

(٢) سورة النساء آية رقم [٨٠].

(٣) رواه البخاري في صحيحه- كتاب الأحكام- باب قول الله- تعالى-: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ (٥٩٥) ح(٧١٣٧).

(٤) الفتاوى (١٩/٣٠٩-٣١٠).



لحكم الشريعة، سائرة تحت سلطانها في جميع تصرفاتها، وعلى هذا سار النبي الكريم- عليه الصلاة والسلام-، وسار أصحابه الكرام -رضي الله عنهم وأرضاهم-، وسار عليه أئمة الإسلام بعد ذلك في كل شيء، وقد جعل الله هذه الشريعة روحًا ونورًا وحياة للناس، وبهذا تعرف أنك في أشد الضرورة إلى هذه الشريعة، وأن البشر كلهم في ضرورة إليها؛ لأنها الحياة؛ ولأنها النور؛ ولأنها الصراط المستقيم المفضي إلى النجاة، وما عداها فظلمة وموت وشقاء"^(١).

والشريعة يلزم من تطبيقها التزام المنهج الصحيح في العقيدة، والفقه، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وفي إقامة القضاء الشرعي في واقع حياة الناس، وهذا له أثره المباشر على الأمن الفكري.

ولقد كانت الحال السائد في واقع الناس زمن الإمام- رحمه الله- إقصاء لبعض الجوانب الشرعيّة العمليّة، وقد حرص على بعثها في نفوس الناس، وربطها بأصلها، ومن ذلك: تطبيق السنة في حياة الناس اليوميّة؛ ليعيشوا مع المصطفى ﷺ في كل نفس من أنفاسهم، وأحيا شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتي بغياها يتناول الباطل وأهله، وتسود ظلمة لا يجليها إلا صبح الحق الذي تمتلئ به النفوس المؤمنة.

وفي الحياة لا يسلم الناس من الاختلاف، وهي سنة جارية، فيحتاج الناس معها إلى التقاضي؛ لذا حقق الإمام- رحمه الله- لهم هذا المطلب؛ لكنه يُخالف ما كان عليه الناس قبل دعوته، وهذه الأمور لها أثرها في الفكر، ويتضح ذلك جليًا في المباحث التالية.

(١) مجموع فتاوى ابن باز-عبد العزيز بن باز(٢/٢٤٧).

المبحث الأول: إقامة القضاء الشرعي

إن المجتمعات على اختلافها وأجناسها، وزمانها ومكانها؛ لا تخلو من الخصومة والاختلاف، وتباين وجهات النظر، والتي تستدعي اللجوء إلى طرف ثالث لفصل النزاع، فإذا لم يكن هذا الطرف مأموناً فلن يسلم من الحيف والجور في القضاء.

ولم يراع مصالح الناس حق مراعاتها إلا شرع رب العالمين؛ لأنه تنزيل من حكيم حميد؛ ولأن القضاء الشرعي يُمثل ميزان العدل الحقيقي؛ لاستمداده من شرع الله -عزَّ وجلَّ-، والذي يقتضي التسليم لأحكامه بلا منازعة ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾^(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "المقصود من القضاء، وصول الحقوق إلى أهلها، وقطع المخاصمة، فوصول الحقوق هو المصلحة، وقطع المخاصمة إزالة المفسدة، فالمقصود هو جلب تلك المصلحة، وإزالة هذه المفسدة، ووصول الحقوق هو من العدل الذي تقوم به السماء والأرض، وقطع الخصومة هو من باب دفع الظلم والضرر، وكلاهما ينقسم إلى إبقاء موجود، ودفع مفقود، ففي وصول الحقوق إلى مستحقها، يحفظ موجودها، ويحصل مقصودها، وفي الخصومة يقطع موجودها، ويدفع مفقودها، فإذا حصل الصلح زالت الخصومة التي هي إحدى المقصودين"^(٢).

فإذا ساد العدل وزالت الخصومة أمن الناس واطمأنوا وتحقق أمنهم الفكري؛ إذ لا شتات في الفكر بسبب الخصومات، قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "وأمر الناس تستقيم في الدنيا مع العدل الذي فيه الاشتراك في أنواع الإثم أكثر مما تستقيم مع الظلم في الحقوق وإن لم تشترك في إثم؛ ولهذا قيل: إن الله يُقيم الدولة العادلة وإن كانت كافرة، ولا يُقيم الظالمة وإن كانت مسلمة، ويقال: الدنيا تدوم مع العدل والكفر، ولا تدوم مع الظلم والإسلام، وقد قال النبي ﷺ: "ليس ذنب أسرع عقوبة من البغي وقطيعة الرحم"^(٣)؛ فالباغي يُصرع في الدنيا وإن

(١) سورة الأحزاب آية رقم [٣٦].

(٢) الفتاوى - ابن تيمية (٣٥٥/٣٥٥).

(٣) رواه أبو داود في سننه - كتاب الأدب - باب في النهي عن البغي (١٥٨٣) (ح ٤٩٠٢)، والترمذي في جامعه - كتاب صفة القيامة - باب عظم الوعيد على البغي وقطيعة الرحم (١٩٠٤) (ح ٢٥١١)، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وابن ماجه - كتاب الزهد - باب البغي (٢٧٣٣) (ح ٤٢١١)، والحديث صححه الألباني كما في السلسلة الصحيحة (٥٨٨/٢) (ح ٩١٨).



كان مغفورًا له مرحومًا في الآخرة، وذلك أن العدل نظام كل شيء، فإذا أُقيم أمر الدنيا بعدل قامت، وإن لم يكن لصاحبها في الآخرة من خلاق، ومتى لم تقم بعدل لم تقم، وإن كان لصاحبها من الإيمان ما يجزى به في الآخرة"^(١).

وفي الزمن الذي سبق دعوة الإمام - رحمه الله - لم يكن في نجد قانون ولا شريعة إلا ما قضت به أهواء لأمرء وعمالهم^(٢)، وكانت عادة الأخذ بالثأر شائعة بين القبائل العربية، وقد تستمر الحروب من أجل الأخذ بالثأر سنين طويلة، إذا لم تجد تسوية للخلاف، وكان الغدر سائدًا بلا مُبالاة، إذ ليس ثمة قوة تقتص من الغادر، ولم يكن هناك دين يزرع عن الغدر والحيف، ولا يُوجد نظام مكتوب، ولا مجالس معقودة لإصدار الأحكام، وكانوا إذا ما اختلفوا في أمر أُشكل عليهم حله، ولم ينزعوا إلى تحكيم السيف، رفعوه إلى العارفة، وأحكامه مطاعة عند جميع القبائل، وتقوم مقام الأنظمة النافذة، وقد تصدر أحيانًا بعض أحكام من العارفة مغايرة للحق؛ يتحيز بها لجانب الرؤساء، وذوي القوة والشدة والبأس خشية بأسهم وجورهم وشدتهم^(٣).

وفي عهد الأمير محمد بن سعود - رحمه الله - كانت إمامة الدين وما يتبعها من الولايات والمصالح المتعلقة بها بيد الإمام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله -، حيث كان المرجع في شؤون العدل والقضاء، وقد كان يجعل في كل بلدة كبيرة قاضيًا ومفتيًا؛ وفي الصغيرة قاضيًا ويعين لهم عطاء من بيت المال.

كما جعل في كل بلد محتسبًا، وكان من حقه مراقبة القضاة، في عدم خروجهم للناس والحكم لهم، أو تعديهم على أموال الناس، أو أخذوا شيئًا مقابل أحكامهم^(٤).

وقد كان القضاة يقومون بفض المنازعات بين الأفراد والقبائل، وكان يُعين من تتوافر فيه الكفاية لهذه المهمة، من دراية بعلوم الشرع، التي تتطلبها هذه الوظيفة، وقد قام الإمام - رحمه الله - بمهمة القضاء خير قيام، ففي عهد الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود - رحمه الله -

(١) مجموع الفتاوى (١٤٦/٢٨).

(٢) انظر: الإمام محمد بن عبد الوهاب عقيدته السلفية ودعوته الإصلاحية وثناء العلماء عليه - أحمد آل أبو طامي (٢٨).

(٣) انظر: حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب - حسين خزعل (٤٠ - ٤٣).

(٤) انظر: المرجع السابق (٣٨٤ - ٣٨٦)، وهذا له مثل في واقعنا، كالمفتشين القضائيين، والهيئات الرقابية.

بعث القضاة إلى جميع البلدان التي خضعت لسلطته، وذلك لاتساع رقعة الدولة في عصره، ووفرة العلماء الصالحين لتولي منصب القضاء، والذين يُختارون بناء على صلاحهم وتقواهم، وقدرتهم العلميّة، وخصص لهم عطاء من بيت المال، لا على ما اعتاد الناس من الرسوم التي تُفرض على المتخاصمين، ومُعتمدهم في الحكم الدليل من الكتاب والسنة، ويُمكن استئناف أحكامهم إلى كبير قضاته في الدرعيّة^(١).

ومن التطبيق العملي لإقامة القضاء في زمن الإمام - رحمه الله -:

١- أنه حكم على امرأة أقرت على نفسها أنها زنت، وتبين أنها محصنة، وسليمة العقل، وشهدت على نفسها أمام الجم الغفير، وأقامت البينة على زناها، فأقام الإمام - رحمه الله - عليها الحد، الذي هو من القضاء الشرعي في مثل هذه الجناية، وفق المنهج الإسلامي^(٢).

٢- ذُكر أن الأمير عبد العزيز - رحمه الله - سبَّ رجلاً في مجلسه، فأخبر الرجل قاضي الدرعيّة حينئذ، وهو الإمام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - فأرسل إلى الأمير، فلما حضر أجلسه بجانب خصمه، فاعترف بالذنب، فعرض القاضي على الرجل أن يشتري المسبّة بالفداء، فأبى الرجل، فحكم على الأمير كحكمه على سائر الناس، وهو الضرب بالعصا عشرين ضربة، فتلقاه الأمير، وهو يقول: سمعاً وطاعة لما يحكم به الشرع الحنيف، وسرى الخبرُ إلى آل سعود، وإلى أهل الدرعيّة، فحمد الناس هذه العدالة^(٣).

وكان الإمام - رحمه الله - عادلاً متأنياً في أحكامه، مُحصّياً للدليل والقول الذي يبيّن عليه حكمه، فإن وجد نصّاً من كتاب الله أو سنة رسوله ﷺ بنى عليه حكمه والتزمه، وإلا رجع إلى كتب أهل العلم في المسألة^(٤).

وقد ذكر الإمام - رحمه الله - أدب القاضي وما ينبغي أن يكون عليه فقال: "وينبغي للقاضي - أعزه الله بطاعته - لما ابتلاه الله بهذا المنصب أن يتأدب بالآداب التي ذكرها الله في

(١) انظر: موجز لتاريخ الوهابي - هارفرد جونز (٢١٢)، وعنوان المجد في تاريخ نجد - عثمان بن بشر (٢٧٣/١)، وتاريخ

الدولة السعوديّة الأولى - عبد الرحيم عبد الرحمن (٢٤٦).

(٢) انظر: عنوان المجد في تاريخ نجد - عثمان بن بشر (٨٧/١).

(٣) انظر: لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب - حسن الريكي (١٠٧، ١٠٨).

(٤) انظر: حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب - حسين خزعزل (٤٨٤).



كتابه، الذي أنزل ليبين للناس ما اختلفوا فيه، وهدى ورحمة لقوم يوقنون، فمن ذلك: لا يستخفنه الذين لا يوقنون، ويثبت عند سعايات الفساق والمنافقين، ولا يعجل، وقد وصف الله المنافقين في كتابه بأوصافهم، وذكر شعب النفاق لثُجَّتَب، ويُجْتَنَب أهلها أيضًا^(١).

وقال-رحمه الله- في اختصاره للإِنصاف والشرح الكبير: "باب أدب القاضي: ينبغي أن يكون قويًّا من غير عنف، لئِنَّا من غير ضعف، حليمًا متأنياً، ذا فطنة، قال عمر بن عبد العزيز: سبع إن فات القاضي منها واحدة كان فيه وصمة: العقل، والفقه، والورع، والنزاهة، والصرامة، والعلم بالسنن، والحلم.

وله أن ينتهر الخصم إذا التوى، ويصيح عليه، وإن قال: حكمت عليّ بغير حق، فله تأديبه، وله العفو، ويستعين بالله، ويتوكل سرًّا عليه، ويدعوه أن يعصمه من الزلل ويوفقه لما يرضيه.

ولا يكره القضاء في المسجد، ويبدأ بالأول فالأول، ويعدل بين الخصمين في الحُظِّه ولَفْظِه والدخول عليه، ويحضرُ مجلسه الفقهاء ويشاورهم.

ولا يقضي وهو غضبان، ولا حاقن، ولا في شدة الجوع، والعطش، والهَمِّ، والوجع، والبرد المؤلم، والحر المزعج، والنعاس.

ولا يحل له أن يرتشي، ولا يقبل هديَّة إلا ممن كان يهاديه قبل ولايته، بشرط ألا يكون له حُكومة، ويرد الرشوة والهدية إلى رَبِّهَا، وَيَحْتَمِلُ أن يجعلها في بيت المال^(٢).

وقد كان هناك عدد من المظاهر المُخالفة التي تُمارس قبل قيام الدعوة من قبل القضاة والتي أنكرها الإمام- رحمه الله-، ومنها رشوة الحاكم، والتي فندها بقوله: "قد عُلم بالكتاب والسنة والفطر والعقول، تحريم الرشوة وقبحها، والرشوة هو ما يأخذ الرجل على إبطال حق وإعطاء باطل، وهذه يسلمها لك منازعك، وهي أيضًا ما يؤخذ على إيصال حق إلى مستحقه، بل يسكت ولا يدخل فيه حتى يعطيه رشوة، فهذه حرام، منهي عنها بالإجماع، ملعون من أخذها، فمن ادَّعى حلها فقد خالف الإجماع.

(١) مجموع مؤلفات الشيخ-الرسائل الشخصية(١٣٩/٣).

(٢) مجموع مؤلفات الشيخ - مختصر الإِنصاف والشرح الكبير (٥٣٣/٤).

وقوله: بأي شريعة حكمت بتحريم هذا؟ فنقول: حكمت به شريعة رسول الله ﷺ، وأجمع على ذلك علماء أمته، وأحلّ ذلك المرتشون الملعونون.

ومن أنواع الرشوة: الهدايا التي تُدفع إلى الحاكم بسبب الحكم، ولو لم يكن لصاحبها غرض حاضر؛ لا أعلم أحدًا من العلماء رخص في مثل هذا.

والعجب إذا كان في كتابكم الذي تحكمون فيه: يجب العدل بين الخصمين في لحظه ولفظه، ومجلسه وكلامه والدخول عليه، فأين هذا من أكل عشرة حمران على أحد الخصمين، وإن لم يعطه أخذ بدلها من صاحبه وحكم له؟ سبحان الله! أي شريعة حكمت بجلّ هذا؟! أم أي عقل أجازته؟ ما أجهل من يجادل في مثل هذا، وأقلّ حياءه وأقوى وجهه!"^(١).

ولقد سار أتباع الإمام - رحمه الله - على ما رسمه من منهج في تحري الحق والقول به، وفي هذا يقول الإمام عبد الله بن الإمام محمد - رحمهما الله - في جوابه عن سؤال: إذا توقف المفتي هل يكون داخلًا في الكتمان؟ فأجاب: "اعلم أن الذي يتناوله الوعيد الذي عنده علم عن الله ورسوله، فيسأل عنه فيكتمه، وأما من أشكل عليه الحكم، فتوقف حتى يتبين له حكم الله ورسوله، فهذا لا حرج عليه إذا توقف، ولو عرف اختلاف العلماء، والواجب على المفتي أن يراقب الله ويخشاه، ويعلم أنه قد عرّض نفسه للحكم بين الله وبين عبادته، فيما أحل لهم، وحرم عليهم، فلا يتكلم إلا بعلم، وما أشكل عليه أو جهله، فليكله إلى عالمه"^(٢).

وفي هذا الصدد يقول عبد الله أبا بطين^(٣): "ولكن ينبغي للمفتي والقاضي، إذا ابتلي بشيء من المسائل، أن يجتهد في تحري الصواب، أو يقلد إن لم يتبين له الراجح، والمسائل التي يقع فيها الخلاف بين العلماء، وليس مع أحد القولين حديث صحيح صريح، بل القول فيها بالاجتهاد والقياس ونحو ذلك، فالذي ينبغي للإنسان فيها التوقف، إلا القاضي الذي لا بد له

(١) مجموع مؤلفات الشيخ - فتاوى ومسائل (١٢/٢).

(٢) الدرر السنية في الأحوبة النجدية - جمع: عبد الرحمن بن قاسم (٧ / ٥٣٠).

(٣) عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد العزيز أبا بطين، ولد في روضة سدير سنة (١١٩٤هـ)، وتعلم فيها، ورحل إلى شقراء والدرعية، تولى القضاء في عدة مناطق، وله مؤلفات، منها: تأسيس التقديس، والانتصار وغيرهما، وله تلاميذ كثير، لُقّب بمفتي الديار النجدية، وتوفي في شقراء سنة (١٢٨٢هـ). انظر: تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد - إبراهيم بن عيسى (١٢٨)، وعلماء نجد خلال ثمانية قرون - عبد الله البسام (٤/٢٢٥-٢٤٤).



من القول، فيجتهد في تحري الصواب، وإلا فلا ينبغي لأحد أن يحرم على الناس شيئاً إلا بدليل^(١).

ولقد كانت الصحراء والمدن الداخليّة في الجزيرة العربيّة قبل الدعوة السلفيّة التي قام بها الإمام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - قد تشبعت باختلال الأمن الفكري الذي عشعشت به العقول التي تسودها الفوضى الفكرية، فعندما أذعن الناس لهذه الدعوة المباركة، خضعوا لحكم الله، وانقادوا لشرعه؛ لذا أرسل القضاة الذين تخرجوا من مدرسة الإمام إلى المناطق الخاضعة لحكم الدولة السعوديّة، وقررت لهم مكافآت من بيت المال، وحُرِّمت عليهم الرشوة التي كانت سائدة قبل دعوة الإمام، وكان القضاة من أكثر الناس استقامة ومقدرة علميّة؛ لذا سلم لهم الناس وانقادوا، فأمنوا وقرت عيونهم، وانقشعت ظلمة الخوف والوجل التي كانت تسيطر عليهم مع دنو ظلام الليل، والتي قد ينفلق الصبح عن إحالمهم بسبب اللصوص^(٢)؛ وذلك لأن عدم الاتزان في تطبيق الدين وتعطيل شريعة رب العالمين، من أهم الأسباب المؤدية إلى فقدان الأمن؛ إذ إن الكثير من أحكام الشريعة الإسلاميّة إنما جاءت ليأمن الناس على حياتهم ومقوماتها، ففرضت العقوبات والحدود والتعزيرات لذلك، وإذا عُطل شرع الله وأعرض عنه وعن التحاكم إليه فُقد الأمن بشتى صورته^(٣).

ومما سبق يتبين حرص الإمام - رحمه الله - وأتباعه على إقامة القضاء الشرعي، امتثالاً لأمر الله وأمر رسوله ﷺ وفق المنهج الشرعي، إقامةً للعدل، وعصمةً للأنفس، وحفظاً للأموال والأعراض، واستقراراً للأمن في المجتمع، وسلامةً للأمن العقدي والفكري، وأن يعيش الناس سعادة في ظل شريعة ربّ العالمين.

ومما لا شك فيه أن للقضاء دوراً بارزاً وبالغ الأهميّة في تحقيق الأمن الفكري، ومقوماته، سواء كان ذلك بصورة مباشرة، أو غير مباشرة في حياة الأمة، وذلك بتجريم المنحرف فكرياً وعقابه^(٤).

(١) الدرر السنيّة في الأحوبة النجدية - جمع: عبد الرحمن بن قاسم (٥٣٢/٧ - ٥٣٣).

(٢) انظر: مواد لتاريخ الوهابيين - جوهان بوكهارت (٤٥ - ٤٦).

(٣) انظر: الأمن الفكري مفهومه الأمن الفكري في الاسلام وتطبيقاته التربويّة - أمل نور (٣٢).

(٤) انظر: الأمن الفكري مفهومه، وأهميته، ومتطلبات تحقيقه - عبد الحفيظ المالكي (٦٧) مجلة البحوث الأمنيّة العدد (٤٣)

شعبان (١٤٣٠ هـ).

المبحث الثاني: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

إن مما تتميز به أمة محمد ﷺ هو حب الخير للغير، وقيام أتباعها بواجب الأنبياء بعد نبياها، ومن ذلك تبليغ دين الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والذي يترتب عليه خير الدنيا والآخرة، كما قال - تعالى - : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾^(١).

وهذا القيام امتثال لأمر الله تعالى، حيث قال: ﴿ وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾^(٢).

وفي القيام بهذه الشعيرة التمكين، واستتباب الملك والأمن، وثبات الحكم قال - تعالى - في صفة من ينصرهم من عباده: ﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَنْتَهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَآمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾^(٣).

قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي - رحمه الله - : "ثم ذكر علامة من ينصره، وبها يُعرف، أن من ادَّعى أنه ينصر الله وينصر دينه، ولم يتصف بهذا الوصف، فهو كاذب فقال: ﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَنْتَهُمْ فِي الْأَرْضِ ﴾ أي: ملكناهم إياها، وجعلناهم المتسلطين عليها، من غير منازع ينازعهم، ولا معارض، ﴿ أَقَامُوا الصَّلَاةَ ﴾ في أوقاتها، وحدودها، وأركانها، وشروطها، في الجمعة والجماعات.

﴿ وَآتَوُا الزَّكَاةَ ﴾ التي عليهم خصوصاً، وعلى رعييتهم عموماً، آتوها أهلها، الذين هم أهلها.

﴿ وَآمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ ﴾ وهذا يشمل كل معروف حُسنه شرعاً وعقلاً من حقوق الله، وحقوق الأدميين.

(١) سورة آل عمران آية رقم [١١٠].

(٢) سورة آل عمران آية رقم [١٠٤].

(٣) سورة الحج آية رقم [٤١].



﴿وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ كل منكر شرعاً وعقلاً معروف قبحه، والأمر بالشيء، والنهي عنه يدخل فيه ما لا يتم إلا به، فإذا كان المعروف والمنكر يتوقف على تعلم وتعليم، أجبروا الناس على التعلم والتعليم، وإذا كان يتوقف على تأديب مقدر شرعاً، أو غير مقدر، كأنواع التعزير، قاموا بذلك، وإذا كان يتوقف على جعل أناس مُتَصَدِّين له، لزم ذلك، ونحو ذلك مما لا يتم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا به.

﴿وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ أي: جميع الأمور، ترجع إلى الله، وقد أخبر أن العاقبة للتقوى، فمن سلطه الله على العباد من الملوك، وقام بأمر الله، كانت له العاقبة الحميدة، والحالة الرشيدة، ومن تسلط عليهم بالجبروت، وأقام فيهم هوى نفسه، فإنه وإن حصل له ملك مؤقت، فإن عاقبته غير حميدة، فولايته مشؤومة، وعاقبته مذمومة^(١).

ومن هنا يتبين أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأنه سبب كل فلاح ونجاح في الدنيا والآخرة، ومقوم من مقومات أمن المجتمع والفكر، وأنه وسيلة من وسائل القيام بالإصلاح الشامل.

وكيف لا يكون كذلك؟ وهو امتثال لقول من لم يترك خيراً إلا دل أمته عليه، ولا شراً إلا حذر منه، وهو القائل - عليه الصلاة والسلام -: "من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان"^(٢)، وهذا الحديث فيه دلالة واضحة على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، على كل مسلم، حسب الاستطاعة.

فمن طبّق هذه الشعيرة بمفهومها الشامل؛ فإنه يدخل فيها الأمر بالمعروف الفكري، والنهي عن المنكر الفكري، فالعلاقة بينهما تكاملية، في كون الأمر بالأمن الفكري صورة من صور الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإذا تغير الفكر المنكر تغير السلوك المنكر^(٣).

(١) تيسير الكرم الرحمن في تفسير كلام المنان (٥١٢-٥١٣).

(٢) رواه مسلم في صحيحه - كتاب الإيمان - باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان وأن الإيمان يزيد وينقص، وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان (٦٨٨) (ح ٤٩٦).

(٣) انظر: شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ودورها في تحقيق الأمن الفكري - شاعر العصيمي (١٠٣، ١٠٤).

"والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، هو القطب الأعظم في الدين، وهو المهّم الذي ابتعث الله له النبيين أجمعين، ولو طُوي بساطه، وأهمل علمه وعمله لتعطلت النبوة، واضمحلت الديانة، وعمت الفترة، وفشت الضلالة، وشاعت الجهالة، واستشرى الفساد، واتسع الخرق، وخرت البلاد، وهلك العباد، ولم يشعروا بالهلاك إلا يوم التناد"^(١).

قال - تعالى -: ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَدَابِ بَعِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾^(٢).

فمن منطلق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، نالت الأمة الخيرية، واستمرارها مرده إلى الأسباب التي حازت به هذا الشرف وهذه الدرجة الرفيعة.

والواقع المعيش استمرار للواقع الماضي، وهو أن هناك فئات كثيرة ضلّت في هذا الباب، وانقسم الناس إلى طرفين ووسط، فالكثير تركوا الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، أو قصّروا فيه تقصيراً بيناً، وهذا صنف أهل التفريط، والقسم الآخر وهم أقل قاموا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولكنهم قاموا به على غير هدى، فلم يعرفوا مراتبه ودرجاته وحدوده، أو لم يلتزموا بها، فوقع الكثير منهم في الغلو والإفراط.

وبقي الوسط وهم القلّة القليلة، الذين التزموا بالمنهج الشرعي الذي أمر الله به، وأمر به رسوله ﷺ، واعتنوا بهذا الركن العظيم، من أجل القيام به على الوجه المشروع، والذي حث عليه الشرع، وبَيّن معالمه، ورسم طريقه، وزجر عن الانحراف عنه^(٣).

ولهذا اهتم الإمام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبَيّن ما ينبغي أن يكون عليه الداعي إلى الله، الأمر بالمعروف، والناهي عن المنكر.

يقول مسعود الندوي - رحمه الله -: "كان ابن عبد الوهاب مولعاً بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر منذ صغر سنه، وصارت البدع تقلق باله منذ دراسته الابتدائية في الفقه والحديث في العيينة، وكلما وجد عملاً يخالف أصول الدين حاول أداء فريضة النهي عن المنكر"^(٤).

(١) إحياء علوم الدين - أبو حامد الغزالي (٣٠٦/٢).

(٢) سورة الأعراف آية رقم [١٦٦].

(٣) انظر: الوسطية - ناصر العمر (١٤٨).

(٤) محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم ومفتري عليه (٣٤).



ويؤكد هذا ابن بشر في حديثه عن الإمام - رحمه الله - حين رجوعه من إحدى رحلاته العلميّة، ووصوله إلى بلد حرّيملاء، وأخذ يقرأ على أبيه، وينكر ما يفعل من البدع والشرك، في الأقوال والأفعال، فلما كثر منه الإنكار لذلك، ولجميع المحظورات، وقع بينه وبين أبيه كلام، وبينه وبين الناس في البلد، وظلت الحال كما هي حتى توفي والده، فأعلن بالدعوة والإنكار، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتبعه أناس من أهل البلد على ذلك^(١).

والإمام - رحمه الله - يذكر أصوله التي بنى عليها الالتزام بهذا الأمر في قوله: "وأرى وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على ما توجبه الشريعة المحمديّة الطاهرة"^(٢).

ومن أصول دعوة الإمام - رحمه الله - التي بنى عليها منهجه، قوله: "وندعو الناس إلى إقام الصلاة في الجماعات على الوجه المشروع، وإيتاء الزكاة، وصيام شهر رمضان، وحج بيت الله الحرام، ونأمر بالمعروف وننهي عن المنكر كما قال - تعالى - ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾"^(٣)^(٤).

ومع هذا الفضل لهذه الشعيرة وحب الإمام - رحمه الله - الخير للناس وحرصه على هدايتهم إلا أنه جعل لهذه الشعيرة ضوابطها الشرعيّة التي ينبغي أن تكون عليها؛ لئلا تكون عكسيّة في نتائجها، وما ذلك إلا استشعاراً منه - رحمه الله - لحاجة الأمة إلى هذه الشعيرة في زمنه، وما أحوجها لها من بعده، فيقول في إحدى رسائله: "من محمد بن عبد الوهاب إلى من يصل إليه هذا الكتاب من الإخوان، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد: فيجري عندكم أمور تجري عندنا من سابق، وننصح إخواننا إذا جرى منها شيء حتى فهموها، وسببها أن بعض أهل الدين ينكر منكرًا وهو مصيب، لكن يخطئ في تغليظ الأمر إلى شيء يوجب الفرقة بين الإخوان، وقد قال الله - تعالى -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ۖ وَلَا تَمُونَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ

(١) انظر: عنوان المجد في تاريخ نجد - عثمان بن بشر (١/٨٥).

(٢) مجموع مؤلفات الشيخ - الرسائل الشخصية (٣/٧).

(٣) سورة الحج آية رقم [٤١].

(٤) مجموع مؤلفات الشيخ - الرسائل الشخصية (٣/٦٤).

مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا ﴿١﴾، وقال ﷺ: "إن الله يرضى لكم ثلاثًا: أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولّاه الله أمركم" (٢)، وأهل العلم يقولون: الذي يأمر بالمعروف، وينهي عن المنكر، يحتاج إلى ثلاث:

- أن يعرف ما يأمر به، وينهى عنه.

- ويكون رفيقًا فيما يأمر به، وينهى عنه.

- صابراً على ما جاء من الأذى.

وأنتم محتاجون للحرص على فهم هذا، والعلم به، فإن الخلل إنما يدخل على صاحب الدين من قلة العمل بهذا، أو قلة فهمه.

وأيضاً: يذكر العلماء أن إنكار المنكر إذا صار يحصل بسببه افتراق لم يجز إنكاره، فالله في العمل بما ذكرت لكم، والتفقه فيه؛ فإنكم إن لم تفعلوا صار إنكاركم مضرة على الدين... وهذا الكلام وإن كان قصيراً فمعناه طويل، فلازم تأملوه، وتفقهوا فيه، واعملوا به، فإن عملتم به صار نصراً للدين، واستقام الأمر إن شاء الله، والجامع لهذا كله أنه إذا صدر المنكر من أمير أو غيره أن يُنصح برفق خفية ما يشترط أحد، فإن وافق وإلا استلحق عليه رجلاً يقبل منه بخفية، فإن لم يفعل فيمكن الإنكار ظاهراً إلا إن كان على أمير ونصحه ولا وافق، واستلحق عليه ولا وافق فيرفع الأمر يمنا (أي: جهتنا) خفية" (٣).

ومن الضوابط التي بينها الإمام - رحمه الله - لأتباعه حتى تتحقق النتائج المرجوة قوله: "فالواجب عليهم إذا ذُكر لهم عن أحد منكرًا عدم العجلة، فإذا تحققوه أتوا صاحبه ونصحوه، فإن تاب ورجع وإلا أنكر عليه وتكلم فيه، فعلى كل حال نبهوهم على مسألتين:

الأولى: عدم العجلة ولا يتكلمون إلا مع التحقق، فإن التزوير كثير.

(١) سورة آل عمران آية رقم [١٠٢ - ١٠٣].

(٢) رواه مالك في الموطأ - كتاب الكلام - باب ما جاء في إضاعة المال وذوي الوجهين (٢/٩٩٠) (ح ٢٠)، والإمام أحمد في مسنده (٦٤٤) (ح ٨٧٨٥) وقال أحمد شاکر في شرحه للمسنود (٤/١٧) (ح ٨٧٨٥): إسناده صحيح، وابن ابن حبان في صحيحه - باب المسألة والأخذ وما يتعلق به من المكافأة والثناء والشكر (٨/١٨٢) (ح ٣٣٨٨)، وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرطهما.

(٣) مجموع مؤلفات الشيخ - الرسائل الشخصية (٣/١٦١-١٦٢)، وانظر: (٣/١٥٦).



الثانية: أن النبي ﷺ كان يعرف منافقين بأعيانهم، ويقبل علانيتهم، ويكل سرائرهم إلى الله" (١).

ومن الضوابط: تبين المسألة ووضوحها للمُنكر، يقول- رحمه الله-: "ومتى لم تتبين لكم المسألة، لم يجل لكم الإنكار على من أفتى أو عمل حتى يتبين لكم خطؤه، بل الواجب السكوت والتوقف، فإذا تحققتم الخطأ بينتموه ولم تهدروا جميع المحاسن لأجل مسألة أو مائة أو مائتين" (٢).

وهذا خلاف ما يزعمه الخصوم في باب الإنكار، وأن الإمام- رحمه الله- ما مثله في هذا الباب إلا مثل من أراد أن يبني قصرًا فهدم مصرًا (٣).

وقد طرق الإمام- رحمه الله- جميع أبواب الإنكار، فأنكر بالقول: وذلك بالنصح المباشر، والتوجيه بالكلمة، كالدروس، والخطب.

وأنكر بالقلم: وذلك بإرسال الرسائل إلى المخالفين، والكتب التي جليّ فيها المنكرات المنفشية، وأعظمها الشرك بالله والبدع.

وأنكر باليد: كما في قطع الأشجار، وهدم القباب.

وكون هذا العمل بابًا من أبواب الجهاد، إذ فيه بذل جهد، ومقارعة لأهل الباطل؛ فلا بد أن يكون طريق الدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر محفوفًا بالمكاره، والمحن، والشدائد، وتلك سنة الله في أنبيائه ورسله من لدن آدم- عليه السلام- إلى خاتمهم محمد ﷺ.

وهو كذلك بالنسبة لأتباع الرسل من الدعوة إلى الله، فأشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل؛ ولذا بيّن الإمام- رحمه الله- لأتباعه هذا بقوله: "واعلم أن الله - سبحانه - من حكمته لم يبعث نبيا بهذا التوحيد إلا جعل له أعداء، كما قال- تعالى-: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا

(١) المرجع السابق (١٥٦/٣).

(٢) المرجع السابق (١٣٣/٣).

(٣) انظر: الصواعق والرعود- عبد الله بن داود- صحيفة (٥٣أ).

فَعَلُوهُ فَذَرَّهُمْ وَمَا يُفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾^(١)، وإيماناً من الإمام بذلك فإنه قد وجه رسالةً إلى بعض إخوانه مُصبراً ومُذكرًا لهم على احتمال المشاق في هذا الطريق، فيقول: "ولكن -يا إخواني- لا تنسوا قول الله -تعالى-: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ﴾ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾"^(٢)، وقوله: ﴿أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكٰذِبِينَ ﴿٣﴾"^(٣)، فإذا تحققتُم أن من اتبع هذا الدين، لا بد له من الفتنة، فاصبروا قليلاً، ثم أبشروا عن قليل بخير الدنيا والآخرة، واذكروا قول الله -تعالى-: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَادُ﴾ ﴿٥١﴾"^(٤)، وقوله: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كٰمُنًا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنْصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِن جُنَدُنَا لَهُمُ ٱلْغٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾﴾"^(٥)، وقوله -تعالى-: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحٰدِثُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ أَوْلٰئِكَ فِي ٱلْأَذْلٰلِينَ﴾ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَعْلٰبِكَ أَنَا وَرُسُلِي ۗ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾﴾"^(٦)، فإن رزقكم الله الصبر على هذا، وصرتُم من الغرباء الذين تمسكوا بدين الله مع ترك الناس إياه، فطوبى ثم طوبى إن كنتم ممن قال فيه نبيكم ﷺ: "بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ، فطوبى للغرباء، قيل: يا رسول الله من الغرباء؟ قال: "الذين يصلحون إذا أفسد الناس"^(٧)، فيالها من نعمة! ويا لها من عزيمة! جعلنا الله وإياكم من أتباع الرسول، وحشرنا تحت لوائه، وأوردنا حوضه الذي يرده من تمسك بدينه في الدنيا، ثم أنتم في أمان الله وحفظه والسلام"^(٨).

(١) سورة الأنعام آية رقم [١١٢].

(٢) مجموع مؤلفات الشيخ-الرسائل الشخصية (٨٧/٣).

(٣) سورة الفرقان آية رقم [٢٠].

(٤) سورة العنكبوت الآيات رقم [٢-٣].

(٥) سورة غافر: الآية [٥١].

(٦) سورة الصافات الآيات: [١٧١-١٧٣].

(٧) سورة المجادلة الآيات: [٢٠، ٢١].

(٨) مجموع مؤلفات الشيخ-الرسائل الشخصية (١٦٧/٣).

(٩) مجموع مؤلفات الشيخ-الرسائل الشخصية (١٦٧/٣).



وفي بيانه للمسائل الأربع التي يجب تعلمها يقول: "الصبر على الأذى فيه - أي: في الدعوة إلى معرفة الله، ومعرفة نبيه، ومعرفة دين الإسلام- والدليل قوله- تعالى-: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾ ﴾" (١) (٢).

وبهذا يتضح لكل داعٍ إلى الله أن طريقه ليس محفوظاً بما تهوى النفس، وإنما بالحن والشدائد، حتى يُعَدَّ للأمر عدته، ثم ليعلم أن هذا هو السبيل للتمكين لدين الله، وأن النصر مع الصبر.

وقد سار أتباع الإمام على منهجه الذي أصَّله لهم في الدعوة إلى الله، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويستشعرون ما من الله به عليهم من الفضل، يقول الإمام سعود بن عبد العزيز - رحمه الله - في رسالته إلى أهل الدرعية: "خصنا الله وإياكم بدين الإسلام، فصار غيركم تبعاً لكم، ويُقتدى بكم في أصول الدين وفروعه، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، من فرائض الدين، ولا يستقيم دين، ويُعبد الله على مراده، إلا بالجهاد في سبيل الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وببلادكم صارت مجمعاً للناس، وامتألت من سائر البلدان، وحدث فيها أمور يكرهها الله ورسوله، ويغضب منها الذي فيه رائحة للدين، ويخاف من اليوم الآخر، وأنتم اليوم أسقطتم عن أنفسكم هذه الفريضة بسبب المداينة، وطلب رضا وجوه الخلق، وعدم الإيمان بالجزاء، والذي له دين ويؤمن بالله واليوم الآخر، ولو هو تحت يدي حاكم ظالم، يمنعه عن القول بالحق، وجب عليه الانتقال من بلاده، إلى بلد يقول فيها الحق ويأمر به، وينكر فيها المنكر وينهى فاعله" (٣).

وقد اشتهر عن الإمام - رحمه الله - وذاع صيته في الأمصار، باهتمامه بهذه الشعيرة، وجعلها ركيزة من ركائز دعوته، يقول الصنعاني - رحمه الله -: "لما طارت الأخبار بظهور عالم في نجد يقال له: محمد بن عبد الوهاب، ووصل إلينا بعض تلاميذه، وأخبرنا عن حقائق أحواله،

(١) [سورة العصر].

(٢) مجموع مؤلفات الشيخ - ثلاثة الأصول (٣/١٣٤).

(٣) الدرر السنية في الأجوبة النجدية - جمع: عبد الرحمن القاسم (٤٥/١٤).

وتشميره في التقوى، وفي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، اشتاقت النفس إلى مكاتبته بهذه الأبيات سنة: (١١٦٣ هـ)، وأرسلناها من طريق مكة المشرفة...^(١).

وفي وصف ابن بشر لحال مكة بعد دخولها في ميدان الدعوة ودولتها -الدولة السعودية الأولى-: "وفشنا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في مكة، فلا يُشرب التنباك في أسواقها، وأمر سعود أن يجعل في أسواقها من يأمرهم بالصلاة إذا دخل الوقت، فكان إذا أذن المؤذن دار النواب، في الأسواق: الصلاة الصلاة"^(٢).

وكان أتباع الإمام- رحمه الله- يُطبّقون هذه الشعيرة في كل بلد يخضع لطاعتهم، ومن ذلك ما ذكره الجبرتي- رحمه الله- في تاريخه^(٣) بقوله: "وأمر- أي الإمام سعود- بمنع المنكرات والتجاهر بها، وشرب الأراجيل بالتنباك في المسعى، وبين الصفا والمروة، وبالملازمة على الصلوات في الجماعة، ودفع الزكاة، وترك لبس الحرير والمقصبات، وإبطال المكوس والمظالم، وكانوا خرجوا عن الحدود في ذلك؛ حتى أن الميت يأخذون عليه خمسة فرانسة وعشرة بحسب حاله، وإن لم يدفع أهله القدر الذي يتقرر عليه فلا يقدرّون على رفعه ودفنه، ولا يتقرب إليه الغاسل ليغسله حتى يأتيه الإذن، وغير ذلك من البدع والمكوس والمظالم التي أحدثوها على المبيعات والمشتريات على البائع والمشتري، ومصادرات الناس في أموالهم ودورهم، فيكون الشخص من سائر الناس جالسًا بداره فما يشعر على حين غفلة منه إلا والأعوان يأمرونه بإخلاء الدار، وخروجه منها، ويقولون: إن سيد الجميع محتاج إليها، فإما أن يخرج منها جملة وتصير من أملاك الشريف، وإما أن يصالح عليها بمقدار ثمنها، أو أقل أو أكثر، فعاهده على ترك ذلك كله، واتباع ما أمر الله- تعالى- به في كتابه العزيز من إخلاص التوحيد لله، واتباع سنة الرسول- عليه الصلاة والسلام-، وما كان عليه الخلفاء الراشدون والصحابة والتابعون والأئمة المجتهدون إلى آخر القرن الثالث، وترك ما حدث في الناس من الالتجاء لغير الله من المخلوقين الأحياء والأموات في الشدائد والمهمات، وما أحدثوه من بناء القباب على القبور، والتصاوير والزخارف، وتقبييل الأعتاب، والخضوع والتذلل، والمناداة والطواف، والندور والذبح

(١) ديوان الأمير الصنعاني (١٢٨).

(٢) المرجع السابق (٢٨٨/١).

(٣) عجائب الآثار في التراجم والأخبار (٨-٧/٤).



والقربان، وعمل الأعياد والمواسم لها، واجتماع أصناف الخلائق، واختلاط النساء بالرجال، وباقي الأشياء التي فيها شركة المخلوقين مع الخالق، في توحيد الألوهية التي بعثت الرسل إلى مقاتلة من خالفها؛ ليكون الدين كله لله، فعاهده على منع ذلك كله، وعلى هدم القباب المبنية على القبور والأضرحة؛ لأنها من الأمور المحدثه".

ولقد تسلسل هذا المنهج القويم في عقب الشيخ وتلاميذه من بعده، يقول محمد بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ (١٣٦٧هـ): "ونرى وجوب الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر على كل قادر بحسب قدرته واستطاعته، إما بيده، فإن تعذر فبلسانه، فإن تعذر فبقلمه كما في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: "من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلمه، وذلك أضعف الإيمان"^(١) (٢).

فليس ثمة مجتمع من المجتمعات إلا وتسرب في جنباته نشوز، وخروج عن نظامه، ونحن أمة الإسلام منهج حياتنا وضحه الله في كتابه، وبينه رسول الله ﷺ واقعاً عاشه، وربى عليه أصحابه، وبين كيفية التعامل مع من حاد عن هذا المنهج بالقول والعمل، وذلك بالنصح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ إذ به يُلم الشعث، ويرأب الصدع، وتُتقى أسباب الهلاك، ويُستدفع البلاء، ويتحقق الأمن، وتستقر النفوس.

إن أمن أي مجتمع لن يتم إلا بعد أن يُبنى فيه الأفراد على مقتضى الشريعة، التي تعهدته نصوصها بالصلاح والإصلاح؛ ليكون عنصراً صالحاً في بناء مجتمعه، مُحافظاً عليه من أصناف الفساد التي تعصف به إذا ابتعد أفرادها عن وحي الله، وغاب الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر عن ساحاته؛ إذ لا يخفى أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبب لصلاح المجتمع واستقامته، وسلامته من الفواحش والمنكرات الظاهرة، ووقوعه في الهلكة، فإذا أُهملت هذه الشعيرة، ترتب على ذلك فشو المنكرات والمجاهرة بها، وظهور الخبث وكثرت، وهذا دليل على تمكن المنكر وأهله، وذريعة لتأسي الناس بهم، وبهذا يزول الأمن الفكري الذي تُضبط به العقول وما ينتج عنها من تصرفات^(٣).

(١) سبق تخريجه.

(٢) الدرر السنية في الأجابة النجدية - جمع: عبد الرحمن القاسم (٥٧٥/٢).

(٣) انظر: أثر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في تحقيق الأمن - عبد العزيز الجوهري (٤، ٩٢، ٢٣٢).

ومعلوم أن من الضرورات التي جاء الإسلام بحفظها، حفظ العقل الذي هو مناط الأمن الفكري، ولن يتم الحفاظ عليه إلا بإقامة شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ومما سبق يتبين أن الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر مقوم من مقومات الأمن الفكري، ولا يتحقق إلا من خلال تطبيق هذه الشعيرة، والتي تعتمد في قيامها على جناحين: جلب مصلحة، وأمر بمعروف، ودفع مفسدة، ونهي عن منكر، وكل ذلك يحتاج إلى فكر آمن، يقوم بهذا الأمر وفق مُراد الله^(١).

(١) انظر: شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ودورها في تحقيق الأمن الفكري - شاعر العصيمي (١٠٥).



المبحث الثالث: تطبيق السنة في حياة الناس اليومية

لقد كان الإمام - رحمه الله - مُعظَّمًا لرسول الله ﷺ وسنته، وحريصًا على تعلّمها والعمل بها، وكان من أبرز خصائص دعوته، وغاياتها النبيلة نشر السنن وإحيائها، وإماتة البدع وإنكارها، وقد تجلّى حرص الإمام - رحمه الله - على تطبيق السنة في حياة الناس اليومية في شتى مجالاتها، ويتضح ذلك من خلال انتقاء الإمام كتبًا معينة لكونها تجسد سنة رسول الله ﷺ قولًا وعملاً، ومن ذلك: أنه اختصر كتاب "زاد المعاد في هدي خير العباد"^(١)، والذي اشتمل على وصف دقيق لأعمال الرسول ﷺ التبعديّة، وهديه في سلوكه وتصرفاته الخاصة والعامة، وعمله في السلم والحرب، والمنشط والمكروه، ويقظته ونومه، والآداب التي ينبغي أن يكون عليها المسلم في جميع أحواله.

وكذلك أيضًا: اختصر "سيرة الرسول ﷺ"^(٢) لابن هشام، واختصاره لهذا الكتاب دون غيره متفق مع هدف من أهداف دعوته الأساسيّة، وهو الاقتداء بالنبي ﷺ في أقواله وأعماله وأحواله، مما يدل على أن مقصد الإمام ليس الاختصار بل التطبيق، وقد ضمن الاختصار بعض الاستنباطات المفيدة، التي تؤكد ضرورة الاقتداء، يقول - رحمه الله -: "واعرف ما قصه أهل العلم من أخبار النبي ﷺ وقومه، وما جرى له معهم في مكة، وما جرى له في المدينة، واعرف ما قص العلماء عن أصحابه وأحوالهم وأعمالهم، لعلك أن تعرف الإسلام والكفر، فإن الإسلام اليوم غريب، وأكثر الناس لا يميز بينه وبين الكفر، وذلك هو الهلاك الذي لا يرجى معه فلاح"^(٣).

ويوضح ذلك ويؤكد به بقوله: "وأعظم الفائدة لك أيها الطالب، وأكبر العلم وأجل المحصول - إن فهمت ما صح عنه ﷺ - أنه قال: "بدأ الإسلام غريبًا، وسيعود غريبًا كما بدأ"^(٤).

(١) مجموع مؤلفات الشيخ (٣/١-٢٣٤).

(٢) المرجع السابق (٥/١-٢٣٢).

(٣) المرجع السابق - مختصر سيرة الرسول ﷺ (٦/١).

(٤) رواه البخاري في صحيحه - كتاب الاعتصام - باب قول النبي ﷺ لتبعن سنن من كان قبلكم (٦١٠) ح (٧٣٢٠).

وقوله: "لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القُذَّة بالقُذَّة، حتى لو دخلوا جُحر ضبّ لدخلتموه، قالوا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: فمن!"^(١).

وقوله: "ستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة"^(٢).

فهذه المسألة أجل المسائل، فمن فهمها فهو الفقيه، ومن عمل بها فهو المسلم"^(٣).

ويؤكد توجه الإمام - رحمه الله - إلى تطبيق السنة في حياة الناس كذلك كتاب "فضل الإسلام"^(٤)، والذي تحدث فيه عن وجوب اتباع النبي ﷺ، وترك البدع، ويظهر اهتمام الإمام بهذا الموضوع بالذات بوصفه للبدع بأنها أخطر شيء على الدين - باستثناء الشرك -، وأن التوبة منها قد لا تقبل، كما أنه يعود في نهاية الكتاب إلى ذكر ما ورد في التحذير منها، والحث على اتباع سنة الرسول ﷺ وصحابته.

ويرفض الإمام كل أنواع البدع، فيقول في رسالة إلى أحد معارضيه: "أنت تقول: بدعة حسنة، والنبي ﷺ يقول: كل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، ولم يستثن شيئاً تُشير به علينا"^(٥).

ويبين الإمام معنى شهادة أن محمداً رسول الله فيقول: "طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما عنه نُهي وزجر، وألا يعبد الله إلا بما شرع"^(٦).

وفي كتاب "نصيحة المسلمين بأحاديث خاتم المرسلين"^(٧) يتناول كثيراً من الأمور الشرعية التي يجب أو يستحب فعلها والتأدب بها، مثل: آداب السلام، والاستئذان، والمصافحة،

(١) رواه مسلم في صحيحه - كتاب الإيمان - باب بيان أن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً، وإنه يارز بين المسحدين (٧٠٢) (ح ١٤٦).

(٢) رواه أبو داود في سننه - كتاب السنة - باب شرح السنة (١٥٦٠) (ح ٤٥٩٦)، ورواه الترمذي في سننه - كتاب الإيمان - باب ماجاء في افتراق هذه الأمة (١٩١٨) (ح ٢٦٤٠)، وقال: حديث حسن صحيح، ورواه ابن ماجه في سننه - كتاب الفتن - باب افتراق الأمم (٢٧١٦) (ح ٣٩٩١)، والحديث صححه الألباني كما في الصحيحة (٤٠٤/١) (ح ٢٠٤).

(٣) مجموع مؤلفات الشيخ - مختصر سيرة الرسول ﷺ (١٤/١)

(٤) مجموع مؤلفات الشيخ (١٤٧/٦).

(٥) المرجع السابق - الرسائل الشخصية (١٣٠/٣).

(٦) المرجع السابق - الأصول الثلاثة (١٣٧/٦).

(٧) طبع ضمن مجموعة الحديث النجدية - الجزء الأول.



والمعانقة، والجلوس والنوم والمشي، والعطاس والتثاؤب، والمزاح، وما يتعلق بتسمية الأسماء، وغير ذلك من الأبواب التي تتجلى فيها السنة^(١).

وكتاب "مجموعة الحديث على أبواب الفقه"^(٢)، وبيّن فيه السنة وفضلها والترغيب في تطبيقها، وساق فضائل الأعمال مساقاً يدل على دقة فقهه، حيث شملت ما يتعلق بالخالق والمخلوق والنفس، وما رُغِبَ في فعله وتركه، وماله متعلق بالنيّة^(٣).

ورسالة "شروط الصلاة وأركانها وواجباتها"^(٤)، ورسالة "آداب المشي إلى الصلاة"^(٥) وفيها صفة صلاة النبي ﷺ، وصفة الصوم والزكاة، وما يتعلق بهن مما يؤدي إلى وقوعها وفق السنة، فالإمام يريد أن يطبق الناس الصلاة كما صلاها رسول الله ﷺ.

لعلمه - رحمه الله - ما للصلاة من أثر على نفس المصلي إذا وافقت هديه عليه الصلاة والسلام، فهي طمأنينة في النفس وانسراح في الصدر إذا أدت أداءً كاملاً، ولا شك أن هذا له أثره البالغ على أمن الإنسان الفكري؛ ولذلك ألف - رحمه الله - في آداب المشي للصلاة، وهذا له أثر في تمام الصلاة، لأن من مشى للصلاة ذاكراً مُتخشعاً تغشاه السكينة والوقار، وفق ما أمر رسول الله صلوات ربي وسلامه عليه، ستكون صلاته خاشعاً لها أثرها المباشر على نفس المصلي.

وكتاب "منسك الحج"^(٦) وهو كتيب صغير وضعه الإمام دليلاً لكل مسلم؛ كي يستطيع معرفة هذه الشعيرة المباركة، وفق ضوابط الشرع الحنيف، فالإمام أيضاً يريد من الناس تطبيقاً عملياً لقوله ﷺ: "لتأخذوا عني مناسككم"^(٧)، حتى تتحقق الغاية التي من أجلها فُرض الحج.

(١) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (١/٣٦٧-٥٠٥).

(٢) مجموع مؤلفات الشيخ - قسم الحديث.

(٣) انظر: المرجع السابق (٥/١٩٣-١٩٧).

(٤) المرجع السابق (٣/٦٩-٧٥).

(٥) المرجع السابق (٣/٧٧-١١٠).

(٦) طُبِعَ بتحقيق بندر العبدلي - دار الوطن - عام (٢٣/١٤٢٣هـ).

(٧) رواه مسلم في صحيحه - كتاب الحج - باب استحباب رمي جمرة العقبة يوم النحر راکباً وبيان قوله ﷺ: لتأخذوا

مناسككم (١٩٣) (ح ١٢٩٧).

وربط الناس بالسنة، وتطبيقها في واقع حياتهم قولاً وعملاً، وفي جميع أحوالهم، يُؤلّد لديهم الشعور بالطمأنينة والسكينة، وهذا ما حرص عليه الإمام - رحمه الله -.

وقد راسل الإمام وكتب إلى كثيرين، يحضهم على تطبيق السنة واتباعها، ويحذرهم من البدع وفعلها:

ففي رسالته إلى الشيخ فاضل آل مزيد رئيس بادية الشام يقول: "إني أذكر لمن خالفني أن الواجب على الناس اتباع ما وصى به النبي ﷺ أمته، وأقول لهم: الكتب عنكم، انظروا فيها، ولا تأخذوا من كلامي شيئاً، لكن إذا عرفتم كلام رسول الله ﷺ الذي في كتبكم فاتبعوه ولو خالفه أكثر الناس"^(١).

وفي رسالته إلى عبد الله الصنعاني، يقول: "وأما متابعة الرسول ﷺ فواجب على أمته متابعتة في الاعتقادات والأقوال والأفعال، قال الله - تعالى -: ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾"^(٢)، وقال ﷺ: "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد" رواه البخاري ومسلم^(٣)، وفي رواية لمسلم: "من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد"^(٤) فتوزن الأقوال والأفعال بأقواله وأفعاله، فما وافق منها قبل، وما خالف رد على فاعله كائناً من كان، فإن شهادة أن محمداً رسول الله تتضمن تصديقه فيما أخبر به، وطاعته ومتابعتة في كل ما أمر به، وقد روى البخاري من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: "كل أمي يدخلون الجنة إلا من أبي قيل: ومن يأبي يا رسول الله؟ قال من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبي". فتأمل - رحمك الله - ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه بعده والتابعون لهم بإحسان إلى يوم الدين، وما عليه الأئمة المقتدى بهم من أهل الحديث والفقهاء، كأبي حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد بن حنبل، رضي الله عنهم أجمعين لكي نتبع آثارهم"^(٥).

(١) مجموع مؤلفات الشيخ - الرسائل الشخصية (١٩/٣).

(٢) سورة آل عمران آية رقم [٣١].

(٣) رواه البخاري في صحيحه - كتاب الصلح - باب إذا اصطلحو على صلح جَوْرٍ فالصلح مردود (٢١٤) (ح ٢٦٩٧)، ومسلم في صحيحه - كتاب الأفضية - باب نقض الأحكام الباطلة، ورد محدثات الأمور (٩٨٢) (ح ١٧٢٨).

(٤) في صحيحه - كتاب الأفضية - باب نقض الأحكام الباطلة، ورد محدثات الأمور (٩٨٢، ٩٨٣) (ح ١٧٢٨).

(٥) مجموع مؤلفات الشيخ - الرسائل الشخصية (٦٠/٣-٦١).



ويؤكد الإمام - رحمه الله - في حرصه على تطبيق السنة بما نقله من كلام لأسد بن موسى، في حثه لأسد بن الفرات على تطبيق السنة، وثواب من دعا إلى ذلك: "فاغتنم ذلك وادع إلى السنة حتى يكون لك في ذلك ألفة وجماعة، يقومون مقامك إن حدث بك حدث، فيكونون أئمة بعدك، فيكون لك ثواب ذلك إلى يوم القيامة... فاعمل على بصيرة وثيَّة وحسبة، فيرد الله بك المبتدع المفتون الزائع الحائر، فتكون خلفا من نبيك ﷺ فإنك لن تلقى الله بعمل يشبهه" (١).

وقد كان الإمام - رحمه الله - قدوة في الحرص على تطبيق السنة في حياة الناس قلما يفتخر لسانه عن قول: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر.

وكان إذا جلس الناس في انتظاره يعلمون إقباله إليهم قبل أن يروه من كثرة لهجهه بالتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير (٢)، وهذا من اقتدائه برسول الله ﷺ حيث كان يذكر الله على كل أحيانه، وكان لسانه رطبًا بذكر الله، وهذا من وسائل التربية على السنة وتطبيقها.

ففي ذكر الله دائمًا وفي جميع الأحوال تحصين للنفس من كيد الشيطان وحبائله، وهذا له أثر على النفس وطمانينتها؛ وهو هدي نبوي كان الإمام حريصًا على تطبيقه فكان قدوة في القول والعمل.

ومن تطبيق السنة أيضًا: أن الإمام - رحمه الله - التزم في خطبه السنة فالناظر في خطبه (٣) يجدها قليلة المباني كثيرة المعاني، وهو في ذلك يقتدي بالنبي ﷺ حيث قال: "إن طول صلاة الرجل، وقصر خطبته، مَعْنَةٌ من فقهه، فأطيلوا الصلاة، واقصروا الخطبة، وإن من البيان سحرًا" (٤).

وقد جرد الإمام - رحمه الله - المتابعة لرسول الله ﷺ، وتقديم سنته وقوله، والوقوف معها وعندها، في أصول الدين وفروعه، ظاهره وباطنه، جليِّه وخفيِّه (٥)؛ وما ذلك إلا استجابة لقول

(١) مفيد المستفيد في كفر تارك التوحيد - محمد بن عبد الوهاب (٥٠-٥١). وانظر: كتاب فيه ماجاء في البدع - ابن وضاح (٢٨)، والاعتصام - الشاطبي (٣٨/١).

(٢) انظر: عنوان المجد في تاريخ نجد - عثمان بن بشر (١٩٨/١).

(٣) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ - الخطب المنبرية (١٧٧/٢-٢٢٨).

(٤) رواه مسلم في صحيحه - كتاب الصلاة - باب تخفيف الخطبة والصلاة (٨١٣) (ح ٨٦٩).

(٥) انظر: تاريخ نجد - محمود الألوسي (١١٤-١١٥).

الله - تعالى :- ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾^(١)، فالإقتداء برسول الله - عليه الصلاة والسلام - فيه الفلاح، والخير والسرور والانشراح، والرضا والتسليم لأمر الله، ولا يتأتى ذلك إلا بالعلم، "ومعرفة الآداب النبوية الصحيحة في العبادات والمعاملات، والإقامة والسفر، والمعاشرة والوحدة، والحركة والسكون، واليقظة والنوم، والأكل والشرب، والكلام والصمت، وغير ذلك مما يعرض للإنسان في حياته، مع تحري العمل بها كما يتيسر... فإن كثيراً من تلك الآداب سهل على النفس، فإذا عمل الإنسان بما يسهل عليه منها تاركاً لما يُخالفها، لم يلبث - إن شاء الله - أن يرغب في الازدياد، فعسى أن لا تمضي عليه مدة إلا وقد أصبح قدوة لغيره في ذلك، وبالاهتداء بذلك الهدي القويم، والتخلق بذلك الخلق العظيم - ولو إلى حدٍّ ما - يستنير القلب وينشرح الصدر وتطمئن النفس فيرسخ اليقين ويُصحح العمل"^(٢).

إن مهمة العلماء هي بيان الحق للناس، والترغيب فيه والحض عليه، وكشف الباطل وزيفه، وهذا سبيل من سبيل تحقيق الأمن الفكري، وهو المسلك الذي سلكه الإمام - رحمه الله - لما رأى الاضطراب الذي عصف بأفكار الناس، والشتات الذي لحقهم نتيجة تعدد المشارب واختلاف المتبوعين، ولا شك أن جمع الفكر بكليته على قدوة شرعية دينية كرسول الله - صلوات ربي وسلامه عليه -، فيه عصمة للفكر من الخلل والشطط والوقوع في الهلكة^(٣).

ولن يتحقق الأمن الفكري للأمة إلا بفهم مُراد الله، والذي لا يُمكن فهمه وفق ما أراد الله، إلا عن طريق رسول الله ﷺ، والذي لا طريق لنا إليه إلا بمعرفة السنة، ومن ثم تعلمها والعمل بها، وتربية المسلمين عليها^(٤).

(١) سورة الأحزاب آية رقم [٢١].

(٢) مقدمة فضل الله الصمد في توضيح الأدب المفرد - عبد الرحمن المعلمي (١٧).

(٣) انظر: الأمن الفكري في السنة - جمال بادي وإبراهيم شوقار (٣) مؤتمر الأمن الفكري الأول في الفترة من ٢٢-٢٥ جمادى الأولى (١٤٣٠ هـ).

(٤) انظر: مقدمة صحيح الأدب المفرد - ناصر الدين الألباني (٩).



الفصل الرابع: عناية الإمام بجمع الكلمة

وفيه أربعة مباحث:

- المبحث الأول: اهتمامه بالجماعة
- المبحث الثاني: تعامله مع الولاة
- المبحث الثالث: موقفه من العلماء
- المبحث الرابع: منهجه في التعامل مع المخالفين

الفصل الرابع: عناية الإمام بجمع الكلمة

إن من أصول الدين العظام، ومبانيه الجسام الدعوة إلى الاجتماع والائتلاف، ونبذ الفرقة والاختلاف، "وقد بيّن الله في كتابه من الأمثال المضروبة والمقاييس العقلية ما يُعرف به الحق والباطل، وأمر الله بالجماعة والائتلاف ونهى عن الفرقة والاختلاف وأخبر أن أهل الرحمة لا يختلفون فقال: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ (١١٨) إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ ﴿١١٩﴾" (١)، ولهذا يوجد أتبع الناس للرسول أقل اختلافاً من جميع الطوائف المنتسبة للسنة وكل من قرب للسنة كان أقل اختلافاً ممن بعد عنها" (٢).

ومن خصائص الأمة المحمدية امتثالها لما أمرها الله به من الاعتصام بجبل الله امتثالاً لأمر الله ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (١٠٣) (٣).

وقد ذكر الإمام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - في مسائله على هذه الآيات نفائس كالقواعد للأمن الفكري ومنها قوله:

"السابعة عشرة: ذكر الاعتصام بجبل الله وهو القرآن، ففيه دليل على أنه عصمة.

الثامنة عشرة: الأمر بالاجتماع على ذلك.

التاسعة عشرة: تأكيد ما تقدم بالنهي عن الافتراق، وفيه تذكيرهم بالنعمة التي هم فيها

بعد تلك البلية...

الخامسة والعشرون: نهيهم عن مشابهة الذين تفرقوا واختلفوا من بعد مجيء الآيات" (٤).

(١) سورة هود آية رقم [١١٨-١١٩].

(٢) مجموع الفتاوى - ابن تيمية (٢٣/٩).

(٣) سورة آل عمران آية رقم [١٠٣].

(٤) مجموع مؤلفات الشيخ - كتاب فضائل القرآن والتفسير (٥٧/٢).



والآيات التي أمر الله فيها بعدم التفرق كثيرة، وواضحة الدلالة منها: قوله - تعالى -: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّيْنَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (١٥٣) ﴿١﴾، وقوله - تعالى -: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيْعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (١٥٩) ﴿٢﴾، وقوله - تعالى -: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (١٥٥) ﴿٣﴾، وقوله - تعالى: ﴿مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيْعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ (٣٢) ﴿٤﴾.

وقد حذر النبي ﷺ أشد التحذير من التفرق والاختلاف، بمثل قوله ﷺ: "إن الله يرضى لكم ثلاثاً، ويكره لكم ثلاثاً، فيرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، ويكره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال" (٥).

"وأما قوله ﷺ: ولا تفرقوا، فهو أمر بلزوم جماعة المسلمين، وتآلف بعضهم ببعض، وهذه إحدى قواعد الإسلام" (٦).

وفي حديث الافتراق المشهور قوله - عليه الصلاة والسلام -: "افتترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، فواحدة في الجنة، وسبعون في النار، وافتترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة، فإحدى وسبعون في النار، وواحدة في الجنة، والذي نفس محمد بيده لتفترقن أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، واحدة في الجنة وسبعون في النار، قيل: يا رسول الله من هم؟ قال: الجماعة" (٧).

لذا اهتم الإمام - رحمه الله - بالجماعة، وما يترتب عليها من تنصيب ولي الأمر، والسمع والطاعة له، وما يعترض ذلك من اعتراضات ومخالفات ممن تستهويهم المقالات المخالفة لمنهج أهل السنة والجماعة.

(١) سورة الأنعام آية رقم [١٥٣].

(٢) سورة الأنعام آية رقم [١٥٩].

(٣) سورة آل عمران آية رقم [١٠٥].

(٤) سورة الروم آية رقم [٣٢].

(٥) رواه مسلم في صحيحه - كتاب الأفضلية - باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة، والنهي عن منع وهات، وهو الامتناع من أداء حق لزمه أو طلب ما لا يستحقه (٩٨٢) (ح ١٧١٥).

(٦) صحيح مسلم بشرح الإمام النووي (١١/١٢).

(٧) سبق تخريجه.

يقول الإمام - رحمه الله - في إحدى رسائله: "يذكر العلماء: أن إنكار المنكر إذا صار يحصل بسببه افتراق لم يجز إنكاره"^(١).

وفي قواعد الإمام التي تدور عليها الأحكام، ومسائله، يُقعد لأصول جامعة تدعو إلى الاجتماع وتحذر من الفرقة كقوله - رحمه الله -: "اتفاق العلماء حجة واختلافهم رحمة، فليس المراد به الأئمة الأربعة، بإجماع الأئمة كلهم، وهم علماء الأمة، وأما قولهم: اختلافهم رحمة، فهذا باطل، بل الرحمة في الجماعة، والفرقة عذاب، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾^(١١٨) إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ^(١١٩)، فلما سمع عمر أن ابن مسعود وأبيًا اختلفا في صلاة الرجل في الثوب الواحد، صعد المنبر وقال: اثنان من أصحاب رسول الله ﷺ، فعن أيّ فتياكم يصدر المسلمون؟ لا أجد اثنين اختلفا بعد مقامي هذا، إلا فعلت وفعلت.

لكن قد روي عن بعض التابعين أنه قال: ما أحسب اختلاف أصحاب رسول الله ﷺ إلا رحمة للناس؛ لأنهم لو لم يختلفوا لم يكن رخصة، ومراده شيء آخر غير ما نحن فيه، ومع هذا فهو قول مستدرك؛ لأن الصحابة بأنفسهم ذكروا أن اختلافهم عقوبة وفتنة"^(٢).

وبهذا يتبين الزيف الذي زُمي به الإمام - رحمه الله - وهو ما سطره الخصوم وزعموا أن الإمام يقول به حيث أوردوا على لسانه: "إن اختلاف الأمة نقمة لا رحمة"^(٣).

وقال ابن داود عن الإمام - رحمه الله - وهو يتعقب قول ابن تيمية - رحمه الله - أنه يقول: "إن الشيخ (أي ابن تيمية) قال: اختلاف الأمة رحمة واسعة، وقال ابن عبد الوهاب: اختلافهم نقمة واقعة، وقال الشيخ: إجماعهم حجة قاطعة، وقال ابن عبد الوهاب: لا هي قاطعة ولا نافعة"^(٤).

وقد اهتم الإمام - رحمه الله - بجمع الكلمة على الحق، ووحدة الصف على التوحيد، والاجتماع وجمع الشمل على السنة، اعتصامًا بجبل الله لا لشعارات، ولا انتماءات.

ويتضح ذلك من خلال المباحث التالية:

(١) مجموع مؤلفات الشيخ - الرسائل الشخصية (٣/١٦١-١٦٢)، وانظر: نفس المرجع (٣/١٥٦).

(٢) مجموع مؤلفات الشيخ - أربع قواعد تدور الأحكام عليها (٣/١٠-١١)، وفتاوى ومسائل (٢/٢٠-٢١).

(٣) رد ابن عفالق على ابن معمر - صحيفة (٤٥ ب).

(٤) الصواعق والرعود - صحيفة (١٥٤ أ).



المبحث الأول: اهتمامه بالجماعة

المراد بالجماعة: "جماعة المسلمين، وهم الصحابة والتابعون لهم بإحسان إلى يوم الدين"^(١)، وقيل: "المراد لزوم الحق واتباعه، وإن كان المتمسك به قليلا، والمخالف له كثيرا؛ لأن الحق الذي كانت عليه الجماعة الأولى من النبي ﷺ وأصحابه، ولا نظر إلى كثرة أهل الباطل"^(٢).

وجاء عن ابن مسعود: "إنما الجماعة ما وافق طاعة الله وإن كنت وحدك"^(٣).

فالتمسك بمنهج أهل السنة، ولزوم الجماعة أمان من الفرقة والاختلاف؛ لأنه اتباع لأمر الله، وتطبيق لشعره ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾^(٤)، قال ابن كثير - رحمه الله - في قوله - تعالى - ﴿وَلَا تَفَرَّقُوا﴾: "أمرهم بالجماعة ونهاهم عن التفرقة"^(٥)، وقال - تعالى - : ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لِيُشِقَّاقٍ بَعِيدٍ﴾^(٦).

وقد حذر النبي ﷺ من الفرقة وحث على لزوم الجماعة، فقال: "من فارق الجماعة شبراً فمات؛ إلا مات ميتة جاهليّة"^(٧).

وقال ﷺ: "من أراد مجبوحة الجنة فعليه بالجماعة، فإن الشيطان مع الفذ"^(٨).

وعنه ﷺ قال: "يد الله مع الجماعة"^(٩).

(١) شرح العقيدة الطحاوية - ابن أبي العز (٥٤٤).

(٢) الباعث على إنكار البدع والحوادث - عبد الرحمن أبو شامة (٢٢).

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة - هبة الله اللالكائي (١٠٩/١).

(٤) سورة آل عمران آية رقم [١٠٣].

(٥) تفسير القرآن العظيم (٣٩٧/١).

(٦) سورة البقرة آية رقم [١٧٦].

(٧) رواه البخاري في صحيحه - كتاب الفتن - باب سترون بعدي أمورا تُنكرونها (٥٨٩) (٧٠٥٤)، ومسلم في صحيحه - كتاب الإمارة - باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن، وفي كل حال. وتحريم الخروج على الطاعة ومفارقة الجماعة (١٠١٠) (ح ١٨٤٩).

(٨) رواه الترمذي في جامع - كتاب الفتن - باب ما جاء في لزوم الجماعة (١٨٦٩) (ح ٢١٦٥)، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب، ورواه ابن أبي عاصم - كتاب السنة (٤٠/١)، والحديث صححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٣٢/٢)، وفي ظلال الجنة (٤٢)، وفي السلسلة الصحيحة (١/٢) (٧٩٢) (ح ٤٣٠).

(٩) رواه الترمذي في الجامع - كتاب الفتن - باب ماجاء في لزوم الجماعة (١٨٦٩) (ح ٢١٦٦)، وقال: هذا حديث حسن غريب، والحديث صححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٣٢/٢) (ح ١٧٦١)، وظلال الجنة (٤٠).

وروى ابن جرير بسنده عن ابن عباس - رضي الله عنهما - في قوله - تعالى - : ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا ﴾ قال: "أمر الله - جل ثناؤه - المؤمنين بالجماعة، فنهاهم عن الاختلاف والفرقة، وأخبرهم أنما هلك من كان قبلهم بالمرء والخصومات في دين الله" (١).

ومما يؤكد كذلك وجوب لزوم الجماعة وحرمة مفارقتها أن من عقيدة أهل السنة والجماعة أنهم يرون الصلاة والجهاد مع الأئمة وإن كانوا ظلمة فجرة، وذلك للحفاظ على الجماعة، يقول الإمام أبو إسماعيل الصابوني - رحمه الله - : "ويرى أصحاب الحديث الجمعة، والعيدين، وغيرهما من الصلوات خلف كل إمام مسلم؛ براءً كان أو فاجرًا، ويرون جهاد الكفرة معهم، وإن كانوا جوررة فجرة، ويرون الدعاء لهم بالإصلاح والتوفيق والصلاح" (٢).

وكان عبد الله بن عمر وأنس بن مالك - رضي الله عنهم - يصليان خلف الحجاج بن يوسف، وهو معروف بفسقه وظلمه.

وكان ابن مسعود - رضي الله عنه - يصلي خلف الوليد بن عقبة بن أبي معيط (٣) حين كان أميرًا بالكوفة وكان يشرب الخمر، وقد صلى الصبح أربعًا، ثم قال: أزيدكم؟! فقال له ابن مسعود: "ما زلنا معك منذ اليوم في زيادة" (٤).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : "ولهذا كان من أصول أهل السنة والجماعة لزوم الجماعة، وترك قتال الأئمة وترك القتال في الفتنة" (٥)، وهذا خلافاً لأهل الأهواء والمبتدعة.

وقال أيضاً: في أهمية ولاية أمر الناس، وأنه لا قيام للدين والدنيا إلا بها، وساق بعض النصوص في ذلك إلى أن قال: "ويقال: ستون سنة من إمام جائر أصلح من ليلة واحدة بلا سلطان، والتجربة تبين ذلك" (٦).

(١) جامع البيان (٣/٣٩).

(٢) عقيدة السلف وأصحاب الحديث (٢٩٤).

(٣) الوليد بن عقبة بن أبي معيط - أبان بن أبي عمرو - الأموي، أخو عثمان بن عفان لأمه، قُتل أبوه في بدر، أسلم يوم الفتح، كان شجاعاً كريماً، ولي الكوفة لعثمان - رضي الله عنهما - وقصته في صلاة الفجر مشهورة، توفي بالرقعة في ولاية معاوية - رضي الله عنه - . انظر: سير أعلام النبلاء (٣/٤١٢ - ٤١٦)، والبداية والنهاية - ابن كثير (٨/٢١٤)، والإصابة في تمييز الصحابة - أحمد بن حجر (٦/٣٢١ - ٣٢٢).

(٤) شرح العقيدة الطحاوية - ابن أبي العز (٥٣٠ - ٥٣٢).

(٥) مجموع الفتاوى (٨/١٢٨).

(٦) المرجع السابق (٢٨/٣٩١).



إن العلاقة في منهج الإسلام بين توحيد الله ووحدة الجماعة وثيقة جدًا ﴿وَأَعْتَصِمُوا﴾^(١) بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴿١٠٣﴾^(٢)، ولأهمية هذه المسألة فقد ظهرت بجلاء عند أئمة الإسلام، وظهر ذلك واضحًا لدى شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - فما أكثر ما كان يقول في كل مجلس حوار ومناقشة: "إن الله - تعالى - أمرنا بالجماعة والائتلاف، ونهى عن الفرقة والاختلاف، وربنا واحد، ورسولنا واحد، وكتابتنا واحد، وأصول الدين ليس بين السلف وأئمة الإسلام فيها خلاف، ولا يحل فيها الافتراق، لأن الله - تعالى - يقول: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾^(٣) ﴿١٠٣﴾^(٤)، ويقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾^(٥) ﴿١٥٩﴾^(٦).

ويقول: "الله أمر بالجماعة والائتلاف ونهى عن البدعة والاختلاف... فالواجب على المسلم إذا صار في مدينة من مدائن المسلمين أن يصلي معهم الجمعة والجماعة، ويوالي المؤمنين ولا يعاديهم، وإن رأى بعضهم ضالًا أو غاويًا، وأمكن أن يهديه ويرشده فعل ذلك، وإلا فلا يكلف الله نفسًا إلا وسعها"^(٥)؛ إذ إنه لا منافاة بين السمع والطاعة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، فلكل منهما بابه وضوابطه؛ لما يترتب على ذلك من فساد مصالح الدين والدنيا معًا؛ كما هي حال كثير من بلاد المسلمين زمن الإمام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - وبعد زمنه، والواقع المعاصر أكثر برهانًا على ذلك^(٦).

ومما سبق يتضح بجلاء ما يُبين ويُؤكد أهمية الجماعة، ولزومها، وأثرها في العاجل والآجل على الأمة، لكونها سببًا من أسباب العزة والكرامة، وتُحذر من الفرقة والاختلاف؛ لما لهما من أثر مباشر على حاضر الأمة ومستقبلها دنيا ودين.

(١) سورة آل عمران آية رقم [١٠٣].

(٢) سورة آل عمران آية رقم [١٠٣].

(٣) سورة الأنعام آية رقم [١٥٩].

(٤) مجموع الفتاوى - ابن تيمية (٣/٢٠٥).

(٥) المرجع السابق (٣/٢٨٥-٢٨٦).

(٦) انظر: في باب لزوم الجماعة: الأحاديث الواردة في لزوم الجماعة - حافظ بن محمد الحكمي - مجلة البحوث العلمية -

الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد العدد (٢٢٣/٧٦-٣٠٤)، وعقيدة الإمام محمد

بن عبد الوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي - صالح العبود (١/٣٦١-٣٦٦).

وهذا هو ما دفع الإمام- رحمه الله- إلى الاهتمام بالجماعة والحرص عليها، وتوثيق عُرى الألفة والمحبة، والدعوة إلى ذلك والمناداة به، وتحذيره من الفرقة، ونبذته للخلاف، بل وحذر من أسبابه ودواعيه وموجباته^(١).

والإمام- رحمه الله- إنما دعا إلى ما في الوحيين من أمر ونهي، ولم يأت بحادث مُبتدع؛ لذا فإنه حرص حرصاً بالغاً على هذا الأصل العظيم، وبين نصوصه بياناً شافياً، ويتجلى هذا فيما سطره في إحدى رسائله، والتي يقول فيها: "... بعض أهل الدين يُنكر منكرًا وهو مصيب، لكن يخطئ في تغليظ الأمر إلى شيء يوجب الفرقة بين الإخوان، وقد قال الله- تعالى:- ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنقُوا اللَّهَ حَقَّ نُقَاهِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴿١٠٣﴾﴾"^(٢)، وقال ﷺ: "إن الله يرضى لكم ثلاثًا: أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولّاه الله أمركم"^(٣)^(٤).

وقد علق الإمام- رحمه الله- على هذا الحديث بقوله: "ولم يقع خلل في دين الناس وديناهم إلا بسبب الإخلال بهذه الثلاث أو بعضها"^(٥).

وحتى لا تختلط المفاهيم عند الأتباع، فإن الإمام- رحمه الله- يستغل الوقائع والأحداث للتصحيح، وما ينبغي فعله وتوحيه حتى لا يقع الخلل في أصل أعظم من الحادث، فيقول في إحدى رسائله: "...وأيضًا يذكر العلماء أن إنكار المنكر إذا صار يحصل بسببه افتراق لم يجز إنكاره، فالله الله في العمل بما ذكرت لكم والتفقه فيه، فإنكم إن لم تفعلوا صار إنكاركم مضرة على الدين، والمسلم ما يسعى إلا في صلاح دينه وديناه؛ وسبب هذه المقالة التي وقعت بين أهل الحوطة لو صار أهل الدين واجبًا عليهم إنكار المنكر، فلما غلظوا الكلام صار فيه اختلاف بين أهل الدين، فصار فيه مضرة على الدين والدنيا، وهذا الكلام وإن كان قصيرًا

(١) انظر: المستطاب في أسباب نجاح دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب- رحمه الله- عبد الرحمن الرحمة (٤٤).

(٢) سورة آل عمران آية رقم [١٠٢-١٠٣].

(٣) سبق تخريجه.

(٤) مجموع مؤلفات الشيخ- الرسائل الشخصية (٣/١٦١).

(٥) المرجع السابق- مسائل الجاهلية (٦/٢٢٩).



فمعناه طويل فلازم تأملوه وتفقهوا فيه، واعملوا به فإن عملتم به صار نصراً للدين، واستقام الأمر إن شاء الله" (١).

ولا اهتمام الإمام - رحمه الله - بالجماعة فقد بوب في كتابه الكبائر باباً بعنوان: باب: الخروج عن الجماعة، وذكر فيه النصوص الآمرة بالجماعة والمحدرة والمنفرة عن الفرقة والاختلاف (٢).

ويحشد - رحمه الله - في مسائل الجاهلية (٣) النصوص الزاجرة، و المرغبة في هذا الأصل، فيقول: "الثانية: أنهم متفرقون في دينهم، كما قال - تعالى - ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ (٣٢) (٤)، وكذلك في دنياهم، ويرون ذلك هو الصواب، فأتى بالاجتماع في الدين بقوله: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ (١٣) (٥)، وقال - تعالى -: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ (١٥٩) (٦)، ونحانا عن مشابعتهم بقوله: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ (١٠٥) (٧)، ونحانا عن التفرق في الدنيا بقوله: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ (١٠٣) (٨) ."

وقال - رحمه الله - أيضاً: "بعث الله محمداً ﷺ إلى ذي أهواء متفرقة، وقلوب متشتتة، فألف الله به بين القلوب، وجمع به الشمل، ثم إنه - سبحانه - بين أن هذا الأصل وهو الجماعة عماد لدينه، فقال: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُونُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١٠٤)

(١) المرجع السابق - الرسائل الشخصية (٣/١٦١، ١٦٢).

(٢) انظر: المرجع السابق (٦/٢٩٩).

(٣) المرجع السابق (٦/٢٢٩).

(٤) سورة المؤمنون آية رقم [٥٣]، وسورة الروم آية رقم [٣٢].

(٥) سورة الشورى آية رقم [١٣].

(٦) سورة الأنعام آية رقم [١٥٩].

(٧) سورة آل عمران آية رقم [١٠٥].

(٨) سورة آل عمران من الآية [١٠٣].

وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴿١٠٣﴾^(١) إلى قوله: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا ﴿١٠٥﴾﴾^(٢) إلى قوله: ﴿خَالِدُونَ ﴿١٠٧﴾﴾^(٣) ... وفي الآية الأخرى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسَتْ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ﴿١٥٩﴾﴾^(٤) فبرأ الله نبيه منهم.

وقد كره ﷺ من المجادلة ما يفضي إلى الاختلاف والتفرق، فخرج على قوم من أصحابه وهم يتجادلون في القدر فكأتما فقي في وجهه حب الرمان وقال: "أبهذا أمرتم أم إلى هذا دعيتم؟..."^(٥).

ثم ذكر ثلاثا وسبعين فرقة^(٦)، ثم قال في وصف الفرقة الناجية بأنهم المستمسكون بسنته وأنهم هم الجماعة^(٧).

ويؤيّن - رحمه الله - أن الاجتماع على الهدى فيه صلاح الدنيا والدين، فيقول: "ولا تتم المصلحة في الدين والدنيا إلا بالاجتماع، وإذا اجتمعوا فلا بدّ من أمور يفعلونها لمصلحتهم، وأمور يجتنبونها لدفع المفسدة، ويكونون مطيعين للأمر بها والنهي عنها"^(٨).

ولا شك أن هذا له انعكاسه المباشر على الأمن بشتى صورته، وأولها وأهمها الأمن الفكري، الذي هو مصدر للفعل ومنشؤه.

ومن مسائله - رحمه الله - على قوله - تعالى -: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾﴾^(٩).

(١) سورة آل عمران آية رقم [١٠٢-١٠٣].

(٢) سورة آل عمران آية رقم [١٠٥].

(٣) سورة آل عمران الآيات [١٠٢-١٠٧].

(٤) سورة آل عمران آية رقم [١٠٥].

(٥) سبق تخريجه.

(٦) سبق تخريجه.

(٧) مجموع مؤلفات الشيخ - مسائل لخصها الإمام محمد بن عبد الوهاب من كلام ابن تيمية (١٠/٢).

(٨) المرجع السابق - (٢٤/٢).

(٩) سورة المؤمنون آية رقم [٥١-٥٣].



"السابعة: المسألة العظيمة التي سيق الكلام لأجلها، وهي فرض الاجتماع في المذهب، وتحريم الافتراق: فإذا فرضه على الأنبياء مع اختلاف الأزمنة والأمكنة، فكيف بأمة واحدة، ونبينا واحداً، وكتابها ودينها واحداً؟.

الثامنة: ذكره - سبحانه - فعلهم الذي صدر عنهم بعدما عرفوا الوصية العظيمة بالاجتماع، والنهي عن الافتراق، وأنهم تقطعوا أمرهم بينهم زبراً، كل حزب بما لديهم فرحون، فذكر أنهم قابلوا الوصية بعدما سمعوها بما يضادها غاية المضادة، وهو أنهم تركوا الاجتماع وتفرقوا، ثم بعد ذلك كل فرقة صنفت لها كتبها غير كتب الآخرين، ثم كل فرقة فرحت بما تركت من الهدى، وفرحت بما ابتدعته من الضلال كما قال الشاعر:

حَلَفْتُ لَنَا أَنْ لَا تَخُونُ عَهودَهَا فَكأنها حلفت لنا أن لا تفي^(١)^(٢)

وقال - رحمه الله -:"الأصل الثاني: أمر الله بالاجتماع في الدين، ونهى عن التفرق فيه؛ فبين الله هذا بياناً شافياً تفهمه العوام، ونهانا أن نكون كالذين تفرقوا واختلفوا قبلنا فهلكوا، وذكر أنه أمر المسلمين بالاجتماع في الدين، ونهاهم عن التفرق فيه، ويزيده وضوحاً ما وردت به السنة من العجب العجاب في ذلك، ثم صار الأمر إلى أن الافتراق في أصول الدين وفروعه هو العلم والفقهاء في الدين، وصار الأمر بالاجتماع في الدين لا يقوله إلا زنديق أو مجنون"^(٣).

ويُشجع الإمام - رحمه الله - أتباعه، ويُكبر فيهم تمسكهم بهذا الأصل، والاجتماع عليه، فيقول في إحدى رسائله، مُبدئاً سروره بعاجل بُشراه بما تحقق من ثمار دعوته، وهو الاجتماع على الحق ونبذ الفرقة والاختلاف: "وسرنا والحمد لله ما بلغنا عنكم من الأخبار من الاجتماع على الحق، والاتباع لدين محمد ﷺ، وهذا هو أعظم النعم المجموع لصاحبه بين خيرى الدنيا والآخرة، عسى الله أن يوفقنا وإياكم لذلك، ويرزقنا الثبات عليه"^(٤).

وعلى منهج الإمام - رحمه الله - سار تلاميذه وأتباع دعوته، ففي رسالة لعبد اللطيف بن عبد الرحمن (١٢٩٣هـ) لبعض أتباع الدعوة: "فأوصيكم بتقوى الله وطاعته، والاعتصام بجله،

(١) البيت ذكره ابن القيم في بدائع الفوائد (٢٠٩/٣).

(٢) مجموع مؤلفات الشيخ - تفسير آيات من القرآن الكريم (٢٠٣/٢-٢٠٤).

(٣) المرجع السابق - ستة أصول عظيمة مفيدة (٢٦٤/٦).

(٤) المرجع السابق - الرسائل الشخصية (١٦٧/٣).

وترك التفرق والاختلاف، ولزوم جماعة المسلمين، فقد قامت الحجة بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وعرفتم أنه لا إسلام إلا بجماعة، ولا جماعة إلا بإمارة، ولا إمارة إلا بطاعة، وقد أناخ بساحتكم من الفتن والمحن، ما لا نشكوه إلا إلى الله...، فالحذر الحذر، مما يهدم الإسلام ويقلع أساسه... وكذلك الفتنة بالبغية والمحاريين، توجب من الاختلاف والتفرق والبغضاء، وسفك الدماء ونهب الأموال، وترك أوامر الله ورسوله، والإفساد في الأرض، ما لا يحصيه إلا الله؛ وذلك مما لا يستقيم معه إسلام، ولا يحصل بملاسته من الإيمان ما ينجي العبد من غضب الله وسخطه، وهذه الحالة وتلك الطريقة، بها ذهاب الإسلام وأهله، وتسلط أعداء الله، وتمكنهم من بلاد الإسلام، وهدم بنيانه والأعلام، فكيف يسعى فيها من يؤمن بالله واليوم الآخر، ويؤمن بالجنة والنار، ويخاف سوء الحساب؟!^(١).

ولم يقتصر هذا المنهج على أئمة الدين، والعلماء، بل كان منهجًا للأئمة من آل سعود أنصار الدعوة وأتباعها، ففي رسالة ليفصل بن تركي، إلى من يصل إليه هذا الكتاب من جماعة المسلمين يقول فيها بعد الوصية بتقوى الله، وسرد الآيات الدالة على ذلك، وبيان منزلة القرآن والحث على التمسك به، وعظم التوحيد وفضله: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾^(٢)، فأمر بالاجتماع على ذلك، ونهى عن التفرق؛ لما في الاجتماع من صلاح الدين والدنيا، وبالاجتماع على الإسلام، تحصل الألفة والعافية، والأمن والراحة، فإذا كان ذلك على طاعته، والعمل بكتابه، تمت النعمة^(٣).

فليس بعد بيان الإمام - رحمه الله - وأتباعه من بيان، فمصلحة الجماعة، والاجتماع على الحق فيه خيرى الدنيا والآخرة، فيها ينضبط الفكر وتستقر الشريعة وينعم الناس بالحياة الهانئة؛ ولذا "يأمر الإسلام بلزوم جماعة المسلمين، ويدعو إلى نبذ النزعات الطائفية، والمذهبية، والإقليمية، والعصبية التي تؤدي إلى الفرقة وإثارة الفتنة؛ فهي وما يؤدي إليها وما ينتج منها معاول هدم للأمن الفكري والاجتماعي والسياسي"^(٤).

(١) الدرر السنية في الأحوية النجدية - جمع: عبد الرحمن بن قاسم (٢٣/٩-٢٥)

(٢) سورة آل عمران من الآية [١٠٣].

(٣) المرجع السابق (١٥٧/١٤).

(٤) الأمن الفكري مفهومه وأهميته ومتطلبات تحقيقه - عبد الحفيظ المالكي (٤٨) مجلة البحوث الأمنية العدد (٤٣)

شعبان (١٤٣٠هـ).



المبحث الثاني: تعامله مع الولاة

الولاة جمع والٍ، قال ابن فارس: "الواو واللام والياء: أصلٌ صحيح يدل على القرب...، وكل من تولى أمر آخر فهو وليه" (١).

والولاية بالكسر: الإمارة، والتّقابة (٢).

وشرعاً هم: "الولاة على الناس، من الأمراء والحكام" (٣).

إن كل مجتمع من المجتمعات بحاجة إلى قائد وسائس، يرمى أمورهم العامة، وينظم شؤون حياتهم، ويقيم بينهم العدل، ويقوم على حمايتهم من ظلمهم لبعضهم، ومن أن يُعتدى عليهم من خارجهم، فحقيقة حياة البشر تقوم على الاجتماع، و"إذا اجتمعوا دعت الضرورة إلى المعاملة، واقتضاء الحاجات، ومد كل واحد منهم يده إلى حاجته يأخذها من صاحبه؛ لما في الطبيعة الحيوانية من الظلم، والعدوان بعضهم على بعض، ويمانه الآخر عنها بمقتضى الغضب، والأنفة ومقتضى القوة البشرية في ذلك، فيقع التنازع المفضي إلى المقاتلة، وهي تؤدي إلى الهرج وسفك الدماء، وإذهاب النفوس المفضي ذلك إلى انقطاع النوع، وهو مما خصه البارئ - سبحانه - بالمحافظة، فاستحال بقاؤهم فوضى دون حاكم يزع بعضهم عن بعض، واحتاجوا من أجل ذلك إلى الوازع وهو الحاكم عليهم" (٤).

ونظراً لأهمية الحاكم ووجوده في الإسلام فقد حثت عليه الشريعة وأمرت بتنصيبه وطاعته،

قال - تعالى -: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۗ﴾ (٥)، قال القرطبي - رحمه الله -: "هذه الآية أصل في نصب إمام وخليفة يُسمع له ويُطاع؛ لتجتمع به الكلمة، وتنفذ به أحكام الخليفة، ولا خلاف في وجوب ذلك بين الأمة ولا بين الأئمة" (٦).

(١) معجم مقاييس اللغة (٩٦٧).

(٢) انظر: لسان العرب - ابن منظور (٤٠١/١٥).

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - عبدالرحمن السعدي (١٦٤/١).

(٤) مقدمة ابن خلدون - عبد الرحمن بن خلدون (١٨٧).

(٥) سورة البقرة آية رقم [٣٠].

(٦) تفسير القرطبي (٢٦٤/١).

وفي الحديث عنه ﷺ قال: "ولا يحل لثلاثة نفر يكونون بأرض فلاة إلا أمروا عليهم أحدهم"^(١)، قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - في تعليقه على الحديث: "فأوجب تأمير الواحد في الاجتماع القليل العارض في السفر، تنبيهها بذلك على سائر أنواع الاجتماع؛ ولأن الله - تعالى - أوجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا يتم ذلك إلا بقوة وإمارة، وكذلك سائر ما أوجبه من الجهاد، والعدل، وإقامة الحج، والجمع، والأعياد، ونصر المظلوم، وإقامة الحدود، لا تتم إلا بالقوة والإمارة"^(٢).

وفي قوله - تعالى -: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾^(٣) وفي هذا تنبيه على فضيلة الملك، وأنه لولاه ما أستتب أمر العالم ولهذا قيل: الدين والملك توأمان، ففي ارتفاع أحدهما ارتفاع الآخر؛ لأن الدين أس والملك حارس، وما لا أس له فمهدوم، وما لا حارس له فضائع"^(٤).

ولهذا اهتم الإمام - رحمه الله - بهذا المقوم وجعله من أهم ركائز دعوته، وسعى سعيًا حثيثًا في البحث عن إمام يقيم دين الله في أرضه، وينصر شريعته، ثم قام بترسيخ طاعة السلطان في نفوس أتباع دعوته استجابة لأمر الله، وأمر رسوله ﷺ.

ولم يكن للشيخ - رحمه الله - من تأكيد هذا الأصل أطماعٌ مادية ولا سياسية؛ وإنما عملاً بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، وتسليمًا للنصوص الواردة في ذلك، فمنها قوله - تعالى -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^(٥)، وأولو الأمر عند الجمهور هم الأمراء^(٦)؛ فيسمع لهم ويُطاع فيما يأمر به بما ليس معصية لله - عزَّ وجلَّ -.

(١) رواه الإمام أحمد - المسند (٥٣٠) (ح ٦٦٤٧)، قال في مجمع الزوائد - علي الهيثمي (٣٧٨/٧) رواه أحمد وفيه ابن لهيعة وهو لين، وبقية رجاله رجال الصحيح، والحديث صححه أحمد شاكر في شرحه للمسند (١٣١/١٠).

(٢) الفتاوى (٣٩٠/٢٨).

(٣) سورة البقرة آية رقم [٢٥١].

(٤) روح المعاني - للألوسي (١٧٤/٢).

(٥) سورة النساء آية رقم [٥٩].

(٦) تفسير القرطبي (٢٥٩/٥).



ويدلُّ لطاعة الأُمراء قوله ﷺ: "على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحبَّ وكرِهَ ما لم يُؤمَّر بمعصية، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة"^(١).

وقال أبو ذر- رضي الله عنه-: "إنَّ خليلي أوصاني أن أسمع وأطيع، وإن كان عبدًا مُجَدَّعَ الأطراف"^(٢).

وفي الأثر: "لا يزالُ الناس بخيرٍ ما عظموا السلطان والعلماء، فإذا عظموا هذين أصلح الله دنياهم وأخراهم، وإذا استخفوا بهذين أفسد دنياهم وأخراهم"^(٣).

ومن الحقوق العظيمة لولي الأمر التي قررها الإمام- رحمه الله- وأصلها في مسائله أنه لا ينبغي أن يُتكلَّم في الإمام بلا علم ولا عدل، يقول- رحمه الله-: "إذا تُكَلِّمَ فيمن دون الصحابة كالمملوك المختلفين، وجب أن يكون الكلام بعلم وعدل، فإن العدل واجب لكل أحد على كل أحد في كل حال، والظلم محرم مطلقًا لا يُباح بحال، قال- تعالى-: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَيْكُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا﴾"^(٤)، وهذه الآية نزلت بسبب بغضهم للكفار، وهو بغض مأمور به، فإذا كان هذا قد تُهيَّي صاحبه أن يظلم من أبغضه، فكيف في بغض مسلم بتأويل أو شبهة أو هوى؟، والعدل مما اتفق أهل الأرض على مدحه، والظلم مما اتفقوا على ذمِّه، والله أرسل الرسل ليقوم الناس بالقسط"^(٥).

ويظهر منهج الإمام- رحمه الله- في التعامل مع الولاة في كتاباته، والتي تتجلى فيها المصالح المترتبة على الطاعة، أو عكس ذلك، فمن ذلك:

(١) رواه البخاري في صحيحه - كتاب الأحكام - باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية (٥٩٥) (ح ٧١٤٢)،
ومسلم في صحيحه - كتاب الإمارة - باب وجوب طاعة الأُمراء في غير معصية، وتحريمها في المعصية- (١٠٠٨) (ح ١٨٣٩).

(٢) رواه مسلم في صحيحه- كتاب الإمارة - باب وجوب طاعة الأُمراء في غير معصية، وتحريمها في المعصية- (١٠٠٨) (ح ١٨٣٧).

(٣) تفسير القرطبي (٢٦٠/٥).

(٤) سورة المائدة آية رقم [٨].

(٥) مجموع مؤلفات الشيخ - هذه مسائل (٣٠/٢).

١- بوب- رحمه الله- في كتاب الكبائر^(١) بابًا بعنوان: باب: طاعة الأمراء، وساق النصوص الدالة على تبويبه.

٢- ذكر الإمام في مسائل الجاهلية^(٢) أنهم عدوا السمع والطاعة مهانة، وعدم الانقياد كرامة، فقال "الثالثة: أن مخالفة ولي الأمر وعدم الانقياد له فضيلة، والسمع والطاعة ذل ومهانة، فحالفهم رسول الله ﷺ، وأمر بالصبر على جور الولاة، وأمر بالسمع والطاعة لهم والنصيحة، وغلظ في ذلك، وأبدأ فيه وأعاد، وهذه الثلاث التي جمع بينها فيما ذكر عنه ﷺ في الصحيحين أنه قال: "إن الله يرضى لكم ثلاثاً: ألا تعبدوا إلا الله، ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولاه أمركم"^(٣)، ولم يقع خلل في دين الناس ودنياهم إلا بسبب الإخلال بهذه الثلاث أو بعضها".

٣- وقال- رحمه الله- في ستة أصول عظيمة مفيدة^(٤): "الأصل الثالث: أن من تمام الاجتماع السمع والطاعة لمن تأمر علينا، ولو كان عبداً حبشياً، فبين النبي ﷺ هذا بياناً شائعاً ذائعاً بكل أنواع البيان شرعاً وقدرًا، ثم صار هذا الأصل لا يعرف عند أكثر من يدعي العلم فكيف العمل به؟".

٤- ومنه قوله: "وأرى وجوب السمع والطاعة لأئمة المسلمين برّهم وفاجرهم، ما لم يأمروا بمعصية الله، ومن ولي الخلافة واجتمع عليه الناس ورضوا به وغلبهم بسيفه حتى صار خليفة وجبت طاعته، وحرّم الخروج عليه"^(٥).

٥- ويقول أيضاً: "وأرى الجهاد ماضياً، مع كل إمام برّاً أو فاجرًا، وصلاة الجماعة خلفهم جائزة"^(٦).

ومما لخصه عن ابن تيمية- رحمه الله-: "مذهب أهل السنة أن الأمراء الظلمة مشاركون فيما يحتاج إليهم فيه من طاعة الله فيصلى خلفهم، ويجاهد معهم، ويستعان بهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن حكم منهم بعدل نفذ حكمه، وإن أمكن تولية برّ، لم يجوز

(١) مجموع مؤلفات الشيخ (٢٩٩/٦).

(٢) مجموع مؤلفات الشيخ (٢٢٩/٦).

(٣) سبق تخريجه.

(٤) مجموع مؤلفات الشيخ (٢٦٤/٦).

(٥) المرجع السابق- الرسائل الشخصية (٧/٣).

(٦) المرجع السابق (٧/٣).



تولية فاجر، فيجتهدون في الطاعة بحسب الإمكان، كما قال الله: ﴿فَأَنْقُوا اللَّهَ مَا أَسْتَطَعْتُمْ﴾^(١)، ويعلمون أن الله بعث محمداً ﷺ بصلاح العباد، فإذا اجتمع صلاح وفساد رجحوا الراجح منهما، وقلَّ من خرج على سلطان إلا كان ما تولد عن فعله من الشر أعظم من الخير، فلا أقاموا ديناً ولا أبقوا ديناً، وإن كان فيهم خلق من أهل العلم والدين، وهذا مما يبين أن ما أمر به ﷺ من الصبر على جور الأئمة هو الأصلاح، فالشارع أمر كلاهما هو أصلح له وللمسلمين، فأمر الولاية بالعدل والنصح لرعيتهما، وأمر بالصبر على استيثارهم وعدم منازعتهم الأمر، والفتن في كل زمان بحسب رجاله، والفتنة تمنع معرفة الحق وقصده والقدرة عليه، ففيهما من الشبهات ما يلبس الحق بالباطل، حتى لا يتميز لكثير من الناس، ومن الشهوات ما يمنع قصد الحق، ومن قوة الشر ما يضعف القدرة على الخير، ولهذا يقال: فتنة عمياً صماً^(٢).

أما عن مواقف الإمام العمليَّة مع ولاية الأمر فمنها ما يلي:

١ - "لما انتقل الإمام محمد بن عبد الوهاب إلى الدرعية استقبله أميرها محمد بن سعود، فعرض عليه الإمام أصول دعوته، مبيِّناً له المعنى الصحيح لكلمة التوحيد: لا إله إلا الله، وآفاق وظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومعنى الجهاد، ثم ذكر بعض المساوئ الموجودة في أهل نجد، ولفت نظره إلى مسؤوليته أمام الله في إصلاحها، فما كان إلا أن تأثر الأمير، ونطق قائلاً: يا شيخ إن هذا دين الله ورسوله الذي لا شك فيه، وأبشر بالنصرة لك ولما أمرت به، والجهاد لمن خالف التوحيد، ولكن أريد أن أشترط عليك اثنتين:

— نحن إذا قمنا بنصرتك، والجهاد في سبيل الله، وفتح الله لنا ولك البلدان، أخاف أن ترحل عنا، وتستبدل بنا غيرنا.

— إن لي على الدرعية قانوناً آخذة منهم في وقت الثمار، أخاف أن تقول: لا تأخذ منهم شيئاً، قال الإمام: أما الأولى: فابسط يدك، الدم بالدم، والهدم بالهدم.

وأما الثانية: فلعل الله يفتح لك الفتوحات، فيعوضك الله من الغنائم ما هو خير منها^(٣).

(١) سورة التغابن آية رقم [١٦].

(٢) مجموع مؤلفات الشيخ - هذه مسائل (٢/٢٩).

(٣) تأملات في دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب - عبد الله التركي (٩٤، ٩٥).

٢- لقد كان في العينة الكثير من مظاهر الشرك كالقباب، والأشجار والأوثان التي تُعظّم من دون الله، فطلب الإمام من أمير العينة إزالة هذه الشراكيات، فاستجاب له الأمير وأزالها^(١).

ولذا اهتم الإمام- رحمه الله- بالبحث عن ولي أمر للمسلمين، تُطبق تحت إمرته شريعة الله، مما يُسهم في تحقيق مصالح الدنيا والآخرة؛ إذ إنه لا قيام للدين ولا للدنيا إلا بإمام.

ومن فقه الإمام- رحمه الله- أنه لم يبدأ التطبيق العملي لدعوته إلا تحت إمرة أمير، فلم يقم الحدود، ولم يزل مظاهر الشرك والكفر بالله، ولم يقم الجهاد إلا تحت راية أمير وولي أمر، وفي تلخيص الإمام- رحمه الله- في مسائله عن ابن تيمية- رحمه الله- يقول: "جميع الولايات مقصودها أن يكون الدين كله لله؛ فإنه- سبحانه- إنما خلق الخلق لذلك، وذلك هو الخير، والبر، والتقوى، والحسنات، والقربات، والباقيات الصالحات، والعمل الصالح، وإن كان بين هذه الأسماء فروق لطيفة، ولا تتم المصلحة في الدين والدنيا إلا بالاجتماع، وإذا اجتمعوا فلا بدّ من أمور يفعلونها لمصلحتهم، وأمور يجتنونها لدفع المفسدة، ويكونون مطيعين للأمر بها والنهي عنها، فلا بد من أمر وناه، وإذا كان لا بدّ من ذلك فدخل المرء تحت طاعة الله ورسوله الذي يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر، ويحل لها الطيبات، ويحرم عليهم الخبائث خير له، وأخبر أنه أنزل الكتاب بالحق والميزان وأنزل الحديد ليقوم الناس بالقسط، ولهذا أمر ﷺ أمته بتولية ولاية الأمور عليهم، وأمر ولاة الأمور أن يؤدوا الأمانة، وأن يحكموا بالعدل، وأمر بطاعتهم"^(٢).

وهذا يتجلى أن تحقيق هذا الأصل من عقيدة أهل السنة والجماعة، يقي الفكر من الانحراف، والذي بتحقيقه يتحقق الأمن الفكري، والاجتماعي والوطني^(٣).

"إن طاعة ولاة الأمر من الأمراء والعلماء... هو السبيل لتحقيق أمن الجماعة بجميع فروعه، وعلى رأسه تحقيق الأمن الفكري للفرد والمجتمع.

وتحقيق وحدة الأمة واستقرار الدولة، وتفرغها لأداء واجباتها في الإعمار والبناء والنماء"^(٤).

(١) انظر: الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب ومنهجه في مباحث العقيدة - آمنة نصير (٩٤).

(٢) مجموع مؤلفات الشيخ- هذه مسائل (٢٤/٢).

(٣) انظر: الأمن الفكري مفهومه وأهميته ومتطلبات تحقيقه - عبد الحفيظ المالكي (٥١) مجلة البحوث الأمنية العدد (٤٣)

شعبان (١٤٣٠هـ)، والأمن الفكري في ضوء مقاصد الشريعة - صالح الحميد (٣٧).

(٤) الأمن الفكري - الشريعة ودورها في تعزيز الأمن الفكري - عبد الرحمن السديس (٣١).



المبحث الثالث: موقفه من العلماء

للعلماء اعتبار في الشريعة ومنزلة رفيعة في الدين لم ينلها غيرهم من الناس؛ كيف لا وهم ورثة الأنبياء، والأدلاء على الله - تعالى -، وهم الموقعون عنه - سبحانه -؟! وقد أوجب على الناس الرجوع إليهم وسؤالهم عما أشكل، قال تعالى: ﴿ فَسَأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾^(١).

"وعموم هذه الآية فيها مدح أهل العلم، وأن أعلى أنواعه العلم بكتاب الله المنزل، فإن الله أمر من لا يعلم بالرجوع إليهم في جميع الحوادث، وفي ضمنه تعديل لأهل العلم وتزكية لهم حيث أمر بسؤالهم، وأن بذلك يخرج الجاهل من التبعة"^(٢).

ومن الأدلة على فضل العلماء وعلو منزلتهم: أن الله - سبحانه - عظم قدرهم، فأشهدهم دون غيرهم على أعظم مشهود، قال - تعالى -: ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾^(٣).

"في هذه الآية دليل على فضل العلم، وشرف العلماء وفضلهم، فإنه لو كان أحد أشرف من العلماء لقرنهم الله باسمه واسم ملائكته كما قرن اسم العلماء، وقال في شرف العلم لنبيه ﷺ: ﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾^(٤) فلو كان شيء أشرف من العلم لأمر الله - تعالى - نبيه ﷺ أن يسأله المزيد منه، كما أمر أن يستزيده من العلم... وهذا شرف للعلماء عظيم، ومحل لهم في الدين خطير"^(٥).

وفي مقام المقارنة ينفي - سبحانه - التسوية بين العلماء وغيرهم، قال تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾^(٦).

(١) سورة النحل آية رقم [٤٣] وسورة الأنبياء آية رقم [٧].

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - عبد الرحمن بن سعدي (٤٤١).

(٣) سورة آل عمران آية رقم [١٨].

(٤) سورة طه آية رقم [١١٤].

(٥) تفسير القرطبي (٤١/٤).

(٦) سورة المجادلة آية رقم [٩].

ف"يرفع الله الذين أوتوا العلم من أهل الإيمان، على المؤمنين الذين لم يؤتوا العلم بفضل علمهم درجات، إذا عملوا بما أمروا به"^(١).

والأدلة التي تُبين فضل العلماء وقدرهم وعظم منزلتهم كثيرة يطول المقام بذكرها^(٢).

ومن القواعد التي ينبغي أن تراعى في التعامل مع أهل العلم: مواليتهم ومحبتهم، واحترامهم وتقديرهم، والأخذ عنهم، والسعي إليهم، والرجوع إليهم، والصدور عن رأيهم خاصة في زمن الفتن، ورعاية مراتبهم ودرجاتهم، والحذر من القدح فيهم، وتخطئتهم بغير علم، والتماس العذر لهم، وكل هذا يدل على الموقف الذي ينبغي أن يُسلك تجاه أهل العلم^(٣).

ولقد قدر الإمام - رحمه الله - للعلماء قدرهم، وأنزلهم منزلتهم اللائقة بهم سواء كانوا من السابقين أو المعاصرين، من الموافقين أو المخالفين، لا كما يزعم خصوم الإمام - رحمه الله - أنه ليس له شيخ ولا إمام، ولم يأخذ عن العلماء بل يسبهم ويتنقصهم^(٤)، ولا كما يقول بن داود عن الإمام - رحمه الله -: "وهذا المغرور متكبر متجبر مجبول على الجهل، وعلى مسبة العلماء والمشايخ، وإذا أتاه إنسان يُريد أن يدخل في دينه، لا يتم له الدخول فيه حتى يبدو بلعن المشايخ وتكفيرهم"^(٥)، بل يزعم أن الإمام - رحمه الله - يتنقص الإمام أبا حنيفة، ويكفر غيره من العلماء بقوله: "ليس أبو حنيفة على شيء، وقوله: من لم يكفر العلماء، فهو أكفر من فرعون"^(٦)، ويزعم أن الإمام - رحمه الله - قال عن السيوطي: "رجل تفل الشيطان في فيه"^(٧)، ويزعم أن الإمام بيغضه لأجل تأليفه في العلوم الشرعيّة، وقال عن البخاري: "كذب البخاري في الصحيح خمس عشرة كذبة"^(٨)، وقال في الشيخ منصور البهوتي "وهذا البهوت لا البهوتي؛ لأنه كذب في شرح المنتهى ثمانين كذبة"^(٩)، ويتضح تبجيل الإمام - رحمه الله - للعلماء من الآتي:

(١) تفسير الطبري - (١٩/١٤).

(٢) انظر: قواعد في التعامل مع العلماء - عبد الرحمن اللويحق (٤٣ - ٦٢).

(٣) انظر: قواعد في التعامل مع العلماء - عبد الرحمن اللويحق (٧٥ - ١٨٤)، وإسلاميّة لا وهابيّة - ناصر العقل (١٠١).

(٤) انظر: الصواعق والرعود - عبد الله بن داود - صحيفة (٤٦-٤٦ ب).

(٥) المرجع السابق - صحيفة (٤٨-٤٨ ب).

(٦) المرجع السابق - صحيفة (٦٢)، وانظر: صحيفة (٨٢).

(٧) المرجع السابق - صحيفة (١١١)، وصحيفة (١٣٥ ب).

(٨) المرجع السابق - صحيفة (١١١).

(٩) المرجع السابق - صحيفة (١١١).



١- الرحلة لهم، والأخذ عنهم:

من حب الإمام- رحمه الله- للعلماء، وإجلالهم؛ فقد رحل إليهم طلباً للعلم، وتنوعت سبل الأخذ عنهم، ومخالطته لهم، فقد رحل إلى الحجاز، والبصرة، وإلى الأحساء من أجل طلب العلم وتحصيله، ولو لم يكن لهم عند الإمام- رحمه الله- قدرٌ ومنزلة لما تحمل هذه المشقة والارتحال^(١).

٢- من خلال ما سطره في مؤلفاته من إجلالهم وتقديرهم:

فقد ساق الإمام في كتبه من التبويبات والعبارات ما يُبين قدر العلماء ومنزلتهم عنده، ففي كتاب الكبائر^(٢) بَوَّبَ بابًا بعنوان: باب: الاستخفاف بأهل الفضل، وأورد تحته جملة من الأحاديث منها، قوله ﷺ "إن من إجلال الله إكرام ذي الشبهة المسلم، وحامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه، وإكرام ذي السلطان المقسط"^(٣).

وقد صرح- رحمه الله- في بعض مراسلاته بالتقدير والإجلال للعلماء فيقول: "وشاهدُ هذا أن عبد الله بن عيسى^(٤) ما نعرف في علماء نجد، لا علماء العارض ولا غيره، أجلّ منه"^(٥).

وفي معرفة فضل العلماء وتقديرهم، وعلو منزلتهم عند الإمام- رحمه الله- أنه يُجِلُّ كلامهم فكيف بموقفه منهم، فيقول: "وأما ما ذكرت من كلام العلماء فعلى الرأس والعين"^(٦).

ويذكر الإمام- رحمه الله- فضل أهل الفضل، ويُقدم التنازلات في سبيل تأليف القلوب، فيقول في إحدى رسائله: "فإن الأمر الذي يزيل زعلكم ويؤلف الكلمة، ويهديكم الله بسببه

(١) انظر: تاريخ ابن غنام (٢١٠/١)، وعنوان المجد في تاريخ نجد- عثمان بن بشر(١/٨٣-٨٥).

(٢) مجموع مؤلفات الشيخ(٦/٣٠٤).

(٣) رواه أبي داود في سننه- كتاب الأدب- باب في تنزيل الناس منازلهم (١٥٧٩) (ح٤٨٤٣)، والحديث حسنه الألباني كما في صحيح سنن أبي داود(٣/٩١٨)(٤٠٣٥).

(٤) من علماء الدرعية وفُضِّلَها هو وابنه عبد الوهاب، كان بين الإمام وبينهما مراسلات إبان وجود الإمام في العيينة، وقد أيد الدعوة وكتب في ذلك، والذي يظهر أن بينهما وبين أسرة الإمام علاقة وثيقة. انظر: تاريخ ابن غنام (١/٤٠١)، (٤٠٦-٤٠٩)، وعلماء نجد خلال ثمانية قرون- عبد الله البسام (٥/٣٣٩-٣٤٠).

(٥) تاريخ ابن غنام (١/٤٠٣).

(٦) مجموع مؤلفات الشيخ- الرسائل الشخصية (٣/١٦).

نحرص عليه، ولو هو أشق من هذا؛ اللهم إلا أن تكونوا ناظرين شيئاً من أمر الله فالواجب عليكم اتباعه، والواجب علينا طاعتكم والانقياد لكم وإن أبينا كان الله معكم وخلقته"^(١).

٣- العدل في موقفه من أهل العلم:

كان موقف الإمام- رحمه الله- من العلماء عدلاً وسطاً؛ فهو يُنزلهم منزلتهم من غير إفراط ولا تفريط؛ لأن مراده الحق، وما عندهم من الحق، فيقول- رحمه الله-: "...فينبغي للمؤمن أن يجعل همه وقصده معرفة أمر الله ورسوله في مسائل الخلاف، والعمل بذلك، ويحترم أهل العلم ويوقرهم ولو أخطئوا؛ لكن لا يتخذهم أرباباً من دون الله، هذا طريق المنعم عليهم، وأما اطراح كلامهم وعدم توقيهم فهو طريق المغضوب عليهم، واتخاذهم أرباباً من دون الله وإذا قيل: قال الله، قال رسول الله، قال: هم أعلم منا بهذا، هو طريق الضالين"^(٢).

٤- اختلاف الموقف بحسب درجة المخالفة:

تنوع أسلوب الإمام- رحمه الله- مع المخالفين له حسب قربهم وبعدهم عن الحق، وبحسب مراحل الدعوة، وشواهد ذلك قوله في إحدى رسائله- رحمه الله-: "من محمد بن عبد الوهاب، إلى العلماء الأعلام في بلد الله الحرام، نصر الله بهم سيد الأنام، وتابعي الأئمة الأعلام، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد: جرى علينا من الفتنة، ما بلغكم، وبلغ غيركم،... فأشاعوا عنا: أننا نسبُ الصالحين، وأنا على غير جادة العلماء، ورفعوا الأمر إلى المشرق والمغرب، وذكروا عنا أشياء يستحي العاقل من ذكرها؛ وأنا أخبركم بما نحن عليه، بسبب أن مثلكم ما يروج عليه الكذب، ليتبين لكم الأمر، وتعلموا الحقيقة.

فنحن- والله الحمد- متبعون لا مبتدعون، على مذهب الإمام أحمد بن حنبل... وأنتم تعلمون- أعزكم الله- أن في ولاية أحمد بن سعيد، وصل إليكم الشيخ عبد العزيز بن عبد الله^(٣)، وأشرفتم على ما عندنا، بعدما أحضروا كتب الحنابلة، التي عندنا عمدة، وكالتحفة،

(١) مجموع مؤلفات الشيخ-الرسائل الشخصية (٣/١٧٠)، وتاريخ ابن غنام (١/٤١٩).

(٢) مجموع مؤلفات الشيخ- فتاوى ومسائل (٢/٦١)، ونبذة في اتباع النصوص مع احترام العلماء (٣/١١).

(٣) عبد العزيز بن عبد الله بن إبراهيم الحصين الناصري التميمي، ولد في الوقف من قُرى الوشم، وكان عالماً فقيهاً أخذ عن إبراهيم بن محمد بن إسماعيل، والإمام محمد بن عبد الوهاب وأبنائه، وعنه جمع من العلماء منهم عبد الله أبابطين وإبراهيم بن سيف وغيرهما، ولي قضاء الوشم، كان فقيهاً عابداً زاهداً عالماً بالتاريخ والأنساب، توفي سنة (١٢٣٧هـ). انظر: تاريخ ابن غنام (٢/٧٩٠-٧٩١) وعنوان المجد - عثمان بن بشر (١/٤١٤-٤١٧)، وعلماء نجد خلال ثمانية قرون- عبد الله البسام (٣/٤٥٤-٤٦٤).



والنهاية عند الشافعية... ثم اعلّموا وفقكم الله: إن كانت المسألة إجماعاً، فلا نزاع، وإن كانت مسائل اجتهاد، فمعلومكم أنه لا إنكار في من يسلك الاجتهاد؛ فمن عمل بمذهبه في محل ولايته لا ينكر عليه، وأنا أشهد الله وملائكته، وأشهدكم أي على دين الله ورسوله، وأني متبع لأهل العلم، غير مخالف لهم، والسلام" (١).

ويستخدم الإمام - رحمه الله - في رسائله التلطف والثناء على العلماء، وبيان ما عندهم من الحق، وهذا من تمام عدله، ويبين أن مراده الحق ليس إلا، ولا مانع لديه من الانقياد للحق وقبوله ممن كان.

وقد جاء في رسالته إلى عبد الله بن محمد بن عبد اللطيف الأحسائي: "فقد وصل إلينا من ناحيتكم مكاتيب فيها إنكار وتغليظ علي، ولما قيل إنك كتبت معهم وقع في الخاطر بعض الشيء؛ لأن الله - سبحانه - نشر لك من الذكر الجميل وأنزل في قلوب عباده لك من المحبة ما لم يؤتته كثيراً من الناس؛ لما يذكر عنك من مخالفة من قبلك من حكام السوء، وأيضاً لما أعلم منك من محبة الله ورسوله، وحسن الفهم واتباع الحق، ولو خالفك فيه كبار أئمتكم؛ لأني اجتمعت بك من نحو عشرين وتذاكرت أنا وإياك في شيء من التفسير والحديث، وأخرجت لي كراريس من البخاري كتبتها ونقلتها على هوامشها من الشروح، وقلت في مسألة الإيمان التي ذكر البخاري في أول الصحيح: هذا هو الحق الذي أدين الله به، فأعجبني هذا الكلام؛ لأنه خلاف مذهب أئمتكم المتكلمين، وذاكرتني أيضاً في بعض المسائل، فكنت أحكي لمن يتعلم مني ما من الله به عليك من حسن الفهم، ومحبة الله والدار الآخرة؛ فلأجل هذا لم أظن فيك المسارعة في هذا الأمر؛ لأن الذين قاموا فيه مخطئون على كل تقدير... " (٢).

وقال في محاجته لمخالفيه حينما دعا إلى توحيد الله - تعالى - ونهى عن الشرك، وأنكروا عليه فقال: "... فلما أبوا ذلك، نقلت كلام العلماء من كل مذهب لأهله، وذكرت كل ما قالوا، بعدما صرّحت الدعوة عند القبور، والنذر لها، فعرفوا ذلك، وتحققوه، فلم يزداهم إلا نفوراً" (٣).

(١) الدرر السنية في الأجابة النجدية - جمع: عبد الرحمن بن قاسم (١/٥٧ - ٥٨).

(٢) مجموع مؤلفات الشيخ - الرسائل الشخصية (٣/١٣٨).

(٣) مجموع مؤلفات الشيخ - الرسائل الشخصية (٣/٨٨)، والدرر السنية في الأجابة النجدية - جمع: عبد الرحمن بن قاسم (١/٧٣).

ولقد كان للإمام- رحمه الله- منهجية واضحة في الأخذ عن العلماء، والموقف من أقوالهم حين الاختلاف فيقول: "ولا خلاف بيني وبينكم: أن أهل العلم إذا أجمعوا وجب اتباعهم؛ وإنما الشأن إذا اختلفوا، هل يجب عليّ أن أقبل الحق ممن جاء به، وأرد المسألة إلى الله والرسول، مقتدياً بأهل العلم؟ أو أنتحل بعضهم من غير حجة؟ وأزعم أن الصواب في قوله؟"^(١).

٥- طلب النصيحة، وإظهار التسليم للحق:

لم يكن الإمام- رحمه الله- مكابراً، أو مُتكبراً على الحق ممن جاء به، وقد صرح لكثير من مخالفيه عند دعوتهم بقبول الحق إن كان معهم، والتسليم له، وهذا منهج رصين يث في نفس المُخالف مراجعة قوله، وطلب الحق وتقريره، ففي رسالته إلى أحمد بن يحيى^(٢) يقول: "فالواجب عليك نصر أخيك ظالماً ومظلوماً، وإن تفضل الله عليك بفهم ومعرفة، فلا تُعذر لا عند الله ولا عند خلقه من الدخول في هذا الأمر، فإن كان الصواب معنا فالواجب عليك الدعوة إلى الله، وعداوة من صرح بسب دين الله ورسوله، وإن كان الصواب معهم أو معنا شيء من الحق وشيء من الباطل، أو معنا غلو في بعض الأمور، فالواجب منك مذاكرتنا ونصيحتنا وتورينا عبارات أهل العلم؛ لعلّ الله أن يردنا بك إلى الحق، وإن كان إذا حررت المسألة، إذ إنها من مسائل الاختلاف، وأن فيها خلافاً عند الحنفية، أو الشافعية، أو المالكية، فتلك مسألة أخرى.

وبالجمله فالأمر عظيم، ولا نعذر من تأمل كلامنا وكلامهم، ثم تعرضه على كلام أهل العلم، ثم تبين في الدعوة إلى الحق وعداوة من حاد الله ورسوله منا أو من غيرنا، والسّلام"^(٣).

فبهذا يتجلى موقف الإمام من العلماء، وأنه خلاف ما افتراه الخصوم وسطروه وأشاعوه، فأين هذا من قول عبد الله بن داود: " وابن عبد الوهاب كثيراً ما يشهد لمعين بالنار من الأحياء

(١) الدرر السنية في الأجابة النجدية- جمع: عبد الرحمن بن قاسم (٤٥/١).

(٢) أحمد بن يحيى بن محمد بن عبد اللطيف التميمي، ولد في العطار، إحدى بلدان سدير، قرأ على علماء سدير وغيرهم، عُين قاضياً في رغبة، ولبث فيها حتى توفي فيها سنة (١١٦٣). انظر: تاريخ الفاخري- محمد الفاخري (١٣٣)، وتاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد- إبراهيم بن عيسى (٨٤)، وعلماء نجد خلال ثمانية قرون- عبد الله البسام (١/٥٥٣-٥٥٤).

(٣) مجموع مؤلفات الشيخ- الرسائل الشخصية (٣/١٦٣، ١٦٤).



والأموات سيما العلماء، وإذا ذُكر عنده من رجل يقول: ذاك ما علم الله فيه خيراً، وإن كان له شيخ، قال: ذاك يعبد شيخه"^(١).

بل ويزعم أعظم من ذلك بقوله عن الإمام- رحمه الله- أنه: "يخلف أيماناً مغلظة أن جميع العلماء لم يعرفوا معنى شهادة أن لا إله إلا الله، إلا هو ومن تبعه، وأبو جهل ابن هشام، ويقول: هؤلاء الشياطين الذين يُسمون علماء يقولون: ليس لها معنى"^(٢).

إن اعتراف الإمام- رحمه الله- بفضل أهل العلم والرجوع إلى مؤلفاتهم، ومعرفة قدرهم أدب جم تحتاجه الأمة ليتحقق لها أمنها الفكري الذي تُبنى عليه سائر أنواع الأمن، وإذا لم يُعرف للعلماء قدرهم، والرجوع إليهم، والالتفاف حولهم في الملمات، وزمن الفتن وقعت الأمة في شتات.

(١) الصواعق والرعود - صحيفة (١٥٠).أ.

(٢) المرجع السابق - صحيفة (١٨٤).أ.

المبحث الرابع: منهجه في التعامل مع المخالفين

إن من سنن الله- تعالى- أن كل دعوة إصلاحية من لدن آدم- عليه السلام- إلى قيام الساعة لا بد أن يكون لها معارضون، وأنصار للشيطان وحزبه لا يقبلون هدى الله، ولا يستجيبون لداعي الله، فإذا كانت دعوة موسى- عليه الصلاة والسلام-، وهو أحد أولي العزم من الرسل تُقابل بمثل ما حكاها الله- عزَّ وجلَّ- عن فرعون عندما قال عن موسى- عليه الصلاة والسلام-: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذُرِّيَّتِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴿٦١﴾﴾^(١)، فإذا كان هذا المنطق يُقابل به رسل الله وصفوته من خلقه فغيرهم أولى وأحرى.

والإمام- رحمه الله- لم يخرج عن هذا السنن، فقد لقيت دعوته مُعارضين ومُخالفين، وقد تعامل معهم وفق المنهج الشرعي الذي تفرضه نصوص الكتاب والسنة، وما كان عليه السلف-رحمهم الله- في تعاملهم مع الخصوم.

فهو لم يضايق من وقع تحت حكم الدولة، من أصحاب الملل، ولم يلزمهم بما يدعو إليه، لكنهم لا بد أن يلتزموا بما يقرره الشرع من ضوابط تضمن لهم العيش الكريم، فلا يظهرون طقوسهم ولا يُمنعون من مزاولتها في الباطن، وهم آمنون على أنفسهم وأموالهم، ويلتزمون بدفع الجزية وأحكام المعاهد المقررة في كتب الفقه^(٢).

فإذا كان هذا التعامل مع غير المسلم؛ فلا بد أن يكون مع المسلم المُخالف أسمى وأرقى، وهذا هو منهج الإمام- رحمه الله- مع مُخالفيه، فقد دعا كل من خالفه إلى الإتيان بالحجة، وبين أن الحق أحق أن يتبع، قال- رحمه الله-: "وأنا أدعو من خالفني إلى أحد أربع: إما إلى كتاب الله، وإما إلى سنة رسول الله ﷺ، وإما إلى إجماع أهل العلم، فإن عاند دعوته إلى المباهلة"^(٣).

(١) سورة غافر آية رقم [٢٦].

(٢) انظر: الوهابيون تاريخ ما أهمله التاريخ- لويس دوكورانسي (٦٦).

(٣) مجموع مؤلفات الشيخ- الرسائل الشخصية (٣/٤٨١).



وقد سطر- رحمه الله- عبارات تنم عن كونه لا يروم إلا الحق، فهو يطلب من خصومه الدليل حتى في مسائل قطعية ظاهرة، يكون الشك فيها كفرة، إلا أن الإمام- رحمه الله- سلك مسلك التنزل الجدلي الوارد بنص القرآن الكريم، قال- تعالى-: ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (٢٤) (١).

إن الذي دفع الإمام- رحمه الله- إلى طلب الدليل مع كون القضية قطعية، هو توطين نفس المخالف على قبول الحق.

يقول- رحمه الله-: "والقائل إنه يطلب الشفاعة (أي: من النبي ﷺ مباشرة) بعد موته يورد علينا الدليل من كتاب الله، أو من سنة رسول الله ﷺ، أو من إجماع الأمة، والحق أحق أن يتبع" (٢).

وكما هو معلوم فليس ثمة إنسان مهما بلغ من العلم والتقى يخلو من الزلل؛ إما لجهل، أو غفلة، أو نحوها مما يعتري الإنسان، ولكن "المنصف من اغتفر قليل خطأ المرء في كثير صوابه" (٣)، وهذا ما بينه الإمام- رحمه الله- لمخالفيه حيث يقول: "إذا تحققتم الخطأ بينتموه، ولم تهدروا جميع المحاسن؛ لأجل مسألة، أو مائة، أو مائتين أخطأت فيهن؛ فإني لا أدعي العصمة" (٤).

كذلك فإن الإمام- رحمه الله- كان كثيراً ما يورد الأسئلة التي قد تقع في نفس المخالف، ويجب عنها حتى يفتح آفاقاً للمُخالف الذي يجهل الحق، يقول- رحمه الله-: "وأنا إلى الآن أطلب الدليل من كل من خالفني، فإذا قيل له: استدل، أو اكتب، أو اذكر، حاد عن ذلك وتبين عجزه، لكن يجتهدون الليل والنهار في صدّ الجهال عن سبيل الله، ويبغونها عوجاً، اللهم إلا إن كنتم تعتقدون أن كلامي باطل وبدعة، مثل ما قال غيركم... والمرجع في ذلك إلى ما قاله المفسرون والأئمة، فإن جادل منافق بكون الآية نزلت في الكفار، فقولوا له: هل قال أحد من أهل العلم أولهم وآخرهم: إن هذه الآيات لا تعم من عمل بها من المسلمين؟ من قال هذا

(١) سورة سبأ آية رقم [٢٦].

(٢) مجموع مؤلفات الشيخ- الرسائل الشخصية (٢٩/٣).

(٣) القواعد في الفقه الإسلامي- ابن رجب (٢).

(٤) مجموع مؤلفات الشيخ- الرسائل الشخصية (١٣٣/٣).

قبلك؟ وأيضًا، فقولوا له: هذا رد على إجماع الأمة، فإنّ استدلالهم بالآيات النازلة في الكفار على من عمل بها ممن انتسب إلى الإسلام أكثر من أن تذكر" (١).

ويؤكد الإمام - رحمه الله - المبدأ الأصيل في الدين الإسلامي في التعامل مع المخالف، وأن الواجب الرجوع إلى كلام من لا ينطق عن الهوى، واتباعه، ولو كان أكثر الخلق على خلافه، فيقول: "أذكر لمن خالفني أن الواجب على الناس اتباع ما وصى به النبي ﷺ أمته، وأقول لهم: الكتب عندهم، انظروا فيها، ولا تأخذوا من كلامي شيئًا، لكن إذا عرفتم كلام رسول الله ﷺ الذي في كتبكم فاتبعوه ولو خالفه أكثر الناس" (٢).

وقد صادف الإمام - رحمه الله - معارضون ليسوا على مستوى واحد، بل تختلف درجات معارضتهم، وتبعًا لذلك اختلف الرد من قبل الإمام وطريقته وأسلوبه، من حيث: اللين والشدّة، والحكم، ومبدأ الأمر ومنتهاه، ويمكن تقسيم مستويات المعارضة إلى ثلاثة أقسام (٣):

القسم الأول: وهم الذين توقفوا عن تأييده في بعض المسائل، ولكنهم أيّدوه في كثير مما دعا إليه، وكان الإمام حريصًا على إقناعهم بجميع مبادئ دعوته؛ لاعتقاده بفضلهم وسعة علمهم، وأمله في مشاركتهم في نشر الدعوة، ومن هؤلاء الشيخ القاضي عبد الله بن عيسى الذي خاطبه الإمام باللين وعامله بالرفق، جاء هذا في رسائله إليه وإلى ابنه، فقد قال الإمام - رحمه الله - عنه: "وشاهد هذا أن عبد الله بن عيسى ما نعرف في علماء نجد ولا علماء العارض ولا غيره أجلّ منه، وهذا كلامه واصل إليكم إن شاء الله" (٤).

وأكد الإمام كذلك محبته للشيخ ابن عيسى واعترافه بسابق معرفته عليه وعلى أهله، ورغبته في استمرار العلاقة الحسنة بينهما فقال: "من محمد بن عبد الوهاب، إلى عبد الوهاب بن عبد الله بن عيسى، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد: إن تفضلتم بالسؤال، فنحمد الله إليكم الذي لا إله إلا هو، ونحن بخير وعافية، جعلكم الله كذلك وأحسن من ذلك، وأبلغوا لنا الوالد السلام، سلمه الله من خزي الدنيا وعذاب الآخرة، وغير ذلك في نفسي عليه بعض

(١) المرجع السابق (٣/١٣٤).

(٢) المرجع السابق (٣/١٩).

(٣) انظر: الحياة العلميّة في وسط الجزيرة العربيّة - أحمد عبد الله البسام (٣٣٨-٣٥٢).

(٤) مجموع مؤلفات الشيخ - الرسائل الشخصية (٣/١٠٤)، تاريخ ابن غنام (١/٤٠٣).



الشيء، من جهة المكاتيب لما حبسها عنا، هجسنا فيه الظن الجميل، ثم بعد ذلك سمعنا بعض الناس يذكر أنه معطيها بعض السفهاء يقرءونها على الناس، وأنا أعتقد فيه المحبة، وأعتقد أيضًا أن له غاية وعقلًا، وهو صاحب إحسان علينا وعلى أهلنا، فلا ودي يعقبه بالأذى، ويكدر هذه المحبة بلا منفعة في العاجل والآجل"^(١).

وقد بذل الإمام محمد- رحمه الله- ما بوسعه من الجهد لتعزيز صلته الحسنة بالإمام ابن عيسى وابنه عبد الوهاب، مع علمه أنه من أهم أسباب رجوع أبيه عن تأييده للدعوة، كما جاء في رسالة أخرى من الإمام قال في آخرها: "إني أدعو لك في سجودي، وأنت وأبوك أجل الناس إليّ وأحبهم عندي، وأمرك هذا أشق عليّ من أمر أهل الأحساء، خصوصًا بعد ما استركت أباك وخربته، فعسى الله أن يهدينا وإياك لدينه القيم، ويطرده عنا الشيطان، ويعيدنا من طريق المغضوب عليهم والضالين"^(٢).

وفي رسالة للشيخ- رحمه الله- لابن عيسى يقول له: "فإن كان عندك شبهة، فاذكرها فأنا أبينها، إن شاء الله- تعالى-، والمسألة مثل الشمس، ولكن من يهد الله فلا مضل له، ومن يضل فلا هادي له، وإن لم يتسع عقلك لهذا، فتضرع إلى الله بقلب حاضر، خصوصًا في الأسحار أن يهديك للحق ويريك الباطل باطلاً، وفر بدينك، فإن الجنة والنار قدامك، والله المستعان، ولا تستهجن هذا الكلام، فوالله ما أردت به إلا الخير"^(٣).

كما يحدد الإمام نوع من يكون معه الكلام من المخالفين فيقول: "إنما كلامنا مع رجل يؤمن بالله واليوم الآخر، ويجب ما أحب الله ورسوله، ويبغض ما أبغض الله ورسوله، لكنه جاهل قد لبست عليه الشياطين دينه، ويظن أن الاعتقاد في الصالحين حق، ولو يدري أنه كفر يدخل صاحبه في النار ما فعله، ونحن نبين لهذا ما يوضح له الأمر، فنقول: الذي يجب على المسلم أن يتبع أمر الله ورسوله، ويسأل عنه، والله- سبحانه- أنزل القرآن وذكر فيه ما يحبه ويبغضه، ويبيّن لنا فيه ديننا، وكذلك محمد ﷺ أفضل الأنبياء، فليس على وجه الأرض أحد أحب إلى أصحابه منه، وهم يحبونه على أنفسهم وأولادهم، ويعرفون قدره، ويعرفون أيضًا

(١) مجموع مؤلفات الشيخ- الرسائل الشخصية (١٥٣/٣).

(٢) المرجع السابق (١٥٥/٣).

(٣) المرجع السابق (١٦٦/٣).

الشرك والإيمان، فإن كان أحد من المسلمين في زمن النبي ﷺ قد دعاه أو نذر له أو ندبه، أو أحد من أصحابه، جاء عند قبره بعد موته، يسأله أو يندبه، أو يدخل عليه، لالتجاء له عند القبر، فاعرف أن هذا الأمر صحيح حسن، ولا تطعني ولا غيري، وإن كان إذا سألت، إذا أنه ﷺ تبرأ ممن اعتقد في الأنبياء والصالحين، وقتلهم وسباهم وأولادهم، وأخذ أموالهم، وحكم بكفرهم، فاعرف أن النبي ﷺ لا يقول إلا الحق، والواجب على كل مؤمن اتباعه فيما جاء به" (١).

ويرى الإمام أن التعامل مع المخالف يجب أن يكون تعاملًا يستهدف دعوته إلى الحق، بعيدًا عن النقد، أو الهجوم على ما عندهم من الباطل، منتهجًا في ذلك نهج أنبياء الله - عليهم الصلاة والسلام-، فيقول الإمام- رحمه الله- في رسالته إلى عبد الله بن محمد بن عبد اللطيف: "فينبغي للداعي إلى الله أن يدعو، ويجادل بالتي هي أحسن، إلا الذين ظلموا منهم، وقد أمر الله رسوله موسى وهارون أن يقولوا لفرعون قولًا لينا لعله يتذكر، أو يخشى" (٢).

القسم الثاني: وهم العلماء المذبذبون، والذين يؤيدون تارة، ويخالفون تارة، ويكون لديهم شبهات، وقد كان الإمام حريصًا على دعوتهم للحق وهدايتهم للطريق القويم، ومن الأمثلة على هؤلاء:

١- محمد بن عبيد الذي أثنى الإمام- رحمه الله- عليه، وذكر جملة من محاسنه التي يتصف بها، من رجاحة العقل، وشحه بعرضه، وأن الإمام يظن به ظنًا حسنًا في اتباعه للحق، وإظهار الإمام السرور به (٣)، وقد أرشده الإمام في رسالة أخرى إلى أن ينطرح بين يدي الله أن يهديه لدينه، ودين نبيه- عليه السلام- (٤).

٢- سليمان بن عبد الوهاب في بادئ أمره، حيث عارض الدعوة ورد عليها، وألقى الشبه على أتباعها، وقد كتب إليه الإمام- رحمه الله- وحذره من سوء عاقبة فعله (٥).

(١) مجموع مؤلفات الشيخ- الرسائل الشخصية (٣/٣٠-٣١).

(٢) المرجع السابق (٣/١٣٩).

(٣) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ- الرسائل الشخصية (٣/١٣).

(٤) المرجع السابق (٣/١٨).

(٥) انظر: تاريخ ابن غنام (٢/٦٩٢)، وعنوان المجد في تاريخ نجد- عثمان بن بشر (١/١٠٧-١٠٨).



٣- ومن الأمثلة على المعارضين المنتمين إلى هذا القسم أيضاً مجموعة من العلماء وردت أسمائهم في رسالة كتبها الإمام - رحمه الله - وجاء في أولها: "من محمد بن عبد الوهاب، إلى من يصل إليه هذا الكتاب من المسلمين، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، خصوصاً محمد بن عيد، وعبد القادر العديلي^(١) وابنه، وعبد الله بن سحيم^(٢)، وعبد الله بن عضيبي^(٣)، وحميدان بن تركي^(٤)، وعلي بن زامل^(٥)، ومحمد أبا الخيل^(٦)، وصالح بن عبد الله^(٧)"^(٨).

ولما كانت معارضة هذا القسم أشدّ من الأول، فقد كان طبيعياً أن يكون أسلوب الإمام معهم شديداً، فقال - رحمه الله - بعد أن بيّن حقيقة التوحيد ووجوب إخلاص الدين لله - عزّ وجلّ -: "... فإن كنتم تعرفون أن هذا من الشرك، كعبادة الأصنام الذي يخرج الرجل من الإسلام، وقد ملأ البر والبحر، وشاع وذاع، حتى إن كثيراً ممن يفعله يقوم الليل، ويصوم النهار، وينتسب إلى الصلاح والعبادة، فما بالكم لم تفشوه في الناس، وتبينوا لهم أن هذا كفر بالله،

(١) عبد القادر بن عبد الله العديلي، ولد في الجمعة، وتصدر في الفقه، وولي قضاء بلده، أدرك أول دعوة الإمام، توفي سنة (١١٨٠هـ). انظر: علماء نجد خلال ثمانية قرون - عبد الله البسام (٣/٥٣٧-٥٣٨).

(٢) عبد الله بن أحمد بن سحيم، ولد في الجمعة وقرأ على علماء سدير، كان هاوياً لنسخ الكتب فجمع مكتبة عظيمة، ولي قضاء سدير، من أحفاد عشيرته مجاهدة لدعوة الإمام، توفي سنة (١١٧٥هـ). انظر: تاريخ الفخري - محمد الفخري (١٣٨-١٣٩)، وعنوان المجد - عثمان بن بشر (١/١٢٧)، وعلماء نجد خلال ثمانية قرون - عبد الله البسام (٤/٣٧-٣٩).

(٣) لم أقف له على ترجمه، وفيه تشابه في الاسم بينه وبين عبد الله بن أحمد بن عضيبي، والذي ترجم له البسام في علماء نجد (٤/٤١-٥٢)، وقال والذي ورد في كتابات الإمام غير صاحب الترجمة.

(٤) حميدان بن تركي بن حميدان، ولد في عنيزة عام (١١٣٠هـ)، وأخذ مبادئ القراءة فيها، ولازم عبد الله بن عضيبي لما قدم إلى بلده عنيزة، كاتبه الإمام محمد بن عبد الوهاب، ودعا للعقيدة السلفية، فلم يستجب لها، رحل للمدينة بعد استيلاء الإمام عبد العزيز بن محمد على القصيم، وتوفي بالمدينة سنة (١٢٠٣هـ). انظر: تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد - إبراهيم بن عيسى (٩٤)، وعلماء نجد خلال ثمانية قرون - عبد الله البسام (٢/١٤٦-١٥٠).

(٥) علي بن زامل، من تلاميذ عبد الله بن عضيبي، وقد ورد اسمه ضمن من حضروا مجالس الإجازات، توفي سنة (١١٦١هـ) انظر: تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد - إبراهيم بن عيسى (٨٣).

(٦) محمد بن إبراهيم أبا الخيل، ولد في عنيزة، ولزم عبد الله بن عضيبي لما قدم عنيزة، وجد واجتهد حتى صار من المبرزين، عاصر الإمام محمد بن عبد الوهاب، وكاتبه الإمام وعرض عليه دعوته، توفي في عنيزة فيما بين (١١٦٥-١١٧٥). انظر: علماء نجد خلال ثمانية قرون - عبد الله البسام (٥/٤٦٥-٤٦٨).

(٧) صالح بن محمد بن عبد الله الصائغ، ولد في عنيزة، وأخذ العلم عن عبد الله بن عضيبي، تولى القضاء في عنيزة، له قصيدة في الرد على الصنعاني في مدح الإمام محمد بن عبد الوهاب، توفي سنة (١١٨٤هـ) المرجع السابق (٢/٣٦٤-٣٦٥).

(٨) مجموع مؤلفات الشيخ - الرسائل الشخصية (٣/١٥٥).

مخرج عن الإسلام؟ رأيتم لو أن بعض الناس، أو أهل بلدة تزوجوا أخواتهم أو عماتهم جهلاً منهم، أفيحل لمن يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتركهم لا يعلمهم أن الله حرم الأخوات والعمات، فإن كنتم تعتذرون أن نكاحهم أعظم مما يفعله الناس اليوم عند قبور الأولياء والصحابة، وفي غيبتهم عنها، فاعلموا أنكم لم تعرفوا دين الإسلام، ولا شهادة أن لا إله إلا الله؛ ودليل هذا ما تقدم من الآيات التي بينها الله في كتابه، وإن عرفتم ذلك، فكيف يحل لكم كتمان ذلك والإعراض عنه؟، وقد أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبينته للناس ولا تكتُمونه، فإن كان الاستدلال بالقرآن عندكم هزواً وجهلاً كما هي عادتكم ولا تقبلونه، فانظروا في الإقناع في باب حكم المرتد، وما ذكر فيه من الأمور الهائلة التي ذكر أن الإنسان إذا فعلها فقد ارتد وحل دمه، مثل الاعتقاد في الأنبياء والصالحين، وجعلهم وسائط بينه وبين الله، ومثل الطيران في الهواء، والمشى في الماء، فإذا كان من فعل هذه الأمور منكم مثل السائح الأعرج ونحوه تعتقدون صلاحه وولايته، وقد صرح في الإقناع بكفره، فاعلموا أنكم لم تعرفوا معنى شهادة أن لا إله إلا الله، فإن بان لكم في كلامي هذا شيء من الغلو، من أن هذه الأفاعيل لو كانت حراماً فلا تُخرج من الإسلام، وأن فعل أهل زماننا في الشدائد في البر والبحر، وعند قبور الأنبياء والصالحين ليست من هذه، بينوا لنا الصواب وأرشدونا إليه، وإن تبين لكم أن هذا هو الحق الذي لا ريب فيه، وأن الواجب إشاعته في الناس وتعليمه النساء والرجال، فرحم الله من أدّى الواجب عليه، وتاب إلى الله وأقر على نفسه؛ فإن التائب من الذنب كمن لا ذنب له، وعسى الله أن يهدينا وإياكم وإخواننا لما يحب ويرضى، والسلام"^(١).

القسم الثالث: وهم من بدأ الإمام - رحمه الله - معهم باللطف واللين والحجة والبيان في بداية الدعوة، كما في قوله: "هذا ابن إسماعيل والمويس وابن عبيد، جاءتنا خطوطهم في إنكار دين الإسلام الذي حكي في الإقناع، في باب حكم المرتد الإجماع من كل المذاهب أن من لم يدن به فهو كافر، وكاتبناهم، ونقلنا لهم العبارات، وخاطبناهم بالتي هي أحسن"^(٢).

وقد تعامل الإمام - رحمه الله - مع المويس في بادئ الأمر بأسلوب يتبين منه لكل مُبصر أن الإمام لا يريد إلا دلالة الخلق على الحق فيقول - رحمه الله -: "وهذا الكتاب لا تكتمه عن

(١) مجموع مؤلفات الشيخ - الرسائل الشخصية (٣/٧٠-٧١).

(٢) المرجع السابق (٣/١٦٣).



صاحب الكتاب، بل اعرضه عليه، فإن تاب وأقرَّ ورجع إلى الله فعسى، وإن زعم أن له حجة ولو في كلمة واحدة، أو أن في كلامي مجازفة فاطلب الدليل، فإن أشكل شيء عليك فراجعني فيه، حتى تعرف كلامي وكلامه.

نسأل الله أن يهدينا وإياك والمسلمين إلى ما يحبه ويرضاه، وأنت لا تلمني على هذا الكلام؛ تراني استدعيته أولاً بالملاطفة، وصبرت منه على أشياء عظيمة، والآن أشرفت منه على أمور ما ظننتها لا في عقله ولا في دينه، منها: أنه كاتب إلى أهل الأحساء يعاونهم على سب دين الله ورسوله^(١).

فلما تبين للشيخ - رحمه الله - عنادهم، وحقائق أمرهم، وإصرارهم على الباطل ورد الحق ومعاداته، والتحذير منه، ونصرهم للباطل وأهله، وأثرهم على الناس في صدهم عن هدى الله بالشبهات التي يلقونها رغم معرفتهم للحق، واستبانتهم لسبيله، فانتقل الإمام - رحمه الله - إلى أسلوب أشد وأغلظ من أجل تنبيه الناس والحفاظ على دينهم وعقيدتهم؛ ولأجل ألا ينخدع بزخرفهم وضلالهم عامة الناس، ومن هولاء:

١ - سليمان بن سحيم، وقد راسله الإمام - رحمه الله - وبين له حاله لعله يرتدع ولا يغتر به من جهل، فيقول - رحمه الله -: "الذي يعلم به سليمان بن سحيم أنك زعجت قرطاسة فيها عجائب، فإن كان هذا قدر فهمك فهذا من أفسد الأفهام، وإن كنت تلبس به على الجهال فما أنت برباح، وقبل الجواب نذكر لك أنك أنت وأباك مصرحون بالكفر والشرك والنفاق، ولكن صائر لكم عند جماعة في معكال قصاصيب وأشباههم يعتقدون أنكم علماء، ونداريكم ودنا أن الله يهديكم ويهديهم، وأنت إلى الآن أنت وأبوك لا تفهمون شهادة أن لا إله إلا الله، أنا أشهد بهذا شهادة يسألني الله عنها يوم القيامة أنك لا تعرفها إلى الآن ولا أبوك، ونكشف لك هذا كشفًا بينا؛ لعلك تتوب إلى الله وتدخل في دين الإسلام إن هداك الله، وإلا تبين لكل من يؤمن بالله واليوم الآخر حالكما، والصلاة ورائكما، وقبول شهادتكما وخطكما، ووجوب عداوتكما"^(٢).

(١) المرجع السابق (٧٩/٣).

(٢) المرجع السابق (١٢٥/٣).

وأظهر الإمام محمد يأسه من عودة ابن سحيم إلى الحق موضحًا أن كلامه موجه إلى من يُرجى لهم الهداية، وسلوك الحق ممن اغتروا به فيقول: "وكلامنا هذا لغيرك الذين عليهم الشرهه مثل: الشيوخ، أو من يصلي وراءك، كادوا أن الله يهديهم ويعزلونك أنت وأبوك عن الصلاة بالناس؛ لئلا تفسد عليهم دينهم، وإلا فأنا أظنك لا تقبل ولا يزيدك هذا الكلام إلا جهالة وكفرًا"^(١).

وكان الإمام يرى استحلال دم ابن سحيم؛ لشدة عداوته للدعوة وخطورته عليها؛ لاجتهاده في صد الناس عنها، إلا أن الإمام لم يكن يجهر برأيه هذا لمعرفته عدم إدراك الناس للأمر على حقيقته، ولهذا جاء في رسالته إلى الشيخ عبد الله بن عيسى، وابنه عبد الوهاب قوله: "والله الذي لا إله إلا هو، لو يعرف الناس الأمر على وجهه لأفتيت بحل دم ابن سحيم وأمثاله، ووجوب قتلهم، كما أجمع على ذلك أهل العلم كلهم، لا أجد في نفسي حرجًا من ذلك"^(٢).

ولم يكن موقف الإمام - رحمه الله - من ابن سحيم عن هوى أو غير هدى؛ بل على حقائق جليّة واضحة، لا لبس فيها ولا غموض حيث يقول الإمام: "يعلم من يقف عليه أي وقف على أوراق بخط يد ابن سحيم، صنفها يريد أن يصد بها الناس عن الإسلام، وشهادة أن لا إله إلا الله، فأردت أن أنبه على ما فيها من الكفر الصريح، وسب دين الإسلام، وما فيها من الجهالة التي يعرفها العامة..."^(٣).

ويقول له: "أنتك رجل معاند، ضال على علم، مختار الكفر على الإسلام"^(٤).

ثم يسوق الإمام الشواهد الدالة على هذا الحكم الذي حكم به على ابن سحيم^(٥).

(١) المرجع السابق (١٢٨/٣).

(٢) المرجع السابق (١٦٩/٣).

(٣) المرجع السابق (٥١/٣).

(٤) المرجع السابق (١٢٦/٣).

(٥) وقد ساقها الإمام - رحمه الله - في رسالته المطولة لابن سحيم. تُنظر في مجموع مؤلفات الشيخ - الرسائل الشخصية (١٢٧/٣) وما بعدها.



٢- عبد الله المويس قاضي حرمة، وكان من المعارضين المناهضين لدعوة الإمام بشدة، والقائمين بمحاولة إقناع الناس بعدم اتباع دعوة الإمام.

فكان ردُّ الإمام عليه شديداً، وقد سلك معه قبل طريقة الدين واللفظ، فلما لم يدعن للحق اشتد إنكار الإمام محمد في رده على المويس بسبب مواقفه المعادية للدعوة، فوصفه بالشيطان في رسالة تحدث فيها عن جهل غاليّة الناس بالتوحيد وإعراضهم عن تعاليم الدين ثم قال: "ومع هذا يقول لكم شيطانكم المويس أن بنيات حرمة وعبادتهم يعرفون التوحيد فضلاً عن رجالهم"^(١).

وقد بلغت معارضة المويس للدعوة حدًّا جعل الإمام محمد يفتي بكفره كفرةً يعادل عشرة أضعاف كفر من يعبد قبة أبي طالب، حيث جاء في رسالة له إلى محمد بن عبيد قوله: "ولكن أقطع أن كفر من عبد قبة أبي طالب لا يبلغ عشر كفر المويس وأمثاله"^(٢).

٣- أحمد بن يحيى بن رميح، وقد كتب في إنكار التوحيد، وألب على الإمام- رحمه الله- الجموع، يقول الإمام في بيان حاله لأحد المدعوين: "فهذه خطوط المويس، وابن إسماعيل، وأحمد بن يحيى، عندنا في إنكار هذا الدين والبراءة منه، وهم الآن مجتهدون في صد الناس عنه، فإن استقمت على التوحيد، وتبينت فيه، ودعوت الناس إليه، وجاهرت بعبادة هؤلاء، خصوصاً ابن يحيى؛ لأنه من أنجسهم، وأعظمهم كفرًا، وصبرت على الأذى في ذلك، فأنت أخونا وحبينا"^(٣).

وهكذا تعامل الإمام- رحمه الله- مع مخالفه، وفق المنهج الشرعي الذي لا إفراط فيه ولا تفريط، ولم يُداهن في دين الله، فهو يُبين الحق للمخالف، ويفتح له الآفاق لقبوله بأسلوب مُحكم، ومبني على حقائق وأدلة لا محيد عنها للمخالف، وهذا مما يوطد الأمن الفكري ويرسي دعائمه في دعوة الإمام- رحمه الله-.

وقد كان لدى الإمام ملكة يفهم بها الخلاف ويستوعب بها المخالف، صقلتها مُحالطته للناس على شتى أصنافهم، واختلاف مداركهم، لذا صارت لديه القدرة على استيعاب أفكار

(١) المرجع السابق (٩٥/٣).

(٢) المرجع السابق (١٦/٣).

(٣) المرجع السابق (٩٢/٣).

المخالفين، وأحسن التعاطي معها، بشكل إيجابي يُولد قناعة لدى من أراد الله هدايته؛ إما لاتباع الدعوة، أو للحذر من المخالفين^(١).

وكل هذا وفق العدل الذي أمر الله به: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ ءَلَّا تَعْدِلُوا ءَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾^(٢).

ومُقترناً باللين والرفق في موضعه، والرحمة بالخلق للدلائم على الحق: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِن تَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾^(٣).

ولا شك أن التزام الضوابط الشرعية في التعاطي مع الفكر المُخالف والاتصال به له أثره في الأمن الفكري؛ لأن الإخلال به ينتج عن هذا الاتصال، فوجب ضبطه بالمنهج الشرعي في التعامل معه^(٤).

(١) انظر: قراءة تحليلية في دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب-صالح الفريح (٢٤٥) مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة والدراسات الإسلامية، العدد(٥١) محرم(١٤٣٢هـ).

(٢) سورة المائدة آية رقم [٨].

(٣) سورة آل عمران آية رقم [١٥٩].

(٤) انظر: الأمن الفكري مفهومه وأهميته ومتطلبات تحقيقه-عبد الحفيظ المالكي(٥١-٥٢)مجلة البحوث الأمنية العدد(٤٣) شعبان(١٤٣٠هـ).



الفصل الخامس: وسائل الإمام في حفظ الأمن الفكري

وفيه خمسة مباحث:

■ المبحث الأول: الإقناع العقلي والحجة العلميّة

■ المبحث الثاني: الدعوة إلى الله

■ المبحث الثالث: التعليم

■ المبحث الرابع: الحوار

■ المبحث الخامس: المناظرة

الفصل الخامس: وسائل الإمام في حفظ الأمن الفكري

إن الأمن الفكري يتمثل في حفظ العقول من المؤثرات الفكرية والثقافية المنحرفة عن منهج الاستقامة، سواء كان هذا الأثر مصدره الشبهات أو الشبهات، ولو اطمأن الناس على قيمهم ومثلهم ومبادئهم، لتحقق لهم الأمن في أسمى صورته، وأعلى معانيه، وإذا تكونت لديهم أفكار على مبادئ منحرفة، وثقافات فاسدة، ومثل مُختلة، فهنا لا تسأل عن حالهم، ولا تأمن على مآلهم؛ إذ قد حل بهم الهلع وحاس الخوف خلال ديارهم؛ ولذا فقد حرصت الشريعة الإسلامية على تعزيز جانب الأمن الفكري، بالأصول الجامعة، والقواعد المانعة.

وقد كان للشيخ - رحمه الله - قصب السبق في تطبيق وسائل حفظ الأمن الفكري من خلال استعمال العقل في إقناع من انحرف فكره، وعبر وسائل الحوار والمناقشات العلمية المؤصلة، وتكوين ملكة علمية ثابتة لدى من يدعوهم للمبادئ السامية التي جددتها في نفوس الناس، وعلمهم إياها، ومضى أن الأمن الفكري مركب لم يرد في كتب السلف، وإن كانت دلالات عبارتهم عليه واضحة، ومن سبر دعوة الإمام - رحمه الله - منذ قيامها واستقرأ مؤلفاته وسيرته العلمية والعملية، تجلّى له عنايته بالأمن الفكري ووسائله، وتحصينه لأتباعه، ومن ذلك قوله - رحمه الله - فيما لخصه من مسائل: "والرسول بُعث بإصلاح العقول والأديان، وتكميل نوع الإنسان، وحرم ما يُغير العقل من جميع الألوان"^(١).

ولقد شحذ الإمام - رحمه الله - الهمم لاستعمال الفكر في فهم دلالات النصوص على مبدأ صحيح، يقول: "فلا تغفلوا عن طلب التوحيد وتعلمه، واستعمال كتاب الله وإجالة الفكر فيه، وقد سمعتم من كتاب الله ما فيه عبرة، مثل قولهم: نحن موحدون نعلم أن الله هو النافع الضار، وأن الأنبياء وغيرهم لا يملكون نفعاً ولا ضرراً؛ لكن نريد الشفاعة، وسمعتم ما بين الله في كتابه في جواب هذا، وما ذكر أهل التفسير وأهل العلم، وسمعتم قول المشركين: الشرك عبادة الأصنام، وأما الصالحون فلا، وسمعتم قولهم: لا نريد إلا من الله؛ لكن نريد بجاههم، وسمعتم ما ذكر الله في جواب هذا كله، وقد من الله عليكم بإقرار علماء المشركين بهذا كله.

(١) مجموع مؤلفات الشيخ - هذه مسائل (٢٦/٢).



سمعتهم إقرارهم أن هذا الذي يفعل في الحرمين والبصرة والعراق واليمن أن هذا شرك بالله، فأقروا لكم أن هذا الدين الذي ينصرون أهله، ويزعمون أنهم السواد الأعظم أقروا لكم أن دينهم هو الشرك، وأقروا لكم أيضًا: أن التوحيد الذي يسعون في إطفائه وفي قتل أهله وحبسهم أنه دين الله ورسوله، وهذا الإقرار منهم على أنفسهم من أعظم آيات الله، ومن أعظم نعم الله عليكم، ولا يبقى شبهة مع هذا إلا للقلب الميت الذي طبع الله عليه، وذلك لا حيلة فيه.

ولكنهم يجادلونكم اليوم بشبهة واحدة فاصغوا لجوابها، وذلك أنهم يقولون كل هذا حق نشهد أنه دين الله ورسوله إلا التكفير والقتال، والعجب ممن يخفى عليه جواب هذا إذا أقروا أن هذا دين الله ورسوله كيف لا يكفر من أنكره، وقتل من أمر به وحبسهم؟ كيف لا يكفر من أمر بحبسهم؟ كيف لا يكفر من جاء إلى أهل الشرك يحثهم على لزوم دينهم، وتزيينه لهم ويحثهم على قتل الموحدين وأخذ مالهم؟ كيف لا يكفر وهو يشهد أن الذي يحث عليه أن الرسول ﷺ أنكره؟ ونهى عنه وسماه الشرك بالله ويشهد أن الذي يبغضه ويبغض أهله ويأمر المشركين بقتلهم هو دين الله ورسوله.

واعلموا أن الأدلة على تكفير المسلم الصالح إذا أشرك بالله، أو صار مع المشركين على الموحدين ولو لم يشرك أكثر من أن تحصر من كلام الله وكلام رسوله وكلام أهل العلم كلهم.

وأنا أذكر لكم آية من كتاب أجمع أهل العلم على تفسيرها وأنها في المسلمين وأن من فعل ذلك فهو كافر في أي زمان، قال - تعالى -: ﴿ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيْمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيْمَانِ ﴾ (١٠٦) ﴿ إلى آخر الآية وفيها ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ ﴾ (١٠٧) ﴿^(١)، فإذا كان العلماء ذكروا أنها نزلت في الصحابة لما فتنهم أهل مكة، وذكروا أن الصحابي إذا تكلم بكلام الشرك بلسانه مع بغضه لذلك وعداوة أهله؛ لكن خوفًا منهم أنه كافر بعد إيمانه، فكيف بالموحد في زماننا؟ إذا تكلم في البصرة أو الأحساء أو مكة أو غير ذلك خوفًا منهم لكن قبل الإكراه، وإذا كان هذا يكفر، فكيف بمن صار معهم وسكن معهم وصار من جملتهم؟ فكيف بمن أعانهم على شركهم وزينه لهم؟ فكيف بمن أمر بقتل الموحدين وحثهم على لزوم دينهم؟ فأنتم وفقكم الله تأملوا هذه الآية، وتأملوا من

(١) سورة النحل آية رقم [١٠٦-١٠٧].

نزلت فيه، وتأملوا إجماع العلماء على تفسيرها، وتأملوا ما جرى بيننا وبين أعداء الله نطلبهم دائماً الرجوع إلى كتبهم التي بأيديهم في مسألة التكفير والقتال، فلا يجيبوننا إلا بالشكوى عند الشيوخ وأمثالهم، والله أسأل أن يوفقكم لدينه ويرزقكم الثبات عليه والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته" (١).

ولقد اعتمد الإمام- رحمه الله- على وسائل متعددة سعيًا منه لحفظ الأمن الفكري، وهذا يتجلى في المباحث التالية:

(١) مجموع مؤلفات الشيخ- الرسائل الشخصية (٣/١٥١-١٥٢).



المبحث الأول: الإقناع العقلي والحجة العلمية

لقد اشتمل الكتاب العزيز على جملة من الأدلة تُبرز مكانة العقل ومقامه وتلفت النظر إلى أهميته، وبذلك كثيراً ما يُخاطبنا الله - سبحانه - بقوله: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (٤٤)^(١)، ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ (٢١٩)^(٢)، ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ﴾ (٨٢)^(٣)، ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (٧٣)^(٤)، وينادينا بقوله: ﴿يَتَأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (١٧٩)^(٥)، وغيرها من الآيات التي سيقت مساق التنبيه على إعمال الفكر، وهذا كله دليل على أهمية العقل ودوره في الإقناع والافتناع، والحث على استعماله، وعدم تعطيله.

لقد جاء الإقناع العقلي في القرآن الكريم واضحاً جلياً، وكذلك في السنة النبوية المطهرة على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم.

وذلك لأن من أعظم نعم الله على الإنسان أن يميزه بالعقل، ثمَّ حُوطب بما مُيِّرَ به عن سائر المخلوقات.

فالرسل - صلوات الله وسلامه عليهم - : ﴿جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ﴾ (١٨٤)^(٦) أي: أتوا أقوامهم بالحجج العقلية، والبراهين النقلية^(٧).

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ (٣٥)^(٨).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "ومعلوم بالفطرة التي فطر الله عليها عباده بصريح العقل، أن الحادث لا يحدث إلا بمحدث أحدثه، وإن حدوث الحادث بلا محدث أحدثه معلوم البطلان بضرورة العقل، وهذا أمر مركوز في بني آدم حتى الصبيان، لو ضُرب الصبي ضربة فقال:

(١) سورة البقرة آية رقم [٤٤] وقد تكررت في القرآن الكريم بلفظ "تعقلون" في أربع وعشرين موضعاً.

(٢) سورة البقرة آية رقم [٢١٩] وقد تكررت في القرآن الكريم بلفظ "تتفكرون" في ثلاثة مواضع.

(٣) سورة النساء آية رقم [٢١٩] وقد تكررت في القرآن الكريم في موضعين.

(٤) سورة البقرة آية رقم [٧٣] وقد تكررت في القرآن الكريم في سبعة مواضع.

(٥) سورة البقرة آية رقم [١٧٩] وقد تكررت في القرآن الكريم في أربعة مواضع.

(٦) سورة آل عمران آية رقم [١٨٤].

(٧) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - عبد الرحمن بن سعدي (١٥٩).

(٨) سورة الطور آية رقم [٣٥].

من ضربني؟ فقيل: ما ضربك أحد لم يصدق عقله أن الضربة حدثت من غير فاعل، ولهذا لو جَوَّزَ مُجَوِّزٌ أن يحدث كتابة، أو بناء، أو غراس، ونحو ذلك من غير محدث لذلك لكان عند العقلاء إما مجنوناً، وإما مسفوطاً كالمنكر للعلوم البديهية والمعارف الضرورية، وكذلك معلوم أنه لم يحدث نفسه، فإن كان معدوماً قبل حدوثه لم يكن شيئاً، فيمتنع أن يحدث غيره فضلاً عن أن يحدث نفسه"^(١).

ومن أمثلة الإقناع العقلي في السنة: ما جاء "عن أبي أمامة قال: إن فتى شاباً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، ائذن لي بالزنا، فأقبل القوم عليه فزجروه وقالوا: مه. مه.

فقال: ادنه، فدنا منه قريباً.

قال: فجلس قال: أتجبه لأمك؟ قال: لا والله جعلني الله فداءك.

قال: ولا الناس يحبونه لأمهاتهم.

قال: أفتجبه لابنتك؟ قال: لا والله يا رسول الله جعلني الله فداءك قال: ولا الناس يحبونه لبناتهم.

قال: أفتجبه لأختك؟ قال: لا والله جعلني الله فداءك.

قال: ولا الناس يحبونه لأخواتهم. قال: أفتجبه لعمتك؟ قال: لا والله جعلني الله فداءك.

قال: ولا الناس يحبونه لعماتهم.

قال: أفتجبه لخالتك؟ قال: لا والله جعلني الله فداءك.

قال: ولا الناس يحبونه لخالاتهم.

قال: فوضع يده عليه وقال: اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه، وحصن فرجه.

قال: فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء"^(٢).

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٣/٢٠٢-٢٠٣).

(٢) رواه أحمد في مسنده (١٦٤٢) (ح٢٢٥٦٤)، والطبراني في المعجم الكبير (١٩٠/٨) (ح٧٦٧٩)، والحديث صححه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١/٧١٣/٢) (ح٣٧٠).



"وعن أبي هريرة- رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ جاءه أعرابي فقال: يا رسول الله، إن امرأتي ولدت غلامًا أسود، فقال: هل لك من إبل، قال: نعم، قال: ما ألوانها، قال: حمر، قال: هل فيها من أورك، قال: نعم، قال: فأني كان ذلك، قال: أراه عرق نزعه، قال: ففعل ابنك هذا نزعه عرق"^(١).

بل "ومن علوم القرآن: مجادلة المبطلين، ودفع شبه الظالمين، وإقامة البراهين العقلية الموافقة للأدلة النقلية، وهذا الفن من علوم القرآن من خواص العلماء الريانيين، والجهابذة الراسخين، والعقلاء المستبصرين، وقد اشتمل القرآن من الأدلة العقلية، والقواطع البرهانية... فإن ذكر التوحيد والشرك، وأمر بالأول ونهى عن الثاني، أقام من البراهين القاطعة على صحة التوحيد وحسنه وتعيينه طريقًا للنجاة، وقبح الشرك وبطلانه، وكونه هو الطريق للهلاك، ما يجعل ذلك للبصيرة كالشمس في نحر الظهيرة.

وإن أمر بالأوامر الشرعية، وحث على الآداب ومكارم الأخلاق، رأته ينبه العقول النيرة على ما اشتملت عليه من المصالح الضرورية، التي يحتاجونها في معاشهم ومعادهم، ما يجزم بأنه لا أحسن منها، وأن حكمته تقتضي الأمر بها أشد اقتضاء.

وإن نهى عن المحارم والقبائح والخبائث، أخبر بما في ضمنها من الفساد والضرر، والشر الحاصل بتناولها، وأن نعمة الله عليهم بتحريمها عليهم وتنزيههم عنها، وتكريمهم وتعليق أقدارهم عن التلبس بها فوق كل نعمة، فالمأمورات مشتملات على الصلاح، والمحرمات مشتملات على المفاسد.

وإن شرع في الحجاج للمبطلين، وتزييف شبه المشبهين، وبطلان مذاهب الضالين، فقل ما شئت من إحقاق حق، ودمغ باطل، وإرشاد ضال، وإقامة الحججة على المعاند، وبيان أن الباطل لا يقوم لأقل شيء من الحق، بل هو على اسمه باطل لا حقيقة له، إن هي إلا أسماء يسمون بها الباطل إذا جردت، تبينت هباءً منثورًا.

(١) رواه البخاري في صحيحه-كتاب الطلاق-باب إذا عترض بنفي الولد (٤٥٨) (ح٥٣٠٥)، ومسلم-كتاب اللعان(٩٣٦)(ح٣٧٦٦).

ورأيته يسوق البراهين العقلية، بأوضح عبارة وأوجزها وأسلمها من الاعتراض والنقض والخفاء، فيجمع بين الدليل العقلي والنقلي في كلمة واحدة، إيجازاً غير مُخل بالمطلوب، وتارة يفصل ذلك، ويسرد من البراهين ما يكفي بعضه بالبيان^(١).

إن من أهم الأسس التي قامت عليها الدعوة الإصلاحية، هو تحرير عقول الناس من ربة التقليد والخرافة، والتربية على التفكير، وتنمية الملكات العقلية، والتدبر، وإطلاق العقل، والاستنباط به من خلال النظر في الآيات الشرعية، والإمام - رحمه الله - فطن لهذا المنهج الموافق للشرع؛ لإقامة الحجة على قوم التبس عليهم الحق بالباطل، وعطلوا عقولهم عن التماس الهدى، فعندما يقرر التوحيد فهو: "يبرأ من عبادة الأحجار، والأشجار، والصالحين الأخيار، ويبرأ من عابديها، ويقيم الحجج العقلية والنقلية على أنها شرك وضلال، وكفر بالله ذي الجلال، كقوله - تعالى - حكاية عن قول الرسل لأقوامهم: ﴿يَقَوْمُ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾^(٢)، ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾^(٣)، وكقوله: ﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَيْرٍ﴾^(٤)^(٥).

وقد وضح الإمام للمدعويين الأدلة العقلية مقرونة بالأدلة النقلية، حتى لا يجد الخصم محيداً عن قبول الحق والتسليم له، وهذا ظاهر بجلاء في مؤلفات الإمام ورسائله، فمن ذلك قوله - رحمه الله - وهو يسوق أربعاً من قواعد الدين التي تدور عليها الأحكام: "وأنا أمثل لك مثلاً تعرف به صحة ما قلت، وتحتذي عليه إن فهمته، وأمثل لك في فن من فنون الدين، وهو علم الفقه، واجعله كله في باب واحد منه، وهو الباب الأول: باب المياه.

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - عبد الرحمن بن سعدي (٢٣ - ٢٤).

(٢) سورة الأعراف آية رقم [٥٩].

(٣) سورة البقرة آية رقم [٢١].

(٤) سورة فاطر آية رقم [١٤].

(٥) الإمام محمد بن عبد الوهاب عقيدته السلفية ودعوته الإصلاحية وثناء العلماء عليه - أحمد آل أبو طامي (٤٤)، والشيخ محمد بن عبد الوهاب مجدد القرن الثاني عشر المفترى عليه ودحض تلك المفتريات - أحمد آل أبو طامي (٢١).



فنقول: قال بعض أهل العلم^(١): الماء كله طهور إلا ما تغير بنجاسة، أو خرج عنه اسم الماء، كماءٍ وُرد، أو باقلا ونحوه، وقال آخرون: الماء ثلاثة أنواع: طهور، وطاهر، ونجس، والدليل قول النبي ﷺ: "لا يغتسل أحدكم في الماء الدائم"^(٢)، فلولا أنه يفيد منعاً لم ينع عنه، ودليله من النظر أنه لو وُكِّله في شراء ماء فاشترى ماء مستعملاً، أو متغيراً بطاهر لم يلزمه قبوله، فدل على أنه لا يدخل في الماء المطلق، قال الأولون: النبي ﷺ: "نهى أن يغتسل الرجل في الماء الدائم"، وإن عصى وفعل فالقول في الماء مسألة أخرى، لا تعرض لها في الحديث لا بنفي ولا إثبات، وعدم قبول الموكل لا يدل، فلو اشترى له ماء من ماء البحر لم يلزمه قبوله، ولو اشترى له ماء متقدراً طهوراً لم يلزمه قبوله، فانتقض ما قلتموه، فإن كنتم معترفين أنه هذه الأدلة لا تفيدكم إلا الظن وقد ثبت أن الظن أكذب الحديث، فقد وقعتم في المحرم يقيناً أصبتم، أم أخطأتم؛ لأنكم أفقيتم بظن مجرد، فإن قوله: ﴿فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً﴾^(٣) كلام عام من جوامع الكلم، فإن دخل فيه هذا خالفتم النص، وإن لم يدخل فيه وسكت عنه الشارع فهو عفو لا يحل الكلام فيه، وعصيتم قوله - تعالى -: ﴿يَكَايُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ﴾^(٤) الآية^(٥)، وكذلك إذا تركتم هذا اللفظ العام الجامع مع قوله ﷺ: "الماء طهور لا ينجسه شيء"^(٦)، وتركتم هذه الألفاظ الواضحة العامة، وزعمتم أن الماء ثلاثة أنواع بالأدلة التي ذكرتموها، وقعتم في طريق أهل الزيغ في ترك المحكم واتباع المتشابه، فإن قلتم: لم يتبين لنا أنه طهور وخفنا أن النهي يؤثر فيه، قلنا: قد جعل الله لكم مندوحة وهو الوقف، وقول: لا أدري، وإلا ألحقوه بمسألة المتشابهات، وأما الجزم بأن الشرع جعل هذا طاهراً غير مطهر فقد وقعتم في البحث عن المسكوت عنه واتباع المتشابه، وتركتم قوله ﷺ: "وبينهما أمور مشتبهات"^(٦)^(٧).

(١) وانظر إلى كلام الإمام - رحمه الله - خلاف ما يزعمه الخصوم من أنه يلعب من جعل الماء ثلاثة أقسام. انظر: الصواعق والرمود - عبد الله بن داود - صحيفة (٥٥ب).

(٢) رواه البخاري - كتاب الوضوء - باب البول في الماء الدائم (٢١) (ح ٢٣٩) بنحوه، ومسلم - كتاب الطهارة - باب النهي عن البول في الماء الراكد (٧٢٦) (ح ٢٨٢) بنحوه.

(٣) سورة النساء آية رقم [٤٣]، وسورة المائدة آية رقم [٦].

(٤) سورة المائدة آية رقم [١٠١].

(٥) رواه البيهقي في سننه (٢٥٩/١) (ح ١١٥٥)، وصححه الألباني كما في إرواء الغليل (٤٥/١).

(٦) رواه البخاري - كتاب الإيمان - باب فضل من استبرأ لدينه (٥٢/٦)، ومسلم - كتاب المساقاة - باب أخذ الحلال وترك الشبهات (٩٥٥) (ح ١٥٩٩).

(٧) مجموع مؤلفات الشيخ - أربع قواعد تدور الأحكام عليها (٧/٣).

وفي بيان الإمام- رحمه الله- للتفريق بين ما هو في الذهن والتطبيق العملي الموافق للشرع يضرب مثلاً يتجلى فيه استعمال العقل استعمالاً صحيحاً أثناء التطبيق العملي، فيقول- رحمه الله-: "كثيراً ممن واجهناه وقرأ علينا يتعلم هذا ويعرفه بلسانه، فإذا وقعت المسألة لم يعرفها؛ بل إذا قال له بعض المشركين: نحن نعرف أن رسول الله لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا، وأن النافع الضار هو الله، يقول: جزاك الله خيراً، ويظن أن هذا هو التوحيد، ونحن نعلمه أكثر من سنة أن هذا هو توحيد الربوبية الذي أقر به المشركون، فالله الله في التفطن لهذه المسألة، فإنها الفارقة بين الكفر والإسلام، ولو أن رجلاً قال: شروط الصلاة تسعة، ثم سردها كلها، فإذا رأى رجلاً يصلي عرياناً بلا حاجة، أو على غير وضوء، أو لغير القبلة لم يدر أن صلاته فاسدة، لم يكن قد عرف الشروط ولو سردها بلسانه، ولو قال: الأركان أربعة عشر، ثم سردها كلها، ثم رأى من لا يقرأ الفاتحة، ومن لا يركع، ومن لا يجلس للتشهد، ولم يفطن أن صلاته باطلة، لم يكن قد عرف الأركان ولو سردها، فالله الله في التفطن لهذه المسألة"^(١).

وفي بيان الإمام- رحمه الله- للتعاقد بين العقل والشرع يقول: "كل ما يحتاج إليه الناس، فقد بينه الله ورسوله، بياناً شافياً كافياً، فكيف أصول التوحيد، والإيمان؟ ثم إذا عُرف ما بينه الرسول، نُظر في أقوال الناس وما أرادوا بها، فُعرضت على الكتاب والسنة، والعقل الصريح الذي هو موافق للرسول، فإنه الميزان مع الكتاب، فهذا سبيل الهدى"^(٢).

وفي مسائل الإمام- رحمه الله- التي لخصها من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله- كلام بديع يُبين دقة اختياره وجمعه بين الدليل الشرعي والدليل العقلي فيقول: "قوله تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾^(٣) دلّت على علمه بالأشياء من وجوه، تضمنت البراهين المذكورة لأهل النظر العقلي:

أحدها: أنه خالق لها، والخلق هو الإبداع بتقدير، فتضمن تقديرها في العلم قبل تكوينها.
الثاني: أنه مستلزم للإرادة والمشئمة، فيلزم تصور المراد، وهذه الطريقة المشهورة عند أكثر أهل الكلام.

(١) مجموع مؤلفات الشيخ- الرسائل الشخصية (١٢/٣)، وتاريخ ابن غنام (١/٣٣٧).

(٢) الدرر السنية في الأجابة النجدية- جمع: عبد الرحمن بن قاسم (١٥/٢).

(٣) سورة الملك آية رقم [١٤].



الثالث: أنها صادرة عنه وهو سببها التام، والعلم بالأصل يوجب العلم بالفرع، فعلمه بنفسه يستلزم العلم بكل ما يصدر عنه.

الرابع: أنه لطيف يدرك الدقيق، خبير يدرك الخفي، وهذا هو المقتضى للعلم بالأشياء؛ فيجب وجود المقتضى لوجود السبب التام^(١).

وفي إلقاء الإمام - رحمه الله - للنخصم إلى قبول الحكم الشرعي، فإنه يستدرجه بدليل عقلي للتسليم للحق كقوله: "فكيف بمن جاهد بنفسه وماله وأهله، ومن أطاعه في عداوة التوحيد، وتقرير الشرك، مع إقراره بمعرفة ما جاء به الرسول، فإن لم تكفروا هؤلاء ومن اتبعهم، ممن عرف أن التوحيد حق، وأن ضده الشرك، فأنتم كمن أفتى بانتقاض وضوء من بزغ منه مثل رأس الإبرة من البول، وزعم أن من يتغوط ليلاً ونهاراً، وأفتى للناس أن ذلك لا ينقض وتبعوه على ذلك حتى يموت أنه لا ينقض وضوءه... وأنا أمثل لك مثلاً لعل الله أن ينفعك به لعلمي أن الفتنة كبيرة، وأنهم يحتجون بما تعرفون، منها: ما ذكر في الأوراق أنهم لم يقصدوا بحريكم رد التوحيد وإحياء الشرك، وإنما قصدوا دفع الشر عن أنفسهم خوف البغي عليهم.

فنقول: لو نُقدِر أن السلطان ظلم أهل المغرب ظلمًا عظيمًا في أموالهم وبلادهم، ومع هذا خافوا استيلاءهم على بلادهم ظلمًا وعدوانًا، ورأوا أنهم لا يدفعونهم إلا باستنجد الفرنج، وعلموا أن الفرنج لا يوافقونهم إلا أن يقولوا نحن معكم على دينكم ودنياكم، ودينكم هو الحق، ودين السلطان هو الباطل، وتظاهروا بذلك ليلاً ونهاراً، مع أنهم لم يدخلوا في دين الفرنج، ولم يتركوا الإسلام بالفعل، لكن لما تظاهروا بما ذكرنا ومرادهم دفع الظلم عنهم، هل يشك أحد أنهم مرتدون في أكبر ما يكون من الكفر والردة إذا صرحوا أن دين السلطان هو الباطل؟، مع علمهم أنه حق، وصرحوا أن دين الفرنج هو الصواب، وأنه لا يُتصور أنهم لا يتيهون لأنهم أكثر المسلمين؛ ولأن الله أعطاهم من الدنيا شيئاً كثيراً؛ ولأنهم أهل الزهد والرهبانة فتأمل هذا تأملاً جيداً، وتأمل ما صدرتم به الأوراق من موافقتكم به الإسلام، ومعرفتكم بالناقض إذا تحققتموه، وأنه يكون بكلمة ولو لم تعتقد، ويكون بفعل ولو لو يتكلم،

(١) مجموع مؤلفات الشيخ - هذه مسائل (١٥/٢).

ويكون في القلب من الحب والبغض، ولو لم يتكلم ولم يعمل، تبين لك الأمر اللهم إلا إن كنتم ذاكرين في أول الأوراق وأنتم تعتقدون خلافه فذلك أمر آخر"^(١).

ومن الأساليب التي انتهجها الإمام - رحمه الله - في الأدلة العقلية التدرج في الإقناع؛ لأنه يتناسب مع القدرات الفطرية، والملكات العقلية التي وهبها الله المكلّف، فهنا لا يجد محيداً عن التسليم للدليل إن كان يروم الحق، ومما أورده الإمام قوله: "وأنا أبين لكم هذه بمسألة القبلة أن النبي ﷺ وأمته يصلون، والنصارى يصلون، ولكن قبلته ﷺ وأمته بيت الله، وقبله النصارى مطلع الشمس، فالكل منا ومنهم يصلي، ولكن اختلفنا في القبلة، ولو أن رجلاً من أمة محمد ﷺ يقر بهذا، ولكن يكره من يستقبل القبلة، ويجب من يستقبل الشمس، أتظنون أن هذا مسلم؟ وهذا ما نحن فيه، فالنبي ﷺ بعثه الله بالتوحيد، وأن لا يدعى مع الله أحداً، لا نبي ولا غيره، والنصارى يدعون عيسى رسول الله، ويدعون الصالحين، يقولون: ليشفعوا لنا عند الله.

فإذا كان كل مطوع مقرراً بالتوحيد، فاجعلوا التوحيد مثل القبلة، واجعلوا الشرك مثل استقبال المشرق، مع أن هذا أعظم من القبلة، وأنا أنصحكم الله وأنحاكم، لا تضيعوا حظكم من الله، وتحبون دين النصارى على دين نبيكم، فما ظنكم بمن واجه الله وهو يعلم من قلبه أنه عرف أن التوحيد دينه ودين رسوله، وهو يبغضه، ويبغض من اتبعه، ويعرف أن دعوة غيره هو الشرك، ويجب من اتبعه، أتظنون أن الله يغفر لهذا؟، والنصيحة لمن خاف عذاب الآخرة، وأما القلب الخالي من ذلك فلا، والسلام"^(٢).

ومن التدرج كذلك قوله - رحمه الله -: "فإذا عرفت أن الله خلقك لعبادته، فاعلم أن العبادة لا تسمى عبادة إلا مع التوحيد، كما أن الصلاة لا تسمى صلاة إلا مع الطهارة؛ فإذا دخل الشرك في العبادة فسدت، كالحديث إذا دخل في الطهارة، فإذا عرفت أن الشرك إذا خالط العبادة أفسدها، وأحبط العمل، وصار صاحبه من الخالدين في النار، عرفت أن أهم ما عليك معرفة ذلك، لعل الله أن يخلصك من هذه الشبكة، وهي الشرك بالله"^(٣).

(١) مجموع مؤلفات الشيخ - الرسائل الشخصية (٣/١٥-١٦)، وتاريخ ابن غنام (١/٣٤١-٣٤٢).

(٢) مجموع مؤلفات الشيخ - الرسائل الشخصية (٣/١٠٩-١١٠)، وتاريخ ابن غنام (١/٤١٠).

(٣) مجموع مؤلفات الشيخ - القواعد الأربع (٦/١٤٤).



ومن أساليب الإقناع العقلي التي سلكها الإمام- رحمه الله- مع المُخالفين التنزل مع الخصم حيث نصّ على ذلك بقوله: "على سبيل التنزل، أن الشرك لا يكفر من فعله، أو أنه شرك أصغر، أو أنه معصية غير الكفر، مع أن جميع ما ذكرتم لا يدل على ذلك، فإن أردت بينت لك في غير هذه المرة معاني هذه العبارات من الأدلة من كلام كل رجل، كما بينته لك من كلام الشيخ.

لكن أنتم مسلمون أن رسول الله ﷺ قد أنكروه ونهى عنه، فلو أن رجلاً أقر بذلك، مع كونه لم يفعله؛ لكنه زينه للناس ورغبهم فيه، أليس هذا كافرًا مرتدًا؟! ولو قدرنا أن الأمر الذي كرهه وصد الناس عنه ما أمر به الرسول إلا أمر استحباب: كركعتي الفجر، أو أن الذي نهى عنه ما نهى عنه إلا نهى تنزيه: كأكل بالشمال، والنوم للجُنب من غير وضوء، ولو أن رجلاً عرف نهى الرسول وزعم لأجل غرض من الأغراض أن الأكل بالشمال هو الأحب المرضي عند الله، وأن الأكل باليمين يضر عند الله، وأن الوضوء للجُنب إذا أراد النوم يضر عند الله، وأن النوم من غير وضوء أحب إلى الله مع علمه بما قال الرسول ﷺ، أليس هذا كلام كافر مرتد؟! فكيف بمن سب دين الله الذي بعث به جميع الأنبياء مع إقراره ومعرفته به، ومدح دين المشركين الذي بعث الله الأنبياء بإنكاره، ودعا الناس إليه مع معرفته!"^(١).

فإذا أُحيط العقل بسياج الشرع وسلم من العبث، وتجرد من الوهم والخرافة، فإنه حينئذ يؤمن عليه، ويكون آمنًا وأمينًا في تفسيره وتفكيره، ويتحقق دوره الريادي في الفهم والإفهام؛ ولذا حرصت الشريعة على حماية العقل وعدته من الضرورات الخمس التي يجب الحفاظ عليها^(٢).

وقد حرص الإمام- رحمه الله- على العناية بالفكر بتوفير كل أسباب حمايته واستقامته، والعمل على رصد كل ما من شأنه التأثير على سلامته، وهذه النظرة الثاقبة من الإمام أوصلته إلى نتائج مثمرة وغايات محمودة، فلا شك أن من وسائل حفظ الأمن الفكري الإقناع العقلي والحجة العلميّة التي ينتج عنهما التسليم لأمر الله وأمر رسوله ﷺ.

(١) المرجع السابق- الرسائل الشخصية (١٧/٣ - ١٨).

(٢) انظر: الأمن الفكري وعناية المملكة العربيّة السعوديّة به- عبد الله التركي (٤١).

المبحث الثاني: الدعوة إلى الله

إن الحاجة للدعوة إلى الله - تعالى - كامنة في سر وجود البشر في هذه الدنيا، والحاجة إليها لا تُقاس بحاجة؛ لأن السعادة والرخاء، والاطمئنان، والالتزان الفكري، لا يكون إلا بالقيام بواجب الدعوة^(١)، وقد عبّر ابن القيم - رحمه الله - عن حاجة البشرية للدعوة بقوله: "حاجة الناس إلى الشريعة ضرورية فوق حاجتهم إلى كل شيء، ولا نسبة لحاجتهم إلى علم الطب إليها... وأما الشريعة فمبناها على تعريف مواقع رضا الله وسخطه في حركات العباد الاختيارية؛ فمبناها على الوحي المحض، والحاجة إلى الشريعة أشد من الحاجة إلى التنفس - فضلا عن الطعام والشراب -؛ لأن غاية ما يُقدَّر في عدم التنفس والطعام والشراب موت البدن، وتعطل الروح عنه، وأما ما يُقدَّر عند عدم الشريعة ففساد الروح والقلب جملة، وهلاك الأبد.

وشتان بين هذا وهلاك البدن بالموت، فليس الناس قط إلى شيء أحوج منهم إلى معرفة ما جاء به الرسول ﷺ، والقيام به، والدعوة إليه، والصبر عليه، وجهاد من خرج عنه حتى يرجع إليه، وليس للعالم صلاح بدون ذلك البتة، ولا سبيل إلى الوصول إلى السعادة والفوز الأكبر إلا بالعبور على هذا الجسر"^(٢).

ومما سبق يتبين بجلاء أهمية الدعوة إلى الله - سبحانه وتعالى -، ويكفي أن يُتدبر قوله -

تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾^(٣).

ولذا ولج الدعوة والمصلحون والمُجددون هذا الباب، وبدلوا في سبيله الغالي والنفيس، وإذا عُذوا كان من جملتهم الإمام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - الذي لم يدخر جهدًا ولا وسعًا في تبليغ دين الله، والدعوة إليه بكافة السبل والوسائل، وقد اختط منهجًا مُغيّرًا لما عليه علماء عصره، في عصرٍ طغت فيه الشراكيات والبدع والخرافة، واختل بسببه الأمن بشتى صورته.

وقد مرت دعوة الإمام - رحمه الله - بمرحلتين في مسيرتها:

(١) انظر: منهج ابن القيم في الدعوة إلى الله تعالى - أحمد الخلف (١/٥٣).

(٢) مفتاح دار السعادة (٢/٣١٨).

(٣) سورة فصلت آية رقم [٣٣].



أولاً: مرحلة الجهد الفردي:

والتي ابتدأت منذ فترة مُبكرة، في أثناء طلبه للعلم، كما كان في العيينة إبان ولاية أبيه لقضائها، قبل أن ينتقل إلى حرملًا سنة (١١٣٩هـ)، فقد كان يُنكر الشريكيات والبدع، والظلم المُتفشّي، وقتل الناس بعضهم لبعض، وأنكر الشريكيات والبدع في البصرة أثناء رحلته إليها، ودعا الناس في حرملًا، ونهاهم عما يقومون به من أمور شريكية، وأعلن الدعوة بعد وفاة والده حتى شاع أمره وظهر خبره^(١).

وقد رغب الإمام - رحمه الله - في الدعوة إلى الله، وحثَّ على القيام بها ابتغاء موعود الله، فقال مخاطبًا أحد علماء المدينة في رسالة له: "ويكون عندك معلومًا أن أعظم المراتب وأجلّها عند الله: الدعوة إليه، التي قال الله: ﴿ تَزُولُ مِنْ عَفْوَهِ رَحِيمٌ ﴾^(٢) الآية، وفي الحديث: "والله، لأن يهدي الله بك رجلًا واحدًا، خير لك من حمر النعم"^(٣)^(٤).

ولم يقتصر الترغيب في الدعوة على العلماء، أو فئة من المُخالفين فمنذ أن بدأ الإمام - رحمه الله - دعوته في العيينة لم يجعل بينه وبين الأُمراء حاجزًا يمنعه من الوصول إليهم وتبليغهم دين الله، وقد حصل للشيخ مراده عندما استجاب له أمير العيينة عثمان بن معمر، ولمّا تغير عليه، انتقل الإمام بدعوته إلى أمير الدرعية محمد بن سعود - رحمه الله - الذي وفقه الله لقبول هذه الدعوة.

ومن الجهود الفرديّة: التذكير بالأجر العظيم المترتب على الدعوة إلى الله، مع كونها شرفًا للداعي، وإكرامًا من الله له، حتى ولو كانت الدعوة بنصر دين الله بالقلب والدعاء قدر الاستطاعة، بل لو كانت بمجرد عرض رسالة الإمام على من يُرجى قبوله لها، يقول الإمام - رحمه الله -: "وأنا أرجو أن يكرمك الله بنصر دينه ونبيه وذلك بمقتضى الاستطاعة ولو بالقلب

(١) انظر: تاريخ ابن غنام (٢١٢/١-٢١٥)، وعنوان المجد في تاريخ نجد - عثمان بن بشر (١/٨٢-٨٥).

(٢) سورة فصلت آية رقم [٣٢].

(٣) رواه البخاري في صحيحه - كتاب المناقب - باب مناقب علي بن أبي طالب (٣٠٢) (ح ٣٧٠١)، ومسلم في

صحيحه - كتاب فضائل الصحابة - باب من فضائل علي بن أبي طالب (١١٠١) (ح ٢٤٠٦).

(٤) مجموع مؤلفات الشيخ - الرسائل الشخصية (٣/٢٩).

والدعاء...، فإن رأيت عرض كلامي على من ظننت أنه يقبل من إخواننا فإن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً"^(١).

كما أن الإمام- رحمه الله- سعى سعيًا حثيثًا في تبليغ دين الله، والدعوة إليه بتأليف الكتب، والتي لم يكن القصد من رقمها الترف الفكري أو إثراء المكتبات، بل الدافع لها حاجة الدعوة وحماتها، ومن هذه الكتب، والتي لا بد أن يكون صاحبها دعوة: كتاب التوحيد، فقد ألفه سنة (١١٥٣هـ)^(٢)، وكتابا كشف الشبهات، والأصول الثلاثة، وغيرهما، إضافة إلى إرسال الرسائل إلى العلماء، وطلبة العلم، والأمراء والأعيان، وعموم الناس؛ لإدراك الإمام- رحمه الله- للأثر البالغ لهذه الوسيلة في نفوس المدعوين، والتأثير في أفكارهم وتوجهاتهم، وكانت رسائله إما جوابًا لخطاب، أو تفنيديًا لشبهة، أو حلاً لمعضلة، أو دعوة مباشرة، أو إيضاحًا لحقيقة دعوته، وإزالة ما علق بأذهان الناس جراء الدعاية المغرضة، وغالب رسائله كانت بعد اتفاق الدرعيّة.

وقد سعى الإمام- رحمه الله- للبحث عن سلطة سياسية لتأييد دعوته، فعرض نفسه على ابن معمر، فلما تخلى عنه اتجه إلى الإمام محمد بن سعود- رحمه الله- والتي يظهر من خلالها الجهد الفردي الذي بذله الإمام من أجل دعوته^(٣).

ثانيًا: مرحلة الجهد الجماعي:

وتتضح صورتها بعد انتقال الإمام- رحمه الله- إلى الدرعيّة، ومناصرة الإمام محمد بن سعود -رحمه الله- له في دعوته، حيث وفد إليه الأتباع، وانعقدت له الدروس، وتكونت ولاية إسلامية كانت منطلقًا للجهد الجماعي للدعوة، فانتقل بمبادئه من الميدان النظري للدعوة إلى التطبيق العملي.

ولعلم الإمام- رحمه الله- بأن الدعوة جهد جماعي يجب أن تتضافر فيه الجهود، فقد أسند بعض مهام الدعوة إلى بعض طلابه الذين بعث بهم إلى المناطق؛ ليقوموا بدعوة بعض المخالفين، ومذاكرتهم، وتوضيح التوحيد لهم.

(١) المرجع السابق (٢٢/٣).

(٢) انظر: تاريخ ابن غنام (٢١٥/١).

(٣) انظر: الإمام محمد بن عبد الوهاب عقيدته السلفية ودعوته الإصلاحية وثناء العلماء عليه- أحمد آل أبو طامي (٣٠-٣٤).



فقد بعث الدعوة، والعلماء إلى البلدان التي انضمت إلى رحاب الدعوة، مثل: إرسال محمد بن صالح^(١) إلى بلدة منفوحة^(٢)، من أجل تعليمهم وإمامتهم في الصلاة، وعيسى بن قاسم^(٣) إلى بلدة الرياض؛ من أجل تعليمهم مبادئ الدعوة، وأحمد بن سويلم^(٤) إلى بلدة ثادق، وحمد العريبي^(٥) إلى بلدة اليمامة، وأرسل عبد العزيز الحصين إلى مكة المكرمة؛ لعرض الدعوة على الشريف وعلمائه^(٦)، وكان يُشارك في تعيين الأمراء، ويدعو الوفود؛ للالتقاء بهم، وتذكيرهم بواجبهم^(٧).

وقد سار الإمام- رحمه الله- في دعوته على منهج شرعي وأصول علمية؛ لا كما يزعم الخصوم أنه لا فقه ولا علم، وإنما يُشرِّع ويُفسر هو وأتباعه بحسب أهوائهم، وأنهم لا يفقهون من المسائل، ولا شريعة رب العالمين ما يؤهلهم إلى أن يكونوا من أئمة الدين^(٨).

بل قد كان الإمام- رحمه الله- يمضي في دعوته وفق منهجية قائمة على أسس، أهمها:

١- العلم: وقد حده الإمام للخروج من العموم بقوله: "وهو معرفة الله، ومعرفة نبيه، ومعرفة دين الإسلام بالأدلة"^(٩).

(١) لم أقف له على ترجمة رغم بذل الجهد.

(٢) وقد قام أهل منفوحة بطرده بعد ارتدادهم، عام (١١٦٦هـ)، وخرج من أتباع الدعوة في يوم سبعون رجلاً. انظر: تاريخ ابن غنام (٢/٦٩٤)، وعنوان المجد في تاريخ نجد- عثمان بن بشر (١/١٠٨-١٠٩).

(٣) من مشاهير أهل الدرعية الذين ناصروا الإمام عند قدومه إليها، وصفه ابن غنام بقوله: "وكان بنشر الدين مُجدِّدًا قائمًا، ولتعليم الناس ملازم" انظر: تاريخ ابن غنام (٢/٦٧١، ٨٨٣)، وعنوان المجد في تاريخ نجد- عثمان بن بشر (١/١٠٩-١١٠) تاريخ الفاخري-محمد الفاخري (١٣٥).

(٤) تتلمذ على الإمام وناصره عند قدومه إلى الدرعية، ومن باشر قطع شجرة قريوة، انظر: تاريخ ابن غنام (١/٢١٦)، (٢/٧٤٤-٧٤٥)، وعنوان المجد في تاريخ نجد-عثمان بن بشر (١/١١٦).

(٥) حمد بن راشد العريبي، صاحب ديانة وأمانة، وعفة واستقامة، تتلمذ على الإمام وغيره من علماء الدعوة، أرسله الإمام سنة (١١٩٤هـ)، ليعلمهم ومكث عندهم حتى نكثوا، وعُين قاضيًا في مقاطعة سدير. انظر: عنوان المجد في تاريخ نجد- عثمان بن بشر (١/١٥٦)، وعلماء نجد خلال ثمانية قرون- عبد الله البسام (٢/٧٣).

(٦) انظر: عنوان المجد في تاريخ نجد-عثمان بن بشر (١/١٩٠-١٩١).

(٧) انظر: عنوان المجد في تاريخ نجد-عثمان بن بشر (١/٢٠١)، والفسيفساء السعودية-عمر الزبيدي (١/٣٥١).

(٨) انظر: الصواعق والرمود- عبد الله بن داود- صحيفة (٣٧)، وكتاب مصباح الأنام وجماء الظلام في رد شبه البدعي النجدي التي أضل بها العوام-علوي الحداد (٤).

(٩) مجموع مؤلفات الشيخ-ثلاثة الأصول (٦/١٣٤).

ومما سبق يمكن القول بأن منهجية الإمام - رحمه الله - تتمثل في كون العلم النظري سابقاً للعمل التطبيقي؛ وذلك لأن العلم الصحيح هادياً إلى حسن العمل، وساق ما أورده البخاري في صحيحه^(١): باب العلم قبل القول والعمل، وقد استدل - رحمه الله - على هذه المنهجية بقوله تعالى: ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيَاكَ ﴾^(٢)^(٣)، فقدم - سبحانه - العلم به وبوحدانيته على الاستغفار، وهذا الفهم له دلالة واضحة على أصالة هذا المنهج، وصحته وسلامته.

٢- العمل: لقد وظف الإمام - رحمه الله - هذا الأساس وطبقه في الواقع المعيش، فقد كان - رحمه الله - يأخذ بهذا الأساس ويعطي، ويتناول ويدع، وفق ما تقتضيه حقيقة هذا العلم، وذلك إسهاماً منه - رحمه الله - في خدمة دينه، والدعوة إليه، وإصلاح مجتمعه، مبتدأ بنفسه وأهل بيته، ومن حوله، فقد كان - رحمه الله - قدوة في العمل بمقتضى ما جاء في القرآن الكريم، والسنة المطهرة^(٤).

٣- الدعوة إليه: ويتمثل هذا الأساس في الدعوة إلى الله بالعلم الذي حدد الإمام - رحمه الله - مجالاته الثلاثة آفة الذكر، فقد طبقه تطبيقاً عملياً، ودعا إلى الله على بصيرة بصور ووسائل شتى منها^(٥):
أولاً: الدعوة إلى الله بالحكمة:

وهي منزلة منيفة، وغاية شريفة يسعى إلى تطبيقها عملياً من وفقه الله لهداه، وسار على منهج حكيم لهداية الخلق.

فالحكمة لا تقتصر على صفة معينة؛ بل هي مجموعة من الصفات والشمائل، والعلوم، والأخلاق التي يتزود بها الداعي إلى الله، والتي يتأهل بها إلى تقدير الأمور، فيبدأ بالأهم فالمهم، حتى يأتي على جميع ما يحتاجه المدعوون^(٦).

(١) كتاب العلم (٨).

(٢) سورة محمد آية رقم [١٩].

(٣) انظر: حركة التجديد والإصلاح في نجد في العصر الحديث - عبد الله العجلان (٩١).

(٤) انظر: المرجع السابق (٩٤-٩٥).

(٥) انظر: المرجع السابق (٩٥).

(٦) انظر: الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية - عبد الرحيم المغدوي (٧١٣-٧١٤).



والحكمة تقتضي وضع كل شيء في موضعه، فهي لين في وقت اللين، وشدة في وقت الشدة، والإمام- رحمه الله- كان حكيماً كما يتضح من خلال رسائله، ومواعظه، ومؤلفاته.

فكانت العقيدة وصحتها هي هاجسه الأول، وأصل منطلق دعوته؛ لذا لم يتساهل أو يتأخر فيما يتعلق بمسائل العقيدة، فيقول- رحمه الله-: "ورأس أعمال أهل النار: الشرك بالله، فمن مات على ذلك، فلو أتى يوم القيامة بعبادة الله الليل والنهار، والصدقة والإحسان، فهو من أهل النار قطعاً، كالنصارى، الذين يبني أحدهم صومعة في البرية، ويزهّد في الدنيا، ويتعبد الليل والنهار، لكنه خلط ذلك بالشرك بالله، تعالى الله عن ذلك" (١).

وتتجلى حكمة الإمام- رحمه الله- في دعوته للمُخالفين على اختلاف طبقاتهم، كما مضى في تعامله مع المخالفين.

ثانياً: الدعوة إلى الله بالموعظة الحسنة:

لم يفتأ الإمام- رحمه الله- من دعوة الناس بتلمسه للكلمات المرققة للقلوب، والمنورة للصدور، والتي تُذهب وحر القلوب القاسية، وتؤلف النفوس العاصية، مُستخدماً- رحمه الله- الخطاب المُقنع والعبارات النافعة، التي تقع من المدعو موقعاً حسناً، فيحصل المقصود، ويظهر الحق، ومن ذلك قوله- رحمه الله-: "فليتأمل اللبيب الخالي عن التعصب والهوى- الذي يعرف أن وراءه جنة ونازلاً، الذي يعلم أن الله يطلع على خفيات الضمير- هذه النصوص، ويفهمها فهماً جيداً" (٢).

ومن الحُسن في الموعظة ذكر الأثر المترتب على قبول الحق والانقياد له في سياق عرضه "فتأمل ما ذكرت لك ساعة بعد ساعة، ويوماً بعد يوم، وشهراً بعد شهر، وسنة بعد سنة؛ لعلك أن تعرف ملة أبيك إبراهيم، ودين نبيك فتحشر معهما، ولا تُصد عن الحوض يوم الدين، كما يصد عنه من صُد عن طريقهما، ولعلك أن تمر على الصراط يوم القيامة، ولا تزل

(١) الدرر السنية في الأجوبة النجدية- جمع: عبد الرحمن بن قاسم (١٠١/٢).

(٢) مجموع مؤلفات الشيخ- الرسائل الشخصية (٥٠/٣).

عنه كما زل عن صراطهما المستقيم في الدنيا من زل، فعليك بإدامة دعاء الفاتحة مع حضور قلب، وخوف وتضرع" (١).

ثالثاً: الدعوة إلى الله بالقصة:

لا شك أن للقصة أثر بالغ ووقع في النفوس، ويتجلى ذلك في القصص القرآني البليغ الذي قصه الله على العباد؛ من أجل أخذ العظة والعبرة، وتصحيح المسار، قال- تعالى:-
﴿فَأَقْصِبْ أَلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (١٧٦) (٢).

والقصة ركيزة هامة من ركائز الدعوة إلى الله؛ لما تُحدثه في النفوس من الاطمئنان القلبي، والإقناع العقلي إضافة إلى الإمتاع العاطفي (٣).

ولذا لم يُغفل الإمام- رحمه الله- هذا الجانب الدعوي المهم بل سطره بمداده في مؤلفاته، وانتهج في سيرته الدعوية، فمن ذلك إيراد- رحمه الله- للقصص الثابتة في القرآن الكريم، والسنة النبوية، كقصص الأنبياء (٤)، وقصة الثلاثة من بني إسرائيل (٥)، وقصة الرجلين اللذين دخل أحدهما الجنة في ذباب، ودخل الآخر النار في ذباب (٦)، وقصة عمر بن الخطاب- رضي الله عنه- مع المنافق في التحاكم لغير الله (٧).

وهذا الإيراد للقصص لا على سبيل الترف الذهني؛ وإنما من أجل التأثير في المدعويين وتصحيح الخلل الذي وقعوا فيه (٨).

(١) مجموع مؤلفات الشيخ - كتاب فضائل القرآن والتفسير (٣٤/٢).

(٢) سورة الأعراف آية رقم [١٧٦].

(٣) انظر: الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية- عبد الرحيم المغدوي (٧٣٩).

(٤) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ - كتاب فضائل القرآن والتفسير- قصة آدم وإبليس (٧٧/٢) تفسير سورة يوسف (١٠٦/٢)، قصة موسى مع الخضر (١٩١/٢)، وقصة موسى مع فرعون (٢٢٠/٢).

(٥) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ - كتاب التوحيد (٨٦/٦).

(٦) انظر: المرجع السابق (٢٤/٦).

(٧) انظر: المرجع السابق (٧٤/٦).

(٨) انظر: حركة التجديد والإصلاح في نجد في العصر الحديث- عبد الله العجلان (٩٨-٩٩).



ويتضح مما سبق ما قام به الإمام- رحمه الله- من الوقوف على ثغور عظيمة لدعوة الناس للحق، وتوجيههم إلى ماينفعهم في أمور دينهم، وتحذيره لهم من مغبة مخالفة ذلك، وقد كان هذا إسهاما بارزاً منه- رحمه الله- في الحفاظ على الأمن الفكري، من حيث وضع سياق متين للعقول يتألف من: الإيمان، والعلم، والثوابت الصحيحة التي تشكل لدى الأفراد والجماعات حصانة فكريّة.

لذا خرج الإمام- رحمه الله- إلى واقع الناس ودعاهم، ونزل إلى مستويات أفكارهم، ووقف على أوضاعهم، وشخص حالهم، ونوع الأساليب في تصحيح مسارهم، وفي هذا حفاظ على الأمن الفكري وحماية له^(١).

(١) انظر: تقويم جهود وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد في تعزيز الأمن الفكري- سعد العبيسي (٣٤-٣٥).

المبحث الثالث: التعليم

إن اهتمام الإسلام بالعقل والحث على طلب العلم، سواءً كان فرض عين أو فرض كفاية، والذي لا يمكن حصر شواهدة لكثرتها، والدعوة إلى التفكير والتدبر، والتأمل وإعمال العقل؛ لإدراك الحقائق التي تُعين على تحقيق الهدف الذي خُلق الإنسان لتحقيقه، كل ذلك يشهد لدين الإسلام باهتمامه بالعلم والعقل، إذ هما من أهم روافد الأمن الفكري^(١).

فالعلم الصحيح المبني على منهج رباني له أثره البالغ على الأمة في مسيرة حياتها؛ إذ عليه مبني دينها، وسلامة توجهها، وبه تجتمع كلمتها، وتتألف قلوبها، ويستتب أمنها.

ولقد أدرك الإمام- رحمه الله- قيمة التعليم وكونه وسيلة فاعلة مؤثرة في الناس، ومن ثم جدّ واجتهد، وأقام دعوته على هذه الركيزة والتي أساسها تعليم الناس الكتاب والسنة، وتشجيع طلاب العلم على التعمق في العلوم الشرعيّة، وغيرها من العلوم النافعة^(٢).

ومع ما يشيعة الخصوم من مدعي العلم عن الإمام- رحمه الله- أنه يُحذر من العلم^(٣)، وينسبونه إلى الجهل والتجهيل في تفسيره وفتواه، ومن ذلك أنه أنكر على عالم نهي عن الصلاة في وقت النهي مُستدلاً بقوله- تعالى-: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى ﴿١﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّى ﴿١٠﴾﴾^{(٤)(٥)}، وفي الحقيقة والواقع فقد تصدى الإمام- رحمه الله- لمدعي العلم وجلّى حقيقتهم، وكشف أمرهم وتلبسهم على الناس دينهم، وذلك بتحذيره من رؤوس أهل الضلال كما مضى في الخصوم من مدعي العلم.

ولم يقتصر على التحذير فحسب، بل وجه وعلم وشجع على العلم عندما استتب له الأمر في الدرعيّة، ولم يُبالغ من قال إن الإمام- رحمه الله- ألزم جميع الناس بالعلم^(٦)، وكذلك

(١) انظر: الأمن الفكري مفهومه وأهميته ومتطلبات تحقيقه- عبد الحفيظ المالكي (٤٢-٤٣) مجلة البحوث الأمنيّة العدد (٤٣) شعبان (١٤٣٠هـ).

(٢) انظر: إسلاميّة لا وهابيّة- ناصر العقل (٣٦٤).

(٣) انظر: الصواعق والرعود- عبد الله بن داود (٥٧ب).

(٤) سورة العلق آية رقم [٩-١٠].

(٥) انظر: الصواعق والرعود- عبد الله بن داود (٨٠ب).

(٦) انظر: تاريخ البلاد العربيّة (الدولة السعوديّة الأولى)- منير العجلاني (٩٩/١).



من قال: "فلم يبق أحد من عوام أهل نجد جاهلاً بالدين"^(١)، وما ذاك إلا لعلمه - رحمه الله - بأثر العلم البالغ على المُتعلّم، وأثره على تعبدته وسلوكه، ومن الأساليب التي سلكها الإمام - رحمه الله - في التعليم، وطُرق تنفيذها ما يلي:

١ - عقّد الإمام - رحمه الله - دروس لعموم الناس، وكان يقتصر فيها على أصول الدين وقواعد الإسلام، كتعليم معنى كلمة التوحيد، ومستلزمات أداء الفرائض، ومعرفة نبيهم ﷺ، وذلك وفق منهج شرعي بسيط واضح^(٢).

وقد كان مقصد الإمام - رحمه الله - من ذلك هو أن يتسنى للعامي الموحد الذي يُجيد أبجديات العلم ومُقدّماته أن يدفع عن نفسه شبه المُضلين، وحجج المبتدعة في الدين^(٣)؛ وفي هذا المعنى يقول الإمام - رحمه الله -: "والعامي من الموحدين يغلب ألفاً من علماء هؤلاء المشركين"^(٤).

٢ - دروس علميّة لخاصة طلاب العلم، في التفسير والتوحيد والفقه، والحديث، وغيرها^(٥)، وفي المطولات من كتب أهل العلم، كتفسير ابن كثير، والطبري، وصحيح البخاري، وكتب شيخ الإسلام ابن تيميّة، وتلميذه ابن القيم، وما كتبه الإمام من مؤلفات^(٦)، وقد كانوا يستعينون على فهم مُراد الله ومُراد رسوله ﷺ بكتب العلماء المُعتبرين، ففي التفسير إضافة إلى ما سبق تفسير البغوي والبيضاوي والحازن وغيرها، وفي الحديث شرح العسقلاني، والنووي، والمناوي، وفي الفقه، وأمّهات كتب الحديث، وغيرها من كتب أهل العلم^(٧)، وكان الهدف من هذه الدروس إعداد العلماء والقضاة والدعاة لسدّ حاجة الناس ونشر العلم.

٣ - تأليف المُختصرات لعامة الناس والمبتدئين من طلبة العلم، وتلقينها للناس وسؤالهم عنها بعد صلاة الصبح أو بين العشاءين، في جميع المساجد، فيسألون عن الأصول الثلاثة،

(١) عنوان المجد في بيان أحوال بغداد والبصرة ونجد - إبراهيم الحيدري (٢٤٣).

(٢) انظر: عنوان المجد في تاريخ نجد - عثمان بن بشر (٩١/١ - ٩٢).

(٣) انظر: الأساليب التربويّة المستمدة من دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب - عبد الرحمن العريفي (٣٨).

(٤) مجموع مؤلفات الشيخ - الرسائل الشخصية (٨٧/٣).

(٥) انظر: تاريخ ابن غنام (٢١٤/١)، وعنوان المجد في تاريخ نجد - عثمان بن بشر (٩٠/١، ١٩٩).

(٦) انظر: الدولة السعوديّة الأولى - عبد الرحيم عبد الرحمن (٢٥٩/١).

(٧) انظر: علماء نجد خلال ثمانية قرون - عبد الله البسام (١٧٤/١).

وشروط الصلاة وأركانها، وفروض الوضوء ونواقضه، وتحقيق التوحيد، وأنواع العبادة التي لا تنبغي إلا لله^(١)، وهذا لإدراك الإمام- رحمه الله- لأهمية العلم، ودوره في حياة الأمم والشعوب.

٤- الحث على التعلم وتشجيعه:

لقد سعى الإمام- رحمه الله- لتعليم الناس وحثهم على التعلم، وأمرهم به، ومن ذلك قوله -رحمه الله-: "أن تعرف أن طلب العلم فريضة، على كل ذكر وأنتى"^(٢)، وقوله: "اعلم -رحمك الله- أنه يجب علينا تعلم أربع مسائل"^(٣)، وقوله: "اعلم -رحمك الله- أن التوحيد الذي فرض الله على عباده قبل فرض الصلاة والصوم هو توحيد عبادتك أنت...، واعلم أن المشركين الذين قاتلهم رسول الله ﷺ صفة إشراكهم أنهم يدعون الله، ويدعون معه الأصنام والصالحين"^(٤)، ومثل هذا كثير في رسائل الإمام ومؤلفاته.

وقد شجع أئمة الدولة هذا التوجه لدى الإمام- رحمه الله- فكانوا يجنون العلم والعلماء ويُعظموهم، وكانوا كثيري العطاء للقضاة وأهل العلم وطلبتهم، ومعلمي القرآن وأئمة المساجد، ويجعلون لهم عطاء من الديوان، ومن كان في حاجة أو عليه حمالة فيحضر إلى الدرعية لقضاء ما عليه، وكانوا يشجعون الصبيان على تعلم العلم، ويُجزلون لهم العطاء، ويكتبون إلى النواحي يحضون على طلب العلم وتعليمه^(٥).

ومما يؤكد تشجيع الأئمة من آل سعود للعلم، وحرصهم عليه أنهم كانوا يحضرون المجالس العلمية، ويضعون أنفسهم موضع طالب العلم المُتلقّي عن شيخه، وكانوا يعقدون المجالس العلمية في قصورهم، ويلقون الدروس بأنفسهم، وفي غزواتهم يصطحبون العلماء لدوامهم على العلم ومجالسه^(٦)، ومنهم من ألف في أبواب العلم المؤلفات النافعة^(٧).

(١) انظر: عنوان المجد في تاريخ نجد- عثمان بن بشر(١/٢٠١).

(٢) الدرر السنية في الأجوبة النجدية- جمع: عبد الرحمن بن قاسم(١/١٦٩).

(٣) مجموع مؤلفات الشيخ - ثلاثة الأصول(٦/١٣٤).

(٤) المرجع السابق- مجموعة رسائل في التوحيد والإيمان(٦/٢٦٧).

(٥) انظر: عنوان المجد في تاريخ نجد- عثمان بن بشر(١/٢٦٦، ٢٧٠-٢٧١).

(٦) انظر: المرجع السابق(١/٣٢٦-٣٢٠).

(٧) مثل الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود، وقد كتب "الرسالة الدينية في معنى الإلهية، وحقيقة الدعوة النجدية- نشر دار التوحيد (ط٢ سنة ١٤٢٩هـ).



٥- التدرُّج في التعلم:

من الأمور التي طبقتها الإمام- رحمه الله- وحثَّ عليها التدرج في تعليم المُتعلِّم، وهذا خاضع لاعتبارات في المُتعلِّم، كالذكاء، وقوة الفهم، والحفظ، والتمييز، ورجاحة العقل، فيقول- رحمه الله-: "ينبغي للمعلم أن يعلم الإنسان على قدر فهمه، فإن كان ممن يقرأ القرآن أو عرف أنه ذكي، فيُعلم أصل الدين وأدلتها، والشرك وأدلتها، ويقرأ عليه القرآن، ويجتهد أنه يفهم القرآن فهم قلب، وإن كان رجلاً متوسطاً ذكر له بعض هذا، وإن كان مثل غالب الناس، ضعيف الفهم، فيصرح له بحق الله على العبيد، مثل ما ذكر النبي ﷺ لمعاذ، ويصف له حقوق الخلق، مثل حق المسلم على المسلم، وحق الأرحام، وحق الوالدين، وأعظم من ذلك حق النبي ﷺ، وأفرضه شهادتك له أنه رسول الله، وأنه خاتم النبيين، وتعلم أنك لو ترفع واحداً من الصحابة في منزلة النبوة صرت كافراً، فإذا فهم ذلك فقل حق الله عليك أعظم وأعظم"^(١).

وفي هذا لفتة إلى أن الإمام- رحمه الله- كان يهتم بما يسمى في العمليَّة التربويَّة بمراعاة الفروق الفرديَّة في المتعلم؛ لذا نبه في مسأله على كتاب التوحيد على أمور ينبغي أن يُراعيها العالم في تعليمه ومن ذلك قوله: "التنبية على التعليم بالتدرج، والبداءة بالأهم فالأهم، وكشف العالم الشبهة عن المتعلم"^(٢).

ومن صور التدرج أن الطالب الذي ينهي بعض الكتب على مشايخه ويبرز في مجالات علميَّة، ويلمس شيخه فيه نبوغاً وفهماً، وقدرة على التعليم ونفع الناس يُجرى له اختبار في علوم متنوعه، أو كتاب مُعين، أو علم من العلوم ويحصل إذا اجتاز ذلك على إجازة^(٣).

٦- التعليم بالمراسلة:

من الأساليب العلميَّة والتعليميَّة في زمن الإمام- رحمه الله- انتشار مثل هذا النوع من التعليم، وقد كان يتم عن طريق الشرح، أو التفسير، أو مناقشة مسألة علميَّة، وقد كان خطاب الإمام للمتعلم يتسم بالوضوح والبيان، والإيجاز والعبارة التي تُناسب ثقافة المتلقي ومستواه العلمي، ومن ذلك رسالته- رحمه الله- لابن عباد، فبعد أن أثنى عليه الإمام قال: "وبعد،

(١) الدرر السنيَّة في الأجوبة النجديَّة- جمع: عبد الرحمن بن قاسم(١٧٠/١-١٧١).

(٢) مجموع مؤلفات الشيخ- كتاب التوحيد (١٤/٦).

(٣) انظر: علماء نجد خلال ثمانية قرون- عبد الله البسام(١٨٥/١-١٨٦، ٤٣٤)،(٢/٥٠٧-٥٠٨).

وصلنا أوراق في التوحيد، بما كلام من أحسن الكلام، وفقك الله للصواب، وتذكر فيه أن ودك نبين لك إن كان فيها شيء" (١)، وبعد أن بين له الإمام بعض مسائل العقيدة قال: "السادسة: جزمك بأن النبي ﷺ قال: "اطلبوا العلم ولو في الصين"، فلا ينبغي أن يجزم الإنسان على رسول الله ﷺ بما لا يعلم صحته، وهو من القول بلا علم، فلو أنك قلت: ورؤي، أو ذكر فلان، أو ذكر في الكتاب الفلاني، لكان هذا مناسبًا، وأما الجزم بالأحاديث التي لم تصح فلا يجوز، فتفتن لهذه المسألة، فما أكثر من يقع فيها!" (٢).

وقد أكد الإمام- رحمه الله- في ختام رسالته السابقة ضرورة التواصل لتوضيح ما تعذر بيانه عن طريق المراسلة فيقول- رحمه الله-: "ولكن أشير عليك بعزيمة أنك تواصلنا، وتذاكر معك..." (٣).

وهذا ينم عن حرص الإمام- رحمه الله- على أداء العلم وتبليغه على أكمل وجه، حيث لم يقتصر على التوضيح بالمراسلة فقط، وإنما دعا إلى التلقي المباشر الذي هو بلا شك أدهى للفهم وحصول العلم.

ومن صور التعليم بالمراسلة: تفسير الإمام- رحمه الله- لسورة الفاتحة حينما طلب الأمير عبد العزيز بن محمد بن سعود- رحمه الله- أن يكتب له التفسير فما كان من الإمام إلا أن أرسل له تفسيرًا شاملًا مطولًا، مُدعمًا بالأدلة، معتمدًا فيه على ما ورد في كتب المفسرين (٤).

ومما سبق يتبين أن الإمام- رحمه الله- قام بمهمة التعليم أكمل قيام، ولا عجب! حيث شجع على العلم وحثَّ على طلبه في غير موضع من كتاباته، ورسائله، وخطبه ومواعظه، وسعى سعيًا حثيثًا لحمل الناس على طلب العلم وتهيئة سبله، ومحو الأمية ومكافحتها، ودحر الجهل وظلمته، وإنارة العقول والأفهام بنور العلم والهداية، ولا يشك عاقل في كون العلم المبني على أصول علمية وأخذ من مصادره ومن أهله وسيلة فاعلة وحاجز منيع لإقصاء كل ما من شأنه أن يُخل بالفكر ويُهدد أمنه.

(١) مجموع مؤلفات الشيخ- الرسائل الشخصية (٩/٣).

(٢) المرجع السابق (١٠/٣).

(٣) المرجع السابق (١٢/٣).

(٤) المرجع السابق (٢٩/٢).



المبحث الرابع: الحوار

الحوار لغة: الرجوع، يقال: حار إذا رجع من حال إلى حال^(١).

الحوار اصطلاحاً: "مناقشة بين طرفين أو أطراف، يُقصد بها تصحيح كلامٍ، وإظهار حجةٍ، وإثبات حقٍ، ودفع شبهةٍ، وردُّ الفاسد من القول والرأي"^(٢).

ويُعد الحوار مبدأ أصيلاً من مبادئ الدعوة الإسلامية، ومنهجاً شرعياً من مناهجها، وقد غني القرآن والسنة في غير ما موضع بالحوار، ومن ذلك قوله - تعالى -: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَأِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٣﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣٤﴾ قَالَ يَتَقَدَّمُ أُنْبِيَائِهِمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٥﴾﴾^(٣).

والسنة النبوية زاخرة بالعديد من الحوارات بين النبي ﷺ وأصحابه، وبينه وبين الكفار، وأهل الكتاب، وكان لها نتائج إيجابية في إحقاق الحق وإبطال الباطل.

ومن ذلك القصة المشهورة للصحابي حاطب بن أبي بلتعة - رضي الله عنه - حينما أرسل خطأً إلى أهل مكة، فلم يعاتبه النبي ﷺ مباشرة، ولم يشدد عليه، بل سأله ﷺ ما حملك على ما صنعت؟ فقدم عذره، وأقر بالشهادتين، ثم بيّن صورة المسألة بشكل الحوار الهادف، وقال عمر - رضي الله عنه - للنبي ﷺ دعني أضرب عنقه، ولكنه ﷺ قال: " إنه قد شهد بدرًا، وما يدريك لعل الله قد اطلع على من شهد بدرًا، فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم "^(٤).

(١) انظر: مقاييس اللغة - ابن فارس - كتاب الحاء (٢٣١)، ولسان العرب - ابن منظور (٣/٣٨٤).

(٢) الحوار وآدابه - صالح بن حميد (٩).

(٣) سورة البقرة آية رقم [٣٠-٣٣].

(٤) رواه البخاري في صحيحه - كتاب الجهاد - باب الجاسوس (٢٤١) (ج٣٠٠٧).

وبهذا يتبين أن للحوار دوره الفعّال فيه يمكن تعديل مسار الأشخاص، وأفكارهم، وتبديل قناعاتهم، إذا أقيم الحوار معهم على حجة وإقناع عقلي، وقد سلك كثير من العلماء والدعاة إلى الله هذا المسلك، لما له من دور بارز في تحري الصواب، والحجة الدامغة^(١).

والمتمثل في رسائل الإمام - رحمه الله - يتبين له استخدام الإمام لهذه الوسيلة في مواطن عدة، وذلك بحسب فئات معاصريه، من الخاصة والعامة، والقريب والبعيد من نجد، والحجاز، والعراق، واليمن، والشام، والمغرب وغيرها.

وقد كرر الإمام - رحمه الله - في كثير من رسائله استخدامه للجدال والتي هي أحسن (الحوار)، من ذلك قوله: "وأقول كل إنسان أجادله بمذهبه"^(٢).

وإيماننا من الإمام بأهمية الحوار، وأثره الفاعل في تغيير القناعات، واتباع الحق، فلم يقتصر على تطبيقه وممارسته فحسب، بل حث بعض المدعوين على استثماره والإفادة منه، فيقول لأحدهم: "...واعرض هذا عليه، واطلب منه الجواب عن كل كلمة من هذا، فإن أجابك بشيء، فاكتبه وإن عرفته باطلاً، وإلا راجعني فيه أئينه لك، ولا تستحقر هذا الأمر، فإن حرصت عليه جداً، عزفك عقيدة الإمام أحمد، وأهل السنة، وعقيدة المبتدعة، وصارت هذه الواقعة أنفع لك من القراءة في علم العقائد شهرين أو ثلاثة؛ بسبب الخطأ والاختلاف، مما يوضح الحق"^(٣).

ولقد اتسمت منهجية الإمام - رحمه الله - في الحوار أنها مبنية على الدليل والمسلمات الفطرية والعقلية ووفق مقتضى حال من يدعوهم، ومن أبرز ما اتسمت به ما يلي:

١- المحاورة باللطف واللين:

أدرك الإمام - رحمه الله - أن حصول الهدف المنشود والتوصل إلى الحق وإذعان المخالف له إنما يكون بالرفق واللين، لذا تجده يحاور بالتي هي أحسن، وخير شاهد على هذا ما ورد في جوابه على خطابٍ حواريّ ورد إليه من شريف مكة، الإمام أحمد بن سعيد، في عام

(١) انظر: تصور مقترح لتفعيل دور المدرسة الثانوية في تحقيق الأمن الفكري - بندر الشهراني (١٥٣).

(٢) مجموع مؤلفات الشيخ - الرسائل الشخصية (٨٠/٣).

(٣) المرجع السابق (٧٦/٣).



(١١٨٢هـ) حيث يقول الإمام فيه: "المعروض لديك، أدام الله أفضل نعمه عليك، حضرة الشريف أحمد بن الشريف سعيد، أعزه الله في الدارين، وأعز به دين جده، سيد الثقلين.

إن الكتاب لما وصل إلى الخادم، وتأمل ما فيه من الكلام الحسن، رفع يديه بالدعاء إلى الله بتأييد الشريف، لما كان قصده نصر الشريعة المحمدية، ومن تبعها، وعداوة من خرج عنها، وهذا هو الواجب على ولاية الأمور"^(١).

٢- الهدف من الحوار هو الوصول للحق:

لقد أبدى الإمام استعداده لقبول الحق معضداً بدليله، فيقول- رحمه الله-: "...بينوا لنا الصواب، وأرشدونا إليه"^(٢).

وذلك انطلاقاً من الغاية التي وضعها نصب عينيه وهي الوصول للحق، إذ لم يكن الحوار يشكّل رغبة لدى الإمام- رحمه الله- في انتصار للذات، وطلب الغلبة، وإفحام الغير، بل هو أسمى من ذلك، يقول الإمام- رحمه الله-: "وأرجو أني لا أرد الحق إذا أتاني؛ بل أشهد الله وملائكته وجميع خلقه، إن أتانا منكم كلمة من الحق لأقبلنّها على الرأس والعين، ولأضربن الجدار بكل ما خالفها، من أقوال أئمتي، حاشا رسول الله ﷺ، فإنه لا يقول إلا الحق"^(٣).

وهكذا فقد درج الإمام- رحمه الله- على ترويض النفس، وإلزامها بقبول الحق، حتى ولو جاء على لسان الآخرين، وفي هذا يقول الإمام- رحمه الله-: "...فالواجب على المؤمن أن يدور مع الحق حيث دار"^(٤).

٣- احترام الطرف الآخر ومحاولة كسبه:

لقد فطن الإمام- رحمه الله- للحاجات النفسية من احترام وتقدير، وأولاهها اهتماماً بالغاً؛ لعلمه- رحمه الله- بما يورثه ذلك من قبول للحق وإذعان له، وفي هذا السّياق لم يكن الإمام- رحمه الله- يتوانى عن الاستشهاد بأقوال الطرف الآخر والاستفادة منها، وذلك في إطار تلبية

(١) المرجع السابق (١٦٨/٣).

(٢) المرجع السابق (٧١/٣).

(٣) المرجع السابق (١٣٩/٣).

(٤) المرجع السابق (٧٢/٣).

حاجات المدعو النفسيّة، إذا كانت المصلحة تقتضي ذلك^(١)، ومما يشهد لهذا رد الإمام - رحمه الله - على رسالة أحد المدعويين والتي بيّن له فيها حقيقة التوحيد ثم أردف قائلاً: "... وغير ذلك من النصوص الدالة على حقيقة التوحيد، الذي هو مضمون ما ذكرت في رسالتك"^(٢).

٤- الاستناد على الأسس الشرعيّة والقواعد العلميّة:

إن استناد الإمام - رحمه الله - واستشهاده بما ورد في كتاب الله وسنة نبيه، واتخاذ ذلك منهجاً، هو واضح جلي صرح به في رسائله، فيقول - رحمه الله -: "... فنحن مقلدون الكتاب والسنة، وصالح سلف الأمة، وما عليه الاعتماد من أقوال الأئمة الأربعة، أبي حنيفة النعمان بن ثابت، ومالك بن أنس، ومحمد بن أدريس، وأحمد بن حنبل، رحمهم الله - تعالى -"^(٣).

ومن حيث الاعتماد بالقواعد العلميّة، فإنه كثيراً ما كان يجيل محاوره إلى كتب أهل العلم، حيث إن ذلك يؤدي إلى الوقوف على الحق، وإطالة النظر والتأمل فيه، مما قد يحصل به التسليم والانقياد، يقول - رحمه الله -: "... فإن كان الاستدلال بالقرآن عندكم هزواً وجهلاً، كما هي عادتكم ولا تقبلونه، فانظروا في الإقناع في باب حكم المرتد، وما ذكر فيه من الأمور الهائلة التي ذكر أن الإنسان إذا فعلها فقد ارتد وحل دمه"^(٤).

٥- احترام الإمام - رحمه الله - لأصول طرف الحوار الآخر:

من المبادئ الهامة التي سلكها الإمام - رحمه الله - في حوارهِ مع المُخالف احترام أصوله، والأخذ عنها إذا كانت حقاً، وفي هذا يقول الإمام - رحمه الله -: "إن كان شافعياً فبكلام الشافعي، وإن كان مالكيّاً فبكلام المالكيّة، أو حنبليّاً أو حنفيّاً فكذلك، فإذا أرسلت إليهم ذلك عدلوا عن الجواب، لأنهم يعرفون أني على الحق، وهم على الباطل"^(٥).

وقد استعمل الإمام - رحمه الله - أنواعاً من الحوار حسب مقتضى الحال وتنوع الوسائل المُتاحة في عصره، ومن أمثلة ذلك:

(١) انظر: رسائل الإمام محمد بن عبد الوهاب الشخصية - عبد المحسن بن باز (٢/٥٥٥-٥٥٦).

(٢) مجموع مؤلفات الشيخ - الرسائل الشخصية (٣/٩٤).

(٣) المرجع السابق (٣/٥٥).

(٤) المرجع السابق (٣/٧١).

(٥) المرجع السابق (٣/٨٠).



١- الحوار التعليمي:

ويهدف هذا النوع من الحوار إلى التعليم، والإفهام وإيصال المعلومة إلى المحاور بطريقة مباشرة أو غير مباشرة^(١).

وتتجلى صورة الحوار التعليمي في كتاب الإمام كشف الشبهات^(٢)، حيث يقول - رحمه الله -: "فإن قال: أنا لا أعبد إلا الله، وهذا الالتجاء إلى الصالحين ودعاؤهم ليس بعبادة.

فقل له: أنت تقر أن الله فرض عليك إخلاص العبادة لله وهو حقه عليك، فإذا قال: نعم.

فقل له: بين لي هذا الذي فرض عليك، وهو إخلاص العبادة لله وحده وهو حقه عليك، فإن كان لا يعرف العبادة ولا أنواعها فبينها له بقولك: قال الله - تعالى -: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾^(٣) فإذا أعلمته بهذا، فقل له هل علمت هذا عبادة الله؟ فلا بد أن يقول: نعم. والدعاء مخ العبادة.

قل له: إذا أقررت أنها عبادة، ودعوت الله ليلاً ونهاراً خوفاً وطمعاً، ثم دعوت في تلك الحاجة نبياً أو غيره هل أشركت في عبادة الله غيره؟ فلا بد أن يقول: نعم^(٤).

ويقول أيضاً - رحمه الله -: "وسر المسألة: أنه إذا قال: أنا لا أشرك بالله.

فقل له: وما الشرك بالله، فسر له لي.

فإن قال: هو عبادة الأصنام.

فقل: وما معنى عبادة الأصنام، فسر لها لي.

فإن قال: أنا لا أعبد إلا الله وحده.

(١) انظر: الحوار آدابه ومنطلقاته وتربية الأبناء عليه - محمد خوجة (٢٩).

(٢) مجموع مؤلفات الشيخ (١٢٠/٦).

(٣) سورة الأعراف آية رقم [٥٥].

(٤) مجموع مؤلفات الشيخ - كشف الشبهات (١٢٠/٦).

فقل: ما معنى عبادة الله وحده، فسرّها لي، فإن فسرّها بما بينه القرآن فهو المطلوب، وإن لم يعرفه فكيف يدعي شيئاً وهو لا يعرفه.

وإن فسر ذلك بغير معناه بينت له الآيات الواضحات في معنى الشرك بالله وعبادة الأوثان، وأنه الذي يفعلونه في هذا الزمان بعينه، وأن عبادة الله وحده لا شريك له هي التي ينكرون علينا، ويصيحون فيه كما صاح إخوانهم^(١).

وفي الحوار التعليمي يتجلى التبسط في الحوار، والتنزل مع المُحاور، وقد كان الإمام - رحمه الله - يراعي هذا الجانب، وهو البساطة في العبارة مع المُحاور، واستخدام الألفاظ المناسبة لفهمه؛ لأنه لم يقصد بدعوته فئة أو طبقة معينة؛ حيث إن دعوته إسلامية عامة فيقول: "إذا قيل لك: من ربك؟ فقل: ربي الله.

فإذا قيل لك: إيش معنى الرب؟ فقل: المعبود المالك المتصرف.

فإذا قيل لك: إيش أكبر ما ترى من مخلوقاته؟ فقل: السموات والأرض.

فإذا قيل لك: إيش تعرفه به؟ فقل: أعرفه بآياته ومخلوقاته"^(٢).

ويقول - رحمه الله -: "وأنا أبين لكم - إن شاء الله - مسألة التوحيد، ومسألة الشرك، تعرفون: المشهد فيه قبة، والذي من الرجال صلى الظهر، قام واستقبل القبر، وولى الكعبة قفاه، وركع لعلي ركعتين، صلاته لله توحيد، وصلاته لعلي شرك، أنتم فهمتم؟ قالوا: فهمنا، صار هذا مشركاً، صلى لله، وصلى لغيره"^(٣).

٢- الحوار الكتابي:

وهو أن يكتب المُحاور كتاباً، أو مقالة فيها نصح أو توجيه وإرشاد، تظهر فيها صورة المُحاور من خلال كتاباته أو طرحه^(٤).

(١) المرجع السابق (٦/١٢٢-١٢٣).

(٢) المرجع السابق - مجموعة رسائل في التوحيد والإيمان (٦/٢٤٨).

(٣) الدرر السنية في الأحوبة النجدية - جمع: عبد الرحمن بن قاسم (٢/١٢٩).

(٤) انظر: الحوار آدابه ومنطلقاته وتربية الأبناء عليه - محمد خوجة (٢٥).



وهذا النوع من الحوار هو الأكثر ورودًا في كتابات الإمام، ومراسلاته، في دعوته للناس وتوجيههم وإرشادهم على اختلاف طبقاتهم.

يقول الإمام - رحمه الله - : "وأهل القصيم غارهم إن ما عندهم قيب ولا سادات، ولكن أخبرهم أن الحب والبغض والموالاتة والمعاداتة لا يصير للرجل دين إلا بها، ما داموا ما يغيضون أهل الزلفي وأمثالهم، فلا ينفعهم ترك الشرك، ولا ينفعهم قول: لا إله إلا الله.

فأهم ما تفتنهم له: كون التوحيد من أحل به مثل من أحل بصوم رمضان، ولو ما أبغضه.

وكذلك الشرك، إن كان ما أبغض أهله، مثل بغض من تزوج بعض محارمه، فلا ينفعه ترك الشرك...، واذكر لهم أنه واجب على الرجل: يعلم عياله وأهل بيته، ذلك أعظم من وجوب تعليم الوضوء والصلاة"^(١).

ومن الحوار الكتابي ما أرسله - رحمه الله - إلى بعض أتباعه لتوضيح بعض الشبهات ومحاورة من ضل فيها، فيقول: "ولكنهم يجادلونكم اليوم بشبهة واحدة، فأصغوا لجوابها، وذلك أنهم يقولون: كل هذا حق، نشهد أنه دين الله ورسوله، إلا التكفير، والقتال، والعجب ممن يخفى عليه جواب هذا! إذا أقروا أن هذا دين الله ورسوله، كيف لا يكفر من أنكره، وقتل من أمر به وحبسهم، كيف لا يكفر من أمر بحبسهم؟! كيف لا يكفر من جاء إلى أهل الشرك، يحثهم على لزوم دينهم وتزيينه لهم؟! ويحثهم على قتل الموحدين، وأخذ مالهم، كيف لا يكفر، وهو يشهد أن هذا الذي يحث عليه، أن الرسول ﷺ أنكره ونهى عنه؟! وسماه الشرك بالله، ويشهد أن هذا الذي يبغضه، ويبغض أهله، ويأمر المشركين بقتلهم، هو دين الله ورسوله!"^(٢).

ومما سبق يتبين بجلاء تفعيل الإمام - رحمه الله - لمبدأ الحوار بأنواعه ومع كافة أطراف مجتمعه، وما ذاك إلا لإدراكه لأهمية الحوار في إيصال الحق والافتناع به، وأنه خير سبيل للمحافظة على العقل وسلامته من اللوثات الفكرية^(٣).

(١) مجموع مؤلفات الشيخ - الرسائل الشخصية (١٧٣/٣).

(٢) الأمن الفكري - الشريعة الإسلامية ودورها في تعزيز الأمن الفكري - عبد الرحمن السديس (٤١).

(٣) انظر: المرجع السابق (١٥١/٣).

ولا شك أن لكل مرحلة من مراحل انتشار الضلال طرق مواجهة ومجابهة، وإذا رتبت وسائل مجابحتها كان من أهمها الحوار؛ لأنه يقتلع الفكر المنحرف من جذوره، ويُرسخ الحق بدليله^(١).

فإشاعة ثقافة الحوار في المجتمع، وتقبل الرأي الآخر في حدود ضوابط الشرع، مقوم مهم من مقومات الأمن الفكري ووسيلة فاعلة من وسائل تحقيقه، والتي ينبغي أن تتجسد داخل المجتمع بجميع أطيافه^(٢).

(١) انظر: الأمن الفكري مفهومه وأهميته ومتطلبات تحقيقه - عبد الحفيظ المالكي (٥٥-٥٦) مجلة البحوث الأمنية العدد

(٤٣) شعبان (١٤٣٠هـ).

(٢) انظر: الأمن الفكري في ضوء مقاصد الشريعة - صالح بن حميد (٢٩-٣٠).



المبحث الخامس: المناظرة

المناظرة لغة: قال ابن فارس^(١): "النون والطاء والراء أصل صحيح يرجع فروعه إلى معنى واحد، وهو تأمل الشيء ومعاينته"، يقال: ناظر فلاناً: صار نظيراً له، وناظر فلاناً: باحثه وباراه في المجادلة، وناظر الشيء بالشيء: جعله نظيراً له^(٢).

"فالمناظرة مأخوذة من النظر، أو من النظر بالبصيرة"^(٣).

والمناظرة اصطلاحاً: تردد الكلام بين شخصين يقصد كل منهما تصحيح قوله، وإبطال قول صاحبه ليظهر الحق^(٤).

وقيل: "النظر بالبصيرة من الجانبين في النسبة بين الشيئين إظهاراً للصواب"^(٥).

والمناظرة وسيلة شرعية لإحقاق الحق وإبطال الباطل، وقد وردت في الكتاب العزيز في دعوة الرسل لأقوامهم، ومن ذلك ما جرى لإبراهيم - عليه الصلاة والسلام - مع مُدعي الربوبية، قال - تعالى - ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ حَاجَّ إِبرَهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ ءَاتَهُ اللهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبرَهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ إِبرَهِيمُ فَإِنَّ اللهَ يَأْتِي بِالسَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾^(٦).

ومناظرة موسى - عليه الصلاة والسلام - مع فرعون، قال - تعالى - ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾^(٧) قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبِّكُمْ رَبِّي ءَابَاؤُكُمْ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنْ رَسُولُكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لَنْ نَأْتِجِدَ لَهَا غَيْرِي لِأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾^(٧).

(١) مقاييس اللغة - كتاب النون (٩٠٤-٩٠٥).

(٢) انظر: لسان العرب - ابن منظور - كتاب النون (١٩٣-١٩١/١٤).

(٣) التعريفات - علي الجرجاني (٢٥٠).

(٤) انظر: شرح الولدانية في آداب البحث والمناظرة - عبد الوهاب الأمدي (٦).

(٥) التعريفات - علي الجرجاني (٢٥٠).

(٦) سورة البقرة آية رقم [٢٥٨].

(٧) سورة الشعراء آية رقم [٢٣-٢٩].

"فكل من لم يناظر أهل الإلحاد والبدع مناظرة تقطع دابرههم لم يكن أعطى الإسلام حقه، ولا وقيّ بموجب العلم والإيمان، ولا حصل بكلامه شفاء الصدور وطمأنينة النفوس، ولا أفاد كلامه العلم واليقين"^(١).

ومن هذا المنطلق حرص الإمام على مناظرة من لم يُسلم لدعوة التوحيد من كبار الخصوم، وذلك حرصاً منه - رحمه الله - على تبليغ دين الله، وإقامة الحجة على المخالف، ولعلمه أن الفكر مناط بالقيادة لئلا يُغتر بها، وتُتابع على ضلالة.

وقد أحجم بعض خصوم الإمام - رحمه الله - عن مناظراته بحجج واهية، وذلك لعلمهم ما معه من الحجة والدليل، وتذرعوا بالباطل ظناً منهم أنهم يصدون الناس عن دعوته، فعندما طلب بن معمر من ابن عفالق أن يواجه أحد العلماء ابن عبد الوهاب؛ من أجل إظهار ما يزعمونه من حق وإبطال باطله رد عليه بقوله: "فهذا مُحال والسبب في هذا أن العلماء يتخاصمون في الحرام والحلال، والجائز وغير الجائز، وأما من قال ادعوكم إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وادعى النبوة، وأرسل رسله إلى سائر الأمصار يدعوهم إليها كأنهم لم يعرفوها فبماذا يُجاوبونه؟ أيقولون نؤمن بك وتبعك، أم يقولون أثبت نبوتك ورسالتك"^(٢).

وحين طلب الشريف أن يُرسل له عالماً ليبين حقيقة الدعوة أرسل الإمام والأمير عبد العزيز - رحمهما الله - الشيخ عبد العزيز الحصين - رحمه الله -، ومعه كتاب إلى الشريف، وناظرهم في ثلاث مسائل، وهي: التكفير بالعموم، وهدم القباب، وإنكار دعوة وشفاعة الصالحين، فبين لهم الشيخ - رحمه الله - الحق في هذه المسائل، وبحثوا فيما أحالهم عليه من كتب في مجلس المناظرة، فأقروا به^(٣).

وقد تنبه الإمام - رحمه الله - للأسس التي تُبنى عليها المناظرة، من أجل تحقيق الهدف الذي من أجله يُناظر، ومن أبرزها:

(١) الفتاوى - ابن تيمية (٢٠/١٦٤).

(٢) جواب ابن عفالق على رسالة ابن معمر - صحيفة (٦٢ ب).

(٣) انظر: تاريخ ابن غنام (٢/٧٩٠-٧٩١)، ومجموع مؤلفات الشيخ - الرسائل الشخصية (٣/١٦٨).



١- عدم الخروج عن دائرة الموضوع محل المناظرة:

وفي هذا يقول- رحمه الله- في توجيهه لأحد المدعويين، ممن يطلب بيان الحق من الإمام، ليناظر به علماء الخرج والأحساء: "وكن على حذر من أهل الأحساء أن يلبسوا عليك بأشياء لا ترد على المسألة، أو يشبهوا عليك بكلام باطل، كما قال- تعالى:- ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُؤْنَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكَذِبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (١) (٢).

٢- تهيئة الخصم لقبول الحق:

ومن ذلك أن يُلفت نظر الخصم للدليل ومظانه، ليستعين بذلك على فهم الحجج، والتسليم لها، ومن شواهد ذلك ما بينه الإمام- رحمه الله- مع أحد المناظرين في مسألة التقليد والاجتهاد^(٣)، فيقول- رحمه الله:- "فإذا أردتم علي الرد بعلم وعدل، فعندكم كتاب أعلام الموقعين لابن القيم عند ابن فيروز، في مشرفة، فقد بسط الكلام فيه على هذا الأصل بسطاً كثيراً، وسرد من شبه أئمتكم ما لا تعرفون أنتم ولا آباؤكم، وأجاب عنها واستدل لها بالدلائل الواضحة القاطعة"^(٤).

٣- تعيين حكم بين المتناظرين:

فقد تنبه الإمام- رحمه الله- إلى تعيين حكم يحكم بين المتناظرين حال الاختلاف، سواءً كان الحكم مرجعاً علمياً، أو أشخاصاً، فيقول في رسالته إلى الشريف عندما بعث الشيخ عبد العزيز الحصين- رحمه الله- لمناظرة علماء مكة: "فإن اجتمعوا، فالحمد لله على ذلك، وإن اختلفوا أحضر الشريف كتبهم وكتب الحنابلة؛ والواجب على الكل منا ومنكم: أنه يقصد بعلمه وجه الله، ونصر رسوله"^(٥).

(١) سورة آل عمران آية رقم [٧٨].

(٢) مجموع مؤلفات الشيخ- الرسائل الشخصية (٣/٨٠-٨١).

(٣) انظر: رسائل الإمام محمد بن عبد الوهاب الشخصية- عبد المحسن بن باز (٢/٥٥٤-٥٥٥).

(٤) مجموع مؤلفات الشيخ- الرسائل الشخصية (٣/١٤١).

(٥) المرجع السابق (٣/١٦٨).

٤- الوضوح وترتيب الأفكار في المناظرة:

حرص الإمام- رحمه الله- على الدقة في التقسيم والبيان، حتى تكون أيسر لكشف حقيقة الخصم، ومن ذلك ما ذكره في مناظرته لابن سحيم، فيقول فيها: "واكشف على ذلك بوجوه...، ثم يقول: وأما الدليل على أنك رجل مُعانَد... فمن وجوه..."^(١)، ثم يسوق الإمام جملةً من المسائل والاستدلالات التي تجلي حقيقة الخصم وتكشف عواره حتى يحذر منه من يغتر به.

٥- فهم أصول الخصم لقطع حجته:

تميزت مناظرات الإمام- رحمه الله- مع الخصوم بكثرة استشهاده بأصول الخصم التي يبني عليها مذهبه، ويزعم أنه منتحل لأصحابها، ويقتدي بهم، ومن ذلك قوله- رحمه الله-: "وتأملوا ما جرى بيننا وبين أعداء الله، نطلبهم دائماً الرجوع إلى كتبهم التي بأيديهم"^(٢).

ورغم وضوح الإمام- رحمه الله- في جوابه على اعتراض الخصوم إلا أنهم لم يُجِروا جواباً، فقال لهم- رحمه الله-: "أنا أخاصم الحنفي بكلام المتأخرين من الحنفيّة، والمالكي والشافعي والحنبلي، كلُّ أخاصمه بكتب المتأخرين من علمائهم الذين يعتمدون عليهم، فلما أبوا ذلك، نقلت لهم كلام العلماء من كل مذهب"^(٣).

٦- الحرص على حضور ذوي المكانة العلميّة، والاجتماعيّة لمجالس المناظرة:

لأن ذلك أدمى لانقطاع حجة الخصم المناظر وإذعانه للحق وانقياده له، وعدم المكابرة، بخلاف ما لو كانت المناظرة بحضرة الجهال، أو عامة الناس، ومثل هذا حاصل، وذلك حين أقر ابن سحيم بالحق بحضرة الشيوخ والعلماء، وتنكبه عنه حال غيابهم^(٤).

(١) المرجع السابق(٣/١٦٨).

(٢) المرجع السابق(٣/١٥٢).

(٣) المرجع السابق(٣/٢٢، ٨٨).

(٤) انظر: المرجع السابق(٣/١٢٧).



ومن الشواهد على ذلك أيضًا: إرسال الإمام- رحمه الله- أحد طلاب العلم ليناظر أهل مكة على مرأى من علمائها، فيقول- رحمه الله-: "... ولما طلبتم من ناحيتنا طالب علم امتثلنا الأمر، وهو واصل إليكم، ويجلس في مجلس الشريف- أعزه الله- هو وعلماء مكة"^(١).

ومما سبق يتبين حرص الإمام- رحمه الله- على تجلية الأفكار المنحرفة والمبادئ الضالة التي تستهدف العقول والمعتقدات الدينيّة، وقمعها بالحجة والبرهان، والتحذير منها بشتى الوسائل^(٢) والتي من أبرزها المناظرات، حيث يتم فيها عرض أدلة الفريقين ومناقشتها، مما يسهم في الوصول إلى الحق، والاعتناع به، وتكوين منظومة فكريّة على أسس سليمة، وقواعد متينة، تحفظ للفكر أمنه، وتمكنه من مواجهة كل ما من شأنه أن يخلّ به.

(١) المرجع السابق (١٦٨/٣).

(٢) انظر: نحو بناء إستراتيجية وطنية لتحقيق الأمن الفكري- عبد الحفيظ المالكي (١٦٨).

الباب الثالث:

آثار دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في تحقيق الأمن الفكري.

وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: الآثار العلميّة لدعوة الإمام.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الرجوع بالناس إلى منهج السلف.

المبحث الثاني: انحسار البدع والخرافات.

المبحث الثالث: الإسهام في النهضة العلميّة.

الفصل الثاني: آثار دعوة الشيخ السياسيّة.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تحكيم الشريعة.

المبحث الثاني: جمع الكلمة على إمام واحد (الدول السعوديّة الثلاث).

المبحث الثالث: الاستقرار والأمن.

الفصل الثالث: آثار دعوة الشيخ الاقتصاديّة والاجتماعيّة.

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: الإصلاح الاقتصادي ومحاربة الفساد.

المبحث الثاني: توفر الموارد.

المبحث الثالث: إعادة بناء القيم.

المبحث الرابع: أثرها على الفرد والمجتمع.



الباب الثالث:

آثار دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في تحقيق الأمن الفكري

إن كل دعوة ذات جهد واضح ملموس يمكن قياسها، وقياس آثارها، من خلال الواقع الذي يعيشه الناس المتأثرون بتلك الدعوة، ومن الدعوات المؤثرة في واقع الناس، دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله -، والتي لم يقتصر أثرها على موطن الإمام أو عصره فحسب، بل امتدت لتشمل كل ناحية وصل لها صوته، وكل أرض وطئتها قدم متأثر بدعوته، والتي لم يحدّها زمان الإمام كما لم يحدّها مكانه، بل لا زال كثيرٌ من أصقاع العالم التي استفادت من منهج الإمام تنفيماً لظلال تلك الدعوة المباركة، وتبجني ثمرة الاستفادة منها في جميع مجالات حياتها التعبدية، والفكرية والاجتماعية، والسياسية والاقتصادية والأخلاقية.

وليس من المبالغة بمكان إن قيل: إن الإمام بنى منهجاً رصيناً، يُحقق للأمة أمنها الفكري، ويُحصنها في جميع شؤونها، بل هو مدرسة تستطيع الأمة أن تستفيد منها إذا طبقت المنهج المُتكامل الذي رسمه الإمام، وقد كان هذا المنهج واضحاً وبعيداً عن السرية والحزبية، مُحدد الغايات والأهداف.

فهذا المنهج الذي رسمه الإمام - رحمه الله - حوّل - بعد فضل الله - شبه الجزيرة من الفرقة إلى الوحدة، ومن الجهل إلى العلم، ومن البدعة والخرافة إلى السنة، ومن الخوف إلى الأمن، ومن السلب والنهب إلى البناء، وهذا يتجلى بوضوح من خلال الآثار التالية التي أحدثتها دعوة الإمام - رحمه الله -.

الفصل الأول: الآثار العلميّة لدعوة الإمام

وفيه ثلاثة مباحث:

- المبحث الأول: الرجوع بالناس إلى منهج السلف
- المبحث الثاني: انحسار البدع والخرافات
- المبحث الثالث: الإسهام في النهضة العلميّة



الفصل الأول: الآثار العلميّة لدعوة الإمام

إن العلم له أثره ودلالاته، خاصة إذا بُني على أساس صحيح، والعلم والأمن توأمان لا ينفرد أحدهما عن الآخر، وأخطر أنواع الأمن، الأمن الفكري، والذي لا يُمكن أن ينمو في بيئة غير آمنة أو علميّة.

ولقد كانت الجزيرة العربيّة مرتعًا للجهل والخرافة، والبعد عن هدي الكتاب والسنة، وذلك بسبب قلة العلم المبني على أصول صحيحة، ووسط هذا الجو الذي كسا فكر الأمة فيه الظلام، ظهرت دعوة الإمام، وسلكت بالناس مسلك الرشد، والهداية للطريق الأقوم، فعادت بالناس إلى فهم مُراد الله، ومُراد رسوله ﷺ وفق المنهج الذي رسمه - عليه الصلاة والسلام - لأمته، وعلى فهم من تنزل عليهم الوحي وعاصروه، وحرّبت دعوة الإمام البدعة والخرافة، وردت على شبهات الخصوم التي أثاروها لصد الناس عن الهدى والرشد الذي دعا إليه، وهذا هو الميزان الرشيد للأمن الفكري.

لقد كانت نجد مرتعًا للخرافة في الأعم الأغلب؛ نتيجة للجهل الذي سيطر على السكان الرحل، وهي الغالبية التي تجوب البلاد في طولها وعرضها، وما ينتج عن هذا الجهل من تصرفات يفرضها الواقع الذي يعيشه الناس، لذا كانت الحاجة ماسّة لتغيير هذا الواقع المؤلم، وإيجاد بديل له أساس وأصول تُغيّر بها الحياة البائسة^(١).

فقامت دعوة الإمام - رحمه الله - على بعث الهمم وإذكاء روح التنافس في التحصيل العلمي الجاد المبني على أصول علميّة راسخة تهتدي بهدي الكتاب والسنة.

يقول الإمام - رحمه الله - حائثًا على طلب العلم، ومُرعّبًا فيه: "اعلم - رحمك الله - أن طلب العلم فريضة، وأنه شفاء للقلوب المريضة، وأن أهم ما على العبد معرفة دينه، الذي معرفته والعمل به سبب لدخول الجنة، والجهل به وإضاعته سبب لدخول النار، أعاذنا الله منها"^(٢).

(١) انظر: موجز لتاريخ الوهابي - هارفرد بريدجز (٢٠٣)، والعثمانيون وآل سعود في الأرشيف العثماني - زكريا كورشون (٢٤).

(٢) الدرر السنيّة في الأحوبة النجدية - جمع: عبد الرحمن بن قاسم (٣٣٧/٤).

وقد نبهت هذه الدعوة المباركة الأمة بما أحدثته من يقظة علمية أصبح فيها استجلاء الحق بدليله وفهمه فهماً صحيحاً هدفاً للباحثين، فحُصر على فهم الكتاب العزيز، والسنة المُطهرة؛ لأنهما أصل العلم ومنبعه، وكذلك علوم الألة التي يستقيم بها الفهم وتُستجلى بها الغوامض^(١).

لقد كانت الدعوة هي الشرارة التي أشعلت الحركة الفكرية والعلمية، نتيجة ردود أفعال المُعارضين، وثبات الدعوة، والبحث عن سبل ووسائل الإقناع لهداية الناس ودلائلهم على الخير الذي تدعو إليه، وما نتج عن هذا الحراك من صراع فكري في مجالس المناظرة، والمحاورة، وكل هذا له نتاجه العلمي الذي أثرى المكتبة الإسلامية، وفتح آفاقاً واسعة للمهتمين بالعلم بكافة تخصصاته^(٢).

وقد بنت الدعوة هذا العلم على أسس كانت الأمة في أمس الحاجة إليها في بداياتها، ويتجلى ذلك وأثره من خلال المباحث التالية:

(١) انظر: داعية التوحيد محمد بن عبد الوهاب- عبد العزيز الأهل (١٢١)، والحياة العلمية في نجد - مي العيسى (١١١).

(٢) انظر: حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وحقيقة دعوته - سليمان الحقييل (١٩٧).



المبحث الأول: الرجوع بالناس إلى منهج السلف

بعد أن كشف الله الغمة بهذه الدعوة المباركة التي عادت بالناس إلى الإسلام في صفائه ونقاؤه الأول، الذي ترك النبي ﷺ أمته عليه بعد أن أزيلت عنه الخرافات التي ألصقت به من المسلمين أنفسهم^(١).

فقد جاءت دعوة الإمام - رحمه الله - التي لم تكن طقوساً صوفيّة، أو فاصلة للإنسان عن محيطه الذي يعيش فيه، ويتأثر به ويؤثر في تكويناته، إنما هي دعوة على منهج رباني، جامع لمصالح الدنيا والآخرة، منهج له تصوراته عن الفكر والكون، والعلم والعمل، له أثره في الصلاح والإصلاح، والتربية والسلوك، منهج له أثره في الاقتصاد والسياسة، والحاكم والمحكوم^(٢).

يقول الإمام - رحمه الله - في هذا الباب بعد أن سئل عن جملة من المسائل التي تحدث شتاتاً للفكر، وتوقعه في الحيرة وعدم الثبات إذا لم يتعامل معها وفق منهج شرعي له أصوله وقواعده التي يفهم بها مُراد الله، ومُراد رسوله ﷺ: " اعلم - أرشدك الله - أن الله - سبحانه وتعالى - بعث محمداً ﷺ بالهدى الذي هو العلم النافع، ودين الحق هو العمل الصالح، إذا كان من ينتسب إلى الدين: منهم من يتعاني بالعلم والفقهِ ويقول به كالفقهاء، ومنهم من يتعاني العبادة وطلب الآخرة كالصوفيّة، فبعث الله نبيه بهذا الدين الجامع للنوعين، ومن أعظم ما امتنَّ الله به عليه وعلى أمته أن أعطاه جوامع الكلم، فيذكر الله - تعالى - في كتابه كلمة واحدة تكون قاعدة جامعة يدخل تحتها من المسائل ما لا يحصى"^(٣).

فدعوة الإمام - رحمه الله - قائمة على منهجية علمية عملية، وعلى ثوابت ومرتكزات شرعية، لا توجهها نزعات الأهواء والمصالح الفرديّة أو السياسيّة.

فهكذا فهم الإمام - رحمه الله - أن الإسلام علماً وعملاً، ودعوة، عقيدة وشرعية، وأن العلم لا بدّ أن يُواكب العمل^(٤).

(١) انظر: الوهابيون تاريخ ما أهمله التاريخ - لويس دوكورانسي (٦٨)، والوهابية بتقارير القنصلية الفرنسية في بغداد - إعداد: هاشم ناجي (١٢٤).

(٢) انظر: الموقف المعاصر من المنهج السلفي في البلاد العربيّة - مفرح القوسي (٣٢).

(٣) مجموع مؤلفات الشيخ - فتاوى ومسائل (١٨/٢).

(٤) انظر: السلفية ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب - علي محمود (١٧٢).

فمن الخلل العريض الذي واجهه الإمام - رحمه الله - وسعى إلى تصحيحه، وتأصيله وتثبيته في أفهام الناس وواقعهم المنهجية في توحيد الله؛ لما ينبني على سلامة هذا المنهج من فهم صحيح للدين، وتفسيراته لما يُحيط بالإنسان، وعلاقته بالله وبالكون والحياة^(١).

ومما سبق يتبين أن دعوة الإمام تتمثل في منظومة علمية، ونسق مُتكامل قائمة على منهج فكري وسلوكي، يربط بين الحياة في تجددتها ومُعطياتها وما تُحدثه في حياة البشرية وواقعها من تغيير، وبين تعاليم الشريعة المستمدة من الكتاب والسنة الصالحة لكل زمان ومكان، فهذا المنهج له شموليته في جميع شؤون الحياة العقدية، والأخلاقية، والسياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والنظم التي تحكم هذه العلاقات^(٢).

ويمكن تجلية هذا من خلال الركائز التالية:

١- الركيزة العقدية:

حينما بدأ الإمام - رحمه الله - دعوته أدرك بكل جلاء ووضوح، قيمة هذه الركيزة، وضرورة تصحيحها وبنائها، وما ترتب على الانحراف عنها من خلل في واقع الناس التعبدية، والاجتماعية، فسعى لتحقيق التوحيد بكل أنواعه، ونبذ الشرك والوثنية، وتجلية ما يناقضه وفق منهج السلف الصالح، من صحابة الرسول ﷺ وتابعيهم، وذلك بالاعتماد على نصوص الكتاب والسنة، وفهم السلف لها بالأسلوب الفطري البسيط، بعيداً عن مناهج علم الكلام، وسفسطة المتفلسفة، وذلك لكونها سبب انحراف الناس عن التوحيد^(٣).

وذلك إدراكاً من الإمام - رحمه الله - لأهمية هذه الركيزة؛ إذ هي مرتكز دعوة الرسل، فهي قائمة على هذا المنهج الواضح، وهم القدوة لكل داعية إلى الحق، والخروج عن هذا المنهج، أو تقديم بعض الأولويات عليه فيه مجانبة للحق وتنكب للصواب، إذ إن الهدف الأسنى والمطلب الأعلى لكل منهج دعوي قائم على فهم السلف، لا بد أن تكون أولى أولياته دعوة الناس إلى

(١) انظر: مجمل اعتقاد أئمة السلف - عبد الله التركي (٣٣).

(٢) انظر: السلفية وقضايا العصر - عبد الرحمن الزيندي (٥٥).

(٣) انظر: تطبيق الشريعة الإسلامية في المملكة العربية السعودية وآثاره في الحياة - عبد الرحمن الزيندي (٦١-٦٢).



التوحيد، وتعليمه وبيانه وشرحه، وإيضاح مقاصده ونتائجه وثمراته، وتحذير الناس مما يضاده ويُخل به^(١).

فمنهج الإمام- رحمه الله- في أصول الدين وقطعياته هو منهج السلف الصالح أهل السنة والجماعة، ومن سلك سبيلهم.

ولهذا كل من نظر في كتب الشيخ ومؤلفاته، وما دعا إليه من إخلاص الدين، ومتابعة النبي ﷺ، ومعرفة معنى الشهادتين، والعمل بهما، وحشده للأدلة على ذلك من الكتاب والسنة، وبيانه للشرك بنوعيه، وضرب الأمثلة لذلك، وكشف شبهات المنحرفين، وبيان البدع، يجزم بأنه مثل منهج السلف في الاعتقاد والقول والعمل^(٢).

ولذا عندما استعرض الجبرتي- رحمه الله- عقيدة الإمام وما يدعو إليه قال: "أقول: إن كان كذلك، فهذا ما ندين الله به نحن أيضًا، وهو خلاصة لباب التوحيد، وما علينا من المارقين والمتعصبين"^(٣).

وهذا حقق للدعوة بجلاء صحة إسلاميتها في الفكر والعبادة ومنهج الحياة، وحماها من المناهج القائمة على أصول تناقض الإسلام، أو تجعله ثانويًا منعزلاً عن الحياة الاجتماعية، وهو ما أحدث خللاً وارتباكًا في واقع الكثير من المجتمعات الإسلامية^(٤).

وعدم العناية بهذا المرتكز، والوقوف على أصوله يُولد شتاتًا فكريًا يكون نتاجه انحرافًا في الفكر والسلوك، وهذا ما ياباه الإسلام؛ لأن سلامة العقيدة عامل أساسي في اتزان العقل والنتاج الفكري^(٥).

٢- الركيزة العلمية:

لقد قامت كثير من المناهج التي تدعي الإسلامية على غير هدى، ولا سبيل قويم، واختطت طرقًا مخالفة للمنهج الحق، وذلك بضلالهم عن طريق العلم الصحيح؛ لأنهم بنوا طريق

(١) انظر: أولويات الدعوة في منهج الأنبياء- زيد الزيد(٢٤٢) مجلة البحوث الإسلامية- عدد(٤٣) سنة(١٤١٥هـ).

(٢) انظر: إسلامية لا وهابية- ناصر العقل(٦١)، وحقيقة دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب- عبد الرحمن العمر(١٥).

(٣) عجائب الآثار في التراجم والأخبار (٣/٣٧٠)، وانظر: موجز لتاريخ الوهابي- هارفرد بريدجز(٢٠٨).

(٤) انظر: تطبيق الشريعة الإسلامية في المملكة العربية السعودية وآثاره في الحياة- عبد الرحمن الزبيدي(٦٦).

(٥) انظر: مدى توافر الخبرات التربوية المصاحبة في منهج التوحيد واسهامها في تعزيز الأمن الفكري...-لطيفة قمر(٢٥).

العلم على مقدمات عقلية، وقواعد فلسفية، أما العلم الصحيح الذي جاء به الإسلام لتخليص البشر من الضلال الفكري والعلمي، كما يُخلصهم من الضلال العملي والسلوكي، والذين ذهبوا بعيداً عن المنهج العلمي الذي جاء به الإسلام ظلموا أنفسهم؛ لأنهم أبوا إلا أن يعتمدوا على عقولهم فيما لا تستطيع عقولهم تحصيله والوصول إليه^(١).

وفي هذا يقول الإمام- رحمه الله-: "وقد تبين أن الواجب طلب علم ما أنزل الله على رسوله ﷺ من الكتاب والحكمة، ومعرفة ما أراد بذلك كما كان عليه الصحابة والتابعون ومن سلك سبيلهم، وكلما يحتاج إليه الناس فقد بينه الله ورسوله ﷺ بياناً شافياً كافياً، فكيف أصول التوحيد والإيمان، ثم إذا عُرف ما بينه ﷺ نُظر في أقوال الناس وما أرادوا بها، فُعُرضت على الكتاب والسنة والعقل الصريح الذي هو موافق للرسول ﷺ فإنه الميزان مع الكتاب، فهذا سبيل الهدى، وأما سبيل الضلال والبدع والجهل فعكسه، أن تبتدع بدعة بآراء رجال وتأويلاتهم، ثم تجعل ما جاء به الرسول ﷺ تبعاً لها، وتُحرف ألفاظه وتؤول على وفق ما أصّلوه، وهؤلاء تجدهم في نفس الأمر لا يعتمدون على ما جاء به الرسول ﷺ، ولا يتلقون منه الهدى، ولكن ما وافقهم منه قبلوه، وجعلوه حجة لا عمدة، وما خالفهم منه تأولوه، كالذين يحرفون الكلم عن مواضعه، أو فوضوه كالذين لا يعلمون الكتاب إلا أمياً"^(٢).

فالعلم المبني على الكتاب والسنة وما عليه سلف الأمة رافدٌ من أهم روافد الأمن الفكري؛ لأنه يدعو إلى نضوجٍ فكري، وسلوك المنهج القويم الذي تصح معه الطاعات، وتُجنب المحرمات تقرّباً إلى الله وطمعاً في رحمته، وخوفاً من عذابه.

وهذا ما قامت عليه هذه الدعوة المباركة التي جعلت الكتاب والسنة أصل العلم وأساس التشريع، والمؤول عليهما عند الاختلاف والرجوع إليهما والاهتداء بهديهما^(٣).

وبهذا العلم الإيماني يتحقق الجمع بين فضيلتي التقوى والعلم، ويؤدي إلى بناء مجتمع آمن فكرياً مستقيم سلوكياً، وهذا ما يُجلب الارتباط الوثيق بين العلم والأمن الفكري، فأخذ العلم من أهله والعمل به يُعد صمام الأمن الفكري^(٤).

(١) أهل السنة والجماعة أصحاب المنهج الأصيل - عمر الأشقر (٦٩).

(٢) الدرر السننية في الأجابة النجدية - جمع: عبد الرحمن بن قاسم (١٥/٢).

(٣) انظر: موجز لتاريخ الوهابي - هارفرد بريدجز (٢٠٦، ٢٠٨).

(٤) انظر: الأمن الفكري - الشريعة الإسلامية ودورها في تعزيز الأمن الفكري - عبد الرحمن السديس (٢٦-٢٧).



ويتضح بذلك التمايز بين أصحاب المنهاج المبنية على غير هدى الله، مع من أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان.

٣- الركيزة العملية:

لم يُقدّم الإمام- رحمه الله- دعوته السلفية في قالب نظري جامد لا تؤثر في محيطها الذي تعيش فيه، ولكنه قدمها كمنهج جديد يقوم على أنقاض واقع فاسد، وبعث لواقع جديد يقوم على منهجية لها أصولها لتؤتي ثمارها في واقع الحياة بمسارها الفكري والعملي، فلم تقم المناظرات والحوارات، وشعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما سبق في المقومات من أجل ترف فكري، أو علم نظري؛ وإنما قامت من أجل الوصول إلى الحق والتزامه وتطبيقه في واقع الناس وحياتهم^(١)، وهكذا كان منهج السلف، فهو تعظيم للشريعة، وإحياء لمنهج النبوة، وسير على طريق الصحابة، وقد تجلّى هذا المنهج في سياق الإمام لعقيدته وتعريفه للإيمان بقوله: "وأعتقد أن الإيمان: قول باللسان، وعمل بالأركان، واعتقاد بالجنان، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية"^(٢).

فالركيزة العملية ناتجة عن الركيزة العلمية وثمره من ثمراتها، وهذه الركيزة لها آثارها في الفرد وحياته، ومن ذلك انشراح صدره، وراحة باله، وسعة رزقه، وسلامته وارتياحه وشعوره بالطمأنينة والأمان، فمن اتقى الله وعمل بطاعته، وعلى هدى رسوله ﷺ جعل الله له فرقا يُفرق به بين الحق والباطل، وهذه هي حقيقة الأمن الفكري^(٣).

٤- الركيزة الاجتهادية:

الشريعة الإسلامية كتب الله لها الديمومة والبقاء إلى قيام الساعة، فلا يحدها زمان ولا مكان، فأصولها وقواعدها ثابتة، والرجوع إليها هو الأصل الذي تُبنى عليه الأحكام، ولم تحجر هذه الشريعة على أتباعها الاجتهاد في المستجدات التي تحتاجها في واقع الحياة العملية، ووفق أصوله وضوابطه المقررة في منهاجها.

(١) انظر: تطبيق الشريعة الإسلامية في المملكة العربية السعودية وآثاره في الحياة- عبد الرحمن الزبيدي(٦٦).

(٢) الدرر السنية في الأجوبة النجدية- جمع: عبد الرحمن بن قاسم (٣٣/١).

(٣) انظر: الأمن الفكري- الشريعة الإسلامية ودورها في تعزيز الأمن الفكري- عبد الرحمن السديس(٢٦-٢٧).

وفي عصر الإمام- رحمه الله- فشا داء خطير تلمسه في واقع من تفوق على اجترار آراء فيها مخالفة صريحة لمدلولات الكتاب والسنة، زاعمين أنه لا مجال لفهم القرآن والسنة، وأن فهمهما يحتاج إلى من تتوفر فيه شروط الاجتهاد المطلق، والتي لا يمكن الإحاطة بها ولا إدراكها كما مضى.

وقصروا فكرهم وأفهامهم على التقليد الأعمى، وابتعدوا عن الأصول التي يؤخذ منها الدين وتُفهم بها شريعة رب العالمين.

والإمام- رحمه الله- مع كل هذا يريد زعمهم أنه يدعي لنفسه الاجتهاد المطلق؛ لكنه يرفض ما ينادون به من أنه لا يجوز لأحد أن يستنبط من المصادر الأصلية للشريعة، وبهذا فالإمام- رحمه الله- فتح آفاقاً لإعمال العقل والفكر في النصوص وتحريرها من التقليد والتبعية بغير هدى ولا برهان، ومكنها من التفكير السليم الذي تستلهم به الهدى والنور^(١).

قال الإمام - رحمه الله-: " فمن زعم على أن القرآن لا يقدر على الهدى منه إلا من بلغ رتبة الاجتهاد، فقد كذب الله بخبره أنه هُدى، فإنه على هذا القول الباطل لا يكون في حق الواحد من الآلاف المؤلفة، وأما أكثر الناس فليس هدى في حقهم، بل الهدى في حقهم أن كل فرقة تتبع ما وجدت عليه الآباء، فما أبطل هذا من قول! وكيف يصح لمن يدعي الإسلام أن يظن بالله وكتابه هذا الظن؟"^(٢).

(١) انظر: أثر الدعوة الوهابية في الإصلاح الديني والعمري في جزيرة العرب وغيرها- محمد الفقي (٤٩)، ومحمد بن عبد

الوهاب والدعوة الوهابية- كمال درويش (١٢٦-١٣٠).

(٢) مجموع مؤلفات الشيخ- فتاوى ومسائل (٤٦/٢).



المبحث الثاني: انحسار البدع والخرافات

لم يكن تحذير الرسول ﷺ لأمته من البدع إلا لعلمه ﷺ أن هذا الغل، والفكر النشاز، والذي تحتجب به الأبصار عن نور الإيمان، ويكون مُضلاً للفكر سيستشري في الأمة؛ بسبب الجهل، والتقليد والتبعية للأمم.

وقد عاش كثيرٌ من البلدان الإسلامية حياة فكرية متضاربة، مما أوجد بيئة خصبة لانتشار البدع والمعتقدات الباطلة، وهذا ناتج عن الصراع المذهبي والانحراف نحو التقليد.

وهذا الانحراف إنما ترعرع في بيئة ابتعد أهلها عن فهم السلف، وادعوا الدخول في طريقتهم من غير سلوك الطريق الشرعي، ولا فهم مقاصد أهله، مع ضعف نياتهم، وتهمؤ أبدانهم للشهوات، وإيثار رضا المخلوق وتقديمه على رضا الخالق، وكرهوا ما أنزل الله واتبعوا أهواءهم^(١)، و"جعلوا زلات السلف حجة لأنفسهم ودفنوا أكثر مناقبهم"^(٢).

لذا فقد صمد المصلحون والدعاة المخلصون في وجه دعاة البدع، ومن سلك سبيلهم، ووقفوا وقفة صادقة جلّوا فيها هذا الغسق، ونشروا نور العلم، وأحيوا العمل بالسنة، في واقع الناس وحياتهم، وحذروا أشد التحذير من الإحداث في الدين، والتقليد والتبعية على غير هدى، فحرسوا الدين وحفظوه، وكشفوا عوار أهل البدع والدجل والخرافات وحذروا منها.

وهكذا كان الإمام - رحمه الله - حيث كان همه الأول في بداية دعوته تطهير مجتمعه من البدع والخرافة، بعد أن أدرك ما فيه من الضلال، فأخذ على عاتقه الالتزام بمنهج السلف والعودة بالناس إلى العقيدة الصحيحة في صفائها ونقائها^(٣).

فحذر - رحمه الله - من البدع كما مضى - في مبحث شبهات لا تُخرج من الملة -، وجلاها وكشف زيفها وتهافتها، ومحا آثارها.

(١) انظر: الاعتصام - إبراهيم الشاطبي (١/٦٧-٦٨).

(٢) المرجع السابق (١/٦٨).

(٣) انظر: الشيخ محمد بن عبد الوهاب ودعوته في شبه الجزيرة العربية - عبد الرحمن الفاضل (١٣).

وسلك في سبيل ذلك مسالك شتى أسهمت في انحسار البدع والخرافات، ومن ذلك:

١- ساهم- رحمه الله- في نشر العلم وإحياء السنة:

لقد حرص الإمام- رحمه الله- وبذل ما في وسعه لتعليم الناس السنة، ونشر العلم في أوساط أتباعه؛ لأن ذلك يؤدي إلى إزالة البدع ودحضها؛ وهذا من نصرة دين الله ورسوله ﷺ، وهو من مقتضيات قبول العمل، فيقول- رحمه الله-: "وليعلم الواقف على هذا الكلام من أهل العلم - أعزهم الله- أن الكلام في مسألتين:

الأولى: أن الله- سبحانه- بعث محمدًا ﷺ؛ لإخلاص الدين لله، لا يُجعل معه أحد في العبادة والتأله، لا ملك ولا نبي، ولا قبر ولا حجر ولا شجر، ولا غير ذلك، وأن من عظم الصالحين بالشرك بالله فهو يشبه النصارى، وعيسى- عليه السلام- بريء منهم.

والثانية: وجوب اتباع سنة رسول الله ﷺ، وترك البدع، وإن اشتهرت بين أكثر العوام؛ وليعلم أن العوام محتاجون إلى كلام أهل العلم من تحقيق هذه المسائل، ونقل كلام العلماء، فرحم الله من نصر الله ورسوله ودينه، ولم تأخذه في الله لومة لائم"^(١).

وبهذا جدد الإمام - رحمه الله- ما اندرس من معالم السنن بالرجوع إلى ما صح عن رسول الله ﷺ وتطبيقه في واقع حياة الناس، ليعود الدين إلى صفائه الذي كان عليه في الصدر الأول.

٢- حشد النصوص الدالة على تحريم البدع وبطلانها:

أورد الإمام- رحمه الله- النصوص الدالة على تحريم البدع وبطلانها في مواضع عدة من مؤلفاته؛ لأن ذلك يُبَدِّد ظلام البدع، ويطمس معالمها، ويدعو إلى زوال زيفها وانقشاع غمّتها، وما أورده- رحمه الله- في هذا المقام قوله- تعالى-: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ۗ ﴾^(٢)، وقوله- تعالى-: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ۗ ﴾^(٣)، وعلق الإمام- رحمه الله- على هذه الآية بقوله: "فأخبر- سبحانه-

(١) مجموع مؤلفات الشيخ- الرسائل الشخصية (٣/٩٩-١٠٠).

(٢) سورة الحشر آية رقم [٧].

(٣) سورة المائدة آية رقم [٣].



أنه أكمل الدين وأتمه على لسان رسوله ﷺ، وأمرنا بلزوم ما أنزل إلينا من ربنا، وترك البدع والتفرق والاختلاف" (١).

٣- إزالة معالم البدع:

بعد أن أعلی الإمام- رحمه الله- السنة، ونشرها قولاً وعملاً، وحارب البدع والخرافات، وحذر الناس منها، ومن وسائلها، قام بإزالة المشاهد والمزارات، وهدم القباب المبنية على القبور التي كانت تُقصد من دون الله (٢)، فحلّص بذلك الأمة من وسائل الشرك، وأقام دولة عمادها الإسلام، بعيداً عن العصبية القبلية، والعصبية المذهبية، وبعيداً عن البدع والخرافات والفرقة، فكان له أثره البالغ في الجزيرة العربية، وخارجها، ورسم بذلك طريق الإصلاح والهدى والنور (٣)، ومن جملة ما عُده من محاسن لهذه الدعوة المباركة هو إزالة البدع ومحوها (٤).

٤- التحذير من البدع وأهلها:

حشد الإمام- رحمه الله- نصوص السلف- رحمهم الله- الموحدة من البدع وأهلها، وخطر مجالستهم ومصاحبتهم، لما له من أثر على المسلم في دينه ودنياه وأخراه، ومن ذلك ما نقله في كتابه مُفيد المستفيد (٥) عن ابن وضاح (٦): " لا تجالس صاحب بدعة؛ فإنه يمرض قلبك". ثم ذكر بإسناده عن سفيان الثوري قال: "من جالس صاحب بدعة لم يسلم من إحدى ثلاث: إما أن يكون فتنة لغيره، وإما أن يقع في قلبه شيء فيزل به فيدخله الله النار، وإما أن يقول: والله ما أبالي ما تكلموه وإني واثق بنفسي، فمن أمن الله على دينه طرفة عين سلبه إياه". ثم ذكر بإسناده عن بعض السلف قال: "من أتى صاحب بدعة ليوقره فقد أعان على هدم الإسلام".

(١) مجموع مؤلفات الشيخ- الرسائل الشخصية (٦٢/٣).

(٢) انظر: قصة الإمام محمد بن عبد الوهاب- راغب السرجاني (٢١٧-٢١٨).

(٣) انظر: الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب باني دولة ومنشئ أمة- عمر الأشقر (٧).

(٤) انظر: مطالع السعود في أخبار الوالي داود- عثمان بن سند- اختصار: أمين الحلواني (٨١).

(٥) (٥٦-٥٧).

(٦) كتاب فيه ما جاء في البدع (١٠٤-١٠٥).

وهكذا انحسرت بسبب دعوته - رحمه الله - رسوم أهل البدع والخرافة، كما قال ابن بشر - رحمه الله -: "وهدم المسلمون ببركة علمه جميع القباب والمشاهد التي بُنيت على القبور وغيرها من جميع المواضع المضاهية لأوثان المشركين في أقاصي الأقطار من الحرمين وتهامه، واليمن، وعمان والأحساء، وقرى نجد، وغير ذلك من البلاد، حتى لا تجد في جميع من شملته ولاية المسلمين، الشرك الأصغر فضلاً عن غيره"^(١).

وهكذا صمم الإمام - رحمه الله - على بلوغ هدفه، وهو استئصال البدع، ومحوها من مجتمعه، ونشر التوحيد والسنة، وإخلاص العبودية لله^(٢).

(١) عنوان المجد في تاريخ نجد (١/٢٠٠).

(٢) انظر: محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم ومُفتى عليه - مسعود الندوي (٣٥)، وتاريخ الوهابيين وحياة العرب الاجتماعية - أندروا كرايتون (٢٢).



المبحث الثالث: الإسهام في النهضة العلميّة

لقد كان المجتمع الذي نشأ فيه الإمام- رحمه الله- مجتمعا يسوده الجهل العقدي، الذي استشرى في الناس؛ لغياب الفقه الحقيقي الذي يُميّز فيه الحق من الباطل، والصحيح من الضعيف، وذلك بغياب المرجعيّة التي تستبين الحق وتُنادي به من غير ضعف ولا استكانة.

فكانت دعوة الإمام- رحمه الله- سبباً في الحراك الفكري والنهضة العلميّة، في جوّ امتلاء العالم فيه بالجهل والجمود العلمي ليس في شبه الجزيرة العربيّة فحسب، بل في جميع أصقاع العالم الإسلامي، فكان لمبادئ الدعوة وانتشارها أثر عظيم، في تحويل الناس من مجتمع أمي في الغالب إلى مجتمع علمي مُتعلّم، ويحرص على العلم من أجل دينه لا من أجل دنياه.

فنتج عن ذلك علم ومعرفة أسهمت في بناء المجتمع على أساس علمي، يؤمن بالدين الإسلامي على أنه عقيدة وشريعة ونظام حياة^(١).

لقد كان انتشار دعوة الإمام- رحمه الله- سبباً في تبديد الجهل، وبزوغ نور العلم، فتنوعت الثقافة في عصره، وتعددت العلوم، فكان جلّ عنايته بالتوحيد لا سيما توحيد الألوهيّة، كما اهتم بكتب التفسير دراسة وشرحاً وتعليقاً، كتفسير ابن جرير، وابن كثير، والبغوي، وبرز الاهتمام بالحديث وأمّهات كتبه، وشروحاتها، كما دُرست أصول هذه العلوم، واهتم بالفقه وخاصة فقه الإمام أحمد بن حنبل، إلا أنه إذا كان في المسألة قول ضعيف وهناك رواية أصحّ، أخذ بالقول الراجح المستند إلى الكتاب والسنة الصحيحة، وبالعموم لم يكن- رحمه الله- يخرج عن قول بقيّة الأئمة أو بعضهم^(٢).

وقد وصف الجبرتي في تاريخه^(٣) من التقى بهما من اتباع الدعوة سنة (١٢٣٠هـ)، فقال: "فوجدت منهما أنسا وطلاقة لسان واطلاعا وتضلعا ومعرفة بالأخبار والنوادر ولهما من التواضع وتهذيب الأخلاق وحسن الأدب في الخطاب والتفقه في الدين واستحضار الفروع

(١) انظر: عنوان المجد في تاريخ نجد- عثمان ابن بشر(١/٩١)، والشيخ محمد بن عبد الوهاب ودعوته في شبه الجزيرة

العربيّة- عبد الرحمن الفاضل (١٥٧-١٥٨)

(٢) انظر: علماء نجد خلال ثمانية قرون- عبدالرحمن البسام (١/١٨).

(٣) عجائب الآثار(٤/٣٢٥).

الفقهية واختلاف المذاهب فيها ما يفوق الوصف"، ولا شك أن هؤلاء ثمرة من ثمار دعوة الإمام - رحمه الله - العلمية.

وقد سلك الإمام - رحمه الله - مسالك شتى أسهمت في قيام نهضة علمية لا مثيل لها في القرون الماضية، حيث بدأ بكتابة الرسائل العلمية، وتصنيف الكتب، وتدريس كتاب الله، وسنة نبيه المطهرة، وإقامة الدروس العلمية في المساجد والمجالس، وقد أدت هذه الجهود المبذولة من قبل الشيخ إلى اشتهاؤه أمره، وظهور دعوته، التي تأثر بها جمع غفير من الناس في الهند وفي إندونيسيا، وفي أفغانستان، وفي أفريقيا وفي المغرب، وفي مصر، والشام، والعراق، كما وجد دعاة إلى دين الله بلغتهم دعوة الإمام فزاد نشاطهم واهتمامهم واشتهروا بالدعوة^(١).

وفي حث الإمام - رحمه الله - على العلم وتعلمه، واستشعار فضيلته يقول في تفسير "قوله - تعالى -: ﴿ وَكُوِّعَ لِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ﴾^(٢) أي: حرصًا على تعلم الدين لأسمعهم أي: لأفهمهم، فهذا يدل على أن عدم الفهم في أكثر الناس اليوم عدل منه - سبحانه -؛ لما يعلم في قلوبهم من عدم الحرص على تعلم الدين، فتبين أن من أعظم الأسباب الموجبة لكون الإنسان من شر الدواب هو عدم الحرص على تعلم الدين"^(٣).

وتتجلى مظاهر إسهام الدعوة في قيام نهضة علمية وثورة فكرية شاملة في التالي:

١- التعليم لكل فئات المجتمع:

انتقل التعليم في زمن الإمام - رحمه الله - لمرحلة جديدة في طريقة التعليم، وفنونه، والفئات المستهدفة فيه، فلم يقتصر التعليم على الرجال دون النساء، ولا على الكبار دون الصغار، فقد شمل كل فئات المجتمع، مما كان له أثره الواضح في نشر العلم^(٤).

ويذكر فالين في رحلاته إلى جزيرة العرب^(٥) أن الأولاد يُلقنون منذ الصغر أصول الدين وشعائره، ويُعلّمون القراءة والكتابة، وأن هذا منتشر في القرى الوهاية على حدّ قوله.

(١) انظر: الإمام محمد بن عبد الوهاب دعوته وسيرته - ابن باز (٣٤-٣٥).

(٢) سورة الأنفال آية رقم [٢٣].

(٣) مفيد المستفيد (٧).

(٤) انظر: لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب - حسن الريكي (٧٤).

(٥) انظر: جورج فالين (٧٩).



ويقول ابن بشر: "وعرف التوحيد الصغير والكبير، بعد أن كان لا يعرفه إلا الخواص، واجتمع الناس على الصلوات والدروس، والسؤال عن معنى لا إله إلا الله، وفقه معناها، والسؤال عن أركان الإسلام، وعن شروط الصلاة وأركانها وواجباتها، ومعاني أذكارها، فتعلم ذلك الصغير والكبير، والقارئ والأمي، بعد أن كان لا يعرفه إلا الخصائص، وانتفع بتعليمه أهل الآفاق"^(١).

وقد تكاثرت عند الإمام طلاب العلم من الآفاق الذين وفدوا عليه لتلقي العلم، فكانوا يحترفون بالنهار لسد كفايتهم، ويجلسون عنده للتعلم بالليل، ولا شك أن هؤلاء كان لهم الأثر في نشر العلم بعد اتساع رقعة الدولة، وانتشار الدعوة^(٢).

٢- تفعيل دور المسجد:

مما لا شك فيه أن للمسجد دورًا عظيمًا في نشر العلم وبيانه للناس، ولا يخفى ارتباطه الوثيق بالتربية والتعليم منذ عهد النبي ﷺ، وارتباط الإمام - رحمه الله - بالمسجد واضح المعالم، فهو المدرسة الأولى التي نشر من خلالها علومه، وأصول دعوته^(٣).

ومن أشهر المساجد إبان قيام الدعوة مسجد البجيري الكبير، ويقع في منازل الدرعية الشرقية، ومسجد الطريف الكبير، ويقع في منازل الدرعية الغربية، ومسجد الإمام سعود^(٤)، وقد بلغ عدد مساجد الدرعية ثمانية وعشرين مسجدًا، ولا شك في أنها كانت عامرة بدروس العلم في مختلف العلوم والمعارف^(٥)، وعُدت المساجد بالعشرات في بلدة الدرعية، ولا يُتصور أن تخلو من مُعلِّم في هذا العهد للدعوة الفتية التي مبنها على العلم الصحيح والدليل البين الواضح، ولا زال هذا الامتداد المبارك قائمًا، والمساجد عامرة بدروس العلماء الربانيين والتي تظهر بركتها على المتعلم وعلمه ومجتمعه.

(١) عنوان المجد في تاريخ نجد - عثمان بن بشر (٢٠٠)، وانظر: تاريخ نجد - محمود الألوسي (١٦٣).

(٢) انظر: عنوان المجد في تاريخ نجد - عثمان بن بشر (٩٠/١).

(٣) انظر: المرجع السابق (٢٠١/١).

(٤) انظر: المرجع السابق (٢١٣/١، ٢٩١).

(٥) انظر: الأساليب التربوية المستمدة من دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب - عبد الرحمن العريفي (٧٥).

٣- التأليف:

لقد كان للحراك الفكري الذي صاحب دعوة الإمام- رحمه الله- أثره الواضح في التأليف، فقد ألف الإمام- رحمه الله- مؤلفات عدة في فنون العلم، وأهمها العقيدة؛ إذ الحاجة إليها ملحة وقائمة، ويتجلى ذلك في مؤلفاته، إضافة إلى ما نتج عن معارضي الدعوة ومؤيديها من سجل معرفي من خلال الردود التي تداولها الفريقان فيما بينهما بين مؤيد ومعارض.

وفي الوقت الذي كان فيه العلماء قبل الدعوة يشتغلون بالفقه والتأليف فيه؛ لحاجتهم إليه في القضاء، وندر التأليف في العقيدة وما يتعلق بها^(١)، إلا أن دعوة الإمام- رحمه الله- كسرت هذه القاعدة، وفتحت الباب للعلماء للمساهمة في ثورة علمية أنتجت هذه الدعوة المباركة، فقد شمل التأليف الأصول والفروع، وعلى الدليل البين الواضح، وبفهم سلف الأمة؛ لذا جاءت كتابات الإمام- رحمه الله-، وأتباع دعوته بعيدة عن التكلف والغموض، والتحميل البلاغي، وتكلفات الفقهاء المتعصبين، وانحرافات المتكلمين، وشطحات المتصوفة المغالين^(٢)، وهذا أسهم في تأسيس قاعدة فكرية رصينة لدى الأتباع.

وهذا النوع من التأليف درج عليه أبناء الإمام- رحمه الله- وأحفاده وتلاميذه، وأتباع دعوته، وبرز منهم علماء أجلاء في فنون العلوم ومعارفها، وامتد هذا الأثر على أتباع هذه الدعوة المباركة رغم تطاول السنين، وظهر أثرها في حركة العلم إلى عصرنا هذا في شتى أنواع المعارف، وفي جميع المجالات العلمية من تأليف أو أطروحات علمية.

٤- وقف الكتب:

إن من وسائل نشر العلم وانتشاره توفر مصادره، وفي الحقبة الزمنية التي ظهرت فيها دعوة الإمام- رحمه الله- اهتم طلاب العلم بالكتابة والنسخ والتأليف، واحتساب الأجر في ذلك، ومن توابع هذا الاحتساب أن يوصي من يملك ثروة علمية وخزانة مكتبية بوقفها على أهل العلم وطلابه، لينال بذلك أجرًا ودُخْرًا.

ومن الأئمة العلماء الإمام سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود- رحمه الله- والذي كان له معرفةً بشتى العلوم كالتفسير والفقه والحديث، والتي تتجلى في مكاتباته، وقد كان يملك

(١) انظر: الشيخ محمد بن عبد الوهاب حياته وفكره- عبد الله العثيمين(١٩).

(٢) انظر: محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم ومفتري عليه- مسعود الندوي(١٣٣).



أكبر مكتبة في الدرعية في ذلك الوقت، وقد كان له ولغيره من أئمة الدولة السعودية الأولى جهود في وقف الكتب^(١).

ومن الأئمة الذين أوقفوا الكتب كذلك الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود - رحمه الله - ويتجلى ذلك في وقفه لبعض الكتب والتي وردت نصوصه مُدبَّجة بها ومن ذلك عبارة الوقف التي سطرها على شرح صحيح البخاري " الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين أما بعد؛ فقد وقّف وسبّل عبد العزيز بن سعود تقبل الله منه هذا المجلد من شرح البخاري وبقية المجلدات، وهن سبع مجلدات، وجعل نصفهن سبالة للشيخ محمد الله يعفو عنه، ونصفهن سبالة لأبيه وأمه عفا الله عنهم، وشهد على هذا إبراهيم ابن الشيخ محمد، وعبد الله بن عبد العزيز، وكتبه وشهد به عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، وكفى بالله شهيداً وصلى الله على محمد وآله وسلم"^(٢).

ومن المكتبات التي اعترها النهب والتلف مكتبة الشيخ عبد العزيز بن سليمان بن عبد الوهاب^(٣).

ولا شك أن هذا الإرث رغم ما اعتراه من تعدد إلا أنه لا يزال له بقية أسهمت في نقلة علمية لا تزال نتفياً ظلالها.

(١) انظر: دور أئمة آل سعود في وقف المخطوطات في منطقة الرياض - عبد الله المنيف (٨-١٠) بحث مقدم لندوة المكتبات الوقفية في المملكة العربية السعودية التي عقدتها وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد في المدينة المنورة من (٢٥-٢٧/١/١٤٢٠هـ).

(٢) المرجع السابق (١٠).

(٣) انظر: عنوان المجد في تاريخ نجد - عثمان بن بشر (١/٤٠٦-٤٠٧هـ).

الفصل الثاني: آثار دعوة الشيخ السياسيّة

وفيه ثلاثة مباحث:

- المبحث الأول: تحكيم الشريعة
- المبحث الثاني: جمع الكلمة على إمام واحد (الدول السعوديّة
الثلث)
- المبحث الثالث: الاستقرار والأمن



الفصل الثاني: آثار دعوة الشيخ السياسيّة

كانت البلدان النجديّة منقسمة إلى إمارات متصارعة متناحرة، لا تجمعها كلمة ولا تربطها مصلحة، إذ الكلمة للقوة، فالأمن غائب، والحزن دائم، والمصالح مهذرة.

فلم يبق في نجد حكم مركزي قبل قيام دعوة الإمام - رحمه الله - بسبب الفرقة والاختلاف، فقد كان التفكك السياسي هو السمة البارزة في هذه الفترة؛ وذلك لغياب القاعدة التي يمكن أن يقوم عليها حكم أو تجتمع عليها كلمة، قال ابن خلدون في مقدمته^(١): "إن العرب لا يحصل لهم الملك إلاّ بصبغة دينيّة من نبوة أو ولاية، أو أثر عظيم من الدين على الجملة، والسبب في ذلك أنهم لخلق التوحش الذي فيهم أصعب الأمم انقياداً بعضهم لبعض، للغلظة والأنفة وبعد الهمة والمنافسة في الرئاسة، فقلما تجتمع أهواؤهم، فإذا كان الدين بالنبوة أو الولاية كان الوازع لهم من أنفسهم، وذهب خلق الكبر والمنافسة منهم، فسهل انقيادهم واجتماعهم؛ وذلك بما يشملهم من الدين المذهب للغلظة والأنفة، الوازع عن التحاسد والتنافس، فإذا كان فيهم النبي أو الولي الذي يبعثهم على القيام بأمر الله يُذهب منهم مذمومات الأخلاق، ويأخذهم بمحمودها، ويؤلف كلمتهم لإظهار الحق تم اجتماعهم وحصل لهم الملك والتغلب، وهم مع ذلك أسرع الناس قبولاً للحق والهدى لسلامة طباعهم".

وقد انقسم الباحثون في فهم العلاقة بين دعوة الإمام والجانب السياسي في عصره إلى ثلاثة أقسام:

قسم: يرى أن دعوة الإمام سياسيّة ذات غطاء ديني، حتى وصلت به الحال إلى تحويل المصطلحات الدينيّة إلى سياسيّة، فأحدث الشرك السياسي، وزعم أن تعدد السلطة في نظر أئمة الدعوة تعدد لمظاهر الشرك السياسي وتنوعه على حدّ زعمه^(٢)، فكانت دعوة الناس إلى التوحيد في نظره وتحذيرهم من الشرك من أجل الوحدة السياسيّة جزماً، وليس لوجود الشرك في واقع الناس حقيقة؛ وذلك بسبب إدخال الجانب التاريخي البعيد عن التخصص في العقدي، وعدم وضوح عقيدة الولاء والبراء لدى من يفصل الدين عن حياة الناس وممارساتهم، وذلك عند تحليل بعض المواقف.

(١) (١٥١).

(٢) انظر: الوهابيّة بين الشرك وتصدع القبيلة - خالد الدخيل (١٨٢) وما بعدها.

وقسم: يرى أن الدعوة السلفية التي دعا لها الإمام - رحمه الله - دعوة وعلم، ولا تُشارك في العملية السياسية، فهي منزوية في الجانبين العقدي والعلمي في داخلها وخارجها، وبعيدة عن الجانب السياسي^(١).

وقسم: يرى أن الدعوة السلفية التي دعا لها الإمام - رحمه الله - تُلزم المحكوم بطاعة الحاكم والخنوع له، ولا مكان للتعددية فيها^(٢).

ولا شك أنه باتفاق الدرعية بين الإمامين - رحمهما الله - محمد بن سعود، ومحمد بن عبد الوهاب، على اجتماع الكلمة، والقيام بدولة تجمع شتات تلك الدويلات والإمارات في الجزيرة العربية، وتكون قائمة على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وتحكيم شرعه، واجههما ما واجههما من عقبات تم التغلب عليها، واجتمعت الكلمة على إمام واحد وضرب الأمن والاستقرار بأطنابه في أرجائها، وقامت وحدة دينية سياسية لا انفصال لإحدهما عن الأخرى، ويتجلى ذلك في المباحث التالية.

(١) انظر: هل تغير موقف السلفيين من الديمقراطية - محمد أبو مازن (٧) بحث مقدم لمؤتمر الوهابية والسلفية الأفكار والآثار (٢١-٢٢ كانون الأول/ ديسمبر ٢٠١٣) في دولة قطر.

(٢) انظر: الوهابية السلفية المصرية - محمد عبد العال عيسى (٢) بحث مقدم لمؤتمر الوهابية والسلفية الأفكار والآثار (٢١-٢٢ كانون الأول/ ديسمبر ٢٠١٣) في دولة قطر.



المبحث الأول: تحكيم الشريعة

إن الإيمان الراسخ في النفوس بحجّة القرآن والسنة يقضي بالتسليم لهما ولدلالة أحكامهما والإذعان لهما في جميع الأمور السياسيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة، والرجوع لهما في الحكم والتحاكم، والناس لا يحكم بينهم إلا كتاب منزل من السماء، كما قال شيخ الإسلام ابن تيميّة - رحمه الله -: "ومتى تركوا الاعتصام بالكتاب والسنة فلا بدّ أن يختلفوا فإن الناس لا يفصل بينهم إلا كتاب منزل من السماء، كما قال - تعالى -: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَّ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (١) (٢) .

وليس القصد من تحكيم الشريعة العدل فحسب، بل الأمر أبعد من ذلك، فهو إضافة إلى أن الشريعة قسط وعدل، ولا يتحقق العدل إلا بإقامتها في العقائد والمقالات والمذاهب، والسلوك والقيم، وتحكيمها في جميع الاختلافات والنزاعات استجابة لأمر الله - تعالى - بقوله: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ (٣)، فالأهم من ذلك كله وسنامه، أن تحكيم الشريعة عبادة وتوحيد، وتحكيم القوانين وغيرها مما لا دليل عليه شرک في الطاعة، واعتراف لغير الله بأحقية التشريع، كما قال - تعالى -: ﴿اتَّخِذُوا أَعْبَادَهُمْ وَرَهْبَنَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا إِلَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٤)، وقد قال عدي بن حاتم - رضي الله عنه - عندما سمع هذه الآية من رسول الله ﷺ، إنا لسنا نعبدهم، فقال ﷺ: أليس يجرمون ما أحل الله فحرمونه، ويجلون ما حرم الله، فتستحلونه؟ قلت: بلى، قال: فتلك عبادتهم" (٥) (٦) .

(١) سورة البقرة آية رقم [٢١٣].

(٢) درء تعارض العقل والنقل (٥/٢٨٤).

(٣) سورة الشورى آية رقم [١٠].

(٤) سورة التوبة آية رقم [٣١].

(٥) رواه الترمذي في جامعه - كتاب تفسير القرآن - باب ومن سورة التوبة (١٩٤٦) (ح ٣٠٩٥)، وقال الترمذي هذا حديث

حسن غريب، والحديث حسنه شيخ الإسلام ابن تيميّة كما في كتاب الإيمان (٦٤).

(٦) انظر: وجوب تحكيم الشريعة الاسلاميّة في شؤون الحياة كلها - مناع القطان (٧٢-٧٣) مجلة البحوث الإسلاميّة - العدد الأول (١٣٩٥هـ).

فالتحاكم لشرع الله قرين الأمر بعبادة الله: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ

الْقَيِّمُ﴾ (٤٠) (١).

ولذا كانت من الأولويات التي قام بها الإمام- رحمه الله- هو تطبيق الأحكام الشرعية في واقع الناس، والتحاكم إلى الكتاب والسنة بكل صفاء ونقاء (٢)، فألغى قانون الأعراف والعادات والتقاليد التي تتعارض مع أحكام الشرع، ولم يعد العمل بها جائزاً أو مشروعاً في الأحكام التي تُضبط بها شؤون الناس ومصالحهم، وقد كان كثير من الأحكام التي يُحْمَى بها المجتمع أكثر تطبيقاً من الأحكام التي يُعاقب بها (٣).

وإن الأثر الذي تركته الدعوة واضحاً في أول دولة إسلامية في العصر الحديث تطبق الشريعة الإسلامية في أحكامها، والذي لم يحده زمنها بل امتد ليشمل الدولة السعودية الثانية، ولا يزال يمتد مع امتداد هذا العهد المبارك ليشمل الدولة السعودية الثالثة، فلا تزال المملكة العربية السعودية هي الدولة الوحيدة التي تسير في أحكامها على مبادئ الشريعة لا غير إلى يومنا هذا.

ففي الدولة السعودية الأولى، ومنذ قيامها وهي متقيدة بتطبيق أحكام الإسلام، ويُلقب فيها الحاكم بلقب الإمام، والذي يُعطي الصفة الإسلامية لمن يُطبق الشريعة في أحكامه، فلم يعد أحد يُظلم أو يُسلب حقه في ظل تطبيق الشريعة الإسلامية في الحكم بين الناس (٤).

وفي الدولة السعودية الثانية التي قامت على عاتق أفراد البيت السعودي، والتف حولها أبناء الإمام وأحفاده، ومن تأثر بدعوته المباركة، فقد تبنت المبادئ التي سادت في الدولة السعودية الأولى، والتي أصبحت ركيزة في الحكم بين الناس في شؤون أمورهم، فظلت الدولة السعودية الثانية تطبق الشريعة على كل من يعيش في كنف الدولة بكل أمن وأمان (٥).

(١) سورة يوسف آية رقم [٤٠].

(٢) انظر: موجز لتاريخ الوهابي-هارفرد بريدجز(٢١٠).

(٣) انظر: المرجع السابق(٢١٣-٢١٤).

(٤) انظر: قصة الإمام محمد بن عبد الوهاب-راغب السرجاني(٢٢٢-٢٢٣).

(٥) انظر: الشيخ محمد بن عبد الوهاب رائد الدعوة السلفية في العصر الحديث- محمد درنيقة (١٦٢)، وقصة الإمام محمد

بن عبد الوهاب- راغب السرجاني(٢٢٤).



وما كادت تقوم الدولة السعودية الثالثة- المملكة العربية السعودية- على يد الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود، بعد أن وُحِدَ أطرافها، إلا ويعلن أن دستورها كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وتطبيق الشريعة في جميع مناحي الحياة ووفق ما سار عليه أسلافه في الدولتين الأولى والثانية^(١).

ومما جاء في النظام الأساسي للحكم" المادة الأولى: المملكة العربية السعودية، دولة عربية إسلامية، ذات سيادة تامة، دينها الإسلام، ودستورها كتاب الله- تعالى-، وسنة رسوله ﷺ^(٢).

فمن أعظم الآثار الحميدة لدعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب- رحمه الله- المبنية على الكتاب والسنة، وما كان عليه سلف الأمة، قيام هذه الدولة على هذا الأساس، وأول أئمتها محمد بن سعود- رحمه الله- الذي ناصر الإمام، وحكّم شرع الله في ولايته، واستمرت الولاية في هذه الأسرة إلى عصرنا هذا، وقد مضى عليها ما يقرب من ثلاثة قرون، وهي على هذا المبدأ، ولا شك أن استمرار هذا البقاء لهذه الدولة سببه القوي بعد توفيق الله الاستفادة من هذه الدعوة المباركة المبنية على تحكيم شرع الله، واتباع الكتاب والسنة، وهو السبب الأقوى لاستمرارها في المستقبل، ثبتها الله على الحقّ، وأعانها على القيام به على الوجه الذي يرضيه- سبحانه وتعالى-^(٣).

(١) انظر: تاريخ المملكة العربية السعودية- عبد الله العثيمين(٢/٢٩٩).

(٢) النظام الأساسي للحكم(٢).

(٣) انظر: منهج شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب في التأليف- عبد المحسن البدر(٦-٧).

المبحث الثاني: جمع الكلمة على إمام واحد (الدول السعودية الثلاث)

باتفاق الدرعية بين الإمامين - رحمهما الله - وضعت أسس النظام السياسي للدولة الوليدة، والتي أخذت على عاتقها مسؤولية تصحيح العقيدة ونصرة الدين، وتكونت بذلك وطنية غير معهودة في تلك الحقبة، تجاوزت بها حدود القبيلة والعصبية الإقليمية^(١)، وقررت بأن الدولة لا بد أن تؤسس على قرآن يهدي وسيف يحمي، وهذا ما أكده الإمام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - في لقائه الأول بالإمام محمد بن سعود - رحمه الله - بقوله: "وأنا أبشرك بالعز والتمكين والنصر المبين، وهذه كلمة التوحيد التي دعت إليها الرسل كلهم، فمن تمسك بها وعمل بها ونصرها ملك بها البلاد والعباد، وأنت ترى نجد كلها وأقطارها أطبقت على الشرك والجهل والفرقة والاختلاف والقتال لبعضهم بعض، فأرجو أن تكون إمامًا يجتمع عليه المسلمون وذريتك من بعدك، وجعل يشرح له الإسلام وشرائعه... فلما شرح الله صدر محمد بن سعود لذلك، وتقرر عنده، طلب من الشيخ المبيعة على ذلك فبايع الشيخ على ذلك"^(٢).

وبذلك تحقق الانسجام بين السلطتين الشرعية والسياسة، ووضح الهدف لكل منهما، وهو تحقيق العبودية لله، وتحكيم شرعه في كل مجالات الحياة، فلا انفصال بين السلطتين لسمو رسالتهما، وصفاء النيّة، وسلامة المقصد الذي يسعى لتحقيقه، وهذا رغم ما واجهته هذه الدولة من تحدّ وشراسة خصوم، إلا أنها استطاعت أن تثبت أمام هذه الملمات وتستعيد بناء نفسها ثلاث مرات عندما أثبتت في الواقع أن الإسلام دين ودولة.

ففي الدولة السعودية الأولى:

١ - توجهت الجهود من أئمة آل سعود إلى العلم والعمل، وتطهير الاعتقاد من أدران الشرك والإلحاد؛ وذلك لتأثرهم بدعوة الإمام - رحمه الله - ولا أدل على ذلك من تتلمذ الأئمة على الشيخ الإمام، وضربهم للمثل الأعلى والقُدوة في طلب العلم، والجهر بالدعوة والقيام بتعليم الناس وتفقيهم في دينهم، والإنفاق على العلم والتعليم، بل وإرخاص الأنفس في سبيل

(١) انظر: الدور السياسي للحركة الوهابية في ظل بيئة متغيرة - تامر هاشم (٦) بحث مقدم لمؤتمر الوهابية والسلفية الأفكار والآثار (٢١-٢٢ كانون الأول/ ديسمبر ٢٠١٣) في دولة قطر.

(٢) عنوان المجد في تاريخ نجد - عثمان بن بشر (١/٨٩).



العقيدة والدفاع عنها، فقد قُتل من آل سعود جمع في حروب الدولة السعودية الأولى مع خصومها^(١)، وفي دفاعهم عن دولة الدين والعقيدة في حروب محمد علي نحو واحد وعشرين رجلاً^(٢).

٢- قامت الدولة على أساس علمي وولاية شرعية، وكان اسم الإمام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- في كتاباته مُقترباً بأسماء أئمة الدعوة من آل سعود- رحمهم الله- فكانت الرسائل أحياناً مشتركة وتتضمن في افتتاحيتها بعد حمد الله، اسم الإمامين وعلى سبيل المثال: من عبد العزيز بن محمد بن سعود ومحمد بن عبد الوهاب، ثم بيان حقيقة الدعوة، وأصولها وبيان ما قد يلتبس على المُرسَل إليه^(٣).

وقد بيّن الإمام- رحمه الله- المبادئ السياسيّة التي تقوم عليها الدولة، وما للراعي من حقوق وما عليه من واجبات للرعيّة، وكذلك ما يجب أن تمتثله الرعيّة تجاه ولي أمرها، وهذا مما يحقق الوحدة المُجتمعيّة، ويجمع الكلمة، ويُوحد الصف، ويسل سخائم القلوب، فقد قرر الإمام وفق ما تقضيه الشريعة الإسلاميّة، والتي هي المُنطلق والقاعدة لهذه الدعوة المباركة أن:

أ- طاعة ولي الأمر واجبة في غير معصية الله^(٤).

ب- الخروج على السلطان المُسلم مُحرم وتجرّيم من فعله^(٥).

ج- يُقتل من شق عصا الطاعة وخرج عن الجماعة^(٦).

د- قتل المُسلم بغير وجه حق مُحرم شرعاً على السلطان^(٧).

(١) انظر: تاريخ ابن غنام(٢/٦٧٨).

(٢) انظر: عنوان المجد في تاريخ نجد- عثمان بن بشر(٣/٣٨١).

(٣) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ-الرسائل الشخصية (٣/٥٤، ١٦٨)، والدرر السنيّة في الأجوبة النجدية- جمع: عبد الرحمن بن قاسم(١/٩٤).

(٤) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ-كتاب الكبائر(٦/٢٩٩).

(٥) انظر: المرجع السابق-نفس الجزء والصفحة.

(٦) انظر: المرجع السابق-نفس الجزء والصفحة.

(٧) انظر: المرجع السابق(٦/٣٠١).

هـ- نصر الشريعة الإسلامية ومن تبعها، وعداوة من خرج عنها من أهم مهمات السلطان^(١).

و- ولي الأمر مسؤول عن رعيته، فيحفظ أمنهم وأملاكهم^(٢).

ز- الرفق بالرعيّة وتحقيق العدل والشفقة عليهم من حقوق الرعيّة على الوالي^(٣).

ح- الاحتجاب عن الرعيّة، وعدم قضاء حاجاتهم وكفاياتهم مُحرم^(٤).

ط- أكل أموال الناس بالباطل مُحرم شرعاً^(٥).

ي- اختيار الولاية والقضاة، واجب من واجبات الرعيّة على الوالي، فينبغي حسن اختيارهم^(٦).

هكذا كانت نظرة الإمام- رحمه الله- للحياة السياسيّة في عصره^(٧).

٣- كانت السياسة قائمة على سياسة الناس في أمور دينهم ودنياهم وتعبيدهم لله؛ ولأجل ذلك لم يحصل انفصال بين السلطتين السياسيّة والشرعيّة، فكلُّ منهما يقوم بدور الآخر، وهذا جعل الناس في غاية الإذعان والانقياد بكل صدق وإخلاص وطمأنينة للسلطتين معاً.

ويتجلى ذلك من خلال رسائل الأئمة من آل سعود ممن تتلمذوا على الإمام ونهلوا من معين علمه، ففي رسالة الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود إلى أهل بلدان العجم والروم يقول فيها: "أما الذي نحن عليه، وهو الذي ندعو إليه من خالفنا: أنا نعتقد أن العبادة حق لله على عبیده، وليس لأحد من عبیده في ذلك شيء، لا ملك مقرب، ولا نبي مرسل... ولا يجوز لأحد

(١) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ- الرسائل الشخصية (١٦٨/٣).

(٢) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ- كتاب الكبائر (٣٠٩/٦).

(٣) انظر: المرجع السابق (٣٠٦/٦).

(٤) انظر: المرجع السابق (٣٠٦/٦-٣٠٧).

(٥) انظر: المرجع السابق (٣١٢/٦).

(٦) انظر: المرجع السابق (٣٠٧/٦).

(٧) انظر: دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ودعوة الشيخ عثمان بن فودي-دراسة تاريخيّة مقارنة- محمد السكاكر (٩٣-٩٥).



يتوكل على غير الله، ولا يستعيز بغير الله، ولا ينذر لغير الله، تقرّباً إليه بذلك، ولا يذبح لغير الله" (١).

ومما قاله الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود - رحمه الله -: "وكنّا قبل أن يمن الله علينا بهذا الدين نفعل ما يفعله الناس...، ثمّ إن الله هدانا لدين نبيه محمد ﷺ؛ بسبب الشيخ محمد بن عبد الوهاب أدخله الله الجنة بغير حساب ولا عذاب... ونحن قبل أن يمن الله علينا بهذا الدين، والدعوة إليه، وجهاد الناس عليه، كُنّا من أذل الناس، فلما منّ الله علينا بالإسلام ودعونا إليه، وجاهدنا الناس عليه، نصرنا الله، وأعزنا على من عادانا، والأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين" (٢).

وفي رسالة الإمام سعود بن عبد العزيز - رحمه الله - إلى أشرف نجران يُبين مقومات الاجتماع والألفة ووحدة الصف بقوله: "ونخبركم أننا متبعون لا مبتدعون، ونعبد الله وحده لا شريك له، ونتبع رسوله ﷺ فيما يأمر به، وينهى عنه، ونقيم الفرائض، ونجبر من تحت يدنا على العمل بها، وننهي عن الشرك بالله، وننهي عن البدع، والمحرمات، ونقيم الحدود، ونأمر بالمعروف، وننهي عن المنكر، ونأمر بالعدل، والوفاء بالعهود، والمكاييل، والموازين، وبر الوالدين، وصلة الأرحام هذا صفة ما نحن عليه، وما ندعو الناس إليه" (٣).

فهذه الجهود المشتركة من الأئمة تدل دلالة واضحة على الانسجام التام والتعاون الوثيق بين السلطتين، مما كان له الأثر الملموس في جمع الكلمة والالتفاف حول مبادئ الدعوة، وهذا أثمر نتيجة واضحة في القضاء على التفرق والشتات الذي كان سائداً قبل قيام الدعوة (٤).

وفي الدولة السعودية الثانية:

بعد أن سادت الفوضى في جزيرة العرب نتيجة سقوط الدولة السعودية الأولى، انتشر السلب، وعادت الأمور إلى حالتها قبل قيام الدولة من فرقة واختلاف، وتناد بالثأر، وتعطيل للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتهاون في أداء الصلوات، والفطر في نهار رمضان، وشيوع

(١) الدرر السنيّة في الأحوبة النجدية - جمع: عبد الرحمن بن قاسم (٢٥٨/١-٢٥٩).

(٢) حقيقة الدعوة النجدية - عبد العزيز بن محمد بن سعود (١٣٣، ١٣٦).

(٣) الدرر السنيّة في الأحوبة النجدية - جمع: عبد الرحمن بن قاسم (٢٨٥/١).

(٤) انظر: الإمام محمد بن سعود وجهوده في تأسيس الدولة السعودية الأولى - عبد الرحمن العريني (١٢).

للمنكرات، وما صاحب ذلك من استدلال، واستثثار بالمال والمسكن من قبل العساكر، وتفرق العلماء والأخيار بين طريد وشريد^(١)؛ وذلك بسبب غياب الفكر الرشيد الذي يستلهم هداة من الثوابت التي لا تُغيرها الأحوال والظروف.

ورغم فظاعة الحدث وقوته وما صاحبه من تغيرات سياسية إلا أن مقومات المنهج الذي خطه الإمام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - لا زالت عالقة في أذهان ونفوس وقلوب كثير من الناس، وظل مجتمع الجزيرة يُكن الولاء والمحبة للأئمة من آل سعود وذرياتهم؛ حيث أقاموا شريعة الله في واقع الناس، وما يترتب عليها من تحقيق العدل والمصالح الدنيوية والأخروية^(٢).

ويظهر ذلك جلياً فيما سطر عن الأئمة ممن تسنموا زمام الأمور في الدولة السعودية الثانية، والذين ساروا على خُطى سلفهم في الدولة السعودية الأولى، ومن ذلك ما سطر عن الإمام تركي بن عبد الله - رحمه الله - حيث إنه كان يُرتب الأئمة لإقامة الصلاة، وتعليم الناس وتأديبهم، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والاجتماع على العلم ومجالس الذكر، والتي هي أسمى بذور الاجتماع والتآلف، وتعيين القضاة للعدل بين الرعية، ويُذكر بنعم الله والاجتماع بعد الفرقة، والأخوة بعد العداوة، وزجر أمراء البلدان عن الظلم، وعدم الإضرار بالرعية، وجعل من مهمات الحاكم رعاية مصالح رعاياه، وتوفير الأمن والاستقرار لهم، وطلب من الرعية رفع مظالمهم إليه، وقد أوضح نظامه في الحكم في كتبه ورسائله لعامة المسلمين وعمّاله^(٣).

ففي إحدى رسائل الإمام تركي - رحمه الله - التي يقرر فيها أصول الإسلام، ووجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والأخذ على يد المُخالف بحزم، والأمر بتقوى الله، يحتمها بقوله: "وأنا نصرته لكل صاحب حق، وعون لكل مظلوم، ﴿وَأذْكُرُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا﴾^(٤)، وأعزكم بعد القلّة، وآمنكم بعد الخوف بالإسلام"^(٥).

(١) انظر: عنوان المجد في تاريخ نجد - عثمان بن بشر (٨/٢، ١٤، ١٥)، وتاريخ الدولة السعودية الأولى - فيليكس مانجان

(١٨٥)، ومن وثائق شبه الجزيرة العربية في عصر محمد علي - جمع وإعداد: عبد الرحيم عبد الرحمن (٤٨/٥).

(٢) انظر: تاريخ الدولة السعودية في أدوارها الثلاثة - عبد الفتاح أبو علبّة (٧٧).

(٣) انظر: عنوان المجد في تاريخ نجد - عثمان بن بشر (٢٦/٢، ٧٤)، ومحمد علي وشبه الجزيرة العربية - عبد الرحيم عبد الرحمن (٢٧٣/٢-٢٧٤).

(٤) سورة آل عمران آية رقم [١٠٣].

(٥) عنوان المجد في بيان أحوال بغداد والبصرة ونجد - إبراهيم الحيدري (٢٢٠-٢٢٣).



وفي رسالة لفیصل بن تركي - رحمه الله - لعموم المسلمين، یقرر فیها ما قرره والده، ویختمها بقوله: "والمطلوب منكم الاستقامة على هذا الدين، والاجتماع علیه، وقد رأیتم ما فی الجماعة من المصالح العامة والخاصة، وما فی التفرق من الشر فی أمر الدين والدنيا"^(١).

وجميع هذه الرسائل تحمل مضامين الدعوة السلفية.

وفي الدولة السعودية الثالثة:

قامت الدولة على ما قام علیه أسلافهم فی العهدین السابقین؛ وذلك بتطبيق شرع الله قولاً وعملاً، وعلى منهج سلفي واضح المعالم، یقول الملك عبد العزيز - رحمه الله - مؤسس هذا الكيان: "إنني رجل سلفي، وعقيدتي هي السلفية التي أمشي بمقتضاها على الكتاب والسنة"^(٢).

ومن أقواله - رحمه الله - كذلك: "ومصالح العباد لا تكون إلا بالاجتماع، فإذا تألفت القلوب، وتوحدت الكلمة نالوا السعادة فی الدين والدنيا، وإذا اختلفت القلوب، وتفرقت الكلمة أضعوا الدين والدنيا، ولا حول ولا قوة إلا بالله"^(٣).

ویقول - رحمه الله -: "ویقولون: إنا وهائیة، والحقیقة أننا سلفیون محافظون على دیننا، ونتبع كتاب الله وسنة رسوله، وليس بیننا وبين المسلمين إلا كتاب الله وسنة رسوله"^(٤).

وعلى هذا النهج سار أبناؤه من بعده یقول الملك فیصل - رحمه الله -: "إننا لنرى اليوم فی الأمة الإسلامية، من التفرق والتناحر والاختلاف، ما یؤذّر بخطر جسيم، فلماذا التفرق أيها الإخوة؟، ولماذا الاختلاف؟، ولدیننا كتاب الله وسنة رسوله، فعلینا جميعاً أن نسعى لتحکیم كتاب الله وسنة رسوله فی جميع شؤوننا"^(٥).

ویقول خادم الحرمين الشريفین الملك فهد بن عبد العزيز - رحمه الله - "قد سعد المسلمون بشريعة الإسلام حين حکموها فی حياتهم وشؤونهم جميعاً، وفي التاريخ الحديث قامت الدولة

(١) المرجع السابق (٢٢٤-٢٢٥).

(٢) المصحف والسیف - جمع وإعداد: محیی الدين القابسي (١٣٠).

(٣) المرجع السابق (٧٠).

(٤) المرجع السابق (١٣٦).

(٥) جريدة أم القرى - العدد (٢٠٦٧) ذو الحجة (١٣٨٤هـ).

السعودية الأولى منذ أكثر من قرنين ونصف على الإسلام حينما تعاهد على ذلك رجلان صالحان هما: الإمام محمد بن سعود، والشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمهما الله - فقامت هذه الدولة على منهج واضح في السياسة والحكم، والدعوة والاجتماع، هذا المنهج هو الإسلام عقيدة وشريعة"^(١).

ومن أقوال خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز - حفظه الله -: "إن الوحدة الإسلامية ليست هدفاً مُستحيلاً ولا أمنيةً خياليةً؛ بل مطلب مشروع، قادرين بمشيئة الله أن نحوله إلى حقيقة ملموسة إذا استطعنا أن نغلب مصلحة الكل على مصلحة الجزء، وسعينا جميعاً لتكون كلمة الله - عز وجل - لا كلمة كل منا بمفرده هي العليا، وليس ذلك على هم المؤمنين المخلصين بعزير"^(٢).

ومن خلال ما سلف يتبين عمق العلاقة الوطيدة بين الدعوة التي نادى بها الإمام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - والأئمة من آل سعود - رحمهم الله -، فقد عضت الدولة السعودية الأولى على الدعوة بالنواجذ، وكانوا خير عون للإمام على تحقيق أهداف دعوته، والتي أصبحت نواة للاجتماع والتآلف في عهدهما الأول، وتبوأ مكانة عالية في نفوس أتباعها، وفي نفوس المسلمين الصادقين وإن نأت بهم الديار، وعندما تضععت الدولة السعودية الأولى بحكم الظروف والكيد الذي مُنيت به، فقد استنهض الإمام تركي بن عبد الله ما في نفوس الناس من الخير واستطاع في فترة وجيزة تكوين الدولة السعودية الثانية، والتي لم تكن أوفر حظاً من سالفتها؛ لما أحاط بها من محن، وعندما نادى الملك عبد العزيز - رحمه الله - لقيام الدولة السعودية الثالثة اشرببت الأعناق لندائه، واجتمعت القلوب قبل الأجساد على دعوته؛ لأنه أسس هذا النداء على تقوى من الله ورضوان، حيث إن سلطان الشريعة هو الغالب، وهي المُحكِّمة في شؤون الناس ومجالات حياتهم"^(٣).

(١) خطب وكلمات - خادم الحرمين الشريفين (٢٨١).

(٢) صحيفة الجزيرة - العدد (١٥٠٥٤) / ١٣ / صفر / ١٤٣٥ هـ.

(٣) انظر: الدعوة في عهد الملك عبد العزيز - محمد الشثري (١١٠-١١١).



المبحث الثالث: الاستقرار والأمن

كانت الأهداف التي تسعى الدعوة إلى تحقيقها القضاء على الفوضى والتنازع، بل والتقاتل لأنفه الأسباب؛ إذ كانت اللغة السائدة للتعامل بين القبائل، والمناطق، والمدن، بل والمدينة الواحدة هي القوة.

فكان التقاتل والتناحر هو السائد رغم ما يتمتع به العربي من بعض الصفات الإيجابية التي تملحها عليه بيئته العريية.

وكان لا يسافر من أهل البلدان مسافة ولو قصرت إلا تعرض لنوع من أنواع التعدي، إما السلب، أو القتل^(١).

ولم يسلم من الإخافة وقطع الطريق حتى حجاج بيت الله الحرام؛ لما يتعرضون له من قطع الطريق والسلب والنهب، بل وحتى القتل^(٢).

وكان المال والمحاصيل تؤخذ إما بقطع السبيل، أو نهبًا، أو على شكل ضرائب تُدفع للسلامة من الأذى^(٣).

ولقد سعى أئمة الدعوة منذ تأسيسها إلى استقرار الناس وأمنهم في جميع شؤون حياتهم، ومن عاش سلبيات الماضي قبل قيام الدعوة رأى البون الشاسع بين الحالين، فنعدما حُكم شرع الله وتحقق العدل في جميع مناحي الحياة كما سبق في مبحث تحكيم الشريعة، لم يعد هناك مكان أو حماية لمن يتعدّ على حقوق الناس أو ممتلكاتهم^(٤).

وفي الدولة السعودية الأولى:

انتقل الناس نقلة عظيمة، من واقع جاهلي مظلم في جميع نواحي الحياة إلى نور الإيمان والطاعة، ومن قانون الغاب إلى عدل الإسلام، فما إن سادت الدعوة إلا وظهرت نتائج لم تكن في حسابان الكثير من الناس، فقد خلص التوحيد، وانتدثر الشرك، وتآلفت القلوب

(١) انظر: عنوان المجد في تاريخ نجد - عثمان بن بشر (١/٢٦٤-٢٦٥).

(٢) انظر: عجائب الآثار والتراجم والأخبار - عبد الرحمن الجبرتي (٢/١٣٥).

(٣) انظر: العثمانيون وآل سعود في الأرشيف العثماني - زكريا كورشون (٢٢).

(٤) انظر: مواد لتاريخ الوهابيين - جوهان بوركهارت (٥٠).

المتنافرة، ووحدت الصفوف المتقاتلة، وانقلب الخوف إلى الأمن، والضيق إلى رغد، فلما قام الدين على منهاج النبوة تحقق موعود الله - عزَّ وجلَّ - ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا أَسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾ ^(١)، فكان أثر الدعوة واضحًا في جمع الشتات وتوحيد الكلمة، ويجلي ابن بشر هذه الحقيقة في زمن الإمام عبد العزيز بن محمد، وهو أحد بواكير أئمة هذه الدعوة المباركة، بقوله: "وكانت البلاد من جميع الأقطار والرعيَّة في زمنه آمنة مطمئنة في عيشة هنيئة، وهو حقيق بأن يلقب مهدي زمانه؛ لأن الشخص الواحد يسافر بالأموال العظيمة أي وقت شاء، شتاءً وصيفًا، يمنًا وشامًا، شرقًا وغربًا في نجد والحجاز واليمن وتهامة وعمان، وغير ذلك، لا يخشى أحدًا إلا الله، لا سارقًا ولا مكابرًا، وكانت جميع بلدان نجد من العارض والخرج والقصيم والوشم والجنوب، وغير ذلك من النواحي، في أيام الربيع يسيبون جميع مواشيهم في البراري والمفالي من الإبل والخيل والجياد، والبقر والأغنام، ليس لها راعٍ ولا مراعي، بل إذا عطشت وردت على البلاد، تشرب ثم تصدر إلى مفايلها، حتى ينقضي الربيع، أو يحتاجون لها أهلها لسقي زروعهم ونخيلهم، وربما تلقح وتلد، ولا يدري أهلها إلا إذا جاءت وولدها معها... (و) يخرج الراكب وحده من اليمن وتهامة، والحجاز والبصرة، والبحرين وعمان، ونقرة الشام، لا يحمل سلاحًا، بل سلاحه عصاه، لا يخشى كيد عدو، ولا أحد يريد بسوء.

وأخبرني بعض من أثق به أنه ظهر مع عمال من حلب الشام قاصدين الدرعيَّة، وهم أهل ست نجائب محملات ريبالات زكوات بوادي أهل الشام، فإذا جنَّهم الليل، وأرادوا النوم نبذوا رواحلهم ودراهمهم يمينًا وشمالًا، إلا ما يجعلونه وسائد تحت رؤوسهم. وكان بعض العمال إذا جاءوا بالأخماس، والزكوات من أقاصي البلاد يجعلون مزود الدرهم أطنابًا لحيمتهم، ورباطًا لحيلهم بالليل، لا يخشون سارقًا ولا غيره" ^(٢).

(١) سورة النور آية رقم [٥٥].

(٢) عنوان المجد في تاريخ نجد - عثمان بن بشر (١/٢٦٤-٢٦٥).



وقد سادت هذه الحالة الأمنية والاستقرار على امتداد زمن الدولة السعودية الأولى، ولم يحصل هذا إلا بعد توفيق الله، وهذا نتاج من نتائج التوحيد، وثمره من ثمراته، والتي يتحقق بها الأمن بشتى صورته، وما يتبعه من عدل الولاية، والعمل بطاعة الله، وما يتلبسون به من العفاف^(١).

وكان الحجاج الذين كانوا قبل قيام هذه الدعوة في حالة رعب وهلع وخوف على حياتهم فضلاً عن أموالهم، فكانوا يمرون عبر الجزيرة لا يتعرضهم أحد، بل وصل الأمر إلى أن المرأة تحمل حليها وتمضي حيث شاءت ولا يتعرض لها أحد^(٢).

فلم يتحقق الأمن والاستقرار في الجزيرة إلا بقيام الدولة على أساس عقدي إيماني ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾^(٣)، وهذا كان له أثره البالغ في تحقيق صور الأمن داخل نفوس أتباعه، مما ولد رقابة ذاتية، تردع من تسول له نفسه الشطط والانحراف عن أمر الله وأمر رسوله ﷺ.

وإن الناظر في أحوال المجتمعات والدول ليستحلي بوضوح ما نعم به في هذه البلاد الطيبة المباركة، وما حققه الله لسكانها وقاصديها من أمن حسي ومعنوي، وهذا مما مكنه الله لها ولأهلها؛ لأن قيامها كان بالإسلام وعلى الإسلام، وبفهم سلف الأمة الكرام^(٤).

فساد الأمن والاستقرار أرجاء البلاد، وأثرت حالة الخوف والهلع في نفوس الناس إذا تذكروا سالف عهدهم، والتي عادت إليهم بعد أن جاست جيوش محمد علي جزيرة العرب^(٥).

وفي الدولة السعودية الثانية:

عانت الدولة العثمانية بعد أن تدخلت في الجزيرة العربية وشؤونها الداخلية كثيرًا من حالة الفوضى والسلب والنهب، فورد في مخاطبات أحد مسؤولي الدولة، وهو يحكي صعوبة المرور في بعض المناطق لبعض رجالات دولتهم، بقوله: "... أيقن أنه لن يستطيع التقدم إلى الأمام

(١) انظر: المرجع السابق (١/٢٦٦-٢٦٩).

(٢) انظر: لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب - حسن الريكي (١٠٥).

(٣) سورة الأنعام آية رقم [٨٢].

(٤) انظر: تطبيق الشريعة الإسلامية في المملكة العربية السعودية وآثاره في الحياة - عبد الرحمن الزيندي (٥١٨-٥١٩).

(٥) انظر: رحلات فالين إلى جزيرة العرب - جورج فالين (٧٧-٧٨).

بسبب أعمال النهب والغزو القائمة بين العربان هناك، واستحالة مرور فرد واحد في تلك الجهة^(١)، وهذه الحالة حصلت بعد أن كانت الجزيرة مضرب المثل في الأمن والأمان منذ قيام الدعوة وسيادتها، إلى حين سقوط عاصمتها الدرعية عام (١٢٣٣هـ) على يد إبراهيم باشا، فوقع الحرائب واشتعلت الفتن في جميع النواحي والبلدان، وتقاطعت الأرحام، وكثر القتل حتى أن الرجل لا يستطيع أن يمشي إلا بسلاحه، فلا يأمن على نفسه لا في مجامع الناس وأسواقهم ولا خارج البلد^(٢)، حيث كان الناس يضرب بعضهم رقاب بعض، وكان كل بلد فيه أمير شاهر سيفه، ومُحارب للبلد الذي يليه^(٣).

واستمروا على هذه الحال التي تردى فيها الأمن بشقى صورته وتزعزع، حتى قيام الدولة السعودية الثانية على يد الإمام تركي بن عبد الله - رحمه الله - الذي أمنت به البلاد، وطهرت بسببه قلوب العباد من الضغائن والأحقاد، واجتمعت كلمة الخلق على السمع والطاعة، وصار أهل نجد كلهم جماعة بعد أن بايعوا على دين الله والسمع والطاعة^(٤).

بعد أن "هان على كثير من الناس دينها وإسلامها، كأنهم لم يكونوا حدثاً بإسلام، ولم يجتمعوا على إمام، وتهاون كثير منهم بالصلوات، وأفطروا في شهر رمضان، وصار هذا الشهر العظيم عندهم كأنه جمادى أو شعبان، وتعذرت بين البلدان الأسفار، واتخذوا دعوى الجاهلية لهم شعاراً، فحارب البلدان، وقاتل العربان، ودعاهم إلى الجماعة والسمع والطاعة، حتى ضرب الإسلام بجرانه، وسكنت الأمة في أمنه وأمانه، وسعت سعاة الأسفار إلى أقاصي الأقطار"^(٥).

ولم يتحقق ذلك إلا بسبب تأثير هذه الدعوة، وأثرها في نفوس الناس، وحسن سير الخلف من الأئمة على منهج السلف، فقد قام الأئمة من آل سعود في مدة حكمهم في الدور الثاني بالاهتمام بالعلم والعلماء على طريقة أسلافهم، والمبني على هذا الأصل يجمع شتات الأفكار، ويبدد التنازع والخصام، ويكون لكلام الحكام والعلماء أثر بالغ في النفوس، إذا كان القول مرتبطاً بالعمل، ولم يكن تنظيراً إعلامياً يزول بزوال وقته.

(١) من وثائق شبه الجزيرة العربية في العصر الحديث - إختيار وإعداد: عبد الرحيم عبد الرحمن - وثيقة رقم (٣٧) (١٩١/٥)، وانظر: (٤٨/٥، ٨٠).

(٢) انظر: عنوان المجد في تاريخ نجد - عثمان بن بشر (٣٨٩/١، ٣٩٣-٣٩٤، ٤٠٩-٤١٠).

(٣) انظر: المرجع السابق (٩٣/٢).

(٤) انظر: المرجع السابق (٩/٢، ٢٥-٢٧، ٩٣).

(٥) المرجع السابق (١٤/٢-١٥).



فكان الإمام تركي - رحمه الله - يجتمع بالناس على دروس علمية عامة، كل اثنين وخميس في حال الاستيطان، وكان يصحب معه في غزوه العلماء الذين يُذكرون الناس بعد كل صلاة عصر في مجلسه^(١).

فقد كان الإمام تركي - رحمه الله - ذا سيرة حسنة في الناس، فقد نصر الدين، وجاهد في سبيل إعلائه، "فاطمأنت بعدله الرعايا، وأمنت البلدان والقربا، وخافت من سطوته أشرار البلدان، ولانت لهيبته رؤوس العربان، ورفع الله بولايته عن المسلمين المحن وزالت عنهم الحروب والفتن"^(٢).

وسار على منهاجه ابنه فيصل، والذي يتضح من مخاطباته مدى تأثيره بالدعوة وما حباه الله من فضل في حفظ كتابه، وكان يُحب العلماء ومُجالستهم^(٣).

وقد حافظ العلماء على ما أنعم الله به على الناس في زمن الإمام فيصل - رحمه الله - ومن ذلك ما سطره الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن - رحمه الله - بقوله: "وقد منّ الله عليكم في هذه الأوقات، بما لم يعطه سواكم في غالب البلاد والجهات، من النعم الدينية والدينيّة، والأمن في الأوطان"^(٤).

ومما سبق يتبين ما أنعم الله به على الناس في زمن هذه الدولة من جمع للكلمة وتوحيد للصف نتج عنه أمن في الأوطان، وأمان واستقرار، رغم التقلبات التي حصلت، والضعف الذي تخلل بعض فتراتهما، ولكن سرعان ما يعود الناس ويلتفون حول حكامها إذا أمنوا سطوة من يسيطر عليهم ويأخذهم بالقوة.

وذلك من حسن السيرة وسلامة السريرة من حكام هذه الحقبة، وما جُبلوا عليه من العفو والصفح والإحسان إلى الرعية^(٥).

(١) انظر: المرجع السابق (٢/٩٤-٩٥).

(٢) المرجع السابق (٢/٣٢).

(٣) انظر: المرجع السابق (٢/١٠٧، ١١٠).

(٤) الدرر السنية في الأجابة النجدية - جمع: عبد الرحمن بن قاسم (١/٤٦٥).

(٥) انظر: عنوان المجد في تاريخ نجد (٢/٢٢٩، ٢٢٥، ٢٢٠، ٢١٢).

وفي الدولة السعودية الثالثة:

بعد الفترة التي عمّت البلاد بعد ضعف الدولة السعودية الثانية نتيجة نشوب الخلافات، والتفكك الذي تنازع أطرافه الدولة، والخلافات التي نشأت ممن ضعف دينهم ونقضوا العهود والمواثيق، واختلفوا على إمامهم، وتهاونوا بدماء المسلمين^(١).

فالأمن يضمحل إذا غاب الفكر، وإذا فُقد الأمن فلا استقرار ولا هناءة عيش، ففي وقت التنازع الذي ساد من عام (١٣١٠هـ - ١٣١٨هـ) كان الناس يعيشون حالة من الهلع والخوف، لغياب الوحدة واجتماع الكلمة والتفرق الذي ساد، وانعدم الأمن بعد أن قُطعت السبل، وازداد الخوف وعمّت الفوضى، والسلب والنهب، والقتل لأتفه الأسباب حتى طال ذلك حجاج بيت الله وقاصديه^(٢).

وظلت هذه الحال إلى أن قيض الله لهذه الدولة المباركة بطلاً هماماً، وفارساً نصر الله به الإسلام، كيف لا؟ وقد سطر التاريخ له بمداد من ذهب عبارات خالدة، ينصر الله قائلها ويعلي مكانته بقدره وقدرته والله غالب على أمره، فمما سطر له قوله: "لا إله إلا الله محمد رسول الله، اللهم صلّ وسلم وبارك عليه، إني والله وبالله وتالله، أقدم دمي ودم أولادي وكل آل سعود فداءً لهذه الكلمة، لا أضنُّ به"^(٣).

فكان الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل هو ذلك الفارس الذي أخذ على عاتقه الذبّ عن حياض الدين والدفاع عنه ونشره، وبذلك ضرب للناس أعظم المثل، وأحسن القدوة في اتباع الكتاب الكريم، والسنة المطهرة، وبهذه السجايا العظيمة، والخلال الكريمة بسط الله له هذا الملك، ووطأ له من أكناف هذه الدولة المُتزامية والتي لا يُستطاع السيطرة عليها بقوى ماديّة، فعاشت عهداً سعيداً بالأمن والرخاء ورغد العيش، وهذا هو الامتداد المبارك لما تعاهد عليه الإمامان محمد بن سعود ومحمد بن عبد الوهاب - رحمها الله-^(٤)، وهذه الدعوة قد " أثمرت ثمرات عظيمة لم تحصل على يد مصلح قبله بعد القرون المفضلة؛ وذلك لما ترتب عليها من قيام مجتمع يحكمه الإسلام، ووجود دولة تؤمن بهذه الدعوة، وتطبق أحكامها تطبيقاً صافياً

(١) انظر على سبيل المثال: عنوان المجد في تاريخ نجد - عثمان بن بشر (٢/٢٠٥، ٢٠٨، ٢١٠، ٢١٤-٢٢٨، ٢١٧).

(٢) انظر: أثر الدعوة الوهابية في الإصلاح الديني والعمراني في جزيرة العرب وغيرها - محمد الفقي (١٠٣).

(٣) المرجع السابق (١٢٤).

(٤) انظر: أثر الدعوة الوهابية في الإصلاح الديني والعمراني في جزيرة العرب وغيرها - محمد الفقي (١٢٥).



نقيًا في جميع أحوال الناس، في العقائد، والأحكام، والعادات، والحدود، والاقتصاد وغير ذلك، مما جعل بعض المؤرخين لهذه الدعوة يقول: إن التاريخ الإسلامي بعد عهد الرسالة والراشدين لم يشهد التزامًا تامًا بأحكام الإسلام كما شهدته الجزيرة العربية في ظل الدولة السعودية التي أيدت هذه الدعوة ودافعت عنها.

ولا تزال هذه البلاد - والحمد لله - تنعم بثمرات هذه الدعوة أمنًا واستقرارًا، ورغدًا في العيش، وبعيدًا عن البدع والخرافات التي أضرت بكثير من البلاد الإسلامية؛ حيث انتشرت فيها^(١).

لقد نعمت المملكة العربية السعودية منذ توحيدها على يد الملك عبد العزيز - رحمه الله - بالاستقرار والأمن الوارف، ولا زالت تنفياً لظلال هذه النعمة، ومرد هذا الاستقرار والأمن بعد الصراعات والحن التي عصفت بالجزيرة، إلى تطبيق شرع الله، والإيمان الذي يؤلف القلوب، ويروضها على الإذعان لداعي الله والاجتماع والطاعة في غير معصية الله، والسير على القواعد الشرعية والسنن المرعية التي تحث على المصالح وتكثيرها، وتزجر عن المفاسد وتدعو إلى تقليلها، فالجتمع تربطه في علاقاته بحكامه وسائر أفراد رابطة وشيخة قوامها الدين ورأسه معالمها محمد ﷺ وعلى فهم سلف الأمة، ومُطبقها حكام التزموا هذا المنهج، وأعلنوا التمسك به والسير عليه وتطبيقه في جميع مناحي الحياة^(٢).

فقد كان التزام الحاكم والمحكوم بالحقوق والواجبات المفروضة لبعضهم على بعض سببًا في تماسك الجبهة الداخلية، وتحصين المجتمع من الفرقة والاختلاف، مما كان له أثره المباشر في الأمن والاستقرار.

(١) مجموع فتاوى عبد العزيز بن باز - جمع: محمد الشويعر (١/٣٨٠).

(٢) انظر: تطبيق الشريعة الإسلامية في المملكة العربية السعودية وآثاره في الحياة - عبد الرحمن الزبيدي (٤٨٤-٤٨٥).

الفصل الثالث: آثار دعوة الشيخ الاقتصادية والاجتماعية

وفيه أربعة مباحث:

- المبحث الأول: الإصلاح الاقتصادي ومحاربة الفساد
- المبحث الثاني: توفر الموارد
- المبحث الثالث: إعادة بناء القيم
- المبحث الرابع: أثرها على الفرد والمجتمع



الفصل الثالث: آثار دعوة الشيخ الاقتصادية والاجتماعية

بدأ الإمام - رحمه الله - دعوته في زمن غربة للدين، وقد تأثر الكثير من أفراد المجتمع ببعض العادات والمعاملات التي لا تُقرها الشريعة، ومن ذلك ما انتشر من المعاملات المُحرمة، أو العادات التي سادت في واقع البعض كالسلب والنهب، والقتل بغير وجه حق، فقد نشأ عن ذلك فساد في الاقتصاد، وجور على الناس في دخولها وأرزاقها، وغالبًا ما تتعرض البلاد لأنواع من الجوائح التي تُوقع الناس جميعًا في حرج وضيق من العيش، ينتج عنه ردود فعل لها أثر سلبي بالغ على الوضع الاقتصادي والاجتماعي.

وعلى الرغم مما يتمتع به العربي من العادات والأخلاق إلا أن بعض الظروف قد تبيح لفئام من الناس أن ترى بعض الممارسات التي لا يُقرها الشرع أمرًا سائغًا، وقد سعى الإمام - رحمه الله - وأنصار دعوته إلى العود بالناس إلى السبيل الأقوم، والمنهج الأحكم، وذلك بما حققته الدعوة من آثارٍ ملموسة شهدها الحاضر والباد، فكانت الدولة السعودية في أدوارها الثلاثة مُحققَةً قصب السبق في جوانب الحياة المُختلفة، سواء كانت اقتصادية، أو اجتماعية، أو فكرية، ويظهر ذلك جليًا في المباحث التالية:

المبحث الأول: الإصلاح الاقتصادي ومحاربة الفساد

كانت الحالة الاقتصادية في نجد في حالة من السوء نظرًا لغياب الأمن، فارتفعت الأسعار^(١)، وتعرضت القوافل التجارية للسلب والنهب، وكذلك الحروث والزروع مُعرضة لعوامل متعددة من الإتلاف والتعدي^(٢)، والنهب^(٣)، إضافة إلى ما تفرضه القوة السياسية من إتاوات وضرائب، ومكوس على النواحي التي تقع تحت سلطانها^(٤)، أو ما تستأصله السلطات الظالمة من الناس نتيجة الحروب غير المبررة، كما حصل من الشريف سنة (١٠٥٧هـ) عندما هجم على العيينة، وأخذ من أهلها دراهم كثيرة، وحمل ثلاثمائة جمل، وسنة (١٠٨٤هـ) عندما هاجم قبيلة حرب ونهب أموالهم^(٥)، كما سار ابن معمر على أهل حريملاء سنة (١١٣٠هـ) وأخذ أغنامهم^(٦)، وكما فعل ابن غرير بحصاره للعمارة حتى هزلت مواشيهم، ونهبه لبيوت أهل الدرعية^(٧)، وفي سنة (١١٣١هـ) أخذت غنم أهل البير^(٨).

وفي الدرعية قبل قيام التعاهد بين الإمامين - رحمهما الله - كان الإمام محمد بن سعود - رحمه الله - يأخذ من أهل الدرعية بعض الدخول التي يأخذها أهل البلدان على رعاياهم كإتاوات أو ضرائب والتي لا يُجيزها الشرع^(٩).

وعندما استقر الأمر لآل سعود وأئمة الدعوة استقرت الحالة الاقتصادية؛ بسبب عدل الشريعة وتطبيقها في واقع الناس، وإقامة الحدود على من يتجاسر على أموال الناس بغير حق، ومحاربة الفساد الذي يتوصل به إلى أكل أموال الناس بالباطل.

(١) انظر: عنوان المجد في تاريخ نجد - عثمان بن بشر (١/٣٦٩).

(٢) انظر: المرجع السابق (١/٦٩، ٧٠، ٥٠)، وتاريخ الفاخري - محمد الفاخري (١٠٢).

(٣) انظر: عنوان المجد في تاريخ نجد - عثمان بن بشر (١/٦٦، ٧٥).

(٤) انظر: المرجع السابق (٢/١٤٦، ٤٠١).

(٥) انظر: المرجع السابق (١/٣٧، ٤٤).

(٦) انظر: المرجع السابق (١/٦٧).

(٧) انظر: المرجع السابق (١/٦٨).

(٨) انظر: تاريخ الفاخري - محمد الفاخري (١٢٠).

(٩) انظر: عنوان المجد في تاريخ نجد - عثمان بن بشر (١/٨٩).



فقد أصبحت القوافل تجوب الجزيرة محملة بمنتجات المناطق وما يحتاج إليه الناس، وينتقلون من منطقة إلى أخرى بحسب الحاجة آمنين مطمئنين^(١)، وبفضل الله وماحصل من الأمن والاستقرار نَوَّع الناس في منتوجاتهم، وتوفير ما يُحتاج إليه من مطعومات وصناعات^(٢).

وقد أصبحت الدرعيَّة مركزًا تجاريًّا هامًّا لرواد التجارة ترد إليها البضائع من مختلف البلاد، سواء من الداخل أو الخارج، وأصبحت أسواقها عامرة بمختلف أنواع البضائع والتجارات، ومختلف الوافدين للتبضع أو البيع، وفي هذا يقول ابن بشر- رحمه الله- واصفًا حال أسواق الدرعيَّة في زمن الدعوة، وما آلت إليه الحالة الاقتصادية: "ولقد رأيت الدرعيَّة بعد ذلك في زمن سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود- رحمهم الله تعالى-، وما فيه أهلها من الأموال وكثرة الرجال والسلاح المحلى بالذهب والفضة الذي لا يوجد مثله، وما عندهم من الخيل الجياد، والنجائب العمانيَّات، والملابس الفاخرة، وغير ذلك من الرفاهيات ما يعجز عن عدده اللسان، ويكل عن حصره الجنان والبنان، ولقد نظرت إلى موسمها يوما وأنا في مكان مرتفع، وهو في الموضع المعروف بالباطن، بين منازلها الغربيَّة التي فيها آل سعود المعروفة بالطريف، وبين منازلها الشرقيَّة المعروفة بالبجيري، التي فيها أبناء الشيخ، ورأيت موسم الرجال في جانب، وموسم النساء في جانب، وما فيه من الذهب والفضة والسلاح والإبل والأغنام، وكثرة ما يتعاطونه من صفقة البيع والشراء، والأخذ والإعطاء وغير ذلك، وهو مد البصر، ولا تسمع فيه إلا كدوي النحل من لغط الأصوات وقول: بعت واشترت، والدكاكين على جانبيه الشرقي والغربي مملوءة من الهدم والقماش والسلاح، وغير ذلك من الأمتعة ما لا يكاد يحيط به الوصف، فسبحان من لا يزول سلطانه وملكه"^(٣).

ووجود هذه الأصناف والمعروضات يدل دلالة ظاهرة على كثرة ما يرد إلى البلد من التجارات، وكثرة قاصديه من مختلف البلدان، وهذا يُبرز النمو الاقتصادي في هذه الحقبة.

"وكان قوة هذه البلد وعظم مبانيها، وقوة أهلها وكثرة رجالها وأموالها لا يقدر الواصف على صفتها، ولا يحيط العارف بمعرفتها، فلو ذهبْتُ أذكر أبطالها وإقبالهم فيها وإدبارهم في

(١) انظر: مواد لتاريخ الوهبيين - جوهان بوركهارت (٥٠).

(٢) انظر: تاريخ الدولة السعوديَّة الأولى - فيلكس مانجان (٢٠٣-٢١٠).

(٣) المرجع السابق (٩٠/١-٩١).

كتائب الخيل والنجائب العمانيات، وما يدخل على أهلها من أحمال الأموال من سائر الأجناس التي لهم مع المسافرين من أهلها، ومن أهل الأقطار لم يسعه كتاب، ولرأيت العجب العجاب، وكأن الداخل في موسمها لا يفقد أحدًا من أهل الآفاق من اليمن وتهامه والحجاز، وعمان والبحرين وبادية الشام، ومصر وأناس من حاضرتهم، إلى غير ذلك من أهل الآفاق ممن يطول عددهم، هذا داخل فيها وهذا خارج منها، وهذا مستوطن فيها، وكانت الدور لا تباع فيها إلا نادرًا، وأثمانها سبعة آلاف ريال، وخمسة آلاف، والداني بألف ريال، وأقل وأكثر وكل شيء بقدره، على هذا التقدير، وكروة الدكان الواحد في الشهر خمسة وأربعون ريالًا، وسائر الدكاكين الواحد بريال كل اليوم، وشيء بنصف ريال، وذُكر لي أن القافلة من الهدم إذا أتت، بلغت كروة الدكان في اليوم الواحد أربعة أريل، وأن رجلًا منهم أراد أن يوسع بيته ويعمره، فاشترى نخلات تحت هذا البيت، يريد قطعها لكي يُعمر موضعها، كل نخلة بأربعين ريالًا وخمسين ريالًا، وهن نخلات عيدان، فقطع النخل وعمر البيت، ولكنه وقع عليه الهدم قبل تمامه، وذُكر لي من أتق به أن رجلًا من أهل الدرعية قال له: إني أردت ميزابًا في بيتي، فاشترت خشبة طولها ثلاثة أذرع بثلاثة أريل، وأجرة نجره وبنائه ريال، وكان غلا الحطب فيها والخشب إلى حدّ الغاية، حتى قيل: إن حمل الحطب بلغ خمسة أريل وستة، والذراع من الخشبة الغليظة بريال، وكل بيوتها مقاصير وقصور، كأن ساكنيها لم يكونوا من أبناء ساكن القبور، فإذا وقفت في مكان مرتفع ونظرت موسمها وكثرة ما فيه من الخلائق وتزاييلهم فيه، وإقبالهم وإدبارهم، ثم سمعت رنتهم ونجناجهم فيه، فكأنه دوي السيل القوي إذا صب من عالي جبل"^(١).

وارتفاع أثمان المعروضات، ونفاسة ما يُعرض يدل على مستوى المعيشة الذي وصل إليه الناس في ذلكم الزمن وعلوه، والاستقرار الأمني والرغد المعيشي، وكذلك ارتفاع أسعار العقار ينبئ عن الرغبة الملحة في سُكنى هذا البلد لاستتباب الأوضاع فيه.

وقد طبق الأئمة الشرع المُطهر في جميع المعاملات، فحُرم الربا، وإفساد الخيل، وما يؤخذ من الحجاج من مبالغ لتأمينهم، وكذلك الجوائز على الطرقات، ومُنعت الضرائب التي كانت سائدة في البلدان في ذلك الوقت^(٢).

(١) المرجع السابق (١/٩٠-٩١).

(٢) انظر: المرجع السابق (١/٢١٦، ٢٦٥)، وانظر: موجز لتاريخ الوهابي - هارفرد جونز (١٨-٢١٩).



ولقد كان لدعوة الإمام- رحمه الله- آثارٌ في الإصلاح الاقتصادي، ومحاربة الفساد، فكان يبيّن للناس أحكام الشريعة في مسائل التجارة، والمعاملات، والبيع، ويحارب الفساد، الموجود في المجتمع في عهده، يقول- رحمه الله-: "يجري عندكم مسألتان، الأولى: صورة المقاصة، يريد بعض الناس أن يحتال على المنهي عنه، من بيع الطعام قبل قبضه، ويقول للشريك: إذا جاء بدراهم بعها علي بتمر، قدر الذي في ذمته، ثم يتساقطان، ويجعل هذا من المقاصة المباحة، وكذلك ذكروا: إذا اشترى منه سلعة، وشرط عليه أن يوفيه بها، صح العقد وفسد الشرط، وبعض الناس: يريد أن يجعل هذه حيلة إلى قلب الدين الذي في ذمته دينًا آخر، وينسب الصحة إلى الإقناع والمنتهى، وهما من أشد الناس كلامًا وتحريمًا لمثل هذا، حتى أنهما يحرمان صورًا مع كون المتعاقدين لم يقصدا الحيلة، لئلا يتخذ ذريعة، مثل العينة وغيرها.

وأنا قد ذكرت لكم مرارًا: إذا ادعى أحد في هذا وأمثاله الجواز، فاسأله عن الحيل المحرمة التي هي مخادعة لله، ما معناها وما صورتها؟ مثال ذلك: أنك تسألني عن رجل اشترى منك سلعة بعشرين مشخصًا، وهي تساوي العشرين ثيابًا أو طعامًا أو غيرها، قلت لك: هذا صحيح بالإجماع، فإذا قلت: إنه لم يشتر مني، ولم أبرئه إلا لأنه يريد أن يقرضني مائتي مشخص، بربح عشرين مشخصًا، وقال لي: هذا ربا لا يصح، ولكن بعني سلعة تساوي عشرين، ثم بعد ذلك أبرئني منها، قلت لك هذا صريح الربا، والمخادعة لله بلا شك، وكذلك أشباه هذه الصورة، فالذي يجعل التحيل على بيع الطعام قبل قبضه من المقاصة، أو يجعل بيع السلعة ليوفيه بها، حيلة إلى جعل كون رأس مال السلم دينًا، مع تصريحهم بتحريمه بلا هذه الحيلة، اسأله: ما الفرق بين هاتين الصورتين وبين تلك؟، فإنه لا يجد فرقًا إلا بالمكابرة.

وهنا فائدة: ينبغي التنبيه عليها، وهي: أن الحيل على الربا قد نشأت عليها أنتم ومشايخكم، وتسمونها "التصحيح" والأمور التي نشأ الإنسان عليها، صعب عليه مفارقتها بالكليّة، والاستجابة لله والرسول، وترك مذهب الآباء وما عليه المشايخ، أمر عظيم لا يوفق له أكثر الخلق، فأمر الحيل ومسائله مثل أمر الشرك، فكما أنكم لم تفهموا الشرك أول مرة، ولا ثانية ولا ثالثة، ولم تفهموه كله إلى الآن، فكذلك الحيل، لأجل نشأتكم عليها، وتسميتها

التصحيح تحتاج منكم إلى نظر وفطنة، فأكثرُوا التدبر لها، والمطالعة والتمثيل في إغاثة اللفهان وغيرها"^(١).

ولقد نهى - رحمه الله - عن أكل أموال الناس بغير وجه حق، فلم يؤخذ من التجار ما كان متفشياً في عصره، وبعد عصره من الضرائب التي تؤخذ منهم، "فلم تكن الضرائب التعسفية، التي تسمى عوناً في الشرق معروفة على الإطلاق في المناطق الوهابية؛ إذ لم يتطلب من أحد أن يدفع أكثر مما كان عليه أن يدفعه إلى جباة الزكاة أو ضريبة جزاء عن جرم ارتكبه، وكان الأغنياء محميين تماماً من جشع الحكومة، وربما كانت تلك البلاد هي الوحيدة في الشرق التي يحدث فيها ذلك الأمر.

فتجار مكة الأغنياء الذين تحوي مستودعاتهم أحسن الملابس البدوية لم يُجبروا أبداً على دفع أي مبلغ من المال؛ بل لم يُجبروا على إهداء أية هدايا ثمينة إلى سعود"^(٢).

وهذا من أوضح الأدلة على أثر الدعوة في الإصلاح الاقتصادي ومحاربة الفساد، لوضوح المبادئ التي وضعها الإمام - رحمه الله - للناس والمتوافقة مع الشرع المُطهر، مما أسهم في حماية المجتمع من شرارات الانفجار التي قد تعصف به.

فكانوا يلتفون حول الدولة كلما انتابها النوائب؛ وذلك لأن السلطة الدينية هي السلطة السياسية، ولا فرق بين السلطتين، فكل منهما يُمثل الآخر، يقول الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود عندما سئل عن الربا، هل هو في الستة الأنواع المنصوص عليها؟ أم ليس هو إلا في النسيئة؟.

"فأجاب: الذي ثبت عن رسول الله ﷺ واتفقت عليه الأمة، هو: ربا النسيئة في الأنواع الستة، التي في حديث عبادة: "البر بالبر، والتمر بالتمر، والشعير بالشعير، والذهب بالذهب، والفضة بالفضة، والملح بالملح"^(٣)، وأما ربا الفضل مع عدم النسيئة، فالذي عليه كثير الأمة تحريمه، ودليلهم عليه أحاديث كثيرة مشهورة، في الصحيحين وغيرهما، وخالف في ذلك ابن

(١) مجموع مؤلفات الشيخ - فتاوى ومسائل (٢/٨-٩)، والدرر السنية في الأجوبة النجدية - جمع: عبد الرحمن بن قاسم (١٩٢٠-١٩٣٠)

(٢) مواد لتاريخ الوهابيين - جوهان بوركهارت (٤٩).

(٣) رواه البخاري في صحيحه - كتاب البيوع - باب: بيع التمر بالتمر (١٦٩) (ح ٢١٧٠).



عباس - رضي الله عنهما -، ثم قيل إنه رجع عن ذلك، لما ناظره أبو سعيد الخدري، وغيره من الصحابة، وأما من باع متاعًا بأكثر من سعر يومه، لأجل النسيئة مع اضطرار المشتري إليه، هل يجل أم لا؟ فهذه المسألة تسمى "بيع المضطر" وهي جائزة عند أكثر العلماء، لظاهر قوله - تعالى -: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَاَ﴾^(١)، فإن كان المشتري متورقًا، فمسألة "التورق" اختلف العلماء فيها، وجمهورهم على جوازها، ومنعها عمر بن عبد العزيز، وبعض التابعين، وأحمد في رواية عنه^(٢).

وعلى هذا المنهج سار أتباع الدعوة، يقول أبناء الشيخ: حسين وإبراهيم وعبد الله وعلي: "ومنها: - أي المعاملات الربويّة-، قلب الدين على المعسر، إذا حلّ الدين على الغريم ولم يقدر على الوفاء، أحضر طالب الدين دراهم، وأسلمها إليه في طعام في ذمته، ثم أوفاه بها في مجلس العقد، ويسمون هذا تصحيحًا، وهو فاسد ليس بصحيح، فإنه لم يسلم إليه دراهم، وإنما قلب عليه الدين الذي في ذمته، لما عجز عن استيفائه، والمعسر لا يجوز قلب الدين عليه، فعليكم بتقوى الله، واحذروا عقوبته، فإن هذه المعاملات تمحق المال، وتذهب بركته، وعاقبته في الآخرة أعظم مما يعاقب به صاحبه في الدنيا، من عدم البركة فيه، فإذا حلّ الدين على المعسر، لم يجز لغريمه التحيل على قلبه عليه، كما قال تعالى: ﴿فَنَظَرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾^(٣) وإن كان الغريم مليئًا، وأراد أن يسلم إليه ويعامله، فليدفع إليه دراهم، ويقبضها البائع، ويذهب بها إلى بيته، ولا يوفيه بها في الحال، فإذا تملكها وأخذت عنده يومًا أو يومين، بحيث يتصرف فيها بما يشاء، ثم أوفاه منها، فهذا لا بأس به إن شاء الله - تعالى -.

وأما الاستيفاء بها في مجلس العقد، فلا ينبغي لكم، لأنه ذريعة إلى الحيل، والحيل كلها محرمة، وكذلك إذا حلّ التمر على الكدّاد، فلا بدّ من قبضه بالقبض الشرعي، وأما التحيل على قلبه على صاحبه، فلا ينبغي أيضًا، بل يأخذه صاحبه، ولا يبيع على الذي أوفاه منه

(١) سورة البقرة آية رقم [٢٧٥].

(٢) الدرر السنيّة في الأحوبة النجدية - جمع: عبد الرحمن بن قاسم (١٠٧/٦).

(٣) سورة البقرة آية رقم [٢٨٠].

شيئاً، لا كثيراً ولا قليلاً، فإن أحب البيع فليبعه طعاماً غير الطعام الذي قبضه منه، فتحصل المعاملة، ويحصل التنزه والاحتياط عن الحيل، التي لا يجوز تعاطيها"^(١).

وهذه الأقوال تدل على أثر دعوة الإمام- رحمه الله- في إصلاح الاقتصاد وبناء المجتمع الإسلامي، وهذا كان له الأثر في الحالة الاقتصادية الراقية التي وصلت لها البلاد.

ولقد كان اهتمام الإمام- رحمه الله- ومن بعده من أئمة آل سعود وأولادهم، وأتباعهم، في إصلاح اقتصاد المجتمع من أجل إقامة شريعة الله كاملة، على كافة الخلق، في البلاد التابعة لهم، وفي كل أنحاء الدولة السعودية: (الأولى، والثانية، والثالثة)، حتى يستقر العيش والمجتمع، ويتحقق الأمن الفكري والاجتماعي، الذي به يحيا الناس حياة طيبة.

(١) الدرر السنية في الأحوبة النجدية- جمع: عبد الرحمن بن قاسم (٦/ ١١٨).



المبحث الثاني: توفر الموارد

من المُتقرر أن أي دولة لا يمكنها البناء، والقيام بدورها؛ إلا بتوفر موارد تستطيع من خلالها القيام بالمهام المنوطة بها، وبما أن الدعوة كما تبين في المبحث السابق حرصت أشد الحرص على نقاء الموارد الاقتصادية مما يُخالف الشرع؛ لأنها قامت على منهج أساسه وأصوله مستمدة من شريعة الله.

وكانت الجزيرة شحيحة الموارد الطبيعية بسبب موقعها الجغرافي، وخلوها من الأنهار، ووسطها أشد شحًا وأعظم قساوة؛ لذا كانت قبل قيام الدعوة؛ ولضعف الوازع الديني يضطرب أمنها، ويعيش سكانها في حالة استنفار قصوى لظروفها التي تحيط بها من جميع النواحي، ولما مكن الله لهذه الدعوة الرشيدة، وساندها هذه الدولة الراشدة تحقق فيها موعود الله - تعالى -:

﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۖ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ۖ ﴾ (١)

إن من واسع فضل الله على هذه الدولة الفتيّة إبان قيامها، أن طبقت شرع الله في سائر ظروفها سلمًا، أو حربًا، فأمنت وأمنت، وما تبع ذلك من توسع أدى إلى تنوع البيئات بعد توحيد أطراف الجزيرة وما صاحب ذلك من تنوع مصادر الدخل، التي أفاء الله بها على أنصار دينه (٢) والتي يمكن إجمالها في التالي:

١- الزكاة:

وهي ركن من أركان الإسلام، حدد الشرع أهلها، ومقدارها، وأصنافها وشروطها، وكانت تجبي لبيت مال المسلمين، وتُصرف في مصارفها، وفي كثرة ما يُجبي من أموال يدل على ازدهار الوضع الاقتصادي، فقد بلغت في عام من الأعوام زكاة علوى من مطير أحد عشر ألف ريال، وبريه اثني عشر ألفًا، ومن هتيم سبعة آلاف، وكان يُجبي من عنزة، وبوادي خيبر، والحويطات

(١) سورة الطلاق آية رقم [٢-٣].

(٢) انظر: موجز لتاريخ الوهابي - هارفرد بريدجز (٢١٩-٢٢٦).

أموال كثيرة عظيمة، ومن بوادي شمر والظفير وقحطان وعتيبة وجهينة وآل مره والعجمان وغيرهم، ما يعجز عنه الحصر، وهذا أثر من آثار تطبيق شرع الله والتمسك به^(١).

بل وصلت الموارد الماليّة في عهد الدولة السعوديّة الأولى من الزكاة إلى (٢٣١٠٠٠٠) ريال^(٢).

ووصل عدد عمّال الإمام سعود بن عبد العزيز - رحمه الله - الذين يبعثهم لقبض زكاة البوادي بضغاً وسبعين عاملة، وعدد كل مجموعة سبعة رجال، وهذا فضلاً عن عمّال نواحي البلدان الذين يقبضون زكاة الثمار، وعروض التجارة، فيأتي إلى نجد من الأموال ما يصعب حصره^(٣).

وفي الدولة السعوديّة الثانية بلغ ما يُجبي من زكاة بعض الأقاليم الداخليّة قرابة (٧٧٥٠٠٠) ريال، إضافة إلى ما يرد من مناطق الخليج العربي، والحجاز، وعسير^(٤).

وفي الدولة السعوديّة الثالثة التي سارت على ما كان عليه الأمر في الدولتين السابقتين من دفع للزكاة، حيث إنّها ركن من أركان الإسلام، وقيامها بسد احتياجات الرعيّة والتي هي من مسؤوليات الإمام، ولو دعا الأمر إلى الاستدانة من ذوي اليسار^(٥).

٢- غنائم الحرب:

وهي الأموال التي يحوزها المحاربون بعد المعركة التي ينتصرون فيها، وتشمل الأراضي، والأموال، والمواشي، والسلاح بأنواعه، والخيول، وما يتبع ذلك من الأموال المنقولة، وقد دخل على الدعوة وأنصارها من جراء ذلك أموالاً عظيمة، ومن ذلك ما تمت حيازته سنة (١٢٠٥هـ) من إحدى الوقائع في تلك السنة، وهو أحد عشر ألف بعير، وأكثر من مائة ألف من الغنم^(٦)، ونتيجة لحملة قام بها الشريف غالب ضد الدولة السعوديّة الأولى عام (١٢١٠هـ) فقد غنم

(١) انظر: عنوان المجد في تاريخ نجد - عثمان بن بشر (٢٦٩/١ - ٢٧٠).

(٢) انظر: لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب - حسن الريكي (٢٧٢)، والدولة السعوديّة الأولى - عبد الرحيم عبد الرحمن (٢٥٣).

(٣) انظر: عنوان المجد في تاريخ نجد - عثمان بن بشر (٣٣٠/١ - ٣٣١).

(٤) انظر: الحالة الاجتماعيّة والاقتصاديّة في الدولة السعوديّة الثانية - حصة الزهراني (٧٢٩ - ٧٣٣).

(٥) انظر: تاريخ المملكة العربيّة السعوديّة - عبد الله العثيمين (٣١٦/٢).

(٦) انظر: عنوان المجد في تاريخ نجد - عثمان بن بشر (١٩٦/١).



أهل الدعوة منها مائتي ألف من الغنم، ومن الإبل ثلاثون ألفاً، إضافة إلى ما حصلوه من الأموال والطعام والأزواد، وما حازوه من المتاع والسلاح^(١)، وكذلك ما غنمه الإمام سعود بن عبد العزيز من قبائل شمر والظفير وغيرهم، فغنموا أكثر محلتهم وإبلهم^(٢)، وتتبع ذلك يطول.

كما أن جميع الغزوات التي تُشن على الدولة، أو تشنها على الخصوم غالباً نتائجها لصالح الدعوة وأئمتها، وينتج عنها مال وفير يُصب جزء منه في خزينة الدولة^(٣)، فيجبي إلى الدرعيّة من الأخماس والغنائم ما يصعب عدّه^(٤).

وفي الدولة السعوديّة الثانية، وخاصة في عهدي الإمامين تركي بن عبد الله، وفيصل بن تركي، كانت الغنائم من أهم مصادر الدخل، وقد دخل عليهم بسبب الانتصارات التي حققوها دخولات كثيرة.

ففي عام (١٢٤٠هـ) في غزو تركي بن عبد الله للخرج، وما حصل من مناوشات أعقبها صلح حصل بموجبه على خيل وسلاح^(٥)، وفي سنة (١٢٤٢هـ) حصل الإمام تركي بن عبد الله على غنائم من غزوه لبني خالد^(٦)، وكذلك في وقعة السبيّة سنة (١٢٤٥هـ) حصل للإمام وجموعه من هذه الغزوة أموالاً طائلة^(٧)، وعندما امتنع بعض أتباع الإمام عن دفع الزكاة، وهربوا من الجبابة، أغار عليهم سنة (١٢٥٠هـ)، وغنم منهم كثيراً من الأموال والإبل والأغنام، وغيرها من الأحمال^(٨).

(١) انظر: تاريخ ابن غنام (٢/٩٣٠).

(٢) انظر: عنوان المجد في تاريخ نجد - عثمان بن بشر (١/٢٤٤-٢٤٥).

(٣) انظر: موجز لتاريخ الوهابي - هارفر د بريدجز (٢١٩).

(٤) انظر: عنوان المجد في تاريخ نجد - عثمان بن بشر (١/٣٣١)، ومواد لتاريخ الوهابيين - جوهان بوركهارت (٥٧).

(٥) انظر: عنوان المجد في تاريخ نجد - عثمان بن بشر (٢/٢٩).

(٦) انظر: المرجع السابق (٢/٤٤).

(٧) انظر: المرجع السابق (٢/٦١).

(٨) انظر: المرجع السابق (٢/١١٣).

وقد ذُكر أن ما كان " يُحمل إلى الدرعيّة في زمن- عبد العزيز بن محمد بن سعود- وابنه سعود من الأموال والزكوات والأخماس، وغير ذلك من السلاح، والخيل العتاق، والإبل، من غير ما يفوق على أهل النواحي والبلدان وضعفائهم، وضعفاء البوادي لا يحصيه العد"^(١).

وهذا بعكس ما يفعله عساكر الدولة التركيّة، وأتباعها من الولاة المحليين أو التابعين للدولة، أو كان سائداً في نجد من السلب والنهب والاستيلاء على أموال الناس بأي وسيلة، ومن ذلك ما صُودر من الناس من أموال في الرياض سنة (١٢٣٦هـ)، وكذلك ما صُودر من أموال أهل القصيم وسدير والمحمل والوشم فقد أخذوا ما عند الناس من الدراهم والذهب والفضة، ووصل الحال إلى أن أخذوا ما على النساء من حلبي، بل وأخذوا الطعام والسلاح والمواشي والأواني، وخربوا الدور وقطعوا النخيل^(٢)، وكذلك ما أخذ على أهل بلاد الأحساء من الأموال من قبل ممثل باشا مصر سنة (١٢٥٤هـ) حيث فرض على أهل البيع والشراء والصناعات، والزروع بأنواعها حتى أعلاف الدواب شيئاً معلوماً، وعلى كل ما بيع من الدواب كذلك، وما فُرض على أهل بلدان القصيم، وسدير والوشم والمحمل، ففيه من الظلم والجور في أخذ الأموال بغير وجه حق ما لا يعلمه إلا الله؛ إذ إنهم يزيدون على أخذ الزكاة ربع المال أو ثمنه أو ثلثه حسب أهوائهم، شرعة ما أنزل الله بها من سلطان^(٣).

وفي الدولة السعوديّة الثالثة كان جزء من الدخل في بداية قيام الدولة مما يُغنم من المعارك^(٤).

٣- الصدقات والهبات والدخولات الخاصة:

فقد كان للرعيّة وسد احتياجاتهم نصيبٌ منها، وذلك لتحقيق الكفاية، وتوفير سبل العيش الكريم، فمن ذلك ما حصل في عام (١١٩٧هـ) عندما غلت الأسعار بسبب القحط وقلة الأمطار، فأمر عبد العزيز بن محمد بن سعود- رحمه الله- بصدقات كثيرة وزعت على المحتاجين^(٥)، وكان من رحمته برعاياه أن لا يستكثر إعطاءهم الأموال، وتفقد محتاجهم

(١) المرجع السابق (١/٢٦٩).

(٢) انظر: عنوان المجد في تاريخ نجد- عثمان بن بشر(١/٤٠٥-٤٠٦).

(٣) انظر: المرجع السابق (٢/١٤٥-١٥١).

(٤) انظر: تاريخ المملكة العربيّة السعوديّة- عبد الله العثيمين (٢/٣١٦).

(٥) انظر: عنوان المجد في تاريخ نجد- عثمان بن بشر(١/١٧٧).



بالصدقة، والحرص على تفحص أحوالهم^(١)، " وكان - رحمه الله تعالى - مع ذلك كثير العطاء والصدقات للدرعية، والوفود والأمراء والقضاة، وأهل العلم وطلبته، ومعلمة القرآن، والمؤذنين وأئمة المساجد، حتى أئمة مساجد نخيل البلدان ومؤذنيهم، ويُرسَل قهوة لأهل الصلاة في الليل في ليالي رمضان، وكان الصبيان من أهل الدرعية إذا خرجوا من عند المعلم يصعدون إليه بألواحهم، ويعرضون عليه خطوطهم، فمن تحاسن منهم خطه أعطاه عطاءً جزيلاً وأعطى الباقين دونه.

وكان عطاؤه للضعفاء والمساكين في الغاية، فكان منهم من يكتب إليه، منه ومن أمه وزوجته وابنه وابنته، من كل واحد كتاباً - وحده - يخصه، فيوقع لكل كتاب منهم عطاء، وكان الرجل يأتيه بهذا السبب عشرون^(٢) ريالاً، وأقل وأكثر، وكان إذا مات الرجل من جميع نواحي نجد يأتي أولاده إلى عبد العزيز وابنه سعود كذلك، فيستخلفونه فيعطيهم عطاءً جزيلاً، وربما كتب لهم راتباً في الديوان.

وكان كثيراً ما يُفرَّق على أهل النواحي والبلدان كثيراً من الصدقات، في كل وقت وكل سنة، يُعطي أهل كل بلد، وكل أهل ناحية، ألف ريال، وأقل وأكثر، ويسأل عن الضعفاء، والأيتام في الدرعية وغيرها، ويأمر بإعطائهم، وكثيراً ما يُفرق على بيوت الدرعية وضعفائها.

وكان كثيراً ما يكتب لأهل النواحي يحضهم على تعليم القرآن وتعلم العلم وتعليمه، ويجعل لهم راتباً في الديوان، ومن كان منهم ضعيفاً يأمره أن يأتي إلى الدرعية، ويقوم بجميع أنوابه^(٣).

وما بذله سعود بن عبد العزيز - رحمه الله - في مكة من صدقات وعطاء لا يوصف من كثرته، وذلك في حجه عام (٢١١٥هـ)^(٤)، وفي عمرته عام (١٢١٧هـ)^(٥)، وفي حجه

(١) انظر: المرجع السابق (١/٢٦٣).

(٢) علمًا أن الريال كانت قيمته عالية في ذلك الوقت، إذ يُشترى به في حالة ارتفاع الأسعار، أربعة أصع من التمر، أو إحدى عشرة وزنة من التمر. انظر: المرجع السابق (١/٢٨٥).

(٣) المرجع السابق (١/٢٧٠-٢٧١).

(٤) انظر: المرجع السابق (١/٢٥٦).

(٥) انظر: المرجع السابق (١/٢٦٠).

عام (١٢٢٢هـ)^(١)، وفي حجه عام (١٢٢٣هـ)^(٢)، وفي حجه عام (١٢٢٤هـ)^(٣)، وفي حجه عام (١٢٢٥هـ)^(٤)، وفي حجه عام (١٢٢٦هـ)^(٥).

وكان الإمام تركي - رحمه الله - يعتني بالفقراء والمحتاجين والأرامل والأيتام، وكان يُحسن إليهم ويبرهم، ويُنفق عليهم ويُكرمهم^(٦)، وذلك من أموالهم وما كان يُهدى للأمرء من هدايا نفيسة، وهبات من جهات مُختلفة^(٧).

٤- توفر الموارد بسبب الأمن:

إن عدم الأمن ينقطع به المعاش، وينشغل الناس بأنفسهم عن النظر في أمور معاشهم ومعادهم، إذ تتعطل التجارات والزراعات، وترتفع الأسعار، بسبب إتلاف المحاصيل، واعتراض التجارات وسلبها^(٨)، وفي استتباب الأمن يتفرغ الناس لسبل معاشهم ومعادهم، وينعمون بحياة هانئة هادئة، ففي الدولة السعودية الأولى التي ضُرب بها المثل في الأمن بلغ سعر البر ثلاثة عشر صاعًا بريال، والتمر سبع وثلاثين وزنة بريال^(٩)، وفي عهد الدولة السعودية الثانية وصل سعر البر خمسة وثلاثين صاعًا بريال، والتمر سبعين وزنة بريال، وهذا خلاف من لم يُطع للإمام من أهل الأوطان، وما حولهم من البلدان في وقتهم، حيث الغلاء والندرة في الزاد بسبب اختلال أمنهم^(١٠)، وفي الدولة السعودية الثالثة ضرب الأمن بأطنابه في كل ناحية من نواحيها، وتوجه الناس للعمل والكسب بكل أمن وطمأنينة لا يخشى أحدهم إلا الله.

(١) انظر: المرجع السابق (١/ ٢٨٦).

(٢) انظر: المرجع السابق (١/ ٢٨٨).

(٣) انظر: المرجع السابق (١/ ٢٩٤).

(٤) انظر: المرجع السابق (١/ ٣٠٢).

(٥) انظر: المرجع السابق (١/ ٣١٠).

(٦) انظر: المرجع السابق (٢١/ ٩٤، ٩٦).

(٧) انظر: الحالة الاجتماعية والاقتصادية في الدولة السعودية الثانية - حصة الزهراني (٧٢٩).

(٨) انظر: عنوان المجد في تاريخ نجد - عثمان بن بشر (٢/ ٣٠).

(٩) انظر: المرجع السابق (١/ ٢٩٩).

(١٠) انظر: المرجع السابق (٢/ ٧٧، ٧٩).



٥- الزراعة:

فقد أمن الناس على محاصيلهم نتيجة الأمن والاستقرار الذي ساد عند سيادة الدعوة والدولة، فسعوا إلى تنشيط مزارعهم، واستعانوا بجهود غيرهم لتحقيق عائدات أكبر لوجود أسواق وطرق آمنة يستطيعون من خلالها تصريف إنتاجهم وزيادة دخولاتهم^(١).

٦- التجارة:

وقد ازدهرت كما مضى وتعددت سبلها ووسائلها، وازدادت مجالاتها بسبب تعدد الحرف والصناعات، وحاجات الناس، وقامت المصانع حسب متطلبات العصر، وما توصل إليه العالم من تقنيات، فزاد التبادل التجاري، وتوافرت الأسواق المفتوحة، وكل ذلك لم يتحقق إلا بتحقيق الأمن^(٢).

٧- ما أخرج الله من كنوز الأرض:

ومما انفردت به الدولة السعودية الثالثة من موارد سدت حاجات الناس وفاضت عنها، ما أخرج الله لهم من النفط الذي نافست به كبريات الدول في اقتصادها، وما تبع ذلك من صناعات بتروكيميائية، وما تبع ذلك من تنوع الإنتاج الصناعي في جميع المجالات، وكذلك ما صاحب ذلك من إنتاج بحري، وزراعي، وحيواني^(٣)، وبهذا تحقق للمواطن موارد لم تكن في الحسبان تستوجب ذكراً للمنعم وشكراً ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ (٧) ﴿٤﴾.

(١) انظر: حركة التجديد والإصلاح في نجد في العصر الحديث - عبد الله العجلان (٢٣٠-٢٣١).

(٢) انظر: المرجع السابق (٢٣١).

(٣) انظر: تاريخ المملكة العربية السعودية - عبد الله العثيمين (٣١٦/٢-٣٢٢).

(٤) سورة إبراهيم آية رقم [٧].

المبحث الثالث: إعادة بناء القيم

القيم لغة: قيل: القيم مصدر بمعنى الاستقامة والاعتدال، يُقال: استقام له الأمر، وقام الشيء واستقام: اعتدل واستوى، وقوله - تعالى -: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا﴾^(١) أي: عملوا بطاعته، ولزموا سنة نبيه ﷺ، وهي الملازمة والمحافظة، والثبات والتمسك^(٢).

أما القيم في الاصطلاح فهي: "مبادئ تحث على الفضيلة، وموجهات للسلوك الإنساني لصالحه وصالح مجتمعه، وتستمد أصولها بالأمر والنهي من القرآن الكريم وسنة الرسول ﷺ"^(٣).

وإن الله لحكمته، ولكمال قدرته، خلق آدم وأسكنه الجنة، وأنزله إلى الأرض واستخلفه فيها، وبث فيها ذريته، ووهب الإنسان عقلاً وفكراً وتمييزاً، وسخر له ما يحتاج إليه، ومع ذلك لم يكن يستطيع أن يستقل بهذه الإمكانيات عن الاحتياج لهداية وإرشاد لكي يسعد في دنياه، وينعم في أخراه؛ ولذا أرسل الله الرسل وأنزل الكتب، التي اشتملت على المثل العليا والقيم الأسمى.

ومع ذلك يشهد التاريخ أن الناس رغم وضوح البيان، وبقاء الحججة يتنكبون الصراط لغلبة الجهل واستحكام الشهوة وقوة الشبهة، فانغمسوا في حمأة الشرور، وغاب المنهج الحق، ورأوا المنكر معروفاً، والمعروف منكراً، ولذا احتاجوا إلى من ينبري لبيان الحق ونشره، وتعاهد بنيانه الذي أصابه الانحيار والاضمحلال، ولا شك أن وضوح الأهداف والسعي لتحقيقها يحتاج إلى قيم تستقر في نفوس الناس وتحفزهم إلى العمل لتحقيقها.

وقد كان المجتمع الذي ظهرت فيه دعوة الإمام - رحمه الله - توجد فيه بعض القيم، كالكرم، والشجاعة، ووفادة الضيف، وهي مما توارثوه، وقد وصل من الاهتمام بهذا الأمر إلى حد المنافسة^(٤).

(١) سورة فصلت آية رقم [٣٠].

(٢) انظر: مقاييس اللغة لابن فارس (٧٥٧)، ولسان العرب - ابن منظور - باب القاف (٣٥٤/١١-٣٥٧).

(٣) القيم الإسلامية المتضمنة في كتاب القراءة للصف الثالث الابتدائي في مصر وقطر - محمد وجيه الصاوي (٢٦١) مجلة كلية التربية - جامعة قطر (١٩٩٠م).

(٤) انظر: العثمانيون وآل سعود في الأرشيف العثماني - زكريا كورشون (٢٣)، وتاريخ الوهابيين وحيات العرب الاجتماعية - آندرو كرايتون (١٣٧).



وذكر الألويسي صورًا من القيم التي كان عليها أهل نجد، وأنها ما كان عليه العرب، وهي "الوفاء، والغيرة، وصيانة العرض، ومحاماة الدخيل، وصدق اللهجة، والشجاعة،... ومراعاة الحقوق والعهود،...، والحلم"^(١).

غير أن هذه القيم، وإن كانت مغروسة أصلاً في نفس العربي، إلا أنها مع البعد عن هدي الكتاب والسنة أصابها ما أصابها من تفسيرات خاطئة أبعدها عن مضامينها المثلى، ومكانتها العليا التي جاء بها الإسلام.

ومن ذلك ما كان سائدًا في نجد مما يسمى بالدخيل، حيث إن الشخص الذي يرتكب جريمة قتل، أو غيرها يحل دخيلًا على قبيلة أخرى يلتجئ إليها ويحتمي بها عن أخذ الثأر منه^(٢)، وذلك لغياب تطبيق الشرع في واقع الناس.

ومثله من يقع أسيرًا بسبب السرقة والسطو فإنه يستطيع فك أسرهِ باحتمائه بأحد أفراد أسرة المسطو عليهم بالملامسة، أو بوسيلة تصله به كحبل ونحوه^(٣).

وأعظم مما ذكر انطماس القيم الفطرية المركوزة في النفس البشرية، وهي ما يتعلق بحق الله وإفراده بالعبادة، وما طرأ عليها من انحراف أوقع في الشرك أو البدعة.

ولا شك أن هناك تلازمًا بين قوة العقيدة وسلامتها، وبين القيم الفاضلة والتزامها، فمتى صحت العقيدة، ورسخت في نفوس الناس أدى ذلك إلى التزام القيم الفاضلة، وسيادتها في واقع الناس، وكذلك إذا سادت القيم الفاضلة في المجتمع أدى ذلك إلى زيادة الرابطة العقديّة والأخوة الإيمانيّة^(٤).

وقد تنبه الإمام - رحمه الله - إلى عظم مكانة القيم، وضرورة إعادة بنائها وفق منهج رباني يستمد أصوله من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

(١) تاريخ نجد (٥٦).

(٢) انظر: موجز لتاريخ الوهابي - هارفرد بريدجز (٢١٥).

(٣) انظر: تاريخ الوهابيين وحياة العرب الاجتماعيّة - أندرو كرايتون (١٤٣-١٤٥).

(٤) انظر: أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلاميّة ضد الأفكار الهدامة - عبد الله الجربوع (٤٦٥-٤٦٦).

فمن حقيقة الدعوة أنها رجعت بالعرب إلى الدين الحق مما نتج عنه مزاولة القيم الإيجابية التي جاء بها بدقة، والتي كانت تتعارض مع ما كانوا عليه من جفاء^(١).

فالإمام- رحمه الله- لم يقتصر على نوع من أنواع القيم كما سيأتي، وإنما علّم أتباعه ما ينبغي أن يقولوه وما لا ينبغي، في مخاطبتهم وألفاظهم حتى لو كان مُستكرهاً^(٢).

فهذه الدعوة المباركة أوجدت نقلة جذريّة في جميع أنواع القيم، والتي أصبحت تنظم حياة الناس وعلاقاتهم، بل وصفة راسخة يتمتعون بها وضابط من ضوابط تنظيم حياتهم^(٣).

ويتضح ذلك جلياً من خلال ما سيطر على مجتمع الجزيرة من تقاليد وأعراف خلّفها الضعف الذي حدث عند المسلمين، وبعدهم عن تعاليم الدين، فلما جددت الدعوة ما اندرس من الدين، وعادت بالناس إلى هدي الكتاب والسنة، وهما مصدر التوجيه الأول للعقل، والفكر الإنساني الرشيد، استعادوا قدرًا عظيمًا من القيم التي كانت تهتز كلما اهترت الدعوة، حيث كان يعود الجفاء والأعراف التي ما أنزل الله بها من سلطان كلما ضعفت الدولة كما في الدول السعودية الأولى والثانية^(٤).

وقد تفشت الأخلاق الرديئة قبل قيام الدعوة في البلدان الإسلاميّة، بل طالت حتى بلاد الحرمين، وقد انتشرت المُخالفات العقديّة، والشهوات المشينة، والرخص المفتوحة التي يمنحها رؤساء القوافل لمن هم تحت إمرتهم، ولا شك أن هذا مُخالف لطهارة الأخلاق التي جاء بها الإسلام^(٥)، بل قد دمر الخلل في العقيدة الذي كان سائدًا قبل قيام الدعوة الأخلاق الفاضلة للأمة^(٦)، وقد اعتنى الإمام- رحمه الله- بإعادة بناء القيم؛ إيمانًا منه بضرورتها للحفاظ على عقيدة الأمة وحماية عقولها، ويتضح ذلك من خلال نماذج وأمثلة لأبرز القيم والتي يضيق المقام عن حصرها، ومن أبرزها ما يأتي:

(١) انظر: مواد لتاريخ الوهابيين- جوهان بوركهارت (٢٦)، وموجز لتاريخ الوهابي- هارفرد بريدجر (٢١١).

(٢) انظر: المقامات- عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب (١٠٦).

(٣) انظر: صدى دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في البلاد التونسيّة في عهد الإمام سعود بن عبد العزيز- التليلي العجلي (١٩)، وتاريخ الوهابيين- لويس كورانسيه (٥٠).

(٤) انظر: تطبيق الشريعة الإسلاميّة في المملكة العربيّة السعوديّة وآثاره في الحياة- عبد الرحمن الزبيدي (١٦٩-١٧٠، ٣٩٨).

(٥) انظر: مواد لتاريخ الوهابيين- جوهان بوركهارت (١٩).

(٦) انظر: موجز لتاريخ الوهابي- هارفرد بريدجر (٢١١).



١- قيمة الحق:

الحق في حق الله إفراده بالعبودية، والعمل بمقتضى شرعه.

ويجلي الإمام- رحمه الله- حق الله- عز وجل- بقوله: "الاعتقاد محض حق الله- تعالى-، لا يصلح منه شيء لا لملك مقرب ولا لنبي مرسل، فضلا عن غيرهما"^(١).

ويوضح- رحمه الله- منزلة هذه القيمة وعلو مكانها بقوله: "وبيان التوحيد الذي هو: حق الله على العبيد، وهو أفرض من الصلاة والزكاة وصوم رمضان، فرحم الله امرأً نصح نفسه، وعرف أن وراءه جنة ونارًا، وأن الله- عز وجل- جعل لكل منهما أعمالًا، فإن سأل عن ذلك وجد رأس أعمال أهل الجنة: توحيد الله- تعالى-"^(٢).

وفي معرض جوابه- رحمه الله- لبيان قيمة حق الله، وما عليه أهل الزمان من غياب هذه القيمة عن واقع حياتهم، وتقديم ما ورثوه من العرف والعادة على ما جاء من الحق في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ يقول: "فاعلم أن أهمها وأولها: الشهادتان وما تضمنتا من النفي والإثبات من حق الله على عبيده، ومن حق الرسالة على الأمة، فإن بان لك شيء من ذلك ما ارتعت، وعرفت ما الناس فيه من الجهل والغفلة، والإعراض عما خلقوا له، وعرفت ما هم عليه من دين الجاهلية، وما معهم من الدين النبوي، وعرفت أنهم بنوا دينهم على ألفاظ وأفعال أدركوا عليها أسلافهم، نشأ عليها الصغير، وهرم عليها الكبير... فانظر يا رجل، حالك وحال أهل هذا الزمان، أخذوا دينهم عن آبائهم ودانوا بالعرف والعادة، وما جاز عند أهل الزمان والمكان دانوا به، وما لا فلا، فأنت وذاك! وإن كانت نفسك عليك عزيزة، ولا ترضى لها بالهلاك، فالتفت لما تضمنت أركان الإسلام من العلم والعمل، خصوصًا الشهادتين من النفي والإثبات؛ وذلك ثابت من كلام الله وكلام رسوله"^(٣).

وبما أن كلمة التوحيد تُعصم بها حقوق الخلق وتُعلي منارها؛ إلا أنها لا تثبت إلا لمن عمل بمقتضاها، ويظهر ذلك فيما أورده الإمام - رحمه الله- ردًا على من يظن أن النطق بها يعصم صاحبها بغير اعتقاد وعمل، فيقول: "إن العلماء في زماننا يقولون: من قال: لا إله إلا الله،

(١) مجموع مؤلفات الشيخ- الرسائل الشخصية (٨٥/٣).

(٢) الجواهر المضبية (١٥).

(٣) مجموع مؤلفات الشيخ- الرسائل الشخصية (٩٣/٣-٩٤).

فهو المسلم، حرام المال والدم، لا يُكْفَر ولا يُقاتل، حتى إنهم يصرحون بذلك في شأن البدو الذين يُكذَّبون بالبعث، وينكرون الشرائع، ويزعمون أن شرعهم الباطل هو حق الله، ولو طلب أحد منهم خصمه أن يخاصمه عند شرع الله لعدوه من أنكر المنكرات" (١).

٢- قيمة العبودية:

العبودية لله هي: المتضمنة غاية الذل في غاية الحب لله - تعالى - (٢)، وهي أساس القيم؛ لأنها كليّة شاملة مُهيمنة على القيم، فهي تحقق الغاية من الوجود على أكمل وجه (٣).

وقد اعتنى الإمام - رحمه الله - بإعادة بناء قيمة العبودية، وإظهارها، وتجليتها للناس بكل وضوح من خلال تأليفه في كتاب التوحيد، والأصول الثلاثة، وكشف الشبهات، وهذا إدارك من الإمام - رحمه الله - أن تحقيق هذه القيمة ينعكس على السلوك والتصرفات، ولذا يُقرر - رحمه الله - في أول باب من أبواب كتاب التوحيد (٤) أن الغاية من خلق الثقلين هو العبادة مُستدلاً بقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (٥)، وفي الحديث عنه ﷺ قال: "يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد؟ قال: الله ورسوله أعلم، قال: أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، أتدري ما حقهم عليه؟ قال: الله ورسوله أعلم، قال: أن لا يعذبهم" (٦).

ويقول - رحمه الله -: وفي هذا أن العبادة هي التوحيد، وأن من لم يأت به لم يعبد الله ففيه

معنى قوله: ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ (٧).

وأن الحكمة من خلق الخلق، وإرسال الرسل، وإنزال الكتب، وإقامة علم الجهاد، وقيام سوق الجنة والنار، هو من أجل العبادة.

(١) مجموع مؤلفات الشيخ - مختصر سيرة الرسول ﷺ (٢٦/١).

(٢) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (١٥٣/١٠).

(٣) انظر: القيم بين الإسلام والغرب دراسة تأصيلية مقارنة - مانع المانع (٣١).

(٤) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (٦-٥/١).

(٥) سورة الذاريات آية رقم [٥٦].

(٦) رواه البخاري في صحيحه - كتاب التوحيد - باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى (٦١٤)

(ح ٧٣٧٣).

(٧) سورة الكافرون آية رقم [٥، ٣].



وفي الأصول الثلاثة^(١) يُبين الإمام - رحمه الله - هذه القيمة بأسلوب يفهمه الخاص والعام، ويُدرِك مضامينه العامي والمتعلم، فيقول - رحمه الله -: " فإذا قيل لك: ما الأصول الثلاثة التي يجب على الإنسان معرفتها؟، فقل: معرفة العبد ربه ودينه ونبيه محمدًا ﷺ، فإذا قيل لك: من ربُّك؟ فقل: ربي الله الذي رباني وربِّي جميع العالمين بنعمه، وهو معبودي ليس لي معبود سواه، والدليل قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٢)، وكلُّ ما سوى الله عالمٌ، وأنا واحد ذلك العالم، فإذا قيل لك: بمِ عرفت ربُّك؟ فقل: بآياته ومخلوقاته، ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر، ومن مخلوقاته السماوات السبع والأرضون السبع ومن فيهنَّ وما بينهما"، واستدل لذلك من القرآن الكريم، ثم قال: "والربُّ هو المعبود، والدليل قوله - تعالى -: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(٣) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنْ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(٤)".

وفي كتاب كشف الشبهات^(٥) يُقرر هذه القيمة بأسلوب آخر، فيقول: "اعلم رحمك الله: أن التوحيد هو إفراد الله - سبحانه - بالعبادة، وهو دين الرسل الذي أرسلهم الله به إلى عباده... وعرفت أن التوحيد الذي جحدوه هو توحيد العبادة الذي يسميه المشركون في زماننا: الاعتقاد".

٣- قيمة العدل:

العدل تسمو به النفوس، وتُعمر به البلاد، ويبحث على الطاعة، وتتلاشى معه جميع الفوارق الأرضية، وهو مما أمر الله به، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ﴾^(٥).

(١) مجموع مؤلفات الشيخ (١٣٥/٦).

(٢) سورة الفاتحة آية رقم [٢].

(٣) سورة البقرة آية رقم [٢١-٢٢].

(٤) مجموع مؤلفات الشيخ (١١٤/٦-١١٥).

(٥) سورة النحل آية رقم [٩٠].

قال الإمام - رحمه الله - في ما لخصه من كلام ابن تيمية - رحمه الله -: " فإن العدل واجب لكل أحد على كل أحد في كل حال، والظلم محرم مطلقاً لا يباح بحال، قال - تعالى -: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوْا أَعِدُّوْا ۗ﴾ (١) " (٢).

وفي كتاب الكبائر بؤب - رحمه الله - عدة أبواب على وجه التحذير مما يخالف العدل، وفيها حثٌ عليه، فقال - رحمه الله -: باب: ذكر إرادة العلو والفساد (٣)، وباب: ما جاء في التملق ومدح الإنسان بما ليس فيه (٤)، وباب: ما جاء في غش الرعية (٥)، وباب: المحاباة في الولاية (٦)، وباب: ولاية من لا يحسن العدل (٧).

وأورد تحتها جملة من النصوص الزاجرة عن الظلم والحائثة على العدل.

وفي فضائل القرآن يذكر أن العدل يجب أن يكون حتى مع من خالف المسلم في معتقده؛ لأنه مقتضى ما أمرنا به شرعاً فيقول - رحمه الله - في ما استنبطه من مسائل على سورة النحل: "ذكر العدل حتى في حق الكفار" (٨).

وفي معرض جوابه - رحمه الله - لأحد السائلين يقول: "قد عُلم بالكتاب والسنة والفظر والعقول: تحريم الرشوة وقبحها، والرشوة هو: ما يأخذ الرجل على إبطال حق وإعطاء باطل، وهذه يسلمها لك منازعك، وهي أيضاً ما يؤخذ على إيصال حق إلى مستحقه، بل يسكت ولا يدخل فيه حتى يعطيه رشوة، فهذه حرام، منهي عنها بالإجماع، ملعون من أخذها؛ فمن ادعى حلها فقد خالف الإجماع.

وقوله: بأي شريعة حكمت بتحريم هذا؟ فنقول: حكمت به شريعة رسول الله ﷺ، وأجمع على ذلك علماء أمته، وأحل ذلك المرتشون الملعونون.

(١) سورة المائدة آية رقم [٨].

(٢) مجموع مؤلفات الشيخ - هذه مسائل (٣٠/٢).

(٣) مجموع مؤلفات الشيخ (٢٧٣/٦).

(٤) المرجع السابق (٢٨٠/٦).

(٥) المرجع السابق (٣٠٦/٦).

(٦) المرجع السابق (٣٠٧/٦).

(٧) المرجع السابق (٣٠٧/٦).

(٨) مجموع مؤلفات الشيخ - كتاب فضائل القرآن والتفسير (١٨١/٢).



ومن أنواع الرشوة: الهدايا التي تُدفع إلى الحاكم بسبب الحكم، ولو لم يكن لصاحبها غرض حاضر؛ لا أعلم أحدًا من العلماء رخص في مثل هذا.

والعجب، إذا كان في كتابكم الذي تحكمون فيه: يجب العدل بين الخصمين في لحظه ولفظه ومجلسه وكلامه والدخول عليه، فأين هذا من أكل عشرة حمران على أحد الخصمين، وإن لم يعطه أخذ بدلها من صاحبه وحكم له؟ سبحان الله! أي شريعة حكمت بجلّ هذا؟! أم أي عقل أجازها؟ ما أجهل من يجادل في مثل هذا، وأقل حياءه، وأقوى وجهه!"^(١).

٤- قيمة الصدق:

الصدق قيمة كُبرى؛ لما يترتب عليه من نتائج على مستوى الأخلاق والفضيلة، وهو مبنى القيم؛ لأنه أصلها، فالعدل، والأمانة، والبر، والوفاء، والنصح، والرحمة، وغيرها من القيم مبناها على الصدق، ولها تعلق في التعامل مع الحق والخلق، ففيها جانب عقدي، وجانب أخلاقي، والتحلي بهذه الصفة يُورث سكينه وطمأنينة في النفس، واحترام للذات، وثقة من الخلق، فهو يسمو بصاحبه في الدنيا، ويرفعه في الآخرة، وتُعد قيمة الصدق من معايير الرقي الفكري، الذي يكمل به الإنسان ويرتقي إلى درجة الصديقين.

وقد سعى الإمام - رحمه الله - إلى إحياء هذه القيمة في النفوس؛ لأنه بغيابها لا تستقيم حياة الناس الدنيوية والدنيوية، ولا تستقر في غيابها منظومة القيم.

وفي جواب الإمام - رحمه الله - لأحد السائلين يُبين له منزلة هذه القيمة ومكانتها بقوله: "فمسألة الصدق والإخلاص كبيرة، ولما ذكر الإمام أحمد الصدق والإخلاص، قال: بهما ارتفع القوم. ولكن يُقرها إلى الفهم التفكر في بعض أفراد العبادة، مثل الصلاة والإخلاص؛ فالإخلاص فيها يرجع إلى أفرادها عما يخالف كثيرًا من الرياء والطبع والعادة، وغير ذلك، والصدق يرجع إلى إيقاعها على المشروع، ولو أبغضه الناس لذلك"^(٢).

(١) مجموع مؤلفات الشيخ - فتاوى ومسائل (١٢/٢).

(٢) المرجع السابق (٣٠/٢).

ويقول الإمام- رحمه الله- في إحدى خطبه منوهاً بفضل الله على خلقه بهذه القيمة بقوله: "ومنّ على من شاء بالصدق في معاملته"^(١).

ويُنوه- رحمه الله- بقيمة الصدق وفضلها في خطبه أخرى بقوله: "اتقوا الله- تعالى-، فإن بتقواه تحصل السعادة والنجاة، واجتهدوا في طاعته فقد أفلح من اجتهد في الطاعات، وعليكم بالصدق في معاملته فقد خاب من كذب الله في المعاملات، وأخلصوا له القصد والنية فإنما الأعمال بالنيات"^(٢).

ويذكر في تفسيره أن الصدق أحسن ما فسرت به التقوى بعد ذكره لقوله تعالى: ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِٓٓ أُولَٓئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾^(٣).

وأن المتقي يأتي بالصدق إن كان مُخْبِرًا، ويُصَدَّق بالصدق إن كان سامعًا^(٤).

(١) مجموع مؤلفات الشيخ- الخطب المنبرية (١٩٥/٢).

(٢) المرجع السابق (١٩٦/٢).

(٣) سورة الزمر آية رقم [٣٣].

(٤) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ- كتاب فضائل القرآن والتفسير (٢٤٥/٢).



المبحث الرابع: أثرها على الفرد والمجتمع

استطاع الإمام - رحمه الله - بعبقريته أن يزواج في خطابه بين فصل الفرد عن الجماعة، وجمعه معها لتصحيح فكره.

فيفصل الإمام - رحمه الله - الفرد عن الجماعة؛ ليصحح مساره ويستنهض همته، ومرة يخاطبه ليؤثر في مجتمعه ومحيطه، فيخاطبه كفرد مسؤول عن تصرفاته، محاسب على عمله، ويخاطبه كجزء من الجماعة التي لها دورها وتأثيرها في أفرادها.

ومما سبق في ثنايا البحث يتبين أن أصل دعوة الإمام - رحمه الله - هو تصحيح العقيدة، على وفق مراد الله وسنة رسوله ﷺ.

ولذا فقد برزت آثار دعوة الإمام المباركة على الفرد والمجتمع من خلال المباحث السابقة في هذا الباب، ويُمكن إجمالها فيما يأتي:

المطلب الأول: أثرها على الفرد

إن من أبرز آثار هذه الدعوة المباركة على الفرد هو إحياء الوازع الديني، وتنقية التوحيد بأنواعه الثلاثة من شوائب الشرك؛ فتتحقق بذلك عبودية الفرد لربه، ويبان ذلك أن الفرد إذا أدرك أن الله هو المعبود بحق، فلا يمكن بحال من الأحوال أن يوجه عبادته من دعاء، أو استعانة، أو استغاثة، أو ذبح، أو نذر لغير خالقه - جلَّ وعلا -.

كما أنه إذا علم أن الله وحده هو الرزاق ذو القوة المتين، وأنه لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع، فهو بذلك لا يتطلع إلى الحصول على الرزق إلا عن طريق السبل المشروعة، فلا سرقة، ولا نهب، ولا تطفيف كيل، ولا تعدُّ على الغير.

ومتى ما أدرك الفرد أن الله هو المُطلع على خائنة الأعين وما تخفي الصدور، فلا تراوده نفسه على انتهاك حرمت الله، أو التعدي على حقوق الله وحقوق خلقه، وذلك تعظيمًا لخالقه، ورجاء ثوابه، وخوفًا من عقابه^(١).

ثم إن أثر الدعوة على الفرد يتضح بجلاء، أنه متى ما ضعفت الوحدة، والدولة الجامعة للشثات، والتي قامت على دعوة التوحيد المباركة لأي سبب من الأسباب، فإنه ما إن يُنادي منادي الوحدة إلا التف حوله من سلم فكره من الزيغ، ورشد بإيمانه بربه، وكره الكفر والفسوق.

فلم يكن من أتباع الدعوة الذين نهلوا من معينها الصافي، وتعلمذوا على علمائها من كان رأسًا في فتنه، أو داعية ضلالة وفرقة، وما ذلك إلا لصفاء منهج هذه الدعوة المباركة، ووضوح أهدافها ومقاصدها.

وقد تولد لدى الفرد شعورٌ بالوحدة الوطنية من رسوخ هذه الدعوة في نفسه، فلم يُقدم مصلحة دنيوية أو مكاسب مادية من أجل الإضرار بالدعوة والوحدة.

ويتضح ذلك من خلال رفض عضوية إقليم نجد لمن يُمثلهم أمام الدولة العثمانية عندما طُلب ذلك عام (١٣٢٧هـ)؛ لأن ذلك يتعارض مع القيم التي تربوا عليها في ظل هذه الدعوة المباركة^(٢).

(١) انظر: مجلة البيان - دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وتثبيت الأمن بمفهومه الشامل - فهد الجديد (٢٠) العدد (٧٥) القعدة ١٤١٤هـ).

(٢) انظر: العثمانيون وآل سعود في الأرشيف العثماني - زكريا كورشون (٣٢٤).



المطلب الثاني: أثرها على المجتمع

لقد أدرك الإمام - رحمه الله - ما للوحدة من أثر في عز الأمة وقوتها، وصلابتها وتماسكها، وتحقيقها لأمر الله - عز وجل - ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (١٠٣)، فلما نفذوا الأمر تحقق فيهم مُراد الله أن أَلَّفَ بين قلوبهم بعد الفرقة والشتات، وبعد أن كان بعضهم يُبغض بعضًا ويقتل بعضًا.

فقد جمع الإمام هذا الشتات على الإخلاص، والصدق، والمحبة، ومكارم الأخلاق، وكل أمر دعا إليه الإسلام بكل جلاء ووضوح، فوحد الأمة، وآخى بين أفرادها وجماعاتها، وبلدانها، فأحاط المجتمع بأسوار إيمانية، اشتملت على تعاليم الإسلام وشرائعه، ومنظومة قيمه، وضوابطه، بحيث تُسد كل ثغرة يُحتمل أن يتسلل من خلالها الفساد إلى قلب المجتمع المسلم.

وهذا له أثره العظيم في إقامة مجتمع مسلم تتحقق فيه الوحدة والجماعة التي يُحتم الإسلام على أتباعه أن ينتظموا في ركبها فيصطبغوا بصبغته، ويُقيموا تعاليمه، ويوالوا أهله، ويحكموا بشرعه، ويحتموا بحماه من شرور الفرقة والاختلاف، ويحققوا الوحدة الدينية الاجتماعية التي حثت عليها نصوص الشرع.

ومن اهتمام الإمام - رحمه الله - بوحدة المجتمع، وإقامته على شرع الله، فقد حرص على وحدة الأسرة، ومنع ما قد يقع فيها من ظلم، وتجنّب على الشرع مما يُشتت وحدة نواة المجتمع، فمن ذلك تحريم ما وقع في الأوقاف والوصايا من ظلم، وهو حرمان البعض من حقه الشرعي، ولا شك أن هذا يُورث العداوة والبغضاء والشتات في المجتمع الذي يتفشى فيه، يقول الإمام - رحمه الله -: "من أعظم المنكرات وأكبر الكبائر تغيير شرع الله ودينه، والتحيُّل على ذلك بالتقرب إليه، وذلك مثل أوقفنا هذه إذا أراد أن يجرم من أعطاه الله من امرأة، أو امرأة ابن، أو نسل بنات، أو غير ذلك، أو يعطي من حرمه الله، أو يزيد أحدًا عما فرض الله، أو ينقصه من

(١) سورة آل عمران آية رقم [١٠٣].

ذلك، ويريد التقرب إلى الله بذلك مع كونه مُبعداً عن الله، فالأدلة على بطلان هذا الوقف، وعوده طائغاً، وقسمه على قسم الله ورسوله أكثر من أن تحصر"^(١).

وقد كان مكون المجتمع في زمن الإمام- رحمه الله- مُنسجماً مع نفسه، فلا انقسامات عرقية، ولا فرق طائفية، ولا أحزاب سياسية، إذ كان اجتماع الناس منذ قيام هذه الدعوة المباركة على عقيدة إلهية سماوية، ولم يكن اجتماعهم تحت راية عمية، أو عصبية قبلية، أو تربة وطنية، وهذه الميزة لا زالت تنفياً ظلها هذه البلاد المباركة، وستبقى - بإذن الله- إذا سارت على هذا النهج القويم، والصراط المستقيم.

(١) مجموع مؤلفات الشيخ- الرسائل الشخصية (٤٥/٣).



الخاتمة

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد :

فلقد منَّ الله عليَّ بفضلِهِ وكرمه إذ وفقني لإتمام هذا البحث، فله وحده الحمد أولاً وآخرًا وظاهرًا وباطنًا.

ولعلَّ من المُناسب في ختام هذا البحث، الإشارة إلى أهم النتائج، والتي منها:

١- أن أعداء الرسل هم أعداء من سار على نهجهم، وهذا جلي واضح، وإن اختلفت التُّهم لاختلاف العصر والثقافة والفكر، ففي الكتاب العزيز بعد أن حذر- سبحانه- من الشرك ذكر التُّهمة التي تُوجه لدعاة التوحيد ﴿وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنْ نَّذِيرٍ مُّبِينٌ﴾ (٥١) كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ اتَّوَصَّوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَآغُوتٌ ﴿٥٣﴾ (١).

٢- التلازم بين العقيدة الصحيحة وسلامة الفكر وأمنه التام، قال- تعالى-: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ (٨٢)؛ (٢) ولذا اهتم الإمام- رحمه الله- بترسيخ الإيمان في النفوس.

٣- أن الأمن الفكري المُستمد من عقيدة صحيحة يُطهر المجتمع مما كان عالقًا في نفوس أهله من أدران الحسد، والتعصب، والهوى، والتبعية بالتقليد على غير هدى.

٤- ما أثير على الإمام- رحمه الله- من شبهات هدفها التشويش وإعاقة الدعوة، فلا مستند لها من علم ولا شرع.

٥- تجلية الإمام- رحمه الله- لمعققات العقيدة الصحيحة، والتي هي معوقات للأمن الفكري.

(١) سورة الذاريات آية رقم [٥١-٥٣].

(٢) سورة الأنعام آية رقم [٨٢].



- ٦- الأمن الفكري القائم على عقيدة صحيحة يُجارب الغلو بجميع صورته، سواءً كان في جانب الإفراط، أو التفريط، وهذا ما تنبه له الإمام- رحمه الله- وضبطه بضابط الشرع.
- ٧- حرّر الإمام- رحمه الله- ما التبس فهمه من الألفاظ، التي أوقعت العوام في الحيرة والضلال، ومن ذلك كلمة الإخلاص التي بها السلامة والنجاة من عذاب الله.
- ٨- حرص الإمام- رحمه الله- على صفاء المنهج، ووضوح الهدف، وهو تصفية العقيدة مما طرأ عليها من انحراف وشتات؛ مما صار له الأثر المباشر على أمن الناس الفكري.
- ٩- كان الإمام- رحمه الله- رباتياً، ويتجلى ذلك في تربية الناس على صغار العلم قبل كباره؛ ولذا ربي ثلة من الأتباع حملوا لواء الدعوة بعده، فاقتبسوا جذوة أضياء الله بها الأفكار بعد ظلامها.
- ١٠- لم يدخر الإمام- رحمه الله- جهداً أو وقتاً في سبيل هداية الناس وتبصيرهم؛ لإخراجهم من درك الغواية والضلال إلى نور الهداية، فبذل نفسه بين تعليم، وتأليف، ومراسلة؛ لإقامة البرهان على صدق ما يدعو إليه، حتى دعا الحال وحتم الواقع الدفاع عن النفس والحرمة والعرض، وقام سوق الجهاد فكان له حضوره وكلمته.
- ١١- بنى الإمام- رحمه الله- منهجه على ركائز متينة ترسم معالم الشخصية الإسلامية القائمة على بناء فكري سليم يتفاعل بموجبه المسلم مع الحياة بإيجابية، وتُحقق له الولاء لدينه ثم أمته ووطنه وولادة أمره.
- ١٢- تركيز مؤلفات الإمام- رحمه الله- على العقيدة أسهم في تنقية العقول من الخرافة، والتي انعكست على الأمن الفكري، وأسهمت في قاعدة دولة التوحيد وحمائتها.
- ١٣- التعليم وإلزاميته التي بذر بذرتها الأولى الإمام- رحمه الله- حاربت الأمية بجميع أشكالها، وحاربت الغلو بجميع صورته، ودعت إلى الوسطية والتعامل مع المخالف بمنهجية.
- ١٤- إن وسائل تحقيق الأمن الفكري عند الإمام- رحمه الله- منهج رشيد تحتاج إليه الأمة في وقتها الحاضر.
- ١٥- إن النظرة الشاملة لأسباب اختلال الأمن بجميع أنواعه، وعلى رأسها الأمن الفكري، تجعل المعالجة شاملة متكاملة، مما يوصل إلى نتائج مثمرة، وغايات محمودة.
- ١٦- ما تعيشه الأمة الإسلامية اليوم من أحداث التكفير والتفجير مرده إلى انحراف الفكر، وهو ما يُنبئ بخطورة الاختلاف بدافع عقدي.

- ١٧- يتبين الدور البارز لدعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب، في علاج كثير من مشكلات الأمن الفكري من خلال ما يلي:
- أ- جمع كلمة أهل الحل والعقد.
- ب- انحسار البدع والخرافات.
- ج- تطبيق الشريعة في واقع الناس.

التوصيات

- انطلاقاً من أهمية الأمن الفكري ودوره في مشروع النهوض بالأمة، واستناداً لما ورد في الدراسة، يُمكن الخروج بهذه التوصيات:
- ١- إعطاء الأمن الفكري مزيداً من الاهتمام، وذلك من خلال وسائل الإعلام ومناهج التعليم.
- ٢- تحصين الأمة بالثواب الشرعية مما يُسهم في تشكيل حاجز منيع لإقصاء الهجمة الفكرية الشرسة على ثوابت الأمة ورموزها.
- ٣- إجراء مزيدٍ من البحوث والدراسات العلمية حول المواضيع المتعلقة بالأمن الفكري مدعومة بالبرهان الشرعي ثم العقلي.
- ٤- أن تُطرح هذه الدعوة المباركة كمنهج متكامل، لتحصين أتباعها من تشويش من يريد زعزعتها؛ لأن الأثر العكسي سلبيٌّ على جميع أنواع الأمن.
- ٥- العقيدة التي جدد معالمها الإمام محمد بن عبد الوهاب، وسانده بالقيام بنشرها الإمام محمد بن سعود- رحمهما الله- وحفظ الله بها الأمة ومكانتها على مدى قرنين من الزمان، وقادت بها العالم الإسلامي على هدى ونور حريٍّ أن تُرسخ في الأجيال، وتُسخر لها كل السبل والإمكانات لنشرها.
- ٦- التأكيد على استمرارية الدراسات التي توضح الأثر الكبير لهذه الدعوة المباركة على الأمن بشتى صورته، وانعكاسها على الفرد والمجتمع.
- ٧- يرى الباحث ضرورة تضافر الجهود بين مختلف الجهات الحكومية وغيرها؛ للقيام بمهمة تعزيز الأمن الفكري والحفاظ عليه.



الفهارس

- ١ - فهرس الآيات القرآنية.
- ٢ - فهرس الأحاديث النبوية، والآثار.
- ٣ - فهرس الأعلام.
- ٤ - فهرس المصطلحات والألفاظ الغريبة.
- ٥ - فهرس الأديان والملل والفرق.
- ٦ - فهرس الأماكن.
- ٧ - فهرس الأشعار.
- ٨ - فهرس المصادر والمراجع.
- ٩ - فهرس الموضوعات.

فهرس الآيات القرآنية

الصفحة	رقمها	السورة	طرف الآية
٤١٦	٢	الفاتحة	﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْمَلَائِكَةِ﴾
٤١٦-٣٢٢	٢٢-٢١	البقرة	﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾
٣٤١-٢٩١	٣٣-٣٠	البقرة	﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾
٣١٩	٤٤	البقرة	﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾
٣١٩	٧٣	البقرة	﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾
٢٢٠	٧٨	البقرة	﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ﴾
٢١٢-١٢٠	٨٨	البقرة	﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ﴾
٢١٢	٩٩	البقرة	﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ﴾
١٣٦	١٠٩	البقرة	﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾
٢٤٩-٢٤٥	١٤٣	البقرة	﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾
٥٦	١٦٣	البقرة	﴿وَاللَّهُمَّ إِلَهُ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾
٥٦	١٦٤	البقرة	﴿إِن فِي خَلْقِ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ﴾
٥٦	١٦٥	البقرة	﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا﴾
٢٨٢-٢٠٤	١٧٦	البقرة	﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾
٣١٩	١٧٩	البقرة	﴿يَتَأُولَى الْأَلْبَابِ﴾
٣٧٨-٢٠٤	٣١٢	البقرة	﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾
٣١٩	٢١٩	البقرة	﴿لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾
٢٩١	٢٥١	البقرة	﴿وَلَوْ لَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ﴾



الصفحة	رقمها	السورة	طرف الآية
٢٣٨	٢٥٥	البقرة	﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۗ ﴾
٣٤٩	٢٥٨	البقرة	﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ ﴾
٥٩	٢٧٠	البقرة	﴿ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ ﴾
٤٠٢	٢٧٥	البقرة	﴿ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ۗ ﴾
٤٠٢	٢٨٠	البقرة	﴿ فَانظُرْ إِلَىٰ مِيسِرَةٍ ﴾
٢٩٦	١٨	آل عمران	﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ ﴾
٢٧٥-٢١١	٣١	آل عمران	﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي ﴾
٣٥٠	٧٨	آل عمران	﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُنَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنْ الْكِتَابِ ﴾
١٩١	٩٧	آل عمران	﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ ﴾
ج-٢٦٥ ٢٨٧-٢٨٥	-١٠٢ ١٠٣	آل عمران	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ۗ ﴾
-١٧٠ -٢٧٩ -٢٨٢ -٢٨٤ -٢٨٦ -٢٨٩ ٤٢٠-٣٨٣	١٠٣	آل عمران	﴿ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۗ ﴾
٢٦١	١٠٤	آل عمران	﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ ﴾
-٢٨٠ ٢٨٧-٢٨٦	١٠٥	آل عمران	﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا ﴾

الصفحة	رقمها	السورة	طرف الآية
٢٨٧	١٠٧	آل عمران	﴿ خَلِدُونَ ﴾
٢٦١	١١٠	آل عمران	﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾
٤٢	١٥١	آل عمران	﴿ سَكُنْ فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرَّعْبَ ﴾
٣١٣	١٥٩	آل عمران	﴿ فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَأْتِ بِآيَاتٍ لَآتِيَنَّكَ آيَاتٌ فَاصْبِرْ إِنَّ كِتَابَ اللَّهِ لَهَادٍ لِغَالِبِينَ ﴾
٣١٨	١٨٤	آل عمران	﴿ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ ﴾
ج	١	النساء	﴿ يَأْتِيهَا النَّاسُ آتِقُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ ﴾
١٧٧	٢٩	النساء	﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ ﴾
١٩٨	٣٤	النساء	﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ ﴾
٣٢٢	٤٣	النساء	﴿ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً ۖ ﴿٤٣﴾ ﴾
٦٥	٤٨	النساء	﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ۗ ﴾
٢١٣	٥١	النساء	﴿ هَتُّوْا أِهْدَى مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيْلًا ﴾
١٣٦	٥٤	النساء	﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ ﴾
-١٧٣ -٢٠٣ -٢٠٨ ٢٩١-٢٥٢	٥٩	النساء	﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾
١٧١	٦٥	النساء	﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ ﴾
٢٥٣	٨٠	النساء	﴿ مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ۗ ﴾
٢١٩	١١٥	النساء	﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا نَبَّيْنَ لَهُ الْهُدَىٰ ﴾
١٠٦	١٢٣	النساء	﴿ لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ ۗ ﴾
١٢٤	١٣٥	النساء	﴿ فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىَٰ أَنْ تَعْدِلُوا ﴾



الصفحة	رقمها	السورة	طرف الآية
١٩١	-١٥٠ ١٥١	النساء	﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ ﴾
٣١٨	٢١٩	النساء	﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ ﴾
-٨٢-٢٦ ٣٦٥	٣	المائدة	﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي ﴾ ^٤
٣٢٢	٦	المائدة	﴿ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً ﴾
-٢٩٢ -٣١٣ ٤١٥	٨	المائدة	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ﴾ ^٥
١٧١	١٤	المائدة	﴿ وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِيءَ ﴾
٢٠١	٤٨	المائدة	﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾
٧٢-٧٠	٧٢	المائدة	﴿ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ ﴾
٣٢٢	١٠١	المائدة	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنَ شَيْءٍ ^(١٠١) ﴾
٥٩	١٧	الأنعام	﴿ قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾
١٤٢	٥٣	الأنعام	﴿ أَهْتُولَاءِ مِنَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا ^(٥٣) ﴾
٢٤٣	-٨١ ٨٢	الأنعام	﴿ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ ﴾
-٢٤٤ -٣٨٨ ٤٢٣	٨٢	الأنعام	﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ^(٨٢) ﴾
٧٥	٩٣	الأنعام	﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ ﴾

الصفحة	رقمها	السورة	طرف الآية
٢٦٧-٣١	١١٢	الأنعام	﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ ﴾
٣٣	١١٣	الأنعام	﴿ وَلِنَصِّغَنَّ إِلَيْهِ أَفْعِدَةً الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ ﴾
٣١	١٢١	الأنعام	﴿ وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لِيُوحِىَ إِلَىٰ أَوْلِيَآئِهِمْ ۗ ﴾
٢٨٠-٢٦	١٥٣	الأنعام	﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا ﴾
١٧٧	١٥٨	الأنعام	﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾
-٢٨٠			﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا لَسْتَ مِنْهُمْ ﴾
-٢٨٤	١٥٩	الأنعام	
٢٨٦			
١١٧	٣	الأعراف	﴿ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا ﴾
٥٩	١٧	الأعراف	﴿ ثُمَّ لَا تَنبَهُهُمْ مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ ﴾
٣٤٤	٥٥	الأعراف	﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۗ ﴾
٣٢١	٥٩	الأعراف	﴿ يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ۗ ﴾
٢١٣	٧١	الأعراف	﴿ اتَّجَدِدُونَنِي فِي أَسْمَاءِ سَمَّيْتُمُوهَا ۗ ﴾
٤٠	٨٦	الأعراف	﴿ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ ﴾
٢٦٣	١٦٦	الأعراف	﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ ﴾
٣٣٣	١٧٦	الأعراف	﴿ فَأَقْصِصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾
٣٦٩	٢٣	الأنفال	﴿ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۗ ﴾
-٥٤			﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ ﴾
-١٥١	٣٩	الأنفال	﴿ كُلُّهُ لِلَّهِ ۗ ﴾
٢٥٣			
١٧٢	٤٦	الأنفال	﴿ وَلَا تَتَزَعَوْا فَنفْسُلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۗ ﴾
١٠٢	٢٨	التوبة	﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ ﴾



الصفحة	رقمها	السورة	طرف الآية
٣٧٦	٣١	التوبة	﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ﴾
١٧٧	٣٤	التوبة	﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَجْبَارِ وَالرُّهْبَانِ ﴾
٢٢٠	١٠٠	التوبة	﴿ وَالسَّبِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ﴾
٥٤	١٨	يونس	﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ ﴾
٥٦	١٨	يونس	﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ ﴾
١٦٧	١٨	يونس	﴿ وَيَقُولُونَ هَتُوْا لَّآءِ شُفَعَتُونَا عِنْدَ اللَّهِ ﴾
١٦٧	٣١	يونس	﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَآءِ وَالْأَرْضِ ﴾
٧٣-٦٦	-٦٢ ٦٤	يونس	﴿ أَلَا إِنِّ أَوْلِيَآءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾
٥٦	١٠٦	يونس	﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ﴾
٢١٣	١١٦	هود	﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِّنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ ﴾
٢٧٩	-١١٨ ١١٩	هود	﴿ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ﴾
٣٧٧	٤٠	يوسف	﴿ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ؕ أَمَّا أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا آيَآءُ ؕ ﴾
٢٠٦	١٠٨	يوسف	﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ ﴾
٣٧	٣٣	الرعد	﴿ وَمَن يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ ﴾
٤٠٨	٧	إبراهيم	﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾
٢٩٦	٤٣	النحل	﴿ فَسَأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾
٢٠٦	٤٤	النحل	﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾
-٢٠٥ ٢١٣	٦٤	النحل	﴿ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي أَخْتَلَفُوا ﴾

الصفحة	رقمها	السورة	طرف الآية
٤١٤	٩٠	النحل	﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ ﴾
١٦٦	١٠٥	النحل	﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ﴾
٣١٦	-١٠٦ ١٠٧	النحل	﴿ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ ۗ ﴿١٠٦﴾ ﴾
١٩٦	١١٦	النحل	﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ ﴾
١٦٧-٥١	٥٧	الإسراء	﴿ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَنْبَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمْ أَلْوَسِيلَةً ﴾
٢١٤	١٨	طه	﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ۗ ﴾
٢٩٦	١١٤	طه	﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾
١٢٠	١٢٣	طه	﴿ فَمَنْ أَتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴾
٢٩٦	٧	الأنبياء	﴿ فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾
٢٣٨	٢٨	الأنبياء	﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ أَرْضَىٰ ﴾
٢٤٩	١٠٧	الأنبياء	﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾
٩٨	٧٧	الحج	﴿ ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا ﴾
٢٤٩	٧٨	الحج	﴿ وَمَا جَعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾
-٢٦١ ٢٦٤	٤١	الحج	﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَانَتْهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَعَاتَوْا الزَّكَاةَ ﴾
٢٨٧	-٥١ ٥٣	المؤمنون	﴿ يَتَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَأَعْمَلُوا صَالِحًا ۗ ﴾
٢٨٦-٣٨	٥٣	المؤمنون	﴿ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ۗ ﴿٣٢﴾ ﴾
٢٣٨	-١٠٢ ١٠٣	المؤمنون	﴿ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾



الصفحة	رقمها	السورة	طرف الآية
٢٤٤- ٣٨٧	٥٥	النور	﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ ﴾
٢١٢	٦٣	النور	﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة ﴾ ﴿٦٣﴾
٢٦٧	٢٠	الفرقان	﴿ وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون ﴾
١٢٥	-٤٣ ٤٤	الفرقان	﴿ أريت من اتخذ الإلهة هونه أفانت تكون عليه وكيلًا ﴾
٥٦	٢١٣	الشعراء	﴿ فلا تدع مع الله إلهاً آخر فتكون من المعديين ﴾
٣٤٨	-٢٣ ٢٩	الشعراء	﴿ قال فرعون وما رب العالمين ﴾ ﴿٢٣﴾ قال رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين ﴾
١٣٣	٥٠	القصص	﴿ فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ﴾
١٧	٥٧	القصص	﴿ أولم نمكن لهم حرماً آمناً يجوز إليه ثمرات كل ﴾ ﴿٥٧﴾
٢٦٧	٣-٢	العنكبوت	﴿ أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمناً وهم لا يفتنون ﴾
٢٨٠	٣٢	الروم	﴿ من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً ﴾
-١١٧ ٢١٣	٢١	لقمان	﴿ وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه ءآباءنا ﴾
-٢٠٦ ٢٧٧	٢١	الأحزاب	﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ﴾
٢٥٥	٣٦	الأحزاب	﴿ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله ﴾
١١٤	-٦٦ ٦٨	الأحزاب	﴿ يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يلبتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولاً ﴾
ج	٧١	الأحزاب	﴿ يتأبها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديداً ﴾
٣٠٤	٢٦	سبأ	﴿ وإنا أو إيتاكم لعلنا هدى أو في ضلال مبين ﴾

الصفحة	رقمها	السورة	طرف الآية
٣٢١	١٤	فاطر	﴿ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دَعَاءَكُمْ ﴾
٢١١	١١-٧	يس	﴿ لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾
٢٦٧	-١٧١ ١٧٣	الصفات	﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴾
٢٣٧	-١٨٠ ١٨٢	الصفات	﴿ سُبْحٰنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾
١٢٦	٢٦	ص	﴿ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾
-٦٦-٥٤ ١٦٦	٣	الزمر	﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ ﴾
٥١	٣٤	الزمر	﴿ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾
٤١٧	٣٣	الزمر	﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ ﴾
٧١	-٦٤ ٦٥	الزمر	﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ﴾
٤٢	٦٥	الزمر	﴿ وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِن أَشْرَكْتَ ﴾
٧١	٦٧	الزمر	﴿ سُبْحٰنَهُ، وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾
-١٥٣ ٣٠٤	٢٦	غافر	﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذُرِّيَّتِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ ﴾
١٩٢	٣٥	غافر	﴿ كَذٰلِكَ يَطۢبِعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلۢبٍ مُّتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴾
٢٦٧	٥١	غافر	﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾
-١١١ ١١٢	٥٦	غافر	﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي ءَايَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطٰنٍ ﴾
٥٤-٤٧	٦٠	غافر	﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾



الصفحة	رقمها	السورة	طرف الآية
٣٩	٨٣	غافر	﴿ فَلَمَّا جَاءَ نُهُم رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا ﴾
٤١١	٣٠	فصلت	﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا ﴾
٣٢٩	٣٢	فصلت	﴿ نَزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴾
٣٢٨	٣٣	فصلت	﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ ﴾
-١٠٤ ٢٠٥	٤٢	فصلت	﴿ لَا يَأْنِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ﴾
-١٧٣ -٢٠٨ ٣٧٨	١٠	الشورى	﴿ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ﴾
٢٣٧	١١	الشورى	﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾
٢٨٦	١٣	الشورى	﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا ﴾
١٤٥	٤٠	الشورى	﴿ وَحَزَبًا مِّنْ سَيِّئَةِ سَيِّئَةٍ مِّثْلَهَا ﴾
٢١٢	٣	الزخرف	﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾
١٠٦	٢٣	الزخرف	﴿ إِنَّا وَجَدْنَاهُ آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾
١١٧	-٢٣ ٢٤	الزخرف	﴿ وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ ﴾
١٢٤	٢٣	الجاثية	﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوْنَهُ وَأَصْلَهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ ﴾
١٢٥	٥	الأحقاف	﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوْنَهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ ﴾
٥٥	٦-٥	الأحقاف	﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُمْ ﴾
٢٣٠	٢٦	الأحقاف	﴿ وَلَقَدْ مَكَنْتَهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَنْتَكُمْ فِيهِ ﴾
٣٣٢	٩	محمد	﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ ﴾
٢٢٠	١٨	الفتح	﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ ﴾

الصفحة	رقمها	السورة	طرف الآية
٣١	٥٢-٥٣	الذاريات	﴿ كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجُنٌّ ﴾
٤٢٥	٥١-٥٣	الذاريات	﴿ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءَاخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾
٤١٥	٥٦	الذاريات	﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾
٣١٩	٣٥	الطور	﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ ﴾
٢٠٦	٣-٤	النجم	﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾
٢٣٩	٢٦	النجم	﴿ وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَعَتُهُمْ ﴾
٢١٢	١٧-٢٢	القمر	﴿ وَلَقَدْ بَشَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُّذَكِّرٍ ﴾
٢٩٧	٩	المجادلة	﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ (٩) ﴾
١٨	١١	المجادلة	﴿ يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ (١١) ﴾
٢٦٧	٢٠-٢١	المجادلة	﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادِّثُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ فِي الْأَذْلَىٰ ﴾
٣٦٥-٩٥	٧	الحشر	﴿ وَمَا ءَانْتُمْ بِالرَّسُولِ فَخَذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾
٢٣٩	١٠	الحشر	﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ ﴾
١٢٧	٤	المتحنة	﴿ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾
٢٩٤	١٦	التغابن	﴿ فَأَنْقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾
٤٠٢	٢-٣	الطلاق	﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴾



الصفحة	رقمها	السورة	طرف الآية
٣٢٣	١٤	الملك	﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾
٥٤-٥٣	١٨	الجن	﴿ وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾
٥٣	٢١	الجن	﴿ قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴾
٢٣٩	٤٨	المدثر	﴿ فَمَا نَنْفَعُهُمْ شَفَعَةُ الشَّافِعِينَ ﴾
٥٩	٧	الإنسان	﴿ يُؤْفُونَ بِالَّذِرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴾
١٢٤	-٤٠ ٤٢	النازعات	﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴾
٢٦٨	٣-١	العصر	﴿ وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴾
٥٩	٢	الكوثر	﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ ﴾
٤١٣	٥-٣	الكافرون	﴿ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴾
٢١٧	١	الإخلاص	﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾

فهرس الأحاديث والآثار

الصفحة	طرف الحديث
١٨٣	إذا أكفر الرجل أحاه فقد باء بها أحدهما
٢٨٠	افتترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة
١٧٧	أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله
٤٧	إن الدعاء هو العبادة
٢٤٦	إن الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا
٤٨	إن الشيطان يئس أن يعبد المصلون
٢٦٥	إن الله يرضى لكم ثلاثا
٢٨٠	إن الله يرضى لكم ثلاثا، ويكره لكم ثلاثا
٢٧٦	إن طول صلاة الرجل، وقصر خطبته، مئنة من فقهه
٣١٩	إن فتى شاباً أتى النبي ﷺ فقال يا رسول الله
٨٨	أن لا تدع صورة إلا طمستها، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته
٢٩٨	إن من إجلال الله إكرام ذي الشبهة المسلم، وحامل القرآن
٣٧٦	إننا لسنا نعبدهم، فقال: أليس يحرمون ما أحل الله
٣٤٠	إنه قد شهد بدرًا، وما يدريك لعل الله قد اطلع على من شهد بدرًا
١٧٨	أول ما يقضى بين الناس في الدماء
٨١	إياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل محدثة بدعة
١٩٦	أبما رجل قال لأخيه: يا كافر فقد باء بها أحدهما
٢٧٢ ، ١٧٦	بدأ الإسلام غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ
٣٩٩	البر بالبر، والتمر بالتمر، والشعير بالشعير، والذهب بالذهب
١٨٣	بعثنا رسول الله ﷺ في سرية، فصبحنا الحرقات من جهينة
٢٦	بهذا أمرتم أو لهذا خلقتم



الصفحة	طرف الحديث
١٦٦	تتجارى بهم الأهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه
١٥٣	تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة
٣٢٠	جاءه أعرابي فقال: يارسول الله إن امرأتي ولدت غلاما
٥٥	الدعاء مخ العبادة
٢٧٣	ستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة
٢٩٢	على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحبّ وكره ما لم يؤمر بمعصية
٢	فأبواه يهودانه أو ينصرانه
١٧٨	إن من ورطات الأمور التي لا مخرج لمن أوقع نفسه فيها: سفك الدم
٨٣	قد تركتكم على البيضاء
١٧٧	كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه
٢٧٥ ، ٢١١	كل أمي يدخلون الجنة إلا من أبي
٢٧٣ ، ٩٨	كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار
٢٦	كنا جلوسا عند النبي ﷺ فخط خطا
١٩٤	لا ترجعوا بعدي كفارا
١٧٨	لا يزال المؤمن في فسحة من دينه، ما لم يصب دمًا حرامًا
٣٢٢	لا يغتسل أحدكم في الماء الدائم
٢٧٤	لتأخذوا عني مناسككم
٩٠	لتتبعن سنن من قبلكم شبرًا بشبر وذراعًا بذراع
٢٧٣ ، ٢١٢	لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القدّة بالقُدّة
٩٠	لعنة الله على اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد
١١٣	اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل
٢٥٥	ليس ذنب أسرع عقوبة من البغي وقطيعة الرحم
٤٧	ليس شيء أكرم على الله من الدعاء
٣٢٢	الماء طهور لا ينجسه شيء

الصفحة	طرف الحديث
٨١	من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد
٢٨٢	من أراد بمجوحة الجنة فعليه بالجماعة
٢٥٣	من أطاعني فقد أطاع الله
٢٧٠، ٢٦٢	من رأى منكم منكراً فليغيره
٦٦	من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب
٢١١	من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد
٢٨٢	من فارق الجماعة شبراً فمات؛ إلا مات ميتة جاهليّة
٢٠٧	من قال: لا إله إلا الله، وكفر بما يعبد من دون الله، حرم ماله ودمه
٨٤	نهى رسول الله ﷺ أن يخصص القبر، وأن يقعد عليه، وأن يُبنى عليه
٢٤٦	هلك المنتطعون، قالها ثلاثاً
٣٢٨	والله، لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً، خير لك من حمر النعم
١٢٥	وأما المهلكات فشح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه
ج	وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، إنما ورثوا العلم
٩٣	وإياكم ومحدثات الأمور
٣٢٢	وبينهما أمور مشتبهات
٢١٤	وجعل الذلّة والصغار على من خالف أمري
٢٦	وعظنا رسول الله ﷺ موعظة
٢٩١	ولا يحل لثلاثة نفر يكونون بأرض فلاة إلا أمروا عليهم أحدهم
٤١٣	يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد؟ قال: الله ورسوله أعلم
٢٧	يأتي الشيطان أحدكم فيقول من خلق كذا
١٨٤	يارسول الله أرأين إن لقيت رجلاً من الكفار
٢٨٢	يد الله مع الجماعة



فهرس الآثار

الصفحة	طرف الأثر
٢٩٢	إنَّ خليلي أوصاني أن أسمع وأطيع، وإن كان عبدًا مُجَدَّعَ الأطراف
١٧٨	إن من ورطات الأمور التي لا مخرج لمن أوقع نفسه فيها: سفك الدم
٢٨٢	إنما الجماعة ماوافق طاعة الله
٢٩٢	لايزال الناس بخير ماعظموا السلطان

فهرس الأعلام

الصفحة	العلم
١٣	إبراهيم بن سليمان بن علي بن مشرف
١٤٦	إبراهيم بن محمد بن عبد الرحمن
١٤	إبراهيم بن محمد بن عبد الوهاب
٢٤٢	ابن إسماعيل
٨٥	ابن ربيعة
٨٦	أبو طالب بن حسن بن أبي نمي
١٢١	أحمد بن إبراهيم
١٥٠	أحمد بن سعيد بن سعد الشريف
٣٣٠	أحمد بن سويلم
١١٨	أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي
٣٠١	أحمد بن يحيى التميمي
١٦٢	أحمد بن يحيى بن محمد بن رميح
٧٩	أحمد زيني دحلان
١٨٣	أسامة بن زيد

الصفحة	العلم
١٠٨	إسماعيل بن عمر بن كثير
٥٣	تاج
١٥٤	ثويني بن عبد الله بن محمد
٣٧	ثيودور لوثرروب ستودارد
٦٣	جعفر بن خضر بن شلال
٥٢	الحسين بن علي بن أبي طالب
١٣	حسين بن محمد بن عبد الوهاب
٣٣٠	حمد بن راشد العريني
٨٧	حمزة بن عبد المطلب ابن هاشم
٣٠٨	حميدان بن تركي بن حميدان
٥٢	خالد بن الوليد بن المغيرة
٩٠	خبيب بن عبد الله بن الزبير
٦٣	داود بن سليمان بن جرجيس
١٤٥	دهام بن دواس بن عبد الله
٥٢	زيد بن الخطاب بن نفيل
٧٩	سعود بن عبد العزيز بن محمد
١١٧	سفيان بن سعيد بن مسروق
١٥٤	سليمان (باشا) بن أمين
١١٦	سليمان بن الأشعث بن إسحاق
٩٢	سليمان بن سحمان بن مصلح
٦٨	سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب
١٣	سليمان بن عبد الوهاب
١٣	سليمان بن علي بن مشرف
٣٣	سليمان بن محمد بن أحمد



الصفحة	العلم
١٤٤	سليمان بن محمد بن غرير
١٣	سيف بن محمد بن عزاز
٤٨	شمسان
١٢٢	صالح بن فوزان بن عبد الله
٣٠٨	صالح بن محمد بن عبد الله الصائغ
١٥	صبغة الله بن أسعد الحيدري
٢٧	صبيغ بن عسل
١٠١	عبد الرحمن بن حسن الجبرتي
٧١	عبد الرحمن بن عبد الله بن الحسين السويدي
١١٧	عبد الرحمن بن عمرو بن محمد الأوزاعي
٢٢٧	عبد السلام بن محمد بن عبد الوهاب الجبائي
٢٩٩	عبد العزيز بن عبد الله بن إبراهيم الحصين
٦١	عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن بن باز
٣٠٨	عبد القادر بن عبد الله العديلي
١١٣	عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن عبد الوهاب
١٠١	عبد الله باشا بن إبراهيم
١٤	عبد الله بن إبراهيم بن سيف الشمري
٣٠٨	عبد الله بن أحمد بن سحيم
٤٥	عبد الله بن داود الزبيري
١٥٦	عبد الله بن سعود بن عبد العزيز
٢٥٩	عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد العزيز أبا بطين
٢٩٨	عبد الله بن عيسى
٣٣	عبد الله بن عيسى بن موسى
٣٣	عبد الله بن محمد بن عبد اللطيف الأحسائي

الصفحة	العلم
١٣	عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب
٢٢٧	عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني
١٢	عبد الوهاب بن سليمان بن مشرف
١٤٧	عبدالله بن عبدالمحسن بن عبدالرحمن التركي
٨٩	عثمان بن حمد بن معمر
٨٩	عثمان بن عبد الله بن عثمان بن بشر
١٤٦	عريعر بن دجين بن سعدون
٦٣	علوي بن الحسن بن عبد الله الحداد
١١٩	علي بن الحسين بن حرب البغدادي
٣٠٨	علي بن زامل
٤٩	علي بن عبد الله السويدي
١٤-١٣	علي بن محمد بن عبد الوهاب
١٥٤	علي كينخا
٣٣٠	عيسى بن قاسم
١٤٩	غالب بن مساعد بن سعيد الشريف
١٠٩	محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي
١٥	محمد الجموعي
٣٠٨	محمد بن إبراهيم أبا الخيل
١١٨	محمد بن أبي بكر بن أيوب
٣٣	محمد بن أحمد بن سحيم العنزي
١٢٨	محمد بن أحمد بن عبد الرحمن الشافعي
١٢١	محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي
١٢١	محمد بن حمد بن عباد الدوسري
٣٤	محمد بن سعود بن محمد بن مقرن



الصفحة	العلم
٤٩	محمد بن سعيد البوصيري
١١١	محمد بن سلطان العوسجي
٣٣	محمد بن عبد الرحمن بن حسين بن عفالق
٩١	محمد بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ
٢٢٦	محمد بن عبد الوهاب بن سلام الجبائي
٢٤٢	محمد بن عبيد
١٦٥	محمد بن عمر بن الفارض
١٢١	محمد بن عيد
٢٢٧	محمد بن محمد الغزالي
٩٥	محمد بن وضاح بن بزيع
١٤	محمد حياة السندي
١٥٥	محمد علي (باشا) بن إبراهيم
١٦٥	محيي الدين أبو بكر محمد بن عربي
١٨٤	المقداد بن عمرو
٩٩	الناصر بن قلاوون
٢٢٦	هشام بن الحكم البغدادي
٢٨٣	الوليد بن عقبة بن أبي معيط
١٩٢	يوسف

فهرس المصطلحات والألفاظ الغربية

الصفحة	المصطلحات والألفاظ الغربية
٨١	البدع
١٣٠	التتن
٩٥	التثويب
٢٢٥	الجسم
٢٢٥	الجهة
١٨٣	جهينة
١٦١	الجوهر
٣٧	السجف
٤٢	الشرك
١٦٤	الطعام
١٦١	العرض



فهرس الأديان والملل والفرق

الصفحة	الأديان والملل والفرق
٩	الإتحادية
١٦١	الأشاعرة
١٩٣	بنو عبید القداح
٢٤٨	الجبرية
٢٢٠	الجهمية
١٠٤	الحداثة
٢٢٨	الحرورية
٩	الحلولية
١٠٤	الخوارج
٥٢	الرافضة
١٠٤	العلمانية
١٨٥	القدرية
١٠٤	الليبرالية
٧٧	المرحئة
١٨٥	المعتزلة
٢٤٨	الوعيدية

فهرس الأماكن

الصفحة	المكان
٨٦	الجبيلة
١٥٤	الجهراء
١٢	العينة
٨٦	قبة أبي طالب
٨٥	قبة الكواز
٨٨	قبة حواء
٨٥	قبة رجب
٨٧	قبر ابن عباس
٨٧	قبر خديجة
٨٧	قبر عبد المطلب
٣٣	منيخ



فهرس الأشعار

الصفحة	القافية
-د-	
٥٣	الجهد
١٩٥	حد
٥٣	السد
٥٣	صد
١٩٥ ، ٥٣	عمد
٥٣	القصد
٥٢	اللحد
١٩٥ ، ٥٣	اللد
٥٣	ماعد
٥٢	الند
-ر-	
٤٠	مكسور
-م-	
١٣٨	خصوم
٤٩	العمم
-ي-	
٢٨٨	تفي

فهرس المصادر والمراجع

أولاً-المخطوطات:

- ١- جواب ابن عفالق على رسالة ابن معمر نسخة بالمكتبة الوطنية -برلين- رقم الحفظ (٢١٥٨).
- ٢- رد ابن عفالق على ابن معمر- نسخة بالمكتبة الوطنية-برلين -رقم الحفظ (٢١٥٧).
- ٣- الصواعق والرعود- عبد الله بن داؤد- نسخة بمكتبة بتنة الشرقية بالهند -رقم الحفظ (١٢٣٨).
- ٤- المشكاة المضيئة في الرد على الوهابية-ابن السويدي-نسخة بالمكتبة الوطنية-برلين -رقم الحفظ (٢١٥٦).

ثانياً-المطبوعات:

- ١- أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة- عبد الله عبد الرحمن الجربوع- أضواء السلف-الرياض-الطبعة الأولى- ١٤٢٠هـ.
- ٢- أثر الدعوة الوهابية في الإصلاح الديني والعمرائي في جزيرة العرب وغيرها- محمد حامد الفقي-تحقيق: أحمد عبد العزيز التويجري-دار السنة-الرياض-الطبعة الثانية- ١٤٣٢هـ.
- ٣- أجنحة المكر الثلاثة- عبدالرحمن حبنكه الميداني-دار القلم-دمشق-الطبعة الثامنة- ١٤٢٠هـ.
- ٤- إحياء علوم الدين - أبو حامد محمد الغزالي-دار الصابوني.
- ٥- أدب الطلب ومنتهى الأرب-محمد بن علي الشوكاني- تحقيق:عبدالله السريحي-دار ابن حزم-الطبعة الأولى- ١٤١٩هـ.
- ٦- أربع قواعد تدور الأحكام عليها- طبع ضمن مجموع مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب- توزيع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية-الطبعة الثانية- ١٤٢٣هـ.



- ٧- الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد- صالح بن فوزان الفوزان- طبع ونشر الرئاسة العامة للبحوث العلمية والدعوة والإرشاد-الرياض-المملكة العربية السعودية- الطبعة الثالثة- ١٤٣٠هـ.
- ٨- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل- محمد ناصر الدين الألباني-المكتب الإسلامي-بيروت-الطبعة الثانية- ١٤٠٥هـ.
- ٩- أساس البلاغة- محمود بن عامر الزمخشري-دار صادر-بيروت- ١٣٨٥هـ.
- ١٠- الأساليب التربوية المستمدة من دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب-عبد الرحمن علي العريني-دارة الملك عبد العزيز-الرياض-١٤٢٤هـ.
- ١١- الاستغاثة في الرد على البكري-شيخ الإسلام ابن تيمية-دراسة وتحقيق: عبد الله دجين السهلي-دار الوطن-الرياض-الطبعة الأولى- ١٤١٧هـ.
- ١٢- الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية دراسة تأصيلية على ضوء الواقع المعاصر-عبد الرحيم محمد المغدوي-دار الحضارة-الرياض- الطبعة الثانية- ١٤٣١هـ.
- ١٣- إسلامية لا وهابية-ناصر عبد الكريم العقل-دار كنوز أشبيليا للنشر والتوزيع-الرياض- الطبعة الثانية- ١٤٢٥هـ.
- ١٤- الأسنة الحداد في رد شبهات العلوي الحداد-سليمان بن سحمان-مطابع الرياض-الطبعة الثانية- ١٣٧٦هـ.
- ١٥- الإصابة في تمييز الصحابة-أحمد بن حجر العسقلاني-دار الكتب العلمية-بيروت-لبنان.
- ١٦- أصول الإيمان- طبع ضمن مجموع مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب- توزيع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية-الطبعة الثانية- ١٤٢٣هـ.
- ١٧- أصول الدين-أبي منصور عبد القاهر البغدادي-دار الكتب العلمية-بيروت-لبنان-الطبعة الثالثة- ١٤٠١هـ.
- ١٨- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن-محمد الأمين الشنقيطي-عالم الكتب-بيروت.

- ١٩- إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد- صالح فوزان الفوزان- مؤسسة الرسالة- الطبعة الثالثة- ١٤٢٣هـ.
- ٢٠- الاعتصام- أبي إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي- ضبطه وصححه: أحمد الشافي- دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان- الطبعة الثانية- ١٤١١هـ.
- ٢١- اعتقادات فرق المسلمين والمشركين- فخر الدين محمد الرازي- مكتبة الكليات الأزهرية- ١٣٩٨هـ.
- ٢٢- أعلام الموقعين عن رب العالمين- ابن القيم الجوزية- دار الحديث.
- ٢٣- الأعلام- خير الدين محمود الزركلي- دار العلم للملايين- الطبعة الخامسة عشر- ٢٠٠٢م.
- ٢٤- إغاثة اللفهان من مصائد الشيطان- ابن القيم الجوزية- تحقيق: محمد حامد الفقي- مكتبة الرياض الحديثة- الرياض.
- ٢٥- اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم- شيخ الإسلام ابن تيمية- تحقيق: ناصر بن عبد الكريم العقل- دار العاصمة- الرياض- الطبعة السادسة- ١٤١٩هـ.
- ٢٦- الآلي الحسان ذكر محاسن الدعاة والأعلام- مهنا نعيم مصطفى نجم- الطبعة الأولى- ١٤٢٥هـ.
- ٢٧- الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب باني دولة ومنشئ أمة- عمر سليمان الأشقر- دار النفائس- الطبعة الأولى- ١٤٢٩هـ.
- ٢٨- الإمام محمد بن سعود دولة الدعوة والدعاة- عبد الله عبد المحسن التركي- طبع ونشر وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد- المملكة العربية السعودية- ١٤١٨هـ.
- ٢٩- الإمام محمد بن سعود وجهوده في تأسيس الدولة السعودية الأولى- عبد الرحمن علي العريبي- الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة- الرياض- ١٤١٩هـ.
- ٣٠- الإمام محمد بن عبد الوهاب- دعوته وسيرته- عبد العزيز بن عبد الله بن باز- رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء- الإدارة العامة للطبع والترجمة- الرياض- الطبعة الثالثة- ١٤١٥هـ.



- ٣١- الأمن الفكري :ماهيته وضوابطه- عبد الرحمن اللويحق- ضمن كتاب الأمن الفكري-
جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية-الرياض-الطبعة الأولى- ١٤٢٦هـ.
- ٣٢- الأمن الفكري في الإسلام ومقوماته ومزاياه- جميل عبيد القرارعة-ضمن كتاب الأمن رسالة
الإسلام-طبع بمناسبة حملة التضامن الوطني ضد الإرهاب بالمملكة-جامعة الملك فهد
للبيترول والمعادن-الدمام- ١٤٢٦هـ.
- ٣٣- الأمن الفكري في ضوء مقاصد الشريعة-صالح عبد الله بن حميد-مطابع الحميضي .
- ٣٤- الأمن الفكري في مواجهة المؤثرات الفكرية-حيدر بن عبد الرحمن الحيدر-الطبعة الأولى-
١٤٢٣هـ.
- ٣٥- الأمن الفكري وعناية المملكة العربية السعودية به-عبد الله عبد المحسن التركي-مطابع رابطة
العالم الإسلامي-مكة المكرمة-الطبعة الأولى- ١٤٢٣هـ.
- ٣٦- الأمن الوطني -دراسة موضوعية-عبد الله سعيد الشهراني- جامعة نايف العربية للعلوم
الأمنية-الرياض-٢٠٠٩م.
- ٣٧- الأمن والإعلام في الدولة الإسلامية-فهد عبد العزيز الدعيج-دار النشر بالمركز العربي
للدراستات الأمنية والتدريب- ١٤٠٦هـ.
- ٣٨- الأمن والتنمية-محمد أحمد نصير- مكتبة العبيكان- ١٤١٣هـ.
- ٣٩- الإنجاز في ترجمة الإمام عبد العزيز بن باز حياته وجهوده العلمية والعملية والدعوية وآثاره
الحميدة-عبد الرحمن يوسف الرحمة-الطبعة الأولى- ١٤١٩هـ.
- ٤٠- الأنساب- أبي سعد عبد الكريم السمعاني-تعليق:عبد الله البارودي-دار الجنان-بيروت-
لبنان-الطبعة الأولى- ١٤٠٨هـ.
- ٤١- أهل السنة والجماعة أصحاب المنهج الأصيل والصراط المستقيم- عمر سليمان الأشقر-
دار النفائس-الطبعة الأولى- ١٤١٣هـ.
- ٤٢- الايمان -شيخ الإسلام ابن تيمية-خرج أحاديثه محمد ناصر الدين الألباني-المكتب
الإسلامي-بيروت- ١٤٠٦هـ

- ٤٣- الباعث على إنكار البدع والحوادث-أبي القاسم عبد الرحمن أبو شامة-تحقيق: بشير محمد عيون-مكتبة المؤيد-الطائف-الطبعة الأولى- ١٤١٢هـ.
- ٤٤- بحوث وتعليقات في تاريخ المملكة العربية السعودية- عبد الله صالح العثيمين-دار الهلال-الرياض-الطبعة الأولى- ١٤٠٤هـ.
- ٤٥- بدائع الفوائد ابن القيم الجوزية-دار الشرق العربي-بيروت-لبنان.
- ٤٦- البداية والنهاية-أبي الفداء الحافظ ابن كثير-دار الفكر-بيروت.
- ٤٧- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع-محمد بن علي الشوكاني-دار المعرفة-بيروت-لبنان.
- ٤٨- البردة- للإمام البوصيري-شرح إبراهيم الباجوري- مكتبة الآداب- القاهرة.
- ٤٩- بنو خالد وعلاقتهم بنجد-عبد الكريم عبد الله الوهبي-دار ثقيف-الرياض- ١٤١٠هـ.
- ٥٠- بهجة المجالس وأنس المجالس وشحد الذاهن والمهاجس-يوسف بن عبد الله بن عبد البر-تحقيق: محمد مرسي الخولي-دار الكتب العلمية-بيروت-لبنان.
- ٥١- تاريخ ابن عباد-محمد بن حمد بن عباد-تحقيق:عبد الله بن يوسف الشبل-الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة-الرياض ١٤١٩هـ.
- ٥٢- تاريخ ابن غنام-المسمى روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام-حسين بن أبي بكر بن غنام-اعتنى به: سليمان بن صالح الخراشي-دار الثلوثية للنشر والتوزيع-الرياض-الطبعة الأولى ١٤٣١هـ.
- ٥٣- تاريخ البلاد العربية (الدولة السعودية الأولى)-منير العجلاني-دار الكتاب العربي-بيروت.
- ٥٤- تاريخ الدولة السعودية الأولى وحملات محمد علي على الجزيرة العربية من كتاب تاريخ مصر في عهد محمد علي- فيلكس مانجان-ترجمة:محمد خير البقاعي-دارة الملك عبد العزيز-الرياض-الطبعة الأولى- ١٤٢٤هـ.
- ٥٥- تاريخ الدولة السعودية في أدوارها الثلاثة- عبد الفتاح حسن أبو عليّة-دار المريخ-الرياض- ١٤٣٠هـ.



- ٥٦- تاريخ العرب الحديث والمعاصر- عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم- دار الكتاب الجامعي - القاهرة- الطبعة العاشرة- ١٤٢٧هـ.
- ٥٧- تاريخ الفاخري- محمد بن عمر الفاخري- تحقيق: عبد الله بن يوسف الشبل- الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة- الرياض ١٤١٩هـ.
- ٥٨- تاريخ الكويت السياسي- حسين خلف خزعل- دار ومكتبة الهلال (١٩٦٢م).
- ٥٩- تاريخ المملكة العربية السعودية- عبد الله بن صالح العثيمين- توزيع مكتبة العبيكان- الطبعة الخامسة عشر- ١٤٣٠هـ.
- ٦٠- تاريخ الوهابيين منذ نشأتهم حتى عام ١٨٠٩م- لويس الكسندر كورانسية- ترجمة: محمد خير البقاعي، وإبراهيم البلوي- دار الملك عبد العزيز- الرياض- ١٤٢٦هـ.
- ٦١- تاريخ الوهابيين وحياة العرب الاجتماعية- أندرو كرايتون- ترجمة: عبد الله العثيمين- دار الملك عبد العزيز- الرياض- ١٤٣٤هـ.
- ٦٢- تاريخ الوهابيين- أيوب صبري- ترجمة: مسعد الشامان- مطبعة- قرق أنبار- إستنبول- ١٢٩٦هـ.
- ٦٣- تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد ووفيات بعض الأعيان وأنسابهم وبناء بعض البلدان من ٧٠٠هـ- ١٣٤٠هـ- إبراهيم بن صالح بن عيسى- الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية- الرياض- ١٤١٩هـ
- ٦٤- تاريخ نجد- محمود شكري الألوسي- تحقيق: محمد بهجة الأثري- دار المعالي- عمّان- الأردن- الطبعة الرابعة- ١٤١٩هـ.
- ٦٥- تاريخ نجد- محمود شكري الألوسي- تحقيق: محمد بهجة الأثري- دار الوراق- بغداد- الطبعة الأولى- ٢٠٠٧م.
- ٦٦- تاريخ نجد ودعوة محمد بن عبد الوهاب السلفية- سنت جون فيليبي- تعريب: عمر الديسراوي- مكتبة مدبولي- القاهرة- الطبعة الأولى ٢٠٠٩م.

- ٦٧- تأملات في دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب- عبد الله عبد المحسن التركي-وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد-المملكة العربية السعودية- ١٤١٩هـ.
- ٦٨- تبرئة الشيخين الإمامين من تزوير أهل الكذب والبين-سليمان بن سحمان-مطابع الرياض-الطبعة الثانية- ١٣٧٧هـ.
- ٦٩- تجديد كشف الارتياب في أتباع محمد بن عبد الوهاب-محسن الأمين-تحقيق:حسن الأمين-الطبعة الثانية- ١٣٨٢هـ.
- ٧٠- التذكرة في أصل الوهابيين ودولتهم-جان ريمون-ترجمة: محمد خير البقاعي-دارة الملك عبد العزيز-الرياض- ١٤٢٤هـ.
- ٧١- تصحيح الدعاء-بكر عبدالله أبو زيد-دار العاصمة للنشر والتوزيع-الرياض-الطبعة الأولى- ١٤١٩هـ.
- ٧٢- تطبيق الشريعة الإسلامية في المملكة العربية السعودية وآثاره في الحياة-عبد الرحمن بن زيد الزبيدي-الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة-الرياض- ١٤١٩هـ.
- ٧٣- تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد-محمد بن إسماعيل الصنعاني-تعليق إسماعيل الأنصاري-مؤسسة النور للطباعة-الرياض-الطبعة الثانية- ١٣٨٩هـ.
- ٧٤- التعريفات -علي بن محمد الجرجاني-مكتبة لبنان-بيروت-١٩٩٠م.
- ٧٥- تفسير القرآن العظيم- أبي الفداء إسماعيل بن كثير-دار المعرفة-بيروت-لبنان-الطبعة الثانية- ١٤٠٨هـ.
- ٧٦- تفسير القرطبي-محمد بن أحمد القرطبي-دار إحياء التراث العربي-بيروت-لبنان- ١٤٠٥هـ.
- ٧٧- تفسير آيات من القرآن الكريم- طبع ضمن مجموع مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب-توزيع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية-الطبعة الثانية- ١٤٢٣هـ.
- ٧٨- التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع- أبي الحسين محمد الملطي الشافعي-تحقيق: يمان سعد الدين المياديني-رمادي للنشر-الدمام-المملكة العربية السعودية-الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.



- ٧٩- تنمية التفكير من خلال المنهج المدرسي - رشيد بن النوري البكر - مكتبة الرشد - الرياض - ١٤٢٨ هـ.
- ٨٠- التوضيحات الكاشفات على كشف الشبهات - محمد بن عبد الله الهبدان - دار طيبة - الرياض - ١٤٢٥ هـ.
- ٨١- تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد - سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب - المكتب الإسلامي - الطبعة السادسة - ١٤٠٥ هـ.
- ٨٢- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - عبد الرحمن ناصر السعدي - تحقيق: عبد الرحمن معلا اللويجق - دار بن حزم - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى - ١٤٢٤ هـ.
- ٨٣- ثلاثة الأصول - طبع ضمن مجموع مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب - توزيع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الطبعة الثانية - ١٤٢٣ هـ.
- ٨٤- جامع البيان عن تأويل آي القرآن - محمد بن جرير الطبري - دار الفكر - بيروت لبنان - ١٤٠٨ هـ.
- ٨٥- جامع الترمذي - أبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي - ضمن موسوعة الحديث الشريف - الكتب الستة - دار السلام للنشر والتوزيع - الرياض - الطبعة الثالثة - ١٤٢١ هـ.
- ٨٦- الجرح والتعديل - عبد الرحمن بن أبي حاتم - دار إحياء التراث العربي - بيروت - الطبعة الأولى.
- ٨٧- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح - لشيخ الإسلام ابن تيمية - تحقيق: علي بن حسن بن ناصر وآخرون - دار العاصمة - الرياض - الطبعة الثانية - ١٤١٩ هـ.
- ٨٨- الجواهر المضية - محمد بن عبد الوهاب - دار العاصمة - الرياض - الطبعة الثالثة - ١٤١٢ هـ.
- ٨٩- حاضر العالم الإسلامي - لوثروب ستودارد - ترجمة: عجاج نويهض - دار الفكر للطباعة والنشر.
- ٩٠- الحالة الاجتماعية والاقتصادية في الدولة السعودية الثانية - حصة بنت جمعان الزهراني - دار الملك عبد العزيز - الرياض - ١٤٢٥ هـ.

- ٩١- الحجج الواضحة الإسلامية في رد شبهات الرافضة والإمامية-سليمان بن سحمان-تحقيق محمد الفوزان-مكتبة الرشد-الرياض-الطبعة الأولى- ١٤٢٠هـ.
- ٩٢- حركة التجديد والإصلاح في نجد في العصر الحديث-عبد الله محمد العجلان-الرياض- ١٤٠٩هـ.
- ٩٣- حقيقة الدعوة النجدية- عبد العزيز بن محمد بن سعود-تحقيق: عبد الله زيد آل مسلم- دار التوحيد للنشر-الرياض-الطبعة الثانية- ١٤٢٩هـ.
- ٩٤- حقيقة دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب ونماذج من رسائله وشهادات علماء الحرمين له- عبد الرحمن حماد العمر-دار العاصمة-الرياض-الطبعة الأولى- ١٤٢٢هـ.
- ٩٥- حلية الأولياء-لأبي نعيم أحمد الأصفهاني-دار الكتب العلمية-بيروت لبنان.
- ٩٦- الحوار آدابه ومنطلقاته وتربية الأبناء عليه-محمد شمس الدين خوجة-مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني- الرياض-الطبعة الخامسة- ١٤٣٠هـ.
- ٩٧- الحوار وآدابه-صالح بن حميد-دار المنارة-الطبعة الأولى.
- ٩٨- حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وحقيقة دعوته-سليمان عبد الرحمن الحقييل-الطبعة الأولى- ١٤١٩هـ.
- ٩٩- حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب-حسين خلف خزعل-دار الثلوثية للنشر-الرياض-الطبعة الأولى- ١٤٣١هـ.
- ١٠٠- الحياة العلمية في نجد منذ قيام دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وحتى نهاية الدولة السعودية الأولى-مي عبد العزيز العيسى-الطبعة الثانية- ١٤١٨هـ.
- ١٠١- الحياة العلمية في وسط الجزيرة العربية في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين وأثر دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب فيها-أحمد عبد العزيز البسام-دارة الملك عبد العزيز- ١٤٢٥هـ.
- ١٠٢- الخصائص العامة للإسلام- يوسف القرضاوي-القاهرة-مكتبة وهبة-١٩٨١م.



- ١٠٣- خطاب الأمن في الإسلام وثقافة التسامح والوئام -عبد الله الشيخ ولد بيه-أكاديمية نايف العربية-الطبعة الأولى- ١٤١٩هـ.
- ١٠٤- الخطب المنبرية- طبع ضمن مجموع مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب- توزيع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية-الطبعة الثانية- ١٤٢٣هـ.
- ١٠٥- خطب وكلمات-خادم الحرمين الشريفين-درة الملك عبد العزيز-الرياض- ١٤٢٤هـ
- ١٠٦- الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة- علي باشا مبارك-المطبعة الكبرى الأميرية-بولاق مصر- ١٣٠٤هـ.
- ١٠٧- خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام-أحمد زيني دحلان-المطبعة الخيرية-مصر- ١٣٠٥هـ.
- ١٠٨- داعية التوحيد محمد بن عبد الوهاب-عبد العزيز سيد الأهل-دار العلم للملايين-بيروت- الطبعة الثالثة-١٩٨٦م.
- ١٠٩- الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد- محمد علي الشوكاني-تعليق:أبو عبد الله الحلبي- دار ابن خزيمة-الطبعة الأولى- ١٤١٤هـ.
- ١١٠- درء تعارض العقل والنقل- شيخ الاستلام ابن تيمية-تحقيق: محمد رشاد سالم-جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية-الطبعة الأولى- ١٤٠٢هـ.
- ١١١- دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين-الخوارج والشيعة-أحمد محمد جلي-مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية-الرياض-الطبعة الثانية- ١٤٠٨هـ.
- ١١٢- الدرر السنية في الأجوبة النجدية- جمع: عبد الرحمن بن قاسم-الطبعة السادسة- ١٤١٧هـ
- ١١٣- الدرر السنية في الرد على الوهابية ويليها رسالة النصر في ذكر وقت صلاة العصر- أحمد زيني دحلان.
- ١١٤- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة -أحمد بن علي بن حجر-تحقيق:محمد عبد المعيد خان- مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية-حيدر آباد الهند-الطبعة الثانية-١٩٧٢م.

- ١١٥- الدعاء ومنزلته من العقيدة الإسلامية- جيلان بن خضر العروسي- نسخة الكترونية على المكتبة الشاملة- الكتب المصورة.
- ١١٦- دعاوى المناوئين لدعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب عرض ونقض- عبد العزيز بن محمد العبد اللطيف- الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء- الرياض- المملكة العربية السعودية- الطبعة الأولى - ١٤٢٧هـ.
- ١١٧- دعاوى المناوئين لدعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب عرض ونقض- عبد العزيز بن محمد العبد اللطيف- دار الوطن للنشر- الرياض- الطبعة الأولى - ١٤١٢هـ.
- ١١٨- دعايات مكثفة ضد الإمام محمد بن عبد الوهاب - محمد منظور النعماني- مكتبة الفرقان- لكهنؤو- الهند- ١٤٠٠هـ.
- ١١٩- دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب تجديدية إصلاحية لا دعوة وهابية- أحمد عبد العزيز الحصين- دار طويق للنشر والتوزيع- الرياض- الطبعة الأولى- ١٤٢٦هـ.
- ١٢٠- دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب من الإحياء والإصلاح إلى الجهاد العالمي- ناتانا دي لونج باس- ترجمة: عبد الله العسكر- دارة الملك عبد العزيز- ١٤٣٣هـ.
- ١٢١- دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ودعوة الشيخ عثمان بن فودي- دراسة تاريخية مقارنة- محمد علي السكاكر- طبع بمناسبة الإحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة- ١٤٢١هـ.
- ١٢٢- الدعوة في عهد الملك عبد العزيز- محمد ناصر الشثري- الطبعة الثانية- ١٤٢٠هـ.
- ١٢٣- دفع الارتياب عن الشيخ سليمان بن عبد الوهاب- أحمد عبدالرحمن العوين- الطبعة الأولى- ١٤٢٨هـ.
- ١٢٤- الدولة السعودية الأولى- عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم- دار الكتاب الجامعي- القاهرة- الطبعة الرابعة- ١٤٠٢هـ.
- ١٢٥- الديباج على مسلم- عبد الرحمن السيوطي- تحقيق: أبو إسحاق الحويني- دار ابن عفان- الخبر- المملكة العربية السعودية- الطبعة الأولى- ١٤١٦هـ.



- ١٢٦- ديوان الأمير الصنعاني-مطبعة المدني-الطبعة الأولى- ١٣٨٤هـ.
- ١٢٧- رحلات فالين إلى جزيرة العرب-جورج أوغست فالين-ترجمة: سمير شلي-بيت الوراق للطباعة والنشر-بغداد-الطبعة الثانية-٢٠٠٩م.
- ١٢٨- الرحلة الحجازية-محمد البتوني-مكتبة المعارف-الطائف-الطبعة الثالثة.
- ١٢٩- الرد على الجهمية والزنادقة-الإمام أحمد بن حنبل-تحقيق: عبدالرحمن عميرة-دار اللواء-الرياض-الطبعة الثانية- ١٤٠٢هـ.
- ١٣٠- رسائل الإمام محمد بن عبد الوهاب الشخصية-دراسة دعوية- عبد المحسن عثمان بن باز- دار أشبيليا-الرياض-الطبعة الأولى- ١٤٢٠هـ.
- ١٣١- الرسائل الشخصية- طبع ضمن مجموع مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب- توزيع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية-الطبعة الثانية- ١٤٢٣هـ.
- ١٣٢- رسائل في حكم الاحتفال بالمولد النبوي - مجموعة من العلماء-الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء-الإدارة العامة لمراجعة المطبوعات الدينية-الرياض-المملكة العربية السعودية-الطبعة الثالثة- ١٤٢٨هـ.
- ١٣٣- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني-محمود الألوسي-دار إحياء التراث العربي-بيروت.
- ١٣٤- روضة الطالبين وعمدة المفتين-محيي الدين النووي-تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود وعلي محمد عوض-دار الكتب العلمية.
- ١٣٥- روضة المحبين ونزهة المشتاقين-ابن القيم الجوزية-دار الكتاب العربي-بيروت-لبنان- ١٤١٢هـ.
- ١٣٦- روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين-محمد بن عثمان القاضي-دار الثلوثية للنشر والتوزيع-الرياض-الطبعة الرابعة- ١٤٣٣هـ.
- ١٣٧- زاد المعاد في هدي خير العباد-ابن القيم الجوزية-تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعبد القادر الأرنؤوط-مؤسسة الرسالة-بيروت-الطبعة الرابعة عشر- ١٤٠٧هـ.

- ١٣٨- ستة أصول عظيمة مفيدة- طبع ضمن مجموع مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب-
توزيع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية- الطبعة الثانية- ١٤٢٣ هـ.
- ١٣٩- السحب الوايلة على ضرائح الحنابلة- محمد بن عبد الله حميد النجدي الحنبلي- مؤسسة
الرسالة- بيروت- الطبعة الأولى- ١٤١ هـ.
- ١٤٠- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها- محمد ناصر الدين الألباني- مكتبة
المعارف للنشر والتوزيع- الرياض- ١٤١٥ هـ.
- ١٤١- السلفية ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب - علي عبد الحلیم محمود- عكاظ للنشر
والتوزيع- الطبعة الأولى- ١٤٠١ هـ.
- ١٤٢- السلفية وقضايا العصر- عبد الرحمن بن زيد الزيندي- دار أشبيليا- ١٤١٨ هـ.
- ١٤٣- سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر- أبي الفضل محمد خليل المرادي- دار البشائر
الإسلامية، ودار ابن حزم- بيروت- لبنان- الطبعة الثالثة- ١٤٠٨ هـ.
- ١٤٤- سنن ابن ماجه- أبي عبد الله محمد بن يزيد ابن ماجه- ضمن موسوعة الحديث الشريف-
الكتب الستة- دار السلام للنشر والتوزيع- الرياض- الطبعة الثالثة- ١٤٢١ هـ.
- ١٤٥- سنن أبي داود- أبي داود سليمان بن الأشعث- ضمن موسوعة الحديث الشريف- الكتب
الستة- دار السلام للنشر والتوزيع- الرياض- الطبعة الثالثة- ١٤٢١ هـ.
- ١٤٦- سنن النسائي- أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي- ضمن موسوعة الحديث الشريف-
الكتب الستة- دار السلام للنشر والتوزيع- الرياض- الطبعة الثالثة- ١٤٢١ هـ.
- ١٤٧- السنن والمبتدعات المتعلقة بالأذكار والصلوات- محمد عبد السلام الشقيري- دار الكتب
العلمية- بيروت- لبنان- ١٤٠٠ هـ.
- ١٤٨- سير أعلام النبلاء- شمس الدين محمد الذهبي- مؤسسة الرسالة- بيروت- لبنان- الطبعة
الرابعة- ١٤٠٦ هـ.



- ١٤٩- الشبهات التي أثيرت حول دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب- عبد الرحمن عميرة- بحوث ندوة دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب- جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية- عمادة البحث العلمي- الطبعة الثانية- ١٤١١هـ.
- ١٥٠- شذرات الذهب في أخبار من ذهب- ابن العماد- دار الكتب العلمية.
- ١٥١- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين من بعدهم- أبي القاسم هبة الله اللالكائي- تحقيق: أحمد سعد حمدان- دار طيبة- الرياض
- ١٥٢- شرح العقيدة الطحاوية- علي بن علي بن أبي العز الحنفي- تحقيق: عبد الله التركي، وشعيب الأرنؤوط- مؤسسة الرسالة- بيروت- الطبعة الثانية- ١٤١٣هـ.
- ١٥٣- شرح الولدية في آداب البحث والمناظرة- عبد الوهاب الآمدي- طبع الحاج عثمان- ١٣١٨هـ.
- ١٥٤- شرح كشف الشبهات ويليهِ شرح الأصول الستة- محمد بن صالح العثيمين- إعداد فهد ناصر السليمان- دار الثريا للنشر- الرياض- الطبعة الرابعة- ١٤٢٦هـ.
- ١٥٥- الشريعة الإسلامية ودورها في تعزيز الأمن الفكري- عبد الرحمن السديس- ضمن كتاب الأمن الفكري- جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية- الرياض- الطبعة الأولى- ١٤٢٦هـ.
- ١٥٦- الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب ومنهجه في مباحث العقيدة - آمنة محمد نصير- دار الشروق- بيروت- لبنان- الطبعة الأولى- ١٤٠٣هـ.
- ١٥٧- الشيخ محمد بن عبد الوهاب حياته وفكره- عبد الله صالح العثيمين- دار العلوم- الرياض- الطبعة الثانية- ١٤٠٦هـ.
- ١٥٨- الشيخ محمد بن عبد الوهاب رائد الدعوة السلفية في العصر الحديث- محمد أحمد درنيقة- الدار العربية للموسوعات- بيروت- لبنان- الطبعة الأولى- ١٤٢٨هـ.
- ١٥٩- الشيخ محمد بن عبد الوهاب عقيدته السلفية ودعوته الإصلاحية وثناء العلماء عليه- أحمد بن حجر آل أبو طامي- طبع الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة- ١٤١٩هـ.

- ١٦٠- الشيخ محمد بن عبد الوهاب مجدد القرن الثاني عشر المفترى عليه ودحض تلك المفتريات- أحمد بن حجر آل أبوظامي- مطابع قطر الوطنية-١٩٨٧م.
- ١٦١- الصارم المسلول على شاتم الرسول- شيخ الإسلام بن تيمية-دراسة وتحقيق:محمد بن عبد الله الحلواني ومحمد كبير شودري-رمادي للنشر-الدمام-الطبعة الأولى- ١٤١٧هـ.
- ١٦٢- الصحاح- إسماعيل بن حماد الجوهري-تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار-دار العلم للملايين-١٩٧٩م.
- ١٦٣- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان- محمد بن حبان البستي-تحقيق شعيب الأرنؤوط- مؤسسة الرسالة-بيروت-الطبعة الثانية- ١٤١٤هـ.
- ١٦٤- صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري-ناصر الدين الألباني-مكتبة الدليل.
- ١٦٥- صحيح البخاري-محمد بن إسماعيل البخاري-ضمن موسوعة الحديث الشريف-الكتب الستة-دار السلام للنشر والتوزيع-الرياض-الطبعة الثالثة- ١٤٢١هـ.
- ١٦٦- صحيح الجامع الصغير وزياداته-محمد ناصر الدين الألباني-المكتب الإسلامي-بيروت، دمشق-الطبعة الثالثة- ١٤٠٦هـ.
- ١٦٧- صحيح سنن ابن ماجه باختصار السند-محمد ناصر الدين الألباني-إشراف: زهير الشاويش-مكتب التربية العربي لدول الخليج-الرياض-الطبعة الثالثة- ١٤٠٨هـ.
- ١٦٨- صحيح سنن أبي داود باختصار السند- صحح أحاديثه:محمد ناصر الدين الألباني-تعليق: زهير الشاويش-مكتب التربية العربي لدول الخليج-الرياض-الطبعة الأولى- ١٤٠٩هـ.
- ١٦٩- صحيح سنن الترمذي باختصار السند-صحح أحاديثه:محمد ناصر الدين الألباني-إشراف: زهير الشاويش-مكتب التربية العربي لدول الخليج-الرياض-الطبعة الأولى- ١٤٠٨هـ.
- ١٧٠- صحيح سنن النسائي باختصار السند-صحح أحاديثه:محمد ناصر الدين الألباني-إشراف: زهير الشاويش-مكتب التربية العربي لدول الخليج-الرياض-الطبعة الأولى- ١٤٠٨هـ.
- ١٧١- صحيح مسلم بشرح الإمام النووي-مؤسسة دار الكتب العلمية-بيروت-لبنان.



- ١٧٢- صحيح مسلم-مسلم بن الحجاج القشيري-ضمن موسوعة الحديث الشريف-الكتب الستة-دار السلام للنشر والتوزيع-الرياض-الطبعة الثالثة-١٤٢١هـ.
- ١٧٣- صدى دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في البلاد التونسية في عهد الإمام سعود بن عبد العزيز ١٢١٨هـ-١٢٢٩هـ-التليلي العجلي-دارة الملك عبد العزيز-الرياض-١٤٣١هـ.
- ١٧٤- الصواعق الإلهية في الرد على الوهابية-سليمان بن عبد الوهاب-مطبعة الكمال-مصر.
- ١٧٥- الصواعق المرسله على الجهمية والمعطلة-ابن القيم الجوزية- تحقيق: علي محمد الدخيل الله- دار العاصمة للنشر والتوزيع-الرياض-الطبعة الثانية-١٤١٢هـ.
- ١٧٦- الضياء الشارق في رد شبهات الماذق المارق-سليمان بن سحمان-تحقيق:عبد السلام برجس آل عبد الكريم-رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء-وكالة الطباعة والترجمة-الرياض-الطبعة الخامسة-١٤١٤هـ.
- ١٧٧- طبقات الشافعية الكبرى-تاج الدين بن علي السبكي-تحقيق:محمود الطناحي، وعبد الفتاح الحلو-هجر للطباعة والنشر-الطبعة الثانية-١٤١٣هـ.
- ١٧٨- الطبقات الكبرى-ابن سعد-تحقيق:زياد محمد منصور-مكتبة العلوم والحكم-المدينة المنورة-الطبعة الثانية-١٤٠٨هـ.
- ١٧٩- طريق الحجرتين وباب السعادتين-شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية-تحقيق: عايد العقيلي وآخران-دار الهدى النبوي-مصر-الطبعة الأولى ١٤٣٢هـ.
- ١٨٠- ظلال الجنة في تخريج السنة-محمد ناصر الدين الألباني-المكتب الإسلامي-بيروت-دمشق-الطبعة الثالثة-١٤١٣هـ.
- ١٨١- العثمانيون وآل سعود في الأرشيف العثماني ١٧٣٤-١٩١٤م-زكريا كورشون-الدار العربية للموسوعات-بيروت-لبنان-الطبعة الثانية-١٤٣١هـ.
- ١٨٢- عجائب الآثار في التراجم والأخبار-عبدالرحمن الجبرتي-مطبعة الأنوار المحمدية-القاهرة.
- ١٨٣- عقيدة الإمام محمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي-صالح بن عبد الله العبود-الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة-الطبعة الرابعة-١٤٢٧هـ.

- ١٨٤- عقيدة السلف وأصحاب الحديث -أبي عثمان إسماعيل الصابوني-تحقيق: ناصر عبد الرحمن الجديع-دار العاصمة-الرياض-الطبعة الأولى ١٤١٥هـ
- ١٨٥- العقيدة والآداب الإسلامية- طبع ضمن مجموع مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب- توزيع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية-الطبعة الثانية- ١٤٢٣هـ.
- ١٨٦- علماء آل الشيخ ذرية شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب-رحمه الله-المتوفون حتى نهاية عام ١٤٣٠هـ-أحمد عبد الرحمن العوين-شارك في الجمع-إبراهيم عبد الرحمن آل الشيخ، وهيثم حسن آل الشيخ-الطبعة الأولى- ١٤٣١هـ.
- ١٨٧- علماء الدعوة-عبد الرحمن عبد اللطيف آل الشيخ-تحقيق:أحمد عبد العزيز التويجري-دار الثلوثية-الرياض-الطبعة الأولى- ١٤٣١هـ.
- ١٨٨- علماء نجد خلال ثمانية قرون- عبد الله عبد الرحمن البسام-دار العاصمة-المملكة العربية السعودية-الرياض-الطبعة الثانية- ١٤١٩هـ.
- ١٨٩- العلمانية-سفر عبد الرحمن الحوالي-مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي.
- ١٩٠- عنوان المجد في بيان أحوال بغداد والبصرة ونجد-إبراهيم فصيح الحيدري-تحقيق-كوركيس عواد، وياسين باش أعيان-الدار العربية لموسوعات-بيروت-لبنان-الطبعة الأولى-١٩٩٩م.
- ١٩١- عنوان المجد في تاريخ نجد- عثمان بن عبد الله بن بشر-تحقيق: محمد بن ناصر الشثري- دار الحبيب-الرياض-الطبعة الثانية- ١٤٢٩هـ.
- ١٩٢- فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ-جمع وترتيب: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم- مطبعة الحكومة-مكة المكرمة- الطبعة الأولى- ١٣٩٩هـ.
- ١٩٣- فتاوى ومسائل- طبع ضمن مجموع مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب- توزيع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية-الطبعة الثانية- ١٤٢٣هـ.
- ١٩٤- فتح الباري بشرح صحيح البخاري- للحافظ أحمد بن حجر العسقلاني-راجعته:قصي الخطيب-دار الريان للتراث-القاهرة-الطبعة الأولى- ١٤٠٧هـ.



- ١٩٥- فتح المجيد شرح كتاب التوحيد- عبد الرحمن حسن آل الشيخ- دار الفكر- الطبعة السادسة- ١٣٩٧هـ.
- ١٩٦- فتنة الوهابية- أحمد دحلان- مكتبة الحقيقة- إستانبول- تركيا- ١٤٢٢هـ.
- ١٩٧- الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم- عبد القاهر طاهر البغدادي- تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي- دار الجيب- بيروت- لبنان- الطبعة ١٤٠٨هـ.
- ١٩٨- الفسيفساء السعودية- الفكر الفلسفي والمذهبي والسياسي في المملكة العربية السعودية- عمر إبراهيم الزبيدي- الدار العربية للموسوعات- بيروت لبنان- الطبعة الأولى- ١٤٣٢هـ.
- ١٩٩- فضل الإسلام- طبع ضمن مجموع مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب- توزيع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية- الطبعة الثانية- ١٤٢٣هـ.
- ٢٠٠- فضل الله الصمد في توضيح الأدب المفرد- لأبي عبدالله محمد- بن إسماعيل البخاري- تأليف فضل الله الجيلاي- المكتبة السلفية- القاهرة- الطبعة الثالثة- ١٤٠٧هـ.
- ٢٠١- الفكر التربوي مدارسه واتجاهات تطوره- مصطفى عبدالقادر وآخرون- مكتبة الرشد- الرياض- الطبعة الرابعة- ١٤٢٨هـ.
- ٢٠٢- الفهرست- ابن النديم- تعليق: إبراهيم رمضان- دار المعرفة بيروت- الطبعة الأولى- ١٤١٥هـ.
- ٢٠٣- الفوائد - شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية- دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان- الطبعة الأولى- ١٤٠٣هـ.
- ٢٠٤- في ظلال القرآن- سيد قطب- دار العلم للطباعة والنشر- جدة- الطبعة الثانية عشر- ١٤٠٦هـ.
- ٢٠٥- القاموس المحيط- مجد الدين محمد الفيروز آبادي- مؤسسة الرسالة- بيروت- الطبعة الثانية- ١٤٠٧هـ.
- ٢٠٦- قصة الإمام محمد بن عبد الوهاب- راغب السرجاني- مؤسسة إقرأ للنشر والتوزيع والترجمة- القاهرة- الطبعة الأولى- ١٤٣٢هـ.

- ٢٠٧- القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة ومذاهب الناس فيه- عبد الرحمن صالح المحمود- دار الوطن-الرياض.
- ٢٠٨- القواعد الأربع- طبع ضمن مجموع مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب- توزيع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية- الطبعة الثانية- ١٤٢٣هـ.
- ٢٠٩- قواعد في التعامل مع العلماء- عبد الرحمن بن معلا اللويحق- دار الوراق للنشر والتوزيع- الطبعة الأولى- ١٤١٥هـ.
- ٢١٠- القواعد في الفقه الإسلامي- أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب- تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد- مكتبة الكليات الأزهرية- الطبعة الأولى- ١٣٩١هـ.
- ٢١١- القول الحق في بيروت ودمشق- عبد الرحمن بك سامي- دار الرائد العربي- بيروت-لبنان- ١٤٠١هـ.
- ٢١٢- القول المفيد على كتاب التوحيد- محمد صالح العثيمين- دار ابن الجوزي- الطبعة الثانية- ١٤٢٤هـ.
- ٢١٣- القيم بين الإسلام والغرب دراسة تأصيلية مقارنة- مانع محمد المانع- دار الفضيلة-الرياض- الطبعة الأولى- ١٤٢٦هـ.
- ٢١٤- كتاب التوحيد- طبع ضمن مجموع مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب- توزيع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية- الطبعة الثانية- ١٤٢٣هـ.
- ٢١٥- كتاب السنة- لابي بكر عمرو بن أبي عاصم- المكتب الإسلامي- بيروت-دمشق- الطبعة الثالثة- ١٤١٣هـ
- ٢١٦- كتاب العين- أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي- تحقيق: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي- دار ومكتبة الهلال.
- ٢١٧- كتاب الكبائر- طبع ضمن مجموع مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب- توزيع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية- الطبعة الثانية- ١٤٢٣هـ.



- ٢١٨- كتاب فضائل القرآن والتفسير - طبع ضمن مجموع مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب- توزيع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية- الطبعة الثانية- ١٤٢٣هـ.
- ٢١٩- كتاب فيه ماجاء في البدع -محمد بن وضاح القرطبي-تحقيق: بدر عبد الله البدر- دار الصميعي للنشر والتوزيع-الرياض- الطبعة الأولى- ١٤١٦هـ.
- ٢٢٠- الكشاف الأثري في العراق-قحطان رشيد صالح-دار الكتب للطباعة-بغداد-١٩٨٧م.
- ٢٢١- كشف الأكاذيب والشبهات عن دعوة المصلح الإمام محمد بن عبد الوهاب- صلاح الدين بن محمد آل الشيخ-مكتبة الرشد-الرياض-المملكة العربية السعودية-الطبعة الأولى- ١٤٢٥هـ.
- ٢٢٢- كشف الشبهات-محمد بن عبد الوهاب-طبع ضمن مجموع مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب- توزيع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية-الطبعة الثانية- ١٤٢٣هـ.
- ٢٢٣- كشف الشبهات-محمد بن عبد الوهاب-طبع وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد-الرياض-الطبعة السادسة- ١٤٢٠هـ.
- ٢٢٤- اللباب في تهذيب الأنساب-عز الدين بن الأثير الجزري-مكتبة المثنى بغداد.
- ٢٢٥- لسان العرب- ابن منظور- دار إحياء التراث العربي-مؤسسة التاريخ العربي-بيروت - لبنان-الطبعة الثانية- ١٤١٧هـ.
- ٢٢٦- لسان الميزان - شهاب الدين أحمد بن حجر-تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وآخران-دار الكتب العلمية-بيروت-لبنان-الطبعة الأولى- ١٤١٦هـ.
- ٢٢٧- لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب - حسن جمال الريكي-تحقيق: عبد الله صالح العثيمين-دائرة الملك عبد العزيز-الرياض- ١٤٢٦هـ.
- ٢٢٨- لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية شرح الدرّة المضية في عقيدة الفرقة المرضية- محمد السفاريني الحنبلي-المكتب الإسلامي-بيروت-الطبعة الثالثة- ١٤١١هـ.
- ٢٢٩- لون العرق في أمريكا -غوترييل برات- (١٩٠٠-١٩٤٠)-مطبعة جامعة هارفارد- ٢٠٠٤م.

- ٢٣٠- الليبرالية نشأتها ومجالاتها- عبد الرحيم السلمي- نسخة الكترونية-المكتبة الشاملة.
- ٢٣١- متطلبات المحافظة على نعمة الأمن والاستقرار في بلادنا - سليمان عبد الرحمن الحقييل -
الطبعة الأولى- ١٤١٨ هـ.
- ٢٣٢- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد-علي بن أبي بكر الهيثمي-دار الفكر-بيروت- ١٤١٢ هـ.
- ٢٣٣- مجمل اعتقاد أئمة السلف- عبد الله عبد المحسن التركي- طبع ونشر وزارة الشؤون الإسلامية
والأوقاف والدعوة والإرشاد-المملكة العربية السعودية-الطبعة الثانية- ١٤١٧ هـ.
- ٢٣٤- مجموع الفتاوى- ابن تيمية-جمع: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، وابنه محمد.
- ٢٣٥- مجموع فتاوى ومقالات متنوعة-عبد العزيز عبد الله بن باز- جمع وترتيب: محمد سعد
الشويعر- طبع ونشر رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء-إدارة مجلة البحوث الإسلامية-
الرياض-المملكة العربية السعودية-الطبعة الأولى- ١٤١٨ هـ.
- ٢٣٦- مجموعة الرسائل والمسائل النجدية- بعض علماء نجد-مكتبة الإمام الشافعي-الرياض-
الطبعة الثانية- ١٤٠٨ هـ.
- ٢٣٧- مجموعة الرسائل والمسائل والفتاوى-حمد بن ناصر آل معمر-دار تقيف للنشر والتأليف-
الطائف-الطبعة الأولى-١٣٩٨ هـ.
- ٢٣٨- مجموعة رسائل في التوحيد والإيمان- طبع ضمن مجموع مؤلفات الشيخ محمد بن عبد
الوهاب- توزيع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية-الطبعة الثانية- ١٤٢٣ هـ.
- ٢٣٩- المحكم والمحيط الأعظم في اللغة-علي بن إسماعيل بن سيده-تحقيق:مراد كامل-الطبعة
الأولى- ١٣٩٢ هـ.
- ٢٤٠- محمد بن عبد الوهاب داعية التوحيد والتجديد في العصر الحديث- محمد بهجة الأثري-
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية-إدارة الثقافة والنشر-شعبان- ١٤٠٤ هـ
- ٢٤١- محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم ومُفتري عليه-مسعود الندوي ترجمة:عبد العليم عبد
العظيم البستوي-إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام -الطبعة الثانية- ١٤١١ هـ.



- ٢٤٢- محمد علي وشبه الجزيرة العربية- عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم- دار الكتاب الجامعي- القاهرة- الطبعة الثانية- ١٤٠٦ هـ.
- ٢٤٣- مختصر الإنصاف والشرح الكبير - محمد بن عبد الوهاب- طبع ضمن مجموع مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب- توزيع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية- الطبعة الثانية- ١٤٢٣ هـ.
- ٢٤٤- مختصر الحوادث والبدع- محمد الطرطوشي- تحقيق: بشير محمد عيون- مكتبة المؤيد- الطائف، ومكتبة دار البيان- دمشق- الطبعة الثانية- ١٤١٢ هـ.
- ٢٤٥- مختصر سيرة ابن هشام- طبع ضمن مجموع مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب- توزيع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية- الطبعة الثانية- ١٤٢٣ هـ.
- ٢٤٦- مختصر سيرة الرسول ﷺ - طبع ضمن مجموع مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب- توزيع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية- الطبعة الثانية- ١٤٢٣ هـ.
- ٢٤٧- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين- ابن القيم الجوزية- تحقيق: محمد حامد الفقي- دار الكتاب العربي- بيروت- لبنان- ١٣٩٢ هـ.
- ٢٤٨- مسائل الجاهلية- طبع ضمن مجموع مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب- توزيع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية- الطبعة الثانية- ١٤٢٣ هـ.
- ٢٤٩- مسائل لخصها الإمام محمد بن عبد الوهاب من كلام ابن تيمية- طبع ضمن مجموع مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب- توزيع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية- الطبعة الثانية- ١٤٢٣ هـ.
- ٢٥٠- المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة- جمع: عبد الإله الأحمدى- دار طيبة للنشر والتوزيع- الرياض- الطبعة الأولى- ١٤١٢ هـ.
- ٢٥١- المستطاب في أسباب نجاح دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - عبد الرحمن يوسف الرحمة- الطبعة الأولى- ١٤٢٤ هـ.
- ٢٥٢- المسند للإمام أحمد بن حنبل- بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع - الرياض- ١٤١٩ هـ.

- ٢٥٣- المسند-الإمام أحمد بن حنبل- شرحه: أحمد محمد شاكر- دار المعارف-مصر.
- ٢٥٤- المسودة في أصول الفقه- لآل تيمية- تحقيق: أحمد بن إبراهيم الذروي- دار الفضيلة- الرياض- الطبعة الأولى- ١٤٢٢هـ.
- ٢٥٥- مشكلة الغلو في الدين في العصر الحاضر- الأسباب- الآثار- العلاج- عبد الرحمن بن معلا اللويح- مؤسسة الرسالة- بيروت- لبنان- الطبعة الثانية- ١٤٢٠هـ.
- ٢٥٦- مصباح الأنام وجلاء الظلام في رد شبه البدعي النجدي التي أضل بها العوام- علوي الحداد- المطبعة العامرة الشرقية- ١٣٢٥هـ.
- ٢٥٧- مصباح الزجاجة- شهاب الدين البوصيري- دار الجنان- بيروت.
- ٢٥٨- مصباح الظلام في الرد على من كذب الشيخ الإمام ونسبه إلى تكفير أهل الإيمان والإسلام- عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ- تحقيق: عبد العزيز عبد الله آل حمد- وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد- الطبعة الأولى- ١٤٢٤هـ.
- ٢٥٩- المصحف والسيف- مجموعة من خطابات وكلمات وأحاديث ومذكرات الملك عبد العزيز جمع: محيي الدين القاسبي- دار الناصر- الطبعة الثالثة.
- ٢٦٠- المصنف في الأحاديث والآثار- عبد الله بن أبي شيبة- دار التاج- بيروت- لبنان- الطبعة الأولى- ١٤٠٩هـ.
- ٢٦١- مطالع السعود في أخبار الوالي داود- عثمان بن سند- اختصار: أمين الحلواني.
- ٢٦٢- معجم البلدان- ياقوت بن عبد الله الحموي- دار الفكر- بيروت.
- ٢٦٣- المعجم الجامع في تراجم العلماء وطلبة العلم المعاصرين- كتاب إلكتروني- ملتقى أهل الحديث.
- ٢٦٤- المعجم الفلسفي بألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية- جميل صليبا- دار الكتاب اللبناني- بيروت- لبنان- طبعة- ١٩٨٢م.
- ٢٦٥- المعجم الكبير- للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني- تحقيق: حمدي السلفي- مكتبة ابن تيمية- القاهرة.



- ٢٦٦- مُعجم المؤلفين - عمر رضا كحالة - مؤسسة الرسالة - بيروت - الطبعة الأولى - ١٤١٤ هـ.
- ٢٦٧- المعجم الوسيط - مجمع اللغة العربية - إشراف: شوقي ضيف وآخران - مكتبة الشروق الدولية - الطبعة الخامسة - ١٤٣١ هـ.
- ٢٦٨- معجم اليمامة - عبد الله محمد بن خميس - الطبعة الأولى - ١٣٩٨ هـ.
- ٢٦٩- معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية - أحمد زكي بدوي - مكتبة لبنان - بيروت - ١٩٧٨ م.
- ٢٧٠- مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة - عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي - الجامعة الإسلامية - المدينة المنورة - الطبعة الثالثة - ١٣٩٩ هـ.
- ٢٧١- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية أهل العلم والإرادة - ابن القيم الجوزية - تقديم: علي بن حسن - دار ابن عفان - الخبر - الطبعة الأولى - ١٤١٦ هـ.
- ٢٧٢- مفيد المستفيد في كفر تارك التوحيد - محمد بن عبد الوهاب - تحقيق: إسماعيل الأنصاري - الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد - الرياض - المملكة العربية السعودية - ١٤١١ هـ.
- ٢٧٣- مفيد المستفيد في كفر تارك التوحيد - محمد بن عبد الوهاب - طبع ضمن مجموع مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب - توزيع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الطبعة الثانية - ١٤٢٣ هـ.
- ٢٧٤- المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة - محمد عبد الرحمن السخاوي - تحقيق: محمد عثمان الخشت - دار الكتاب العربي - بيروت - الطبعة الثانية - ١٤١٤ هـ.
- ٢٧٥- مقالات الإسلاميين - أبي الحسن علي الأشعري - تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد - الطبعة الثانية - ١٤٠٥ هـ.
- ٢٧٦- المقامات - عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب - تحقيق: عبد الله محمد المطوع - دار الملك عبد العزيز - الرياض - ١٤٢٦ هـ.
- ٢٧٧- مقاييس اللغة - أحمد بن فارس - راجعه: أنس الشامي - دار الحديث - القاهرة - ١٤٢٩ هـ.

- ٢٧٨- مقدمات في الثقافة الإسلامية-مفرح سليمان القوسي-دار الغيث للنشر والتوزيع-الرياض-
الطبعة الثانية- ١٤١٨ هـ.
- ٢٧٩- مقدمة ابن خلدون-عبد الرحمن بن محمد بن خلدون-دار إحياء التراث العربي-بيروت-
لبنان- ١٤٠٨ هـ.
- ٢٨٠- الملل والنحل - أبي الفتح محمد الشهرستاني-تعلق: أحمد فهمي-دار الكتب العلمية-
بيروت- لبنان-الطبعة الأولى- ١٤١٠ هـ
- ٢٨١- من وثائق تاريخ شبه الجزيرة العربية في العصر الحديث- تحقيق:عبد الرحيم عبد الرحمن
عبد الرحيم-دار الكتاب الجامعي-القاهرة- ١٤٢١ هـ.
- ٢٨٢- منسك الحج -محمد بن عبد الوهاب-تحقيق: بندر العبدلي-دار الوطن-الطبعة الأولى-
١٤٢٣ هـ.
- ٢٨٣- منهاج التأسيس والتقديس في كشف شبهات داود بن جرجيس- عبد اللطيف بن عبد
الرحمن آل الشيخ-أضواء السلف-الرياض-الطبعة الأولى- ١٤٢٦ هـ.
- ٢٨٤- منهاج السنة النبوية-شيخ الإسلام ابن تيمية-تحقيق: محمد رشاد سالم-مكتبة ابن تيمية-
القاهرة-الطبعة الثانية- ١٤٠٩ هـ.
- ٢٨٥- منهاج الطالبين وعمدة المفتين-يحيى بن شرف النووي-دار المعرفة-بيروت.
- ٢٨٦- منهج ابن القيم في الدعوة إلى الله تعالى- أحمد عبد العزيز الخلف-أضواء السلف-
الرياض-الطبعة الأولى- ١٤١٩ هـ.
- ٢٨٧- منهج الإمام محمد بن عبد الوهاب في مسألة التكفير-أحمد بن جزاع الرضيمن-دار
الفضيلة-الرياض-الطبعة الأولى ١٤٢٦ هـ.
- ٢٨٨- منهج التجديد في الفكر الإسلامي- فاروق النبهان-مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود
بالرياض-١٩٨٩ م.
- ٢٨٩- منهج الرشاد لمن أراد السداد-جعفر بن خضر النجفي-مطبعة الحيدرية-النجف-
١٣٤٢ هـ.



- ٢٩٠- منهج شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب في التأليف- عبد المحسن حمد البدر- دار المغني للنشر والتوزيع- الطبعة الأولى- ١٤٢٥ هـ.
- ٢٩١- مواد لتاريخ الوهابيين- جوهان لودفيج بوركهات- ترجمة: عبد الله الصالح العثيمين.
- ٢٩٢- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار- المعروف بالخطط المقرزية- تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي المقرزي- دار صادر- بيروت.
- ٢٩٣- الموافقات في أصول الأحكام - إبراهيم موسى الشاطبي- دار الفكر للطباعة والنشر.
- ٢٩٤- مواقف المستشرقين من دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب الإصلاحية- عبد الله عمر الدميحي- الإدارة العامة للإعلام والثقافة والنشر- رابطة لعالم الإسلامي - ١٤٣٢ هـ.
- ٢٩٥- المواقف في علم الكلام- عبد الرحمن بن أحمد الإيجي- عالم الكتب- بيروت.
- ٢٩٦- موجز لتاريخ الوهابي- هارفرد جونز بريدجز- ترجمة: عويضة الجهني- دار الملك عبد العزيز- الرياض- الطبعة الأولى- ١٤٢٥ هـ
- ٢٩٧- الموطأ- مالك بن أنس- تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي- دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان.
- ٢٩٨- موقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة- عرضا ونقدا- سليمان صالح الغصن- دار العاصمة- الرياض- الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ.
- ٢٩٩- الموقف المعاصر من المنهج السلفي في البلاد العربية- دراسة نقدية- مفرح سليمان القوسي- دار الفضيلة- الطبعة الأولى- ١٤٢٣ هـ.
- ٣٠٠- نبذة في إتباع النصوص مع احترام العلماء للإمام محمد بن عبد الوهاب- طبع ضمن مجموع مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب- توزيع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية- الطبعة الثانية- ١٤٢٣ هـ.
- ٣٠١- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة- ابن تغري بردي- المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر- مصر.
- ٣٠٢- نحو أمن فكري إسلامي - رضوان طاهر الطلاع- الطبعة لأولى- ١٤١٩ هـ.

- ٣٠٣- نحو ثقافة إسلامية أصيلة-عمر سليمان الأشقر-دار النفائس-عمان-الأردن- الطبعة الثانية- ١٤١٢هـ.
- ٣٠٤- نسب آل سعود-فائز البدراني وراشد بن عساكر-دارة الملك عبد العزيز-الرياض- ١٤٣٣هـ.
- ٣٠٥- نصيحة المسلمين بأحاديث خاتم المرسلين طُبع ضمن مجموعة الحديث النجدية- الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة- ١٤١٩هـ.
- ٣٠٦- النظام الأساسي للحكم- ١٤١٢هـ.
- ٣٠٧- نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج-أحمد بن حمزة الرملي-شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي-القاهرة-مصر- ١٣٥٧هـ.
- ٣٠٨- هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى-ابن القيم الجوزية-مطبعة الجامعة الإسلامية-المدينة المنورة-الطبعة الأولى.
- ٣٠٩- هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين- إسماعيل باشاء البغدادي-دار إحياء التراث العربي-لبنان-بيروت(١٩٥١م).
- ٣١٠- هذه بلادنا ١٩مكة المكرمة- إبراهيم أحمد حسن كفي-الرئاسة العامة لرعاية الشباب-الرياض- ١٤٠٨هـ.
- ٣١١- هذه مسائل- طبع ضمن مجموع مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب- توزيع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية-الطبعة الثانية- ١٤٢٣هـ.
- ٣١٢- الوافي بالوفيات- صلاح الدين خليل الصفدي-اعتنى به: ديدرينغ فيسبادن-ألمانيا- ١٩٧٤م.
- ٣١٣- وثائق نجد-تقارير أمراء العثمانيين المعاصرين لظهور محمد بن عبد الوهاب واستقرار أول دولة لآل سعود في نجد والحجاز- تأليف علي موجاني-تعريب: عقيل خورشاء-دار المحجة البيضاء-بيروت-لبنان-الطبعة الأولى- ١٤٣٥هـ.



٣١٤- الوسطية في القرآن الكريم - علي الصلابي- مكتبة الصحابة-الشاركة، ومكتبة التابعين- القاهرة-الطبعة الأولى- ١٤٢٢هـ.

٣١٥- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان- أبو العباس شمس الدين أحمد ابن خلكان-دار صادر- بيروت.

٣١٦- الوهابية بتقارير القنصلية الفرنسية في بغداد-هاشم ناجي-الوراق للنشر-بغداد-الطبعة الأولى.

٣١٧- الوهابية بين الشرك وتصدع القبيلة- خالد الدخيل-الشبكة العربية للأبحاث والنشر- بيروت-الطبعة الأولى-٢٠١٣م.

٣١٨- الوهابيون تاريخ ما أهمله التاريخ-لويس دوكورانسي-ترجمة: مجموعة من الباحثين-رياض الريس للكتاب والنشر.

ثالثاً-الرسائل الجامعية:

١- أثر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في تحقيق الأمن-عبد العزيز فهد الجوهري-دراسة تأصيلية-رسالة ماجستير غير منشورة-جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية-كلية الدراسات العليا-قسم العدالة الجنائية-التشريع الجنائي الإسلامي- ١٤٢٨هـ.

٢- أثر الهوى على التوحيد-منذر خليل الغماري-رسالة ماجستير غير منشورة-الجامعة الإسلامية غزة-كلية أصول الدين- ١٤٢٦هـ.

٣- إسهام الإعلام التربوي في تحقيق الأمن الفكري لدى طلاب المرحلة الثانوية بمدينة مكة المكرمة من وجهة نظر مديري ووكلاء المدارس والمشرفين التربويين-زيد زايد الحارثي-رسالة ماجستير غير منشورة-جامعة أم القرى-كلية التربية-قسم الإدارة التربوية والتخطيط- ١٤٢٨هـ.

٤- الأمن الفكري في مقررات التربية الإسلامية في المرحلة الثانوية-دراسة ميدانية- سعد بن صالح العتيبي-رسالة ماجستير غير منشورة-جامعة أم القرى-كلية التربية-قسم التربية الإسلامية والمقارنة-١٤٢٩- ١٤٣٠هـ.

- ٥- تصور مقترح لتفعيل دور المدرسة الثانوية في تحقيق الأمن الفكري-بندر علي الشهراني- رسالة ماجستير غير منشورة-جامعة أم القرى-كلية التربية-قسم التربية الإسلامية والمقارنة- ١٤٣٠هـ.
- ٦- تقويم جهود وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد في تعزيز الأمن الفكري- سعد بن صالح العبيسي-رسالة ماجستير غير منشورة-جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية- قسم العلوم الإدارية- ١٤٢٩هـ.
- ٧- الحداثة في العالم العربي-دراسة عقديّة-محمد عبد العزيز العلي-رسالة دكتوراه غير منشورة-جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية-كلية أصول الدين-قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة- ١٤١٤هـ.
- ٨- الدلالات التربوية لمفهوم الأمن الفكري في القرآن الكريم والسنة النبوية-عبد الله حلفان آل عايش-رسالة ماجستير غير منشورة-جامعة أم القرى-كلية التربية-قسم التربية الإسلامية والمقارنة- ١٤١٤هـ.
- ٩- دور الأسرة التربوي في استتباب أمن الفرد والمجتمع من خلال التنشئة الاجتماعية والضبط الاجتماعي-عفاف بنت حسن الحسيني-رسالة دكتوراه غير منشورة-جامعة أم القرى-كلية التربية-قسم التربية الإسلامية والمقارنة- ١٤٢٥هـ.
- ١٠- شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ودورها في تحقيق الأمن الفكري-شاكر مقبل العصيمي-رسالة ماجستير غير منشورة-جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية-قسم العدالة الجنائية- ١٤٣٢هـ.
- ١١- الشيخ محمد بن عبد الوهاب ودعوته في شبه الجزيرة العربية-عبد الرحمن بن سليمان الفاضل-جامعة الأزهر-عام ١٣٩٨هـ.
- ١٢- محمد بن عبد الوهاب والدعوة الوهابية-كمال السيد درويش-رسالة ماجستير غير منشورة-جامعة الإسكندرية-كلية الآداب-١٩٥٨م.
- ١٣- مدى توافر الخبرات التربوية المصاحبة في منهج التوحيد وإسهامها في تعزيز الأمن الفكري لدى طالبات الصف الثالث الثانوي من وجهة نظر مشرفات ومعلمات التربية الإسلامية



بمنطقة مكة المكرمة-لطفية سراج قمره-رسالة دكتوراه غير منشورة- جامعة أم القرى-كلية التربية-مكة المكرمة-١٤٢٧-١٤٢٨ هـ.

١٤- المعارضة المحلية في نجد لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب منذ ظهورها حتى سقوط الدرعية ١٢٣٤- محمد النويصر -رسالة ماجستير غير منشورة- جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية-كلية العلوم الاجتماعية.

١٥- مفهوم الأمن الفكري في الإسلام وتطبيقاته التربوية-أمل محمد نور-رسالة ماجستير غير منشورة-جامعة أم القرى-كلية التربية-قسم التربية الإسلامية والمقارنة-١٤٢٧ هـ.

١٦- نحو بناء إستراتيجية وطنية لتحقيق الأمن الفكري في مواجهة الإرهاب-عبد الحفيظ عبدالله المالكي-رسالة دكتوراه غير منشورة-جامعة نايفالعرية للعلوم الأمنية-كلية الدراسات العليا-قسم العلوم الشرطية-١٤٢٧ هـ.

رابعاً: المؤتمرات والندوات:

١- استثمار مسائل الاعتقاد في حماية الأمن الفكري- عبد اللطيف الحفظي، بحث مقدم للمؤتمر الوطني الأول للأمن الفكري (١٤٣٠ هـ).

٢- إستراتيجية تعزيز الأمن الفكري- محمد الهماش، بحث مقدم للمؤتمر الأول للأمن الفكري (١٤٣٠ هـ).

٣- الأمن الفكري وأسسها في السنة النبوية-جمال بادي وإبراهيم شوقار- بحث مقدم للمؤتمر الأول للأمن الفكري (١٤٣٠ هـ).

٤- الانحراف الفكري وأثره في الإرهاب-خالد عبد الرحمن القرشي-الجمعية السعودية للدراسات الدعوية- الملتقى الأول.

٥- بناء المفاهيم ودراساتها في ضوء المنهج العلمي -مفهوم الأمن الفكري أمودجا- عبد الرحمن اللويحق - بحث مقدم للمؤتمر الأول للأمن الفكري (١٤٣٠ هـ).

٦- تعزيز الأمن الفكري في مؤسسات المجتمع المدني-هاشم الأهدل- بحث مقدم للمؤتمر الوطني الأول للأمن الفكري (١٤٣٠ هـ).

- ٧- جهود سماحة الإمام عبد العزيز بن باز في تعزيز الأمن الفكري - عبد الله السهلي، بحث مقدم للمؤتمر الاول للأمن الفكري (١٤٣٠هـ).
- ٨- الدور السياسي للحركة الوهابية في ظل بيئة متغيرة- تامر هاشم- بحث مقدم لمؤتمر الوهابية والسلفية الأفكار والآثار (٢١-٢٢ كانون الأول/ ديسمبر ٢٠١٣) في دولة قطر.
- ٩- دور أئمة آل سعود في وقف المخطوطات في منطقة الرياض- عبد الله المنيف- بحث مقدم لندوة المكتبات الوقفية في المملكة العربية السعودية التي عقدتها وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد في المدينة المنورة من(٢٥-٢٧/١/١٤٢٠هـ).
- ١٠- مسؤولية المجتمع عن حماية الأمن الفكري لأفراده-عادل الشدي-ورقة عمل مقدمة لندوة المجتمع والأمن-المنعقدة بكلية الملك فهد الأمنية بالرياض من(٢١/٢) حتى (٢٤/٢) سنة ١٤٢٥هـ.
- ١١- نحو مجتمع آمن فكريا-عبدالحفيظ عبدالله المالكي-بحث مقدم للمؤتمر الأول للأمن الفكري-(١٤٣٠هـ).
- ١٢- نموذج تشخيصي وإطار بحثي مقترح لدراسة ظاهرة التكفير باعتبارها مهدداً للأمن الفكري- عبدالله البريدي- بحث مقدم للمؤتمر الوطني الأول للأمن الفكري (١٤٣٠هـ).
- ١٣- هل تغير موقف السلفيين من الديمقراطية- محمد أبو مازن- بحث مقدم لمؤتمر الوهابية والسلفية الأفكار والآثار (٢١-٢٢ كانون الأول/ ديسمبر ٢٠١٣) في دولة قطر.
- ١٤- الوهابية السلفية المصرية- محمد عبد العال عيسى- بحث مقدم لمؤتمر الوهابية والسلفية الأفكار والآثار (٢١-٢٢ كانون الأول/ ديسمبر ٢٠١٣) في دولة قطر.

خامساً:-المجلات والصحف:

- ١- الأحاديث الواردة في لزوم الجماعة-حافظ بن محمد الحكمي-مجلة البحوث الإسلامية تصدرها الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد-عدد(٧٦).
- ٢- الإستراتيجية الوطنية للأمن الفكري-المصطلحات والمفاهيم(النسخة الأولية) كرسي الأمير نايف للأمن الفكري.



- ٣- الأمن الفكري الإسلامي أهميته وعوامل بنائه-سعيد الوادعي - مجلة الأمن والحياة - العدد(١٨٧).
- ٤- الأمن الفكري مفهومه وأهميته ومتطلبات تحقيقه-عبد الحفيظ المالكي-مجلة البحوث الأمنية العدد(٤٣) سنة (١٤٣٠هـ).
- ٥- الأمن الفكري والعقائدي: مفاهيمه وخصائصه وكيفية تحقيقه -الندوة العلمية الرابعة-نحو إستراتيجية عربية للتدريب في الميادين الأمنية (١٤٠٨هـ).
- ٦- أولويات الدعوة في منهج الأنبياء- زيد الزيد-مجلة البحوث الإسلامية-تصدرها الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد-عدد(٤٣) سنة (١٤١٥هـ).
- ٧- حقيقة دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأثرها في العالم الإسلامي - محمد بن عبد الله السلطان - مجلة البحوث الإسلامية -تصدرها الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد-العدد(٢١)سنة(١٤٠٨).
- ٨- دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وتثبيت الأمن بمفهومه الشامل-فهد الجديد- مجلة البيان- العدد(٧٥) سنة (١٤١٤هـ).
- ٩- ذكريات وأحاديث حول مدينة جدة-حمد الجاسر-مجلة العرب- عدد رمضان(٢٣٣) - سنة (١٤٠٠هـ).
- ١٠- رؤية للأمن الفكري وسبل مواجهة الفكر المنحرف-علي فايز الجحني -المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب(١٤/٥٤) عدد(٢٧).
- ١١- قراءة تحليلية في دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب-صالح الفريح-مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة والدراسات الإسلامية، العدد(٥١) محرم(١٤٣٢هـ) .
- ١٢- القيم الإسلامية المتضمنة في كتاب القراءة للصف الثالث الابتدائي في مصر وقطر-محمد وجيه الصاوي-مجلة كلية التربية-جامعة قطر(١٩٩٠م).
- ١٣- المتغيرات الثقافية في دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب- أحمد الحليبي - مجلة الدارة-العدد الأول- سنة(٣٢).

١٤- مجلة العرب- حمد الجاسر- عدد رمضان وشوال (١٣٩٥).

١٥- مقومات الأمن في القرآن الكريم- إبراهيم الهويل- المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب- العدد (٢٩).

١٦- وجوب تحكيم الشريعة الإسلامية في شؤون الحياة كلها- مناع القطان- مجلة البحوث الإسلامية- تصدرها الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد- العدد (١) سنة (١٣٩٥هـ).

سادساً: المواقع الإلكترونية:

١- موقع الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء- ترجمة الشيخ صالح فوزان الفوزان- على الرابط

التالي: <http://www.alifta.net/Fatawa/MoftyDetails.aspx>

٢- موقع المسلم- الوسطية في ضوء القرآن- ناصر العمر- على الرابط

التالي: <http://www.islamhouse.com/337299/ar/ar/books>

٣- موقع ويكيبيديا- الموسوعة الحرة- الليبرالية- على الرابط التالي:

<http://ar.wikipedia.org>



فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
أ	ملخص الدراسة باللغة العربية.
ب	ملخص الدراسة باللغة الانجليزية.
ج	المقدمة
د	مشكلة البحث.
هـ	حدود البحث.
هـ	مصطلحات البحث.
هـ	أهمية البحث وأسباب اختياره.
و	الدراسات السابقة.
ح	أهداف البحث.
ح	أسئلة البحث.
ط	منهج البحث.
ط	إجراءات البحث.
ك	الصعوبات التي واجهت الباحث.
ل	خطة البحث.
ع	شكر وتقدير
١	التمهيد
٢	أولاً: ترجمه مختصره للإمام محمد بن عبد الوهاب
٣	المطلب الأول: عصر الإمام محمد بن عبد الوهاب
١٢	المطلب الثاني: ترجمة الإمام محمد بن عبد الوهاب
١٧	ثانياً: مفهوم الأمن الفكري وأهميته
١٧	المطلب الاول: مفهوم الأمن الفكري

الصفحة	الموضوع
٢٦	المطلب الثاني: أهمية الأمن الفكري
١٩٦-٣٠	الباب الأول: معوقات الأمن الفكري وجهود الإمام محمد بن عبد الوهاب في مواجهتها.
٣٥	الفصل الأول: معوقات عقديّة.
٤٢	المبحث الأول: شبهات تُخرج من الملة.
٤٧	المطلب الأول: شبهة أن دعاء الصالحين ليس شركًا
٥٩	المطلب الثاني: شبهة أن الذبح والنذر لغير الله ليس شركًا
٦٦	المطلب الثالث: شبهة أن الغلو في الأولياء والصالحين ليس شركًا
٧٥	المطلب الرابع: شبهة اتهام الإمام -رحمه الله- بادعاء النبوة
٨١	المبحث الثاني: شبهات لا تُخرج من الملة.
٨٤	المطلب الأول: شبهة البناء على القبور، والطعن في دعوة الإمام بسببها
٩٣	المطلب الثاني: شبهة بدعة الاحتفال بالمولد النبوي.
٩٥	المطلب الثالث: شبهة بدعة التذكير واستغلالها للنيل من الإمام -رحمه الله-
١٠١	المطلب الرابع: الشبهات حول المحمل واستغلالها للنيل من الدعوة.
١٠٣	الفصل الثاني: معوقات فكرية.
١٠٦	المبحث الأول: التعصب والتقليد.
١٠٧	المطلب الأول: التعصب
١١٤	المطلب الثاني: التقليد
١٢٣	المبحث الثاني: اتباع الهوى والحسد.
١٢٤	المطلب الأول: اتباع الهوى
١٣٦	المطلب الثاني: الحسد
١٤٣	المبحث الثالث: الخصوم من أصحاب الزعامات والمنتسبين للعلم.
١٤٤	المطلب الأول: الخصوم من أصحاب الزعامات المحليّة، وإعاقتهم لقبول دعوة



الصفحة	الموضوع
	الإمام - رحمه الله - .
١٥٢	المطلب الثاني: الخصوم من أصحاب الزعامات الخارجية
١٥٧	المطلب الثالث: الخصوم من المنتسبين للعلم
١٦٩	الفصل الثالث: عوائق الاجتماع والائتلاف.
١٧٣	المبحث الأول: تفرق كلمة أهل الحل والعقد .
١٧٧	المبحث الثاني: استحلال الدماء والأموال.
١٨٣	المبحث الثالث: اتهام الإمام بالتكفير بالعموم.
-١٩٧ ٣٥٢	الباب الثاني: مقومات الأمن الفكري ووسائله في دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب.
٢٠٠	الفصل الأول: مقومات منهج الإمام.
٢٠٣	المبحث الأول: الرد إلى الله ورسوله ﷺ.
٢٠٤	المطلب الأول: الرد إلى الله
٢٠٦	المطلب الثاني: الرد إلى رسول الله ﷺ
٢١٦	المبحث الثاني: الرجوع لفهم السلف.
٢٢٤	المبحث الثالث: البعد عن المصطلحات المبتدعة.
٢٣١	الفصل الثاني: بيان عقيدة أهل السنة والجماعة.
٢٣٤	المبحث الأول: نشر عقيدة أهل السنة والجماعة.
١٤٥	المبحث الثاني: بيان وسطية أهل السنة والجماعة .
٢٥١	الفصل الثالث: تطبيق الشريعة.
٢٥٥	المبحث الأول: إقامة القضاء الشرعي.
٢٦١	المبحث الثاني: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
٢٧٢	المبحث الثالث: تطبيق السنة في حياة الناس اليومية .
٢٧٨	الفصل الرابع: عناية الإمام بجمع الكلمة

الصفحة	الموضوع
٢٨٢	المبحث الأول: اهتمامه بالجماعة.
٢٩٠	المبحث الثاني: تعامله مع الولاة.
٢٩٦	المبحث الثالث: موقفه من العلماء.
٣٠٣	المبحث الرابع: منهجه في التعامل مع المخالفين.
٣١٤	الفصل الخامس: وسائل الإمام في حفظ الأمن الفكري.
٣١٨	المبحث الأول: الاقناع العقلي والحجة العلمية.
٣٢٧	المبحث الثاني: الدعوة إلى الله .
٣٣٥	المبحث الثالث: التعليم.
٣٤٠	المبحث الرابع: الحوار.
٣٤٨	المبحث الخامس: المناظرة.
-٣٥٣	الباب الثالث: آثار دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب في تحقيق الأمن
٤٢١	الفكري.
٣٥٥	الفصل الأول: الآثار العلمية لدعوة الإمام.
٣٥٨	المبحث الأول: الرجوع بالناس إلى منهج السلف.
٣٦٤	المبحث الثاني: انحسار البدع والخرافات.
٣٦٨	المبحث الثالث: الإسهام في النهضة العلمية.
٣٧٣	الفصل الثاني: آثار دعوة الشيخ السياسية.
٣٧٦	المبحث الأول: تحكيم الشريعة
٣٧٩	المبحث الثاني: جمع الكلمة على إمام واحد (الدول السعودية الثلاث).
٣٨٦	المبحث الثالث: الاستقرار والأمن.
٣٩٣	الفصل الثالث: آثار دعوة الإمام الاقتصادية والاجتماعية.
٣٩٥	المبحث الأول: الاصلاح الاقتصادي ومحاربة الفساد.
٤٠٢	المبحث الثاني: توفر الموارد.



الصفحة	الموضوع
٤٠٩	المبحث الثالث: إعادة بناء القيم .
٤١٨	المبحث الرابع: أثرها على الفرد والمجتمع.
٤١٩	المطلب الأول: أثرها على الفرد.
٤٢٠	المطلب الثاني: أثرها على المجتمع.
٤٢٢	الخاتمة.
٤٢٦	الفهارس:
٤٢٧	١٠- فهرس الآيات القرآنية.
٤٣٩	١١- فهرس الأحاديث النبوية، والآثار.
٤٤٢	١٢- فهرس الأعلام.
٤٤٧	١٣- المصطلحات والألفاظ الغريبة.
٤٤٨	١٤- فهرس الأديان والملل والفرق .
٤٤٩	١٥- فهرس الأماكن.
٤٥٠	١٦- فهرس الأشعار.
٤٥١	١٧- فهرس المصادر والمراجع.
٤٨٤	١٨- فهرس الموضوعات.

هذا الكتاب منشور في

سِبْكَرِ الْأَوْكِي

www.alukah.net